

مقارنة الأديان

الأستاذ الدكتور
محمد أحمد الخطيب
أستاذ العقيدة والأركان والفرق
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية



بسم الله الرحمن الرحيم



مقارنة الأديان

رقـــــم التصنيـــــف : 291
المؤلف ومن هو في حكمه: محمد احمد الخطيب
عنـــــوان الكتـــــاب: مقارنة الاديان
رقـــــم الايـــــداع : 2007/7/2314
الـواصفـــــــــــات: /الدين المقارن/
بيـــانـــــات النــشر : عمان - دار المسيرة للنشر والتوزيع
* - تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى
2008 م - 1428 هـ



عمان-العبدلي-مقابل البنك العربي
هاتف:5627049 فاكس:5627059
عمان-ساحة الجامع الحسيني-سوق البتراء
هاتف:4640950 فاكس:4617640
ص.ب 7218 - عمان 11118 الأردن
www.massira.jo

مقارنة الأديان

الأستاذ الدكتور
محمد أحمد الخطيب
أستاذ العقيدة والأركان والفرق
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية





الإهداء

إلى زوجتي الغالية ورفيقة الدرب في حلوه ومره

إلى من وقفت معي في السراء والضراء

إلى من كانت (الجندي المجهول) المضحية في سبيل تقدمي

أهدي هذا الكتاب إليها.



الفهرس

المقدمة 19

الباب التمهيدي: مقدمة في الدين

1- معنى الدين 25
2- الدين والأخلاق 27
3- الدين والفلسفة 28
4- آراء العلماء الغربيين في نشأة الدين 29
5- حاجة الناس إلى الدين 30
6- نشأة علم مقارنة الأديان 31

الباب الأول: اليهودية

الفصل الأول: تاريخ اليهودية 39

المبحث الأول: أسماء اليهود وسبب تسميتهم بها 41
المبحث الثاني: نظرة مجملة في تاريخ اليهود 45
المبحث الثالث: يهود العالم وصلتهم بفلسطين 75
1- تمهيد 75
2- يهود الخزر 76
3- الحركة الصهيونية 78
4- بروتوكولات حكماء صهيون 79
5- الإشكناز والسفرديم 82

الفصل الثاني: كتب اليهود المقدسة 85
المبحث الأول: التوراة 87
1- التعريف بالتوراة 87
2- أقسام التوراة 89
3- الأسفار الخفية عند اليهود 90
4- التوراة وتاريخ تدوين أسفارها 92
5- اللغة التي ألفت بها التوراة 93
6- النقد الموجه للتوراة 94
7- لماذا حرّف اليهود التوراة؟ 104
المبحث الثاني: التلمود 106
1- التعريف بالتلمود 106
2- ملاحق الجمارا 108
3- طبعات التلمود 109
4- أهمية التلمود 110
5- عقائد وشرائع التلمود 112
الفصل الثالث: طوائف وفرق اليهود 115
المبحث الأول: فرق اليهود القديمة 117
1- الفريسيون 118
2- الصدوقيون 120
3- السامريون 122
4- الأسينيون 124
5- القراؤون 128
6- يهود الحبشة 131

7- يهود الهند 132
8- يهود تركيا 132
المبحث الثاني: فرق اليهود المعاصرة.. 134
1- الإصلاحيون 134
2- المحافظون 142
3- الأرثوذكس 147
الفصل الرابع: عقائد اليهود 151
المبحث الأول: عقيدة اليهود في الله.. 153
المبحث الثاني: عقيدة اليهود في النبوة والأنبياء 162
المبحث الثالث: عقيدة اليهود في اليوم الآخر والمسيح المخلص.. 171
الفصل الخامس: شرائع اليهود 183
المبحث الأول: عبادات اليهود.. 185
1- الصلاة 185
2- الصيام.. 191
3- زيارة بيت المقدس 192
المبحث الثاني: الأحوال الشخصية عند اليهود.. 193
1- الزواج.. 193
2- تعدد الزوجات.. 195
3- الطلاق 196
4- اليبوم 198
5- الميراث.. 198
المبحث الثالث: نماذج لشرائع أخرى عند اليهود 200
1- الحلال والحرام في الطعام والشراب عند اليهود 200

2- الختان 201
3- إحتفال سن البلوغ 202
4- الربا 202
5- من هو اليهودي 203
6- الخطيئة والتوبة 204
الفصل السادس: أعياد اليهود 209
المبحث الأول: الأعياد الدينية 212
1- السبت 212
2- عيد رأس السنة العبرية 214
3- يوم الغفران أو يوم الكفارة 216
4- عيد الفصح أو عيد الفطير 217
5- عيد الحانوكة 220
6- عيد البوريم 221
المبحث الثاني: الأعياد الزراعية والموسمية 222
1- عيد المظلات 222
2- عيد الحصاد 223

الباب الثاني: المسيحية

الفصل الأول: تاريخ المسيحية 227
المبحث الأول: مفهوم النصرانية والمسيحية 229
المبحث الثاني: نظرة مجملة في تاريخ المسيحية 230
1- البيئة التي سبقت ظهور المسيح عليه السلام 230
2- البيئة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام 230
3- شخصيات لها علاقة بالمسيح والمسيحية 231

4- الحمل بالمسيح وولادته 234
5- بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته 235
6- موقف اليهود من دعوة المسيح عليه السلام 236
7- المسيحيون والإضطهاد الروماني 238
8- بولس وأثره في المسيحية بعد المسيح عليه السلام 240
9- إعتناق الدولة الرومانية للمسيحية 255
10- آثار اعتناق الرومان على عقائد المسيحيين 258
الفصل الثاني: مصادر المسيحية 261
المبحث الأول: العهد القديم 263
المبحث الثاني: العهد الجديد 264
أقسام العهد الجديد 265
أ- الأناجيل الأربعة 265
كيف اعتمدت الأناجيل الأربعة؟ 267
محتويات الأناجيل الأربعة والإنتقادات الموجهة لها 270
ب- الرسائل 281
1- رسالة أعمال الرسل 281
2- الرسائل التعليمية 283
أ- رسائل بولس 283
ب- الرسائل الكاثوليكية 284
جـ- رسالة رؤيا يوحنا 284
المبحث الثالث: الجامع 286
الفصل الثالث: عقائد المسيحية 301
المبحث الأول: تمهيد 303

المبحث الثاني: عقيدة التثليث 306
1- حقيقية التثليث وأصوله.. 306
2- الإنتقادات الموجهة لعقيدة التثليث 311
المبحث الثالث: ألوهية المسيح وعقيدة الصلب.. 312
1- ألوهية المسيح وعقيدة الصلب 312
2- الإنتقادات الموجهة لفكرة ألوهية المسيح.. 316
3- حقيقة قصة الصلب 318
4- الإنتقادات الموجهة لعقيدة الصلب.. 319
5- المسيح يحاسب الناس.. 321
المبحث الرابع: يوم القيامة عند المسيحيين 322
أ- الموت وعلاقته بالخطيئة في المسيحية.. 322
ب- مستقر الأرواح بعد الموت 323
ج- يوم القيامة وأحداثه.. 324
الفصل الرابع: شعائر وتشريعات المسيحية 335
المبحث الأول: التشريع في المسيحية ومراحله 337
المبحث الثاني: شعائر المسيحية 339
1- التعميد 340
2- العشاء الرباني.. 341
3- الإعتراف.. 343
4- تقديس الصليب وحمله.. 243
5- المسح بالميرون المقدس.. 344
6- المسح على المريض 344
7- حضور القسيس عند الموت 345

8- حضور القسيس عند الزواج 345
9- سر الكهنوت 345
المبحث الثالث: العبادات المسيحية.. 347
1- الصلاة.. 347
2- الصيام.. 353
3- الحج 357
المبحث الرابع: صور من تشريعات المسيحيين.. 358
1- الزواج.. 358
2- الطلاق 358
3- الميراث.. 360
4- تحليل لحم الخنزير.. 361
5- الرهبنة.. 361
الفصل الخامس: طوائف المسيحية 365
تمهيد.. 367
1- الكنيسة القبطية 368
2- الكنيسة المارونية 369
3- الكنيسة الكاثوليكية 370
4- الكنيسة الأرثوذكسية.. 374
5- الكنيسة النسطورية 376
6- الكنيسة السريانية 377
7- الكنيسة الأرمنية 377
8- الكنيسة البروتستنتية.. 377
9- طوائف البروتستانت 384

أ- جماعة الأصدقاء 384
ب- المورمونية 384
ج- طائفة كريستيان سانيس 386
10- الإنجيليون (المسيحيون الصهيونيون) 386
1- السفارة المسيحية الدولية 388
2- منظمة الأغلبية الأخلاقية 388
3- هيئة المائدة المستديرة الدينية 389
4- حملة الحرم الجامعي من أجل المسيح 389
5- مؤسسة الجبل الهيكل 389
6- مؤسسة بات روبرتسون 389
7- المنظمة المسيحية للقديس 390
8- كنائس مايك إيفانز 390
9- منظمة الإنجيليين المتحدين من أجل صهيون 390
10- جماعة (تاف) 390
11- جماعة جسور السلام 390

الباب الثالث: الأديان الوضعية الحية

الفصل الأول: الديانة الهندوسية 393
المبحث الأول: الأصول التاريخية ونشأة الهندوسية 395
المبحث الثاني: عقائد الهندوس 398
1- الألوهية 398
2- الثواب والعقاب عند الهندوس 402
أ- الكارما 402

ب- تناسخ الأرواح 403
ج- الإنطلاق 404
د- وحدة الوجود........................ 406
المبحث الثالث: شعائر وعبادات الهندوس........................ 408
1- الطهارة........................ 408
2- الصلاة........................ 408
3- إحراق الموتى 409
4- الدخول إلى الديانة........................ 409
المبحث الرابع: تشريعات الهندوس ونظامهم الأخلاقي 411
1- المرأة في التشريع الهندوسي 411
2- الزواج والطلاق 411
3- نماذج من تشريعات الهندوس وأخلاقهم 412
المبحث الخامس: نظام الطبقات عند الهندوس 413
1- البراهمة 414
2- الكشترية 415
3- الويشية 415
4- الشودر 416
المبحث السادس: كتب الهندوسية المقدسة 418
الفصل الثاني: البوذية 423
التعريف بالبوذية 425
المبحث الأول: بوذا ونشأة البوذية 426
المرحلة الأولى: ولادة بوذا 426
المرحلة الثانية: الأخذ بتعاليم النساك البراهمة 427

المرحلة الثالثة: إشراق المعرفة 428
المرحلة الرابعة: دوران عجلة الشريعة 429
المبحث الثاني: إنتشار البوذية 432
1- البوذية القديمة (العجلة الصغيرة) 433
2- البوذية الجديدة (العجلة الكبيرة) 434
المبحث الثالث: تعاليم ومعتقدات البوذية 435
1- هل البوذية دين أم فلسفة؟ 435
2- نظرة البوذية إلى الألوهية 435
3- الولادات المتكررة (التناسخ) 438
4- النرفانا 439
المبحث الرابع: النظام التشريعي والأخلاقي في البوذية 443
1- المال والثروة في البوذية 443
2- إلغاء الطبقات 443
3- المرأة والبوذية 443
المبحث الخامس: تطور البوذية 445
الفصل الثالث: الديانة الكونفوشية 447
المبحث الأول: كونفوشيوس ونشأة الكونفوشية 450
المبحث الثاني: الكونفوشية بعد كونفوشيوس 454
المبحث الثالث: هل الكونفوشية دين؟ 458
المبحث الرابع: تعاليم ومعتقدات الكونفوشية 460
المبحث الخامس: آراء كونفوشيوس في الأخلاق 465
المبحث السادس: آراء كونفوشيوس السياسية 468

الفصل الرابع: الديانة الشنتوية 471
المبحث الأول: نشأة الشنتوية وأماكن انتشارها 473
المبحث الثاني: كتب الشنتوية المقدسة 476
المبحث الثالث: عقائد الشنتوية........................ 477
المطلب الأول: عقيدة الشنتوية في الألوهية 477
المطلب الثاني: قصة الخلق 478
المطلب الثالث: عقيدة الشنتوية في الحياة بعد الموت 480
المبحث الرابع: الطقوس والعبادات الشنتوية........................ 481
المطلب الأول: الصلاة وطقوسها 481
المطلب الثاني: عبادة الزن........................ 482
المبحث الخامس: المهرجانات والمناسبات السنوية........................ 484
المبحث السادس: الهياكل عند الشنتو........................ 486
المبحث السابع: المرأة والأسرة والزواج في الشنتوية 488
المطلب الأول: الزواج وطقوسه........................ 488
المطلب الثاني: المرأة والأسرة........................ 488
المبحث الثامن: الشنتوية المعاصرة........................ 490
الفصل الخامس: ديانة السيخ 491
المبحث الأول: نشأة السيخ 493
المبحث الثاني: السيخ بعد (ناناك) 498
المبحث الثالث: أماكن انتشار السيخ 501
المبحث الرابع: كتب السيخ المقدسة 502
المبحث الخامس: عقائد السيخ 505
أولاً: عقيدتهم في الإله 505

ثانياً: التناسخ والخلاص والإندماج عند السيخ 505
المبحث السادس: شعائر السيخ ومعابدهم 508
أولاً: الكافات الخمسة 508
ثانياً: الصلاة والمعابد.. 509
ثالثاً: تقديسهم لكتابهم (غرانت صاحب)................................. 510
رابعاً: المأدبة الجماعية 510
خامساً: الحج.. 511
سادساً: طقوس الزواج.. 511
سابعاً: الولادة والموت 511
المبحث السابع: الأسرة والمرأة في المجتمع السيخ 513

المصادر والمراجع 515

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وبعد.

فإن الله عز وجل في كتابه العزيز دعا المسلمين إلى الحوار مع الآخر مهما كان هذا الآخر، ووجهه من خلال آيات كثيرة إلى كيفية هذا الحوار، حتى ولو كان مع المخالفين والمعاندين، وقد أعطانا رب العزة نموذجا مهما لهذه القاعدة، وهو حواره وهو رب العالمين، عزوجل مع إبليس - العاصي والمعاند والكافر-، بل إن الله عز وجل استجاب لدعائه وأنظره إلى يوم يبعثون.

وعندما نستعرض سير الأنبياء والمرسلين، نجد أن هذا المبدأ هو أساس مهم في أسلوب دعوتهم، فقد لبث نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين، وهو يحاور قومه ويجادلهم، كما جاء في قوله تعالى على لسان قوم نوح ﴿ قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾، وإبراهيم عليه السلام حاور النمرود حوارا يقوم على الحجة والبرهان، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾.

ورسولنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم، كان مثالا حياً في التعامل الإنساني والحوار مع غير المسلمين، فقد كان عليه الصلاة والسلام يقيم منهجا يعلم من خلاله أمته أن الآخر موجود، ولا بد من التعامل معه، وأولى مبادئ التعامل هو الحوار والجدال المنطقي مع أصحاب الديانات الأخرى السابقة على الإسلام، خاصة اليهود والنصارى.

فالرسول صلى الله عليه وسلم حاور المشركين في مكة، وجاءت آيات قرآنية ترد على شبه المشركين في الله واليوم الآخر، وبعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، كان من الواضح أن تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود واعتبارهم مواطنين في الدولة الإسلامية، دليلا على اعتراف الإسلام بوجود الديانات الأخرى في مجتمعه والمجتمعات الأخرى.

ومع ذلك فإن هذا لم يمنع من نزول الآيات القرآنية التي تبين وتوضح حقيقة الدين الصحيح في رسالتي موسى وعيسى عليهما السلام، وكانت هناك وقفات قرآنية مع عقائد هؤلاء تدعوهم إلى الكلمة السواء الموصلة إلى المراجعة والتفكير ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

واستمر المسلمون يسيرون على هذا النهج، وقامت حضارة الإسلام تعترف بالآخر من غير المسلمين ولا تنكر وجودهم، ولهذا عاش غير المسلمين في أمان واطمئنان داخل المجتمعات الإسلامية، وظهرت الحوارات والمناظرات والردود في كتب وموسوعات كتبها علماء مسلمون عن أهل الديانات الأخرى وعقائدها وشرائعها، بكل موضوعية وأمانة، وبدون اجتراء أو ظلم، وهذا الكم الكبير من كتب الملل والنحل، لم يكن ليتم لولا أن هؤلاء العلماء قد عرفوا هذه الديانات عن كثب، فدرسوها وحللوها، مما جعلهم روادا في دراسة الأديان، وهكذا ظهر: النوبختي، وابن حزم، والشهر ستاني، والبيروني وغيرهم.

واليوم، وقد أصبح هذا العلم من أهم العلوم وأشهرها فلا توجد جامعة في الغرب والشرق إلا ويوجد فيها قسم يعنى بعلم مقارنة الأديان، ويعود هذا إلى انفتاح العالم على بعضه البعض، فوسائل الاتصال فتحت الباب واسعا أمام الإنسان كي يتفاعل مع غيره من أبناء أمته أو أبناء الأمم الأخرى، لذا أصبح من الواجب على أبناء الجامعات، خاصة أولئك الذين يدرسون العلوم الشرعية أن ينفتحوا على هذا العلم الهام، والذي من خلاله يمكن أن يتواصلوا مع أبناء الأمم والديانات الأخرى.

من أجل هـذا كتبت هـذا الكتـاب، الـذي يعـالج الأديـان الرئيسـة في العـالم (السـماوية والوضعيـة)، واعتمـدت منـهج التحليـل مـع العـرض للمعلومـات مـن مصادرها، وقد قسمت هذا الكتاب إلى أربعة أبواب هي:

الباب الأول: مقدمة في الدين.

الباب الثاني: اليهودية.

الباب الثالث: المسيحية.

الباب الرابع: الأديان الوضعية الحيـة (الهندوسـية والبوذيـة والكنفوشـية والشـنتوية والسيخ) راجيا أن يكون هذا الكتاب مصدراً من مصادر المعرفـة لـدى البـاحثين والدارسـين، وأن يكـون مـن أجـل نيـل رضـى الله ومغفرتـه، فمرضـاة الله مبتغاي.والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الدكتور محمد أحمد الخطيب

عمان 8/ 4/ 2007





الباب التمهيدي

مقدمة في الدين





مقدمة في الدين

1- معنى الدين

الدين كلمة عامة تشمل كل ملة يدان بها ، وهو في اللغة بحسب استعمال هذه الكلمة، فنقول: دانه دينا، أي ملكه، وحكمه، وساسه، ودبره، وحاسبه، فهي بمعنى المحاسبة والجزاء، ومنها قوله تعالى ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، أي يوم المحاسبة والجزاء.

وكلمة (الدين لله) أي (الحكم لله)، فنقول: دان له، أي أطاعه وخضع له، فهو هنا بمعنى الخضوع والطاعة، فالدين لله جاءت هنا بمعنى الخضوع لله.

ونقول: دان بالشيء، أي إتخذه دينا ومذهبا، بمعنى إعتقده أو تخلّق به، فالدين هنا هو المذهب والطريق التي يسير عليها المرء نظريا وعمليا.

وخلاصة الأمر ان الدين يعني وجود علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطاناً وحكما والزاماً، وإذا نظر إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت كلمة الدين هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها[1].

أما إذا عرفنا الدين اصطلاحا، فالدكتور محمد دراز عرفه بقوله: "الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة أخرى: هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة[2]".

(1) الدين / د. محمد عبد الله دراز: 26،27

(2) المصدر السابق:49

وهذا التعريف رغم أنه واضح في معانيه، إلا أنه ليس جامعا للأديان الأخرى التي لا تعتقد بذوات غيبية عليا كالبوذية وغيرها، والتي بدأت دون الالتفات في تعاليمها إلى الاعتقاد بوجود الذات الغيبية العلوية.

ويعرفه الدكتور إبراهيم تركي بقوله: "أنه نظام له قوانينه وتقاليده وتعاليمه الخاصة، ويشتمل هذا النظام على مجموعة من القضايا والتصورات النظرية الاعتقادية، وهي التي تسمى بالعقيدة، إلى جانب مجموعة من الشعائر والطقوس التعبدية والممارسات السلوكية، وهي التي تعرف بالشريعة، ويتعلق هذان الجانبان، الاعتقادي أو النظري والتشريعي أو العملي، بطاعة الفرد والجماعة، أو خضوعهم لموجود أو موجودات ذات طبيعة سامية مقدسة"[1].

ويمكن القول أن كل دين يختلف عن أي دين آخر، ولا يعطي نفس مفاهيم ما تعطي الأديان الأخرى، وباختلاف هذه المفاهيم تختلف تعريفات الدين حسب معتقدات معرفيها وأهوائهم، ومن الصعب إيجاد تعريف شامل يجمع كل الأديان.

ومن الملاحظ في تعريفات الدين، أن هناك اختلافا بين تعريفات الغربيين، وبين تعريفات العلماء المسلمين، فهو عند علماء الغرب خاضع لنظرة الشخص إلى ما يعتقد، بينما هو عند العلماء المسلمين نابع من مفهوم الدين نفسه ومعطياته[2].

فالدين، طبقا للتعريف السابق، لا بد أن يشتمل على أربعة عناصر أساسية وهي:

1 - العقيدة: وهي مجموعة القضايا النظرية التي يؤمن بها الإنسان دون أن يتطرق لديه الشك فيها.

2- الشريعة: وهي مجموعة التعاليم الدينية التي تتعلق بالعبادات والمعاملات، أي أنها تتعلق بالجانب العملي أو السلوكي من الدين.

3- المقدسات: وهي الموجودات والأمور المطهرة أو المتنزهة عما لا يليق بها من النقائص، وهي التي ينظر إليها الإنسان بشيء من الإجلال والرهبة، ولكل دين

---

(1) علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام/ د. إبراهيم محمد تركي:19

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس المفتوحة:11

من الأديان مقدساته الخاصة به من معابد وكتب تشتمل على تعاليمه، فضلا عن الموجود الأعلى أو الإله وما دونه من الموجودات، التي يتوجه إليها أصحاب كل دين إما بالعبادة والطاعة، أو بالإجلال والاحترام.

4- العبادة: وهي القيام بأفعال محددة في أماكن وأوقات معينة تعبر عن طاعة الإنسان وخضوعه وتعظيمه للإله، أو ما يرمز إليه، ولكل دين أسلوبه الخاص في العبادة ومعبود خاص تتوجه إليه الطقوس والممارسات التعبدية التي تفرض على الاتباع على نحو صارم[1].

2- الدين والأخلاق:

الأخلاق هو العلم الذي يدرس سلوك الناس وتصرفاتهم، وتقوم بالحكم عليها بالخير والشر، وبتوجيه سلوكهم الإنساني إلى فعل الخير وإنتاجه[2].

إن وظيفة علم الأخلاق هي وضع المثل العليا للسلوك الإنساني، وإيجاد مقياس للحكم العقلي يمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر، علما بأن المعايير والمثل العليا تختلف باختلاف الأزمنة والمعتقدات التي يلتزم بها الإنسان والأمم، فنجد بعض ما كان من المثل العليا قبل الميلاد يختلف تمام الاختلاف عما هو بعد الميلاد، وعما هو عليه الآن.

ولما كان للإنسان غرائز متضاربة، إذ هو جسد وروح، وشهوة وعقل، فقد تتعارض مطالبه ومطالب المجتمع، فما الذي يضع للإنسان القواعد الأخلاقية السليمة؟ وما الذي يحدد له سلوكه السليم؟

أهو الأخلاق؟أم الفلسفة الأخلاقية؟ أم الدين؟

إن القانون وحده لا يكفي لضبط السلوك الإنساني، إذ كثيرا ما يلجأ الإنسان إلى التحايل على نصوصه ويطوعها لأهوائه الشخصية.

---

(1) علم مقارنة الأديان / د. إبراهيم تركي: 20

(2) المعجم الفلسفي/ د. جميل صليبا:49، 50

كما أن الفلسفة الأخلاقية لا تغني فهي متضاربة حيث إن كل فيلسوف له مذهب، وكل مذهب فلسفي له مقياس[1].

فأمامنا حقيقتان، تختص الأولى (الفلسفة الأخلاقية) بالفضيلة النظرية، والأخرى (الدين) تختص بالفضيلة العملية، فقوة الإلزام في القانون الديني أقوى من إلزام القواعد الأخلاقية، بل أقوى من سائر القوانين المنظمة لعلاقات الأفراد والشعوب، حيث إتباع الفضائل صورة من الطاعة لأوامر الدين، وباب من أبواب القربان والعبادات الإلهية[2].

3- الدين والفلسفة:

كلمة فلسفة من الألفاظ اليونانية وتعني (محبة الحكمة)، وهي تطلق على العلم بحقائق الأشياء وكنهها، وكانت تشمل العلوم بمجالاتها المتعددة، غير أن هذه العلوم انفصلت عن الفلسفة واحداً تلو الآخر.

ومهما يكن من أمر نشأة الدين والفلسفة وأيهما أسبق من الآخر، فإن الفلسفة منذ ظهورها ظلت تتبع الدين، بل إن بعض العلماء جعلها توأم الدين لا ينفصل عنه نظرا لتداخل موضوعاتها، ولكن رغم ذلك فإن هناك فروقا جوهرية بين الدين والفلسفة، ومن أهم هذه الفروق:

أ- الموضوع: فالفلسفة تشترك مع الدين في كثير من موضوعاتها، ولكن الفلسفة تنفرد ببعض الموضوعات مثل المعرفة (كيفية تحصيلها) والنظر العقلي، بينما يستقل الدين ببعض الموضوعات العملية كالشعائر أو العبادات، والعلم بالذات الإلهية واليوم الآخر.

ب- المنهج: تعتمد الفلسفة التحليل العقلي والنظر العلمي الفاحص المدقق لتصل إلى الاستنتاج، وفق قواعد منطقية دقيقة. بينما يعتمد الدين على الإيمان المسبق بموضوعاته، لأنها تصدر عن الوحي.

---

(1) مقارنة الأديان / جامعة القدس:19

(2) الدين/ د. محمد عبد الله دراز:65

على أن الدين يستعمل العقل في حدوده، وإذا تعارض العقل والنقل معاً يرجح النقل، مع العلم أن الدين الحق لا يختلف مع العقل السليم ولا يهمله بل يحض على استعماله.

ج- الأسلوب: تتخذ الفلسفة جانب الحذر والشك تجاه أي فكرة مهما كانت بديهية، ويتجنب الفيلسوف التسليم بصدق أي مسلمة إلا بعد الفحص والتمحيص، بينما يبدأ الدين بالتسليم بمسلمات عقائدية، وحقائق إيمانية مصدرها الوحي، ولا سبيل للشك فيها، مما يطمئن الإنسان ويقيه من الصراعات النفسية.

د- الهدف: هدف الفلسفة المعرفة والنظر العقلي البحت، بينما يريح الدين العقل من البحث فيما وراء الكون ويوجب عليه البحث في هذا الكون الظاهر فالفلسفة لا تحتوي على الجانب العملي الموجود في الدين الذي هدفه الإيمان والعمل بناء عليه، حتى يصل الإنسان إلى الطمأنينة والسكينة والرضا.

ذلك أن غاية الفلسفة نظرية حتى في قسمها العملي، وغاية الدين عملية حتى في جانبها العلمي، فأقصى نظرية الفلسفة أن تعرفنا الحق والخير معاً ما هما وأين هما؟

أما الدين فيعرفنا الحق، لا لنعرفه فحسب، بل لنؤمن به ولحبه ونمجده، ويعرفنا الواجب لنؤديه، وتكمل نفوسنا بتحقيقه[1].

4- آراء العلماء الغربيين في نشأة الدين:

حاول علماء الاجتماع والنفس دراسة الإنسان من جميع جوانبه، ومن بين هذه الجوانب مسألة الدين عنده وتطويرها ونشأتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع، وقد ظهر رأيان أساسيان حول نشأة الدين عند الإنسان:

الأول: يقول إن الأديان أمور مستحدثة وأعراض طارئة على البشرية، ولقد بينت شواهد التاريخ خطأ هذا الرأي، حيث إن التدين ظاهرة عامة يشترك فيها الناس جميعها.

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 21،22.

الثاني: إن الدين كان موجوداً منذ بدء الخليقة بأشكال ولدوافع متعددة، وقد مرّ الدين في نظرهم بمراحل مختلفة، كل مرحلة تتميز عن سابقتها بتطور المعارف الإنسانية، على أن نشأة الدين عند أصحاب هذا الرأي في المراحل جميعها كانت للحماية من الظواهر الطبيعية أو الحيوانية، أو لكسب منافع تعود على الفرد والمجتمع بالخير، وقد أسهم انتشار نظرية داروين – نظرية التطور – وإيمان بعض العلماء الغربيين من علماء الأديان بهذه النظرية إلى ظهور نظرية التطور الدينية [1].

والإسلام يرفض في مبادئه كل هذه النظريات، فهو يقرر:

أ- إن الإنسان مخلوق مكرم يمتاز عن بقية المخلوقات بما يجعله سيداً في هذا الكون.

ب- إن أول المخلوقات البشرية هو آدم عليه السلام، وهو نبي كريم، فهو الإنسان الأول في هذه الحياة، وهو إن كان هو ومن في عصره في تأخر اجتماعي، فإنه من ناحية دينية قد جاء بدين متقدم، ليس من عنده، ولكن من عند خالقه.

ج- إن كل أمة خلقها الله قد بعث فيها رسولاً، يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[3].

د- إن الدين الذي ارتضاه الله ودل عليه العقل وارتضته النفس السليمة هو دين التوحيد، وبذا فهو الدين الأوحد الذي جاءت به الرسل والديانات، ولم يأت نتيجة تطور العقول والمجتمعات والحضارات.

5- حاجة الناس إلى الدين:

قضية الدين في الإنسان هي قضية فطرية غريزية، إذ أن الإنسان بجبلته يحاول أن يستكشف ما وراء المشاهد، حتى إن كثيراً من الأطفال ذوي الفطرة السليمة لا

---

(1) المصدر السابق: 28،29.

(2) النحل: 36.

(3) فاطر: 24.

يكتفون بالأمر المشاهد الواقع، ولا يقنعون في تعليله عند حلقة من حلقات أسبابه وغاياته القريبة، بل يتطلعون إلى معرفة أسبابه الأولى، ويسترسلون في تعريف نتائجه الأخيرة[1].

فالدين يعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها، ولا يمكن أن يعيش الإنسان في حياته متوازنا مطمئناً إلا بوجود الدين في عقله وقلبه يلبي حاجاته الروحية والنفسية، والتي لا يلبيها إلا الدين.

6- نشأة علم مقارنة الأديان، واهميته، وتقدم المسلمين في هذا المجال:

إذا كان هناك فريق من الباحثين والدارسين، يقرر أن الدراسات الجادة والجهود العلمية الدقيقة في مجال علم الأديان لم تظهر حقيقة إلاّ مع كتابات (ملر) في القرن التاسع عشر الميلادي، فإنه من المؤكد أن مفكري الإسلام قد قدموا إسهامات كبيرة لا يمكن إغفال قيمتها العلمية، أو التقليل من شأنها، في مجال علم الأديان بقسميه: تاريخ الأديان ومقارنة الأديان، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يمكن القول: إنه من المرجح أن يكون لمفكري الإسلام فضل السبق في خوض غمار هذه الدراسات.

وإذا استعرضنا الأسباب الهامة والرئيسة التي ساعدت مفكري الإسلام، أو بالأحرى حفزتهم، على الاهتمام بدراسة الأديان، فيمكن أن نختصرها بما يلي:

أولاً: لقد وردت في القرآن الكريم إشارات متعددة إلى أديان مختلفة، وكانت موجزة، فكان على العلماء المسلمين أن يتوسعوا في دراسة هذه الأديان، لكي يقدموا المعلومات الكافية عنها، وذلك في إطار تفسيرهم للقرآن الكريم.

ثانياً: إنه في إطار دعوة القرآن الكريم المسلمين إلى التفكير، كانت هناك دعوة ضمنية إلى ضرورة التعرف على الأديان الأخرى، حتى يتسنى معرفة الحق من الباطل، والخطأ من الصواب في مجال الاعتقاد الديني.

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 21، 22.

ثالثاً: إذا كان من أهم المعطيات الإسلامية الأساسية أن الإسلام هو آخر الأديان السماوية، فإن تبرير أو تأكيد هذا القول وتأييده وإثبات صحته إنما يستلزم بالضرورة التعرف على الديانات الأخرى السابقة على ظهور الإسلام، وما فيها من مواضع صحة ومكامن ضعف، ومن ثم يمكن التعرف على نقاط الاتفاق والاختلاف مع الإسلام، الأمر الذي لا يتحقق إلا بالدراسة العلمية المقارنة للأديان.

رابعاً: إذا كان قد ورد في القرآن الكريم أن الدين الحق إنما هو دين الإسلام، وأن ما عداه من عقائد وأديان باطل، أو هو انحراف عن الدين الصحيح، لذلك فإنه كان لا بد للعلماء المسلمين من التعرف على هذه العقائد والديانات الأخرى ودراستها دراسة علمية،/حتى يستطيعوا إثبات صحة المبادئ القرآنية من جهة، ومن جهة أخرى، حتى لا يأتي المسلم بقول أو فعل يضاهي ما ورد في هذه العقائد التي تخالف العقيدة الإسلامية.

خامساً: عندما ازداد انتشار الإسلام، وكثرت الفتوحات الإسلامية للبلدان الأخرى، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية لتشمل أمما متعددة ذات ديانات مختلفة، حدث احتكاك ثقافي وعقائدي بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى، وقد كان من أهم مظاهر هذا الاحتكاك الفكري والعقائدي ظهور المناقشات والمجادلات الدينية، الأمر الذي استلزم من مفكري الإسلام أن يتعرفوا بعمق ودقة وشمول، على حقيقة هذه الأديان التي يتناقشون مع أصحابها.

سادساً: لقد كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية ووجود شعوب متعددة فيها من ذوي الديانات المختلفة أثره الواضح في تشجيع بعض مفكري الإسلام على محاولة التعرف على تلك الأديان التي يعيش أصحابها بجوارهم.

سابعاً: لقد كان لازدهار التأليف في التاريخ، الذي ظهر في الحضارة الإسلامية منذ وقت مبكر نسبياً، أثره الواضح والفعال في نشأة الدراسات العلمية للأديان وازدهارها في الفكر الإسلامي، حيث اهتم المؤرخون بالحديث عن العقائد والأديان التي يؤرخون لأصحابها.

ثامناً: لقد كان لانتشار الفرق الإسلامية واختلافها فيما بينها أثره، الذي لا ينبغي إغفاله في الدراسات العلمية للأديان، فمن جهة، كانت كل فرقة تحاول الرد على أصحاب الديانات الأخرى، ومن جهة أخرى، كانت كل فرقة تحاول أن ترجع أقوال الفرق الأخرى إلى أصول أجنبية، الأمر الذي استدعى معرفة جيدة بالأديان الأخرى.[1]

تاسعاً: إن علم مقارنة الأديان قد نشأ في الفكر الإسلامي نتيجة التسامح الديني الذي كان يسود علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى بصفة خاصة، ومع أصحاب الديانات الأخرى على وجه العموم[2].

إذن يمكننا القول أن المسلمين هم السباقون في دراسة مقارنة الأديان، وكانت دراستهم موضوعية تعتمد على المنهج العلمي السليم، ومن أهم الدراسات التي قام بها علماء الإسلام، النوبختي في كتابه (الفرق)، وأبي عيسى الوراق في كتابه (الفصل في الملل والنحل)، والشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، والبيروني في كتابه عن الهند.

اهمية دراسة مقارنة الأديان:

إن دراسة مقارنة الأديان لها أهميتها الخاصة حيث تحقق الأمور التالية:

1- الوقوف على حقيقة الأديان والتعرف على مدى صحتها، والانحرافات التي فيها.

2- الوقوف على الأمور المتشابهة والتي تلتقي عندها الأديان، وهذا يمكننا من معرفة أي منها الصحيح وأي منها المحرف.

3- يمكن الإنسان من تحديد موقفه من هذه الأديان.

4- يعطي الإنسان الفكرة الكاملة عن كل دين بحيث تمكنه هذه الفكرة من معرفة جوهره، وجمع الحجج لمناظرة أهله.

لذا فالمسلمون تنبهوا لهذه القضية فجاءت دراستهم في مجال مقارنة الأديان تتصف بما يلي:

(1) علم مقارنة الأديان/ د. إبراهيم تركي: 34-37.

(2) المصدر السابق: 55،56.



1- دراسة كل دين ومعتقد من معتقدات البشر، دراسة وافية على الرغم من تعددها وتشعباتها.

2- مناقشة كل معتقد ، مناقشة موضوعية، دون تجريح أو تقبيح لأتباع ذلك المعتقد.

وزيادة على ذلك فقد اعترف الباحثون المنصفون من غير العرب، بأن المسلمين كانوا سباقين في هذا الاتجاه في مجالين هما:

1- إن المسلمين كانوا أول من طبع دراسة الأديان بطابع الاستقلالية، فخلصوه من بقية المعارف والعلوم والفنون، وجاءت دراستهم مطبوعة بطابع الشمولية.

2- إعتمدوا في دراستهم للأديان على المصادر الموثوقة بعيداً عن الأساطير والخرافات.

فدراسة مقارنة الأديان تعني أن نقف على جميع أشكال التجارب الدينية على مر العصور بالطرق الموضوعية التي تيسر لنا الحكم على هذه التجارب الدينية للتوصل إلى معرفة الأديان المنتشرة في العالم، وأيها أفضل للإنسانية والفرد، ومعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة، إلا بعد تقليب الموضوعات المتعلقة بها على جميع وجوهها، ولذا فلا بد من دراسة الأديان المنتشرة في العالم ومقارنتها بعضها ببعض، لنستطيع الحكم على واحد منها أو أكثر بأنه صادق، ولنستطيع أن نتخذه ديناً ومعتقداً.

ومع انتشار الثقافة في العالم وتقدم طرق الاتصال أصبح في متناول كل فرد أن يطلع على آراء ومذاهب وأفكار المجتمعات الأخرى، ينهل مما عندها من حسن ويبتعد عما عندها من رديء، والذي ساعد على انتشار الثقافة هو الاختلاط والاتصال بين الشعوب بزيادة طرق المواصلات، والحملات التبشيرية، إذ أدى ذلك إلى زيادة المعرفة بعلم مقارنة الأديان.

فهو بالنسبة للمسلمين العلم الذي يكشف لهم مدى التناقض في العقائد الأخرى، والذي يجب عدم إغفاله ليقفوا على ما يتحلى به الإسلام من قوة في أفكاره وآرائه في جميع المسائل الدينية، التي لم يثبت أن دينا يضاهي الإسلام في عرضها وبحثها.

لذا فمن واجب المسلمين أن يدرسوا هـذا العلـم، وأن يدرسـوه في جامعاتـهم ومعاهدهم للأسباب التالية:

1- دعا الإسلام للتعرف على الأديان الأخـرى، حتـى يتيسـر للمسـلم أن يعـرف الحق من الباطل ليسير على هدى، ويكون معتقده يقينا لا يتزعزع ولا تؤثـر فيـه شبهة أو يتطرق إليه احتمال.

2- واجب الدعوة إلى الله ونشرها، ولا يتسـنى لنـا ذلـك إلا إذا عرفنـا الحجـج الـتي تعتمد عليها تلك الديانات لدحضها وإثبات العقيدة الإسلامية بدلا منها، كما لا بـد من معرفة الشبهات التي تثيرها تلك الديانات على الإسلام للرد عليها ودحضها.

3- ونظراً لما ظهر في المجتمع الإسلامي من فرق متعددة لها آراؤها في مجال العقيـدة، نجد أن بعضاً منها استمد من الديانات القديمة، أو ممن دخلوا في الإسـلام مـن أهل تلك الديانات، حتى نقف لهم بالمرصاد ونحفظ علينا ديننا الذي هو عصمـة أمرنا.







الباب الأول

اليهودية



الفصل الأول

تاريخ اليهودية

المبحث الأول: أسماء اليهود وسبب تسميتهم بها.

المبحث الثاني: نظرة مجملة في تاريخ اليهود

المبحث الثالث: يهود العالم وصلتهم بفلسطين:

1- تمهيد

2- يهود الخزر

3- الحركة الصهيونية

4- بروتوكولات حكماء صهيون

5- الإشكناز والسفرديم



www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الأول

أسماء اليهود وسبب تسميتهم بها

من أشهر أسماء المنتمين لهذا الدين: العبريون، والإسرائيليون، واليهود.

1- أما سبب تسميتهم بالعبريين، فقد قيل أكثر من رأي منها:

أ- أنهم سموا بالعبريين نسبة إلى إبراهيم عليه السلام، فقد ذكر في سفر التكوين باسم (إبراهيم العبراني) لأنه عبر الفرات وأنهاراً أخرى[1].

والحقيقة أن تسمية (إبراهيم الخليل) بالعبراني كما وردت في التوراة[2] كان يراد معنى (العبريين) القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرمية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، وبهذا جاءت كلمة (عبيرو) التي عثر عليها في النصوص المصرية والتي تعود إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد. ويعترف جورج بوست في مصنفه (قاموس الكتاب المقدس) بأن لقب إبرام بالعبراني لم يقصد به الإسرائيلي، وإنما يمكن تأويله بإبرام السائح أو المهاجر، وهكذا فإن التوراة حين تصف إبراهيم الخليل بالعبراني تساير واقع الحال باعتباره من قبائل (العبيرو) التي ينتمي إليها، أي القبائل الآرمية، قبل أن يكون لليهود وجود بعد. فقد عاش إبراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي في زمن يسبق عهد موسى بسبع مئة عام، وقد ظلت هذه التسمية، أي تسمية عبري وعبراني، تطلق على الجماعات من القبائل النازحة من البادية ومن جهة فلسطين إلى مصر، وعلى هذا الأساس صار المصريون يسمون الإسرائيليين بالعبرانيين باعتبارهم من تلك الجماعات البدوية[3].

---

(1) بنو إسرائيل في القرآن والسنة / د. محمد سيد طنطاوي.

(2) سفر التكوين 14:13.

(3) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة 1: 431- 433.

وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه القضية الهامة حيث قال تعالى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1].

ولهذه الآية الكريمة معنيان: المعنى الأول: هو أن إبراهيم ما كان على دين (يهوه- إله اليهود- بل كان حنيفا مسلماً)، والمعنى الثاني هو أن دور إبراهيم الخليل هو غير دور اليهود ولا يتصل بدور اليهود الأخير[2].

لهذا نجد أن اليهود يؤكدون دوماً على ربط أجدادهم بعصر إبراهيم الخليل واعتبار كلمة عبرانيين شاملة لكل اليهود التاريخية التي تبدأ بعصر إبراهيم الخليل، وفقا للمعتقد اليهودي الذي يعتبره جد اليهود.

يقول الدكتور أحمد سوسة: يتضح من التنبيه الذي ورد في القرآن الكريم أن هناك من وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الكتاب العرب اليوم بربطهم إبراهيم الخليل باليهود، وأن هذا التنبيه إلى أن إبراهيم الخليل ظهر قبل وجود اليهود، وأنه لا يمكن أن يكون يهودياً .... لأن استعمال كلمة (عبري) بمعنى (يهودي) لا يتفق مع المستند العلمي التاريخي، فضلا عما يحدثه من ارتباط، إذ يربط اليهود بأدوار تاريخية قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها[3].

ومن الأقوال التي شاع ترديدها وتناقلها الكتاب والمؤرخون أن جماعة من اليهود هاجروا مع إبراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين، بل راحوا إلى أبعد من ذلك فاعتبروا إبراهيم الخليل عبرياً بمعنى (يهودياً)، نتيجة الخلط بين كلمة العبري القديمة واليهود، والتي تعمد مدونوا التوراة على إبقائها وذلك لإفساح المجال أمامهم لإرجاع تاريخ اليهود إلى أزمنة سابقة لوجودهم ومنها عصر إبراهيم الخليل[4].

---

(1) آل عمران: 65-67.

(2) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة: 433.

(3) المصدر السابق: 433:434.

(4) المصدر السابق: 451،452.

ومن حق الباحث أن يتساءل ويسأل: كيف يمكن أن يكون إبراهيم الخليل يهودياً وقد عاش قبل أن يعرف التاريخ جماعة يسمون أنفسهم يهوداً بحوالي ألف وثلاثمائة عام؟ ثم أين كان الشعب اليهودي في سنة (4000) قبل الميلاد؟ لاسيما وأن تسمية اليهود لم تظهر إلى عالم الوجود إلا بعد (2300) عام من هذا التاريخ؟! ولنا أن نسأل : كيف جاء اليهود إلى العراق؟ وكيف اتصلوا بـإبراهيم الخليل في حين أنه لم يكن لهم ووجود بعد؟ وكيف يتزعم إبراهيم الخليل اليهود في رحيله إلى فلسطين قبل أن يكون قد خلف (يهوذا) الذي جاءت تسمية يهود منه؟[1].

ب- وقيل أنهم سموا بالعبريين نسبة إلى (عِبْر) وهو الجد الخامس لإبراهيم عليه السلام، وهذا القول ليس له مستند علمي مقنع، وإنما هو من قبيل الحدس والاجتهاد، وذلك لأن بين إبراهيم - الذي كان أول من وصف بهذه التسمية - وبين (عِبر) مدة ستة أجيال متوالية، فلو شاء إبراهيم أن ينسب إلى أحد أجداده لكان من البديهي أن يعزى إلى أعظم أشهر أجداده[2].

2- ويسموا أيضا بـ (الإسرائيليين) أو (بني إسرائيل)، وهو نسبة إلى (إسرائيل) وهو (يعقوب بن إسحق بن إبراهيم)، وإسرائيل كلمة عبرية مركبة من (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة، ومن (إيل) وهو الله، فيكون معنى الكلمة: عبد الله، أو صفوة الله ومما يذكر أن أولاد يعقوب الذكور إثنى عشر ولداً، ومن أبناء يعقوب وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه[3].

وقد أطلق على أولاد يعقوب الذكور (الأسباط)، ويطلق السبط لغة على ولد الإبن والإبنة، فهو كالقبيلة عند العرب، وفي القرآن الكريم ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾[4].

---

(1) العرب واليهود في التاريخ: 453.

(2) بنوا إسرائيل في القرآن والسنة / د. محمد سيد طنطاوي: 3،5.

(3) المصدر السابق: 6،7.

(4) الأعراف:160.

3- ومن أسمائهم (اليهود)، وقد تعددت الآراء في سبب تسميتهم بهذا الإسم، ومن تلك الآراء:

أ- لأنهم حين تابوا عن عبادة العجل قالوا: إنا هدنا إليك، أي: تبنا ورجعنا[1]، وقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾[2]. يقول ابن منظور في لسان العرب: "الهَوْدُ: التوبة، هاد يهود هوداً: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد.......... ويهود إسم للقبيلة، وقالوا (اليهود) فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب، يريدون اليهوديين، وقوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ ﴾"[3] معناه: دخلوا اليهودية، وهوَّد الرجل: حوله إلى اليهود، وهاد يهود: إذا صار يهوديا[4].

ب- وقيل إنهم سموا (يهوداً) ؟لأنهم: يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة[5]، وبالذات تحريك رؤوسهم.

ج- والرأي الثالث في سبب هذه التسمية، أنه نسبة إلى (يهوذا) الإبن الرابع ليعقوب عليه السلام. وقد رجح بعض العلماء هذا الرأي، وقد كان يهوذا هو الحاكم لسائر أبناء أبيه الأحد عشر بتقديم أبيه له، وظل كذلك حتى مات، وكان سبطه من بعده هو المقدم على سائر الأسباط الأخرى، إلى أن انقسمت مملكتهم بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى قسمين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل[6].

---

(1) بنوا إسرائيل في القرآن والسنة/ د. محمد سيد طنطاوي:7.

(2) الأعراف:156.

(3) الأنعام:146.

(4) لسان العرب/ ابن منظور: 15:439.

(5) بنوا إسرائيل في القرآن والسنة / د. محمد سيد طنطاوي:8.

(6) المصدر السابق:8.

المبحث الثاني

نظرة مجملة في تاريخ اليهود

تاريخ اليهود، تاريخ مليء بالأحداث والتي استمرت فترة طويلة امتدت مئات السنين في حقب زمنية مختلفة في ظروفها وأحوالها.

لذلك فإن حديثنا عن تاريخ بني إسرائيل سيبدأ من هجرة يعقوب عليه السلام هو وأبناؤه إلى مصر إلى خراب أورشليم الثاني على يد تيطس الروماني سنة (70) ميلادية، والذي يسمى عند اليهود بالشتات الثاني.

والقارئ لتاريخ بني إسرائيل يمكنه أن يقسمه إلى حقب زمنية متوالية مرت عليهم، وهذه الفترات الزمنية تقسم إلى عشرة مراحل يظهر منها الأحداث التي مرت عليهم، والأحوال التي مروا بها، ولا يمكن للباحث أن يفصل تاريخ اليهود عن دينهم، فهما أمران متلازمان، إذ لا يمكن أن يفهم الدين اليهودي في جميع أطواره دون معرفة أحوال أتباعه ضمن الحقب الزمنية التي مر بها هذا الدين، فمن المعروف أن الأحداث التاريخية التي مرت ببني إسرائيل كانت مرتبطة عضويا بأحوالهم الدينية وتعاقب الأنبياء عليهم، بل يمكننا القول بأن التاريخ اليهودي يعد مفتاحا لفهم الدين اليهودي، فلا يمكن مثلاً أن نفصل ما جرى لليهود بعد السبي البابلي عن ادعائهم أنهم شعب الله المختار، واعتقادهم بالمسيح المنتظر.

والقارئ لتاريخ اليهود يمكنه أن يقسم الفترات الزمنية التي مروا بها على النحو التالي:

1- تاريخ اليهود منذ هجرتهم إلى مصر، وحتى خروجهم منها:

يرى بعض المؤرخين أن يعقوب عليه السلام هاجر بأهله من فلسطين إلى مصر حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد، على إثر ما لحق بفلسطين من مجاعة، وما أصاب مراعيها من جدب وقحط وجفاف، وذلك أن أبناء يعقوب عليه السلام كانوا يترددون على مصر لقصد التجارة وطلب القوت، فتعرفوا على أخيهم يوسف عليه السلام،

الذي كان في ذلك الوقت أميناً على خزائن مصر، فأكرمهم وطلب منهم أن يحضروا جميعا ومعهم أبوهم يعقوب عليه السلام إلى أرض مصر ليعيشوا فيها ويتركوا فلسطين، وقد لبى يعقوب طلب يوسف، فحضروا إلى مصر[1].

وهكذا دخل آل يعقوب مصر، وكانوا سبعين شخصاً، فدخلوا مصر آمنين مكرمين، وذلك في عهد الهكسوس، وكان الهكسوس قد دخلوا مصر واستولوا عليها، وكانوا من البدو الرحل، ولم يتم طردهم من مصر إلا بعد قرنين من ذلك على يد (أحمس).

وقد أكرم يوسف عليه السلام مثوى أبيه وأخوته، ورق عليهم قلب ملك مصر في ذلك الوقت، وطلب بنوا إسرائيل من ملك مصر أن يسكنهم في أرض جاسان فاستجاب لهم وقال ليوسف: أبوك واخوتك جاءوا إليك أرض مصر، ففي أفضل أرضها أسكن أباك وأخوتك لتكونوا في أرض جاسان[2].

وفي سورة يوسف تصوير رائع لما حصل بين يوسف وإخوته من أحداث، وفيها كذلك إشارة إلى هجرة يعقوب ببنيه إلى مصر.

وقد عاش بنو إسرائيل بعد ذلك في مصر، ودفعهم إلى الاستقرار فيها ما وجدوه من أمن، وما اكتسبوه من خبرات، ويبدو أن الهكسوس الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك الوقت وجدوا في بني إسرائيل وسيلة مهمة لإستعمالهم ضد المصريين، وذلك لأن الفريقين كانوا من الغرباء عن مصر.

ويلاحظ على بني إسرائيل بمصر الانعزالية التامة، وعدم التعاون مع من يحيط بهم، وعدم الاختلاط بأصحاب الأرض الأصليين، ولكن العزلة آنذاك أصبحت تلفت نظر المصريين وتثير خوفهم، فهي لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة.

فلما تمكن (أحمس) من الانتصار على الهكسوس، وطردهم من مصر، بدأت المخاوف تراود بني إسرائيل من نظام الحكم الجديد، ولما جاء (رمسيس الثاني) جاهر

---

(1) بنو إسرائيل في القرآن والسنة/ د. محمد سيد طنطاوي: 10.

(2) سفر التكوين:47.

المصريين بعداوتهم لبني إسرائيل، وأخذوا ينزلون بهم أشد الضربات، وألوان العقوبات، وذلك لأنهم شاهدوا منهم عزلة وغروراً، واستلاباً لأموالهم بطرق خبيثة، ورأوا منهم أيضاً تواطئاً مع الهكسوس ضد النظام الجديد[1].

وقد ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته نماذج من العذاب الذي أنزله فرعون مصر وجنده ببني إسرائيل، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[3] .

وخلال تلك المصائب التي حلت ببني إسرائيل، أراد الله أن يمن عليهم، وأن ينقذهم مما هم فيه، فأرسل لإنقاذهم وهدايتهم رسوله موسى عليه السلام، وقد بين لنا القرآن الكريم في آيات كثيرة ما فعل موسى من أجل هذين الهدفين، ففي سورة الأعراف يذكر لنا القرآن الكريم مطالب موسى من فرعون وأهمها: أن يمتنع عن إيذاء بني إسرائيل، وأن يترك الكفر والغرور ويعبد الله الواحد الأحد.

يقول تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[4].

ولكن حاشية فرعون زينوا له زيادة العذاب على بني إسرائيل من أجل عبادة آلهته، كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ

(1) بنوا إسرائيل في القرآن والسنة/ د. محمد سيد طنطاوي:17.

(2) البقرة:49.

(3) إبراهيم:6.

(4) الأعراف:104،105.

لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1].

ورغم ذلك فإن موسى عليه لسلام طلب من قومه الصبر والاستعانة بالله، يقول تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]

ولكن قوم موسى لم يأخذوا بوصية نبيهم، بل ردوا عليه بغلظة وجفاء كما تروي التوراة، فرد عليهم موسى كما جاء في القرآن الكريم ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وفي ظل هذه الظروف طلب موسى من قومه الخروج معه من ظلم فرعون وقومه ليجتازوا سيناء إلى بلاد الشام، ولكن التوراة تزعم أن الله قد أمر بني إسرائيل أن يسلبوا ذهب وحلي نساء قوم فرعون: " حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة، وأمتعة ذهب، وثياباً تضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين "[4]. فخرج بنو إسرائيل مع موسى بما سرقوه من المصريين.

وتسجيل التوراة لحادثة سلب بني إسرائيل أموال المصريين بهذا الأسلوب، إنما يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة، وكان ذا أثر شديد في رسوخ هذا الخلق العجيب في ذرياتهم، ثم من دخل في دينهم من غير جنسهم[5].

وقد وردت قصة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض الشام في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ

---

(1) الأعراف:127.

(2) الأعراف:128.

(3) الأعراف:129.

(4) الخروج: 3: 21،22.

(5) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم / محمد عزة دروزة:43.

بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾"[1].

وفي سورة الشعراء آيات من القرآن الكريم تبين الأحداث التي مرت ببني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، يقول تعالى ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾[2]. وهكذا أنقذ الله قوم موسى عندما أوحي الله إلى موسى "أن اضرب بعصاك البحر" فضربه موسى فانفلق البحر فرقين، ثم صار في البحر إثنى عشر طريقاً لكل سبط طريق.

وبذلك تكون هذه الآيات قد صورت أكمل تصوير قصة خروج بني إسرائيل من مصر، وملاحظة فرعون لهم، وغرقه في النهاية أمامهم.

2- تاريخهم منذ خروجهم من مصر إلى موت موسى عليه السلام:

كان خروج بني إسرائيل من مصر حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكما يقول الدكتور أحمد سوسة أن هؤلاء الذين خرجوا من مصر لم يكونوا جميعا من بني إسرائيل، بل كان معهم بقايا الهكسوس[3].

وقد حاول كتبة التوراة الإشارة إلى أن بني إسرائيل عندما غادروا مصر، إنما رجعوا إلى أرض الآباء والأجداد، وذلك عن طريق الزعم بأن إبراهيم عليه السلام عندما غادر العراق إلى فلسطين، كان معه آباء وأجداد اليهود الأوائل، ومن ثم غادر هؤلاء مع يعقوب حينما هاجر إلى مصر، مما يعني أن اليهود لما تركوا مصر إنما عادوا إلى أرض الآباء والأجداد.

(1) طه: 77-81.

(2) الشعراء: 52-66.

(3) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة:482.

يقول فرويد كما ينقل عنه الدكتور أحمد سوسة: أن كتبة التوراة أدخلوا الآباء الأولين في ديانتهم واعتبروهم من أسلافهم بغية إعطاء دليل على أن اليهود ليسوا غرباء على أرض كنعان وأنهم لم يدخلوها بصفتهم غرباء، وأنهم لجأوا إلى هذه الحيلة بالرغم أن إلههم يهوه قد وعدهم بالأرض التي كان يحتلها أسلافهم بالفعل.[1].

ولكن بني إسرائيل لم يقدروا نعمة الحرية، ولم يشكروا الله على إنجائه لهم من عدوهم، ولم يطيعوا نبيهم موسى عليه السلام، بل آذوه إيذاء شديداً، وهذه بعض القبائح والرذائل التي قاموا بها وهم بصحبة موسى عليه السلام:

أ- أثناء مرور بني إسرائيل في أرض سيناء، ثاروا على موسى وهارون عليهما السلام، بسبب قلة الطعام والتعب الذي لحق بهم أثناء عبورهم للصحراء، وهذا ما دونته التوراة فقالت على ألسنتهم: ليتنا متنا في مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر، لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع، لماذا أصعدتمانا من مصر؟ أمن أجل أن نموت نحن وأولادنا ومواشينا بالعطش؟[2].

ب- وبعد أن رأى بنو إسرائيل غرق فرعون بأعينهم، وساروا مع موسى عليه السلام إلى بلاد الشام، شاهدوا قوماً يعبدون أصناماً لهم، فما كان لهم إلا أن طالبوا موسى وهارون بأن يجعل أصناماً لهم يعبدونها، كما أن هؤلاء أصناما يعبدونها، يقول تعالى موضحا تلك القصة: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[3].

ج- وخلال عبورهم لسيناء، واعد الله تعالى موسى عليه السلام من أجل أن يعطيه الألواح، بعد أربعين يوما يصومها، فلما حل الموعد ترك موسى قومه مستخلفا

---

(1) المصدر السابق:476.

(2) الخروج:16.

(3) الأعراف: 138.

عليهم أخاه هارون، وذهب إلى الطور لتلقي الألواح، وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم فقال:﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1].

وقد ذكرت الإصحاحات من التاسع عشر إلى الحادي والثلاثين من سفر الخروج، تجليات للرب لموسى في جبل سيناء وبعضها على مرأى ومسمع بني إسرائيل، وما ألقي إليه من وصايا وتشريعات دينية وتعبدية وخلقية ومدنية وأسروية، من جملتها التوحيد المطلق، وعبادة الله وحد، والحظر البات لعبادة أي شئ غيره، وغير ذلك من الأوامر والنواهي[2].

لكن ماذا حصل من بني إسرائيل بعد أن تركهم موسى لتلقي الألواح؟

لقد عصوا أوامر نبي الله هارون عليه السلام، حينما أقنعهم السامري بأن يعبدوا العجل من دون الله، وحاول هارون أن يمنعهم من هذه المعصية العظيمة، ولكنهم أعرضوا عنه وأطاعوا السامري، يقول تعالى عن هذه الرذيلة التي أقدم عليها قوم موسى ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾[3].

وأعلم الله موسى أن قومه قد فتنهم السامري بعبادة العجل فعاد إليهم غاضباً، وظن أن أخاه هارون قد قصر معهم، فعاتبه ولامه على ذلك، يقول تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

(1) الأعراف:142.

(2) تاريخ بني إسرائيل من تاريخهم / محمد عزة دروزة:72.

(3) الأعراف:155.

(4) الأعراف:150.

ثم أوحى الله إلى موسى، أن توبة عابدي العجل من قومه لن تقبل إلا بقتل أنفسهم، فلما نفذوا ما أمروا به تقبل الله توبتهم، يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

د- ثم اختار موسى من قومه سبعين رجلا ليرافقوه عندما ذهب لميقات ربه، ولكنهم طلبوا أن يروا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، وكاد أن يحل عليهم غضب الله لولا استغاثة موسى بربه، يقول تعالى ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾[2]. ويقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[3].

وكانت دلالة عفوا الله عنهم أنه جل وعلا أظلهم بالغمام، وانزل عليهم المن والسلوى، يقول تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[4].

هـ- ورغم العفو الإلهي عنهم، إلا أنهم استمروا في العصيان والإساءة، فقد وصل بهم موسى عليه السلام إلى الساحل الآخر بعد أن عبروا البحر الأحمر وأنقذهم من فرعون وجنده، فكانوا في منطقة تسمى الآن بمنطقة وادي عربة، فأمرهم موسى عليه السلام بأن يستعدوا لدخول الأرض المقدسة التي يسكنها الكنعانيون، واختار منهم اثنى عشر نقيبا ليدخلوا تلك الأرض فيعرفوا أحوالها وأحوال سكانها،

(1) البقرة:54.
(2) الأعراف:155.
(3) البقرة :55.
(4) البقرة: 57.

وعندما عاد هؤلاء قالوا لأسباطهم: إن الأرض تدر لبناً وعسلاً، إلا أن سكانها من الجبارين، إلا رجلين منهم فإنهما طلبوا من قوم موسى طاعة نبيهم، وبشراهم بالنصر إذا أخلصوا النية لله، ولكن بني إسرائيل كعادتهم رفضوا هذه النصيحة، فكانت النتيجة أن عذبهم الله بالتيه.

يقول تعالى عن هذه القصة:﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾[1].

فوقع عذاب الله عليهم بالتيه، بحيث أنهم كانوا غير قادرين على الاستقرار في أي مكان لأكثر من يوم أو أيام، فتاهوا في صحراء النقب وصحراء سيناء، بينما استقر موسى عليه السلام في منطقة جبلية قريبة منهم، تسمى الآن بوادي موسى، فكانوا يأتون إليه ثم يرحلون بسبب التيه الذي استمر أربعين سنة.

وعلى الرغم من أن التيه كان عذاباً لبني إسرائيل بسبب كفرهم وعصيانهم، إلا أنه كان في المقابل سبباً في ظهور جيل جديد من بني إسرائيل عاشوا في الصحراء فاعتادوا على قسوتها وشظف العيش بها، بعكس آبائهم الذين اعتادوا الذل والعبودية، وبهذا الجيل استطاعوا دخول الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون.

ومما يذكر في هذا المقام، أن موسى عليه السلام قد توفي قبل دخول قومه إلى الأرض المقدسة، وكذلك توفي قبله أخاه هارون عليه السلام، وقد استخلف موسى غلامه الذي رباه في حجره (يوشع بن نون)، والذي ذكر في سورة الكهف، وقصة رفقته لموسى عليه السلام قبل لقاءه بالخضر عليه السلام، وقد كان يوشع نبياً أرسل لبني إسرائيل وهو الذي قاد قومه لدخول الأرض المقدسة.

(1) المائدة: 21-26.

والغريب أن كتبة التوراة إتهمتا موسى وهارون عليهما السلام بخيانة الرب، فعاقبهما الرب بالموت، فقد جاء في التوراة: "كلم الرب موسى قائلاً: مت في الجبل كما مات هارون أخوك في جبل هور ... لأنكما خنتماني ... إذ لم تقدساني ... فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل[1]. "يشوع بن نون هويدخل إلى هناك ......"[2]. لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع هو يعبر[3].

3- تاريخهم في عهد يوشع بن نون:

وقد روى كتبة التوراة قصة بني إسرائيل نهر الأردن إلى الأرض المقدسة، وأن أول مدينة استطاع يوشع وقومه أن يدخلوها هي مدينة (أريحا) ثم زحف على مدينة (العي) وهي بين نابلس والقدس، وأن بني إسرائيل بعد أن دخلوا هاتين المدينتين قتلوا معظم سكانها وحتى أن الحيوانات لم تسلم من قتلهم[4].

وتقول التوراة أن بني إسرائيل بقيادة يوشع قد قضى على (31) ملكاً من ملوك كنعان[5]. وكيف أن بني إسرائيل كانوا يقتلون الرجال والنساء والأطفال في كل المدن التي وقعت بأيديهم بأمر الرب[6]

وقد حكى سفر يوشع الكثير من التفاصيل عن طريقة دخولهم إلى أريحا وبقية المدن، وخلاصة ما حكت التوراة عن طريقة دخولهم إلى أريحا، أن يوشع أرسل جاسوسين إلى المدينة فنزلا في بيت (بغي) اسمها (راحاب)، فعلما منها الكثير من الأسرار، فعادا وأعلما يوشع بما علما منها، فتشجع وأمر بعبور النهر. وقد نذر يوشع أن تكون المدينة وما فيها مبسلة للرب- أي مبادة مدمرة لوجه الله - باستثناء الذهب

---

(1) سفر التثنية: 48:32-52.

(2)التثنية:1:38.

(3) التثنية:3:28.

(4) انظر بنوا إسرائيل في القرآن والسنة / د. محمد سيد طنطاوي:32.

(5) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة:493.

(6)بنوا إسرائيل في القرآن والسنة/ د. محمد طنطاوي:32.

والفضة والنحاس والحديد لخزانة الرب، وكذلك البغي وأهلها ومالها، لأن الجاسوسين وعداها بالنجاة وحلفا لها، ومنع أخذ شيء منها غنيمة، فلما وصلوها قتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير، وأحرقوها كما أمر يوشع .... ثم عاد يوشع بعد ذلك قائلاً: ملعون لدى الرب الرجل الذي ينهض ويبني هذه المدينة.

وعندما لحقت الهزيمة ببني إسرائيل في الهجوم الأول على مدينة (العي)، يزعم كتبة التوراة أن يوشع حثا التراب على رأسه ومزق ثيابه وسقط على وجهه، وخاطب الرب بكلمات نابية قاسية: آه يا سيد الرب! لماذا عبرت هذا الشعب الأردن تعبيراً، لكي تدفعنا إلى يد الآموريين ليبيدونا، ليتنا ارتضينا وسكنا في عبر الأردن[1].

وهكذا كانت حركاتهم في مدن وقرى فلسطين، مجردة من أية عاطفة إنسانية وعلى أقسى وأسوأ ما يكون من الظلم والعدوان دون أي استفزاز أو عداء سابق[2].

ولكن اليهود لم يستطيعوا دخول جميع أرجاء فلسطين، فالفلسطينيون الذي كانوا متحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا صدوا تقدمهم غرباً، فقد كانوا متفوقين على بني إسرائيل في معداتهم الحربية لذلك لم يجرؤ على محاربتهم في تلك المدن والمناطق كأورشليم وبقية المدن الشمالية لفلسطين[3].

وقصة دخول بني إسرائيل أرض فلسطين أشار إليها القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4]. وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

(2) تاريخ بني إسرائيل / دروزة:112.

(3) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة:493.

(4) البقرة:58:59.

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[1].

وهذا يعني أن بني إسرائيل خالفوا أوامر الله، فقد أمرهم عن طريق نبيه (يوشع) أن يدخلوا هذه الأرض سجداً، دليل التواضع والشكر لله تعالى على ما أنعم عليهم من الفتح والنصر، لذلك أنزل الله عليهم عذاباً من السماء، وعذاباً عن طريق عدوهم الذين قتلوا بني إسرائيل وسلبوا أموالهم، مما أدى إلى عهد جديد عندهم سمي بـ (عهد القضاة).

4- تاريخهم في عهد القضاة:

توفي يوشع في حدود سنة (1157) ق.م وبوفاة يوشع تفرقت الأسباط إلى مجموعات متناحرة متنافرة، عرف بعهد القضاة لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل بعد يوشع سموا (قضاة)[2].

ويتحدث سفر القضاة عن هذه الفترة، وهي فترة قلقة مضطربة، ضعف فيها الأسباط، وغزتهم القوات الكنعانية، وفي هذه الفترة ارتد بنوا إسرائيل عن عبادة الله سبع مرات على الأقل وعبدوا فيها الأوثان، مثل البعل وعشتارون، وشيدوا لها المعابد وقدموا لها القرابين.

والمستفاد من إصحاحات السفر أن انحرافات بني إسرائيل كانت عقب موت يوشع ودخولهم في حقبة عهد القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذي أخذه عليهم يوشع، ويدل على ذلك سرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين، وعدم مبالاتهم بزواجر الله ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة المتكررة[3]، بحيث انجرفوا عن دين الله بسرعة عجيبة، وهذا ما فعلوه في عهد موسى عليه السلام، وظل طابعهم المميز على مر القرون.

---

(1) الأعراف:161:162.

(2) تاريخ بني إسرائيل / محمد عزة دروزة:122.

(3) تاريخ بني إسرائيل / محمد عزة دروزة: 123.

وقد سرت إلى اليهودية في هذا العهد الكثير من معتقدات الكنعانيين الوثنية، مثل: تقديم الأبناء قرابين للآلهة، وامتهان الفحش المقدس، حيث كانت العذارى ينذرن أنفسهن حال بلوغهن للآلهة، وذلك بممارسة البغاء مع زوار ذلك الإله ومريديه، وعاد البكاء على الإله تموز، والاحتفال بالأعياد الوثنية، مثل عيد الخصوبة، ونصبوا تماثيل لآلهة الخصب، بل من اليهود من ارتد بالكلية عن عبادة الإله الواحد (يهوه)، وصار إلى عبادة عشتروت والإله بعل، ومنهم من جمع في عقيدته بين الوثنية والتوحيد، فعبد الإله (يهوه) الإله القومي، الحارس لإسرائيل، والإله بعل إلهاً للخصب[1].

ويستدل من سفر القضاة أن اليهود بعد موت يوشع أصبحوا مهددين بالفناء، وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، وتعترف التوراة أن الكنعانيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين تحت حكمهم في فترات متواصلة خلال عهد القضاة[2].

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية وللفكر اليهودي، وقد اشترك في وضع هذا الأساس العناصر الداخلية اليهودية، كما اشتركت فيه العناصر الخارجية والتأثيرات التي حملها اليهود معهم، وعلى هذا بدأت حياتهم تتغير خلال عهد القضاة رويداً رويداً، فبدأوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، ومن حياة الخيام إلى القرى، كما بدأوا يعرفون الزراعة بجانب الرعي الذي كان عملهم[3].

والسفر الذي يلي سفر القضاة هو سفر صموئيل أو سفر الملوك الأول، وهذا السفر يذكر في إصحاحه الرابع استيلاء الكنعانيين على تابوت العهد الذي كان يحوي بقية الألواح وبعض آثار موسى عليه السلام، وكان هذا الاستيلاء دليل الغضب الرباني على بني إسرائيل، فقد كان اليهود يضعون هذا التابوت في مقدمة صفوفهم أثناء قتالهم لعدوهم تبركاً به.

---

(1) اليهودية عرض تاريخي / د. عرفان عبد الحميد:34:35.

(2) العرب واليهود في التريخ/ د. أحمد سوسة:494.

(3) اليهودية/ د. أحمد شلبي: 72،73.

ويقول الإصحاحان الخامس والسادس أن التابوت بقي عند الكنعانيين تسعة أشهر[1]. وبسبب ما آل إليه بنو إسرائيل من فساد وضياع وهزائم جاؤوا إلى نبي لهم وطلبوا منه أن يختار لهم ملكاً يلتفون حوله ويقاتلون تحت رايته أعدائهم، فاختار لهم (طالوت) ملكاً عليهم، وبذلك يبدأ عهد جديد في التاريخ اليهودي سمي عندهم باسم (عهد الملوك الأول).

5- تاريخهم في عهد الملوك الأول:

وهو العهد الذي بدأ باختيار (طالوت) ملكاً عليهم أو (شاؤول) كما سمته التوراة، وتصف التوراة كيف طلب اليهود من صموئيل آخر القضاة أن يعين لهم ملكاً أسوة بالممالك الكنعانية، فعين لهم الملك المنشود[2].

وبعد شك وريب وجدال وتردد، أذعنوا لأمر صموئيل ورضوا بشاؤول ملكاً، بعد أن حددت صلاحيته بما يشبه الدستور[3]. فكان عليه الرضوخ التام لأوامر يهوه المنقولة على أيدي الكهنة ورجال الدين[4].

وكان (شاؤول أو (طالوت)) قد عرف في قومه بالقوة والبطولة، فكان أطول من قومه، كل الشعب من كتفه فما فوق، فقال صموئيل لجميع الشعب: أرأيتم الذي اختاره الرب، إنه ليس مثله في جميع الشعب، فهتف كل الشعب، وقالوا: ليحيى الملك[5].

وقد أشار القرآن الكريم إلى قصة اختيار طالوت في عدة آيات في سورة البقرة تدل على نفسية اليهود المنحرفة، وحبهم للجدال، وعدم قبولهم بأمر الله، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا

(1) تاريخ إسرائيل/ محمد عزة دروزة:134

(2) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة:498.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد: 36.

(4) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة: 499.

(5) سفر صموئيل الأول:10: 24،25.

لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾"[1].

وهكذا قام على رأس بني إسرائيل ملك بعد نحو مئتي سنة من طروئهم على شرق الأردن وغربة وقضائهم حياة مضطربة، فانتقلت حالتهم بذلك من دور إلى دور[2].

وصار طالوت أول ملك من ملوك بني إسرائيل، واستطاع أن يتغلب على الكنعانيين في عدة معارك، وقادهم فيها بشجاعة كبيرة، ولكنه لم يستطع أن ينتصر على أحد قادة الكنعانيين وهو (جليات) كما تسميه التوراة و(جالوت) كما يسميه القرآن الكريم، فنادى مناد في الجند بأن الملك سيزوج ابنته ممن يقتل هذا الجبار، فخرج من بين الجند فتىً صغير السن اسمه (داود)، وقف راجلاً أمام جالوت وضربه بالمقلاع مما أدى إلى صرعه، وبذلك أصبح داود قائداً لجيش بني إسرائيل.

ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم، فأثار ذلك حقد شاؤول عليه، حتى عزم قتله لئلا يزاحمه الملك - حسب مزاعم كتبة التوراة -، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة وينصب له شباك القتل أمداً طويلاً، ولجأ داود إلى الفلسطينيين مرتين هرباً من شاؤول، وانتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بني إسرائيل وأوقعوا بهم الهزائم العظيمة، وسقط شاؤول في إحدى هذه المعارك[3].

---

(1) البقرة: 246-248.

(2) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة: 137.

(3) اليهودية/ د. أحمد شلبي:74.

وتزعم أسفار التوراة، أن شاؤول لم يكن كفؤاً لتحمل أعباء الحكم فأخفق في إنقاذ قومه من نفوذ الفلسطينيين، مما أدى إلى قتل أبناءه الثلاثة في أحد معاركه معهم وجرح هو جرحاً خطيراً، فانتحر بسبب ذلك فقطع الأعداء رأسه وعلقوا جسمه[1].

وتذكر التوراة أن شخصاً جاء إلى داود في منفاه فأخبره بما كان من هزيمة بني إسرائيل وموت شاؤول، فأمره الرب بالصعود إلى (حبرون) فصعد مع رجاله وأتى إليه رجال من يهوذا بيت لحم فمسحوه ملكاً على سبطهم، بينما اختارت بقية الأسباط ابن شاؤول ملكاً عليهم، وأدى ذلك إلى حرب أهلية بين الملكين، حتى دخل جميع الأسباط في بيعة داود، وحينئذ صعد داود من حبرون إلى أورشليم واستولى على حصن صهيون وأقام فيه وسماه مدينة داود[2]. واتخذ من أورشليم عاصمة له وبنى فيها قصره الملكي، وأقام فيها معبداً للإله (يهوه)[3]، ونقل لها التابوت، وأعد بها مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها الهيكل المقدس[4]، كما تزعم التوراة.

ومع أن الإصحاحات السابقة على الإصحاح السابع في سفر صموئيل ذكرت أكثر من مرة أن داود كلم الرب وأن الرب كلمه، إلا أن الإصحاح السابع يذكر أنه كان هناك نبي اسمه (ناتان) وأن داود جاء إليه ليستشيره في بناء بيت للرب، وأن الرب أوحى لناتان بأن يقول لداود إن نسلك الذي يخرج من أحشائك هو الذي يبني لي بيتاً[5].

وقصة داود عليه السلام كما تسردها التوراة تحتوي من قتل وسفك دماء واغتيالات يأخذ بعضها برقاب بعض، مما يجعلها أشبه بتاريخ بعض رؤساء المتوحشين، منها بملك متمدن أو نبي مرسل[6]. حتى إن داود لم يبال بما كان من

---

(1) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:36.

(2) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة:146.

(3) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة: 499.

(4) اليهودية/ د. أحمد شلبي: 75.

(5) تاريخ بني إسرائيل / محمد عزة دروزة : 147.

(6) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:37.

استضافة الفلسطينيين له قبل توليه الملك، عندما لجأ إليهم، فقد ضربهم وأذلهم – كما تقول التوراة–[1].

وداود عليه السلام – كما تزعم التوراة – لم يترك رذيلة إلا واقترفها، فهي تصفه في أبشع صورة من الفساد الخلقي والذي لا يمكن أن يتصف بها إنسان يدعي الصلاح، فكيف بنبي من أنبياء الله؟

فقصة داود عليه السلام التي أوردتها التوراة مع زوجة قائده (أوريا الحثي) تدل عل مقدار الارتكاس الخلقي الذي أراد كتبة التوراة أن يصوروا فيها داود عليه السلام. فقد رأى داود زوجة هذا القائد من سطح بيته وهي عارية تستحم وكانت جميلة جداً فسأل عنها فقيل إنها امرأة أوريا، فأرسل إليها وأحضرها وضاجعها؟!

ولم تلبث أن شعرت بالحمل فأخبرت داود بذلك فأرسل إلى قائده ليرسل زوجها الذي كان في عداد الجيش الزاحف على بني عمون، قاصداً أن يجعله يضاجع زوجته حتى يستر حملها، ولكن أوريا امتنع عن مضاجعتها، وحينئذ أعاده إلى الجبهة وكتب للقائد بتقديمه إلى جهة قتال شديد حتى يموت، ففعل فقتل، وسمعت امرأة أوريا الخبر فناحت عليه أياماً ثم ضمها داود إلى بيته زوجة، وهذه الزوجة هي أم سليمان الذي حبلت به بعد أن غدت زوجة داود الشرعية، أما الولد الذي حلت به سفاحاً منه فقد ضربه الله وأماته انتقاماً من داود لأنه استاء من عمله الفاحش[2].

وفي التوراة قصة بشعة أخرى في حق داود، حينما عشق (أمنون) أحد أبناء داود أختاً له من أم أخرى اسمها (تامارا) واحتال عليها وضاجعها قهراً، ثم أبغضها وطردها. ومن العجيب أن (تامارا) قالت لأخيها: لا تذلني، وكلم الملك فإنه لا يمنعني منك، حيث يفيد هذا أن الأخ كان يستطيع أن يتزوج أخته، مع أن الشريعة حرمت الأخت على أخيها إطلاقاً...... بل إن التوراة قالت: إن البنت قالت لأخيها: هل من سبب لطردك لي؟ إن هذا الشر هو أعظم مما فعلته لي قبلاً!؟

(1) تاريخ إسرائيل / محمد عزة دروزة:147.

(2) تاريخ بني إسرائيل/ محمد دروزة:149:150.

حيث يفيد أن هذه البنت استساغت ما فعله أخوها لو كان أبقاها عنده كخليلة لـه؟! ولكنه لم يقبل وسمع داود بذلك فاغتاظ ولكنه لم يفعل شيئاً معه لأنه كان يحبه[1].

وقد استمر حكم داود عليه السلام قرابة (40 سنة) بين سنة (1010) وسنة (971) ق.م، منها سبع سنين في حيرون، والباقي في بيت المقدس[2].

ومع ذلك فإن اليهود يعتبرون عصر داود عصرهم الذهبي القديم، ويزعمون أن دولته وصلت حدودها القصوى في عهده فامتدت من بلاد فينيقية الساحلية في الغرب إلى الصحراء العربية في الشرق، ومن نهر العاصي في الشمال إلى رأس خليج العقبة في الجنوب، ومن هنا اتخذ نجمة داود شعاراً لدولة إسرائيل[3].

وجاء سليمان بن داود بعد أبيه، وقد بدأ حكمه – كما تزعم التوراة – بقتل أخيه الأكبر (أدونيا)، وقتل (يوآب) قائد جيش أبيه[4]. وسليمان – كما تزعم التوراة- هو الذي بنى الهيكل الذي رفض الرب من قبل أن يبنيه (داود)، وذلك حتى يستقر فيه تابوت العهد.

وسليمان عليه السلام كان نبياً مثل أبيه، فقد أرسله الله كذلك إلى بني إسرائيل، وأيده بمعجزات، واتصف عهده بالرخاء والاستقرار واتساع النفوذ الخارجي في مصر واليمن وغيرهما.

ومسيرة سليمان عليه السلام تقصها إصحاحات عديدة من سفر الملوك الأول، ومن سفر أخبار الأيام الثاني، وآتى الله سليمان حكمة وفهماً وسعة صدر، ففاقت حكمته جميع أهل المشرق وحكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس، وشاع إسمه بين جميع الأمم في كل وجه، وقال ثلاثة آلاف – مثل، وكانت أناشيده، ألفاً وخمس أنشودة، وتكلم في الشجر من الأرز على لبنان إلى الزوفي التي تخرج في الحائط، وتكلم

---

(1) تاريخ بني إسرائيل / محمد عزة دروزة: 150.

(2) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة: 499.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:37.

(4) اليهودية / د. أحمد شلبي:78.

في البهائم والطير والسمك، وكان يرحل إليه جميع الشعوب لسماع حكمته في جميع ملوك الأرض[1].

أما هيكل سليمان الذي تعده التوراة مثلاً لأوج عظمة سليمان فهو من صنع الفينيقيين، وقد بنى على نمط المعابد الكنعانية – كما تصفه التوراة–، وحتى تسمية الهيكل مأخوذة من كلمة (هيكال) الكنعانية[2].

وقد ذكرت التوراة أن سليمان بدأ ببناء الهيكل في السنة الرابعة من ملكه، وأتمه في السنة الحادية عشرة من ملكه. وقد احتوت التوراة وصفاً للهيكل ممزوجاً بكثير من الخيال والمبالغة، ووصف لتدشين الهيكل، فقد جمع عظماء الآباء والشيوخ والرؤساء للاحتفال بنقل تابوت العهد، وأن الكهنة حملوا التابوت حتى أدخلوه إلى مكانه في المحراب، وعندما خرجوا ملأ الغمام بيت الرب، وأن سليمان حينئذ ألقى خطابا قدس فيه الرب وشكره على نعمه عليه وعلى أبيه وبيته، وطلب منه أن يستجيب لبني إسرائيل حينما يدعونه في هذا البيت في ضائقة أو قحط أو غزو عدو، وأن يغفر لهم ذنوبهم إذا استغفروه فيه، ووصى بني إسرائيل بالإخلاص للرب وحفظ وصاياه[3].

إذن يمكننا القول بأن الهيكل الذي بناه سليمان – حسب وصف التوراة له – لم يكن سوى معبداً وثنياً شبيهاً بالمعابد الوثنية الفينيقية، وهذا لا يمكن أن يفعله نبي أرسله الله لهداية العباد وإخراجهم من عبادة الأوثان لعبادة الله وحده، فسليمان عليه السلام إذا بنى بيتاً لله، فهو لعبادة الله، وليس بالصورة التي صورها كتبة التوراة لهذا البناء، والذي يبدو أنهم أخذوا وصفة عن معابد الوثنيين الذين اختلطوا بهم.

وخطاب سليمان عليه السلام الذي أوردته التوراة يدل بوضوح أن هذا البناء لم يبنى إلاّ لعبادة الله والدعاء له سبحانه.

(1) تاريخ بني إسرائيل / محمد عزة دروزة: 162.

(2) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة: 501.

(3) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة: 163-166.

لذا فإن اليهود فشلوا إلى الآن في إيجاد دليل مادي على وجود الهيكل، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على أن الهيكل بالصورة التي صورتها التوراة لم يكن إلا خيالاً تخيله كتبة التوراة قائم على الخرافة والأسطورة.

وكتبة التوراة كما شوهوا صورة سليمان عليه السلام في بناءه لمعبد وثني، فإنهم ادعوا أيضاً في سفر الملوك الأول أن سليمان لم يحتفظ باستقامته وأحب نساء غريبة كثيرة مع ابنه فرعون، فتعلق بهن سليمان، وأزغن قلبه وأملنه إلى اتباع آلهة غريبة في شيخوخته فلم يكن قلبه مخلصاً للرب، فصنع الأصنام لجميع نسائه الغريبات، فغضب الرب عليه، وقال له: بما أنك لم تحفظ عهدي ورسومي فسأشق الملك عنك وأدفعه إلى عبيدك، ولكنني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك، ولا أشق الملك كله، ولكنني أعطي لابنك سبطاً واحداً من أجل داود عبدي، وأورشليم مدينتي التي اخترتها[1].

ومع ذلك فإن التوراة تنسب إلى سليمان عليه السلام سفر الأمثال وسفر نشيد الأناشيد، وهما مليئان بالمواعظ والوصايا والأمثال الحكيمة، وهذا يدل على مقدار التناقض بين التوراة.

وبعد وفاة سليمان عليه السلام، انتهى العهد الذهبي لليهود، وبدأ عهد جديد يسمى بالتاريخ اليهودي بعهد الملوك الثاني.

6- عهد الملوك الثاني:-

وبوفاة سليمان أعلن (رحبعام) ابن سليمان نفسه ملكاً على دولة اليهود، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك، ثم اتجه رحبعام إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط، فاجتمع حوله شيوخ بني إسرائيل في شكيم (نابلس الآن)، وقالوا لرحبعام: "إن أباك قسى نيرنا، وأما أنت فخفف من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا[2]، ونصح المستشارون الشيوخ رحبعام بقبول ذلك

(1) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة:169.

(2) الملوك الأول:4:12.

الرجاء، ولكن زملاؤه من الأحداث حذروه من ذلك، ونزل رحبعام على رأي الأحداث، وأعلن للقوم: أن أباه أدبهم بالسياط وهو سيؤدبهم بالعقارب، ولذلك رفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه، وبايع الأسباط العشرة (يربعام) ملكاً،، وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبية اسمها (يهوذا) وعاصمتها أورشليم، وشمالية اسمها (إسرائيل) وعاصمتها شكيم[1].

وكانت الحرب سجالاً بين المملكتين منذ البداية، واستمرت طيلة وجودها مما أضعفهما[2]، وقد صحب انقسام المملكة ردة اليهود ثانية إلى عبادة الأصنام من دون الله، وتأكيداً وترسيخاً لمعنى الانفصال، فقد عمد يربعام إلى فرض مجموعة من التشريعات لقيم الفصل الكامل دينياً وسياسياً عن المملكة المجاورة ومن بينها: منع الحج إلى أورشليم، وعبادة عجلين ذهبيين، وتغيير الكثير من مراسم بعض الأعياد، وبسبب هذه الردة فقد ظهر الكثير من الأنبياء الداعين إلى عبادة الإله (يهوه) ونبذ الشرك والطقوس الوثنية وقداسة غير القدس، ومن هؤلاء الأنبياء (اليسع) الذي إعترض على عبادة بعل وتسوية اليهود بينه وبين يهوه في العبادة[3].

وكانت دولة إسرائيل تمثل أغلبية الأسباط، وكانت أوسع رقعة من دولة يهوذا، ولكن دولة إسرائيل كانت مضطربة كثيرة الانقلاب، في حين كانت دولة يهوذا أكثر استقراراً وهدوءاً، ومن أجل هذا تقلب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة، وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة، أما يهوذا فقد ظل الملك بها من سلسلة متصلة من ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم[4].

وقد صادف ذلك ازدهار قوة الآشوريين في العراق، فاندفعوا في حملات سريعة إلى فتح بلاد الشام، وفي زمن سرجون الآشوري هاجم الآشوريون عام (712) ق.م مملكة إسرائيل الشمالية وحاصروا عاصمتها السامرة ودمروها وأجلوا أهلها إلى شمالي

---

(1) اليهودية/ د. أحمد شلبي: 81،82.
(2) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة:509.
(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:40.
(4) اليهودية:د. أحمد شلبي:83.



العراق، وبذلك انتهت القبائل العشر التي كانت تتألف منها إلى الضياع، ويقدر بعض المؤرخين عدد اليهود الذين أجلاهم الآشوريون ونقلوهم إلى شمال العراق بحوالي ثلاثين ألفاً، سرعان ما انصهروا عقائدياً في مستوطنهم الجديد، الذي نقلوا إليه، ومن ثم اختفى ذكرهم من التاريخ، وبهذه الضربة الآشورية انتهت مملكة الشمال، فصارت مملكة يهوذا مركز اليهود الديني ومحور تاريخهم[1].

وقد تعرضت يهوذا هي الأخرى بعد قرن وثلث إلى هجمات المصريين أولاً، ومن بعدهم لضربات البابليين، حيث حاصروا عاصمتها أورشليم سنة (597) ق.م، وأسروا ملكها (يهوياقين) ونقل مقيداً بالسلاسل إلى بابل، وعين نبوخذ نصر (زيديقيا) عم (يهوياقين) حاكماً على اليهود، وأخذ منه العهد والميثاق على تهدئة الأوضاع والامتناع عن العصيان، إلا أن (زيديقيا) بتحريض من المصريين، وإثارة من الأنبياء نقض عهده مع نبوخذ نصر فأعلن التمرد والعصيان من جديد فجاء نبوخذ نصر على رأس حملة قوية وحاصر أورشليم فاستسلمت بعد حصار قصير الأمد وأخذ نبوخذ نصر ملك يهوذا وزوجته وموظفيه وسبعة آلاف من جنده أسرى إلى بابل وهذا هو الأسر البابلي الأول، ثم ثارت أورشليم بعد ذلك بسنين قليلة وبتحريض من مصر فغضب نبوخذ نصر غضباً شديداً وأرسل حملة قوية حاضرت أورشليم، وبعد حصار دام زهاء السنة ونصف السنة سقطت أورشليم سنة (586) ق.م، ولما حاول ملكها الهرب قبض عليه وأخذ إلى نبوخذ نصر، فذبح أبناؤه أمام عينيه، ثم فقئت عيناه وهو مقيد بالسلاسل، حيث أخذ مع الأسرى وعددهم خمسون ألفاً، إلى بابل، أما المدن المهمة في مملكة يهوذا فقد خربت خراباً تاماً وهدم الهيكل، وهذا هو الأسر البابلي الأول والتدمير الأول لهيكل - كما يصطلح عليه في تاريخ اليهودية -[2].

7- الأسر البابلي:

وهكذا انتهت مملكتي إسرائيل ويهوذا عقاباً من الله على ما إقترف اليهود من كفر وآثام، ولم يمتثلوا لمواعظ الأنبياء والصالحين، وفي سفر (اشعيا) تدوين واضح من

(1) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد: 41،42.

(2) المصدر السابق: 42،43.



كتبة التوراة لأحوال اليهود خاصة في مملكة يهوذا التي ساءت على طريق مملكة إسرائيل في الكفر والآثام، ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر (أشعيا) جاء ما يلي على لسان الأنبياء: قال لي الرب قد وجدت فتنة في الرجال يهوذا وسكان أورشليم، قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا لكلماتي فهم أيضاً اتبعوا آلهة أخرى ليعبدوها، ونقض آل إسرائيل وآل يهوذا عهدي الذي عاهدت به آباءهم، لذلك ها أنا أجلب عليهم شراً لا يستطيعون التخلص منه فيصرخون إلي ولا أسمع لهم.

وجاء في الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: قد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مبكراً فلم تسمعوا ولم تميلوا مسامعكم، قلت ارجعوا كل واحد عن طريقه الشرير وعن شر أعمالكم، واسكنوا الأرض التي أعطاها الرب لكم، ولا تتبعوا آلهة أخرى فلم يسمعوا، لذلك ها أنا أرسل وآخذ جميع عشائر الشمال، ونبوخذ نصر ملك بابل عبدي وآتي بهم على هذه الأرض، وعلى جميع سكانها وعلى هذه الأمم من حولها وأبسلهم وأجعلهم دهشاً وأخربة.

أما عن حال اليهود في الأسر البابلي فقد جرى بين اليهود والبابليين في فترة السبي التي دامت قرابة خمسين عاما تمازج عنصري وفكري عميق، وخلال هذه الفترة- كما تقول الأسفار - ظهر في بني إسرائيل بعض الأنبياء وكثير من الوعاظ والمرشدين، وفي أسفار أرميا، وعزرا، ونحميا، وأستير، وحزقيال، ودانيال كثير من المواعظ والزواجر التي كان يوجهها المرشدون لبني إسرائيل في هذه الفترة[1].

وبعد السبي البابلي بدأ الكهنة في الأسر البابلي تدوين التوراة، وذلك بعد موسى بخمسة قرون، وكان على رأس هؤلاء (عزرا) والذي كتب هذه التوراة بسبب خوفه من إنصهار اليهود في الحياة الاجتماعية لبابل مما يفقدهم هويتهم وأملهم في العودة إلى فلسطين.

والتوراة التي وضعت في الأسر البابلي يصح تسميتها بتوراة الكهنة والتي وضعوها وأضفوا عليها القدسية وفرضوها على أبنائهم بعد رجوع بعضهم إلى فلسطين على عهد (عزرا) كاتب شريعة إله السماء - كما تلقبه التوراة -، ومضمون

(1) بنو إسرائيل / د. محمد طنطاوي:63.

هذه التوراة غير مضمون توراة موسى عليه السلام[1].

ومن الواضح أن عزرا استطاع أن يزرع في التوراة التي كتبها هو والكهنة الكثير من المفاهيم الباقية في الفكر اليهودي إلى وقتنا الحاضر، ومنها انتظار المسيح المنتظر الذي سيعيد لهم المجد الأبدي على العالم، ومنها كذلك العهد الأبدي الذي أعطاه الرب - كما تزعم التوراة- لبني إسرائيل وهم في الأسر البابلي أن يعيدهم إلى الأرض التي خلق عليها آباءهم، وأن لا يشتت شعبه من الأرض التي أعطاها لهم[2].

ولكن هذا العهد الأبدي الذي ذكرته التوراة قد نقض بما كان من تدمير أورشليم تدميراً شاملاً أكثر من تدمير نبوخذ نصر، وتشريد من كان فيها من بقايا اليهود من قبل تيطس الروماني[3].

8- تاريخهم منذ رجوعهم إلى فلسطين حتى الشتات الثاني:

وكان ذلك عندما استطاع الفرس بزعامة (قورش) القضاء على البابليين وذلك في ما بين (539-538)، والذي أصدر أوامره بالسماح لمن أراد من اليهود العودة إلى فلسطين، بل وسمح بإعادة بناء الهيكل - كما تزعم التوراة -[4].

ويقال أن سبب سماح قورش ببناء الهيكل أنه قد تربى في حجر (أستير) اليهودية، والتي كانت محظية عند أبيه، ولذلك فإن التوراة قد قدست أستير وخلدتها عن طريق تسمية سفر من أسفارها بإسمها، بل إتخذ اليهود عيداً لهم سموه بعيد أستير.

والمستفاد من نصوص أسفار هذه الحقبة، أن المنفيين من بني إسرائيل لم يعودوا جميعهم إلى فلسطين، بل إن العائدين كانوا أقل من المتخلفين، وأن معظم العائدين سكنوا في أورشليم ومنطقتها التي صارت تعرف باليهودية، وأن منطقة السامرة ظلت مشغولة بالأقوام الذين أرسلهم الآشوريين إليها، وأن الفلسطينيين ظلوا يحتفظون

(1) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة: 538، 540.

(2) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة: 259.

(3) المصدر السابق:259.

(4) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد: 44.

بكياناتهم وممالكهم في المناطق الجنوبية، وأن أنسال الشعوب الأخرى العربية الجنس التي كانت موجودة قبل مجيء بني إسرائيل من مصر، ظلوا هم الآخرون يعيشون في مختلف أنحاء فلسطين محتفظين بشخصياتهم وتقاليدهم[1].

ولهذا فإن عودة بني إسرائيل ونشاطهم في سبيل استئناف حياتهم وإقامة هيكلهم، جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبذلون جهودهم في إحباط حركتهم، مما فيه تكرار لشعور التوجس الذي ساور أهل البلاد حينما جاء بنو إسرائيل إليها من مصر وجعلهم يقفون منهم موقف التجهم والعداء والمناوأة، مع فارق واحد، وهو أن الشعور الأول كان حساً قبل الوقوع، أو مستنداً إلى السماع عما انطوت عليه روح بني إسرائيل من بغي وعدوان وشره إلى ما في يد الغير، وقصد إلى قلع جذور أهل البلاد والحلول محلهم، في حين أن الشعور الجديد كان منبعثاً عن تجربة واقعية وذكريات مريرة لكل هذه الصفات. واستطاعوا أن يمنعوهم من البناء وأن يوقفوا نشاطهم[2].

ولكن اليهود استطاعوا - كما تقول توراتهم - أن يبنوا الهيكل من جديد، وذلك في عهد الملك الفارسي (أرتحشستا الأول)، عندما عاد الكاهن اليهودي (عزرا) فأتم بناء الهيكل وأخذ القسم والعهد من اليهود للحفاظ على الشريعة والسير بموجبها، وفي هذه الفترة اكتملت كتابة الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام، ووضع الأسس الثابتة للأعياد المهمة وحددت أوقات الصوم، وظهرت طبقة المعلمين، والكهنة، والحاخامات، والمجامع الدينية، والرأي الراجح عند الباحثين أن عقيدة البعث الأخروي، سرت إلى اليهودية في هذه الفترة، إذ ليس ثمة إشارة قبل سفر دانيال إلى هذه العقيدة في أسفار التوراة الأخرى، وافترقت اليهودية بشأنها فأثبتها وآمنت بها فرقة الفرنسيين وأنكرتها فرقة الصدوقين، كما سنرى[3].

وتلا هذه الفترة اضطراب شديد بين اليهود، أصيبوا فيه باليأس والقنوط حتى ظهر فيهم من لا يهتم بأمور العقيدة وأصولها فلا يقيم لها وزناً[4].

---

(1) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة:289.

(2) المصدر السابق:271.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:.

(4) المصدر السابق:.

وفي الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد زحف الاسكندر المقدوني الذي صار ملك مقدونيا واليونان نحو الشرق لمحاربة الفرس، فهزم جيوشهم ثم استولى على بلاد الشام ومصر.

ولهذا فقد خضعت له فلسطين كغيرها من المناطق، ولم يكن الاسكندر مجرد فاتح عسكري، وإنما كان يرمي من حملاته نشر الثقافة الهيلينية في الأراضي المفتوحة بكل أوجهها، وفي الوقت الذي تأثرت فيه معظم شعوب البلاد المفتوحة بالثقافة الإغريقية، فإن اليهود- عامة- عاشوا في عزلة فكرية عنها، باعتبار أنها وثنية تناقض في روحها تعاليم التوراة وما فيها من دعوة إلى التوحيد. وقد تسامح الاسكندر معهم في مواقفهم هذه وترك لهم حرية التعبير عن معتقداتهم الدينية، كما يشاؤون، وتمتع اليهود بتسامح مماثل في عهد البطالسة، الذين خلفوا الاسكندر في حكم الممالك التي فتحها، إلاّ أن اليهود تأثروا تلقائياً بأوجه الثقافة الإغريقية اليونانية فنشأت في الإسكندرية مدرسة يهودية جمعت ومزجت بين الدين والفلسفة وأخذت على نفسها التبشير بالثقافة الإغريقية[1].

وفي هذه الفترة قامت جماعة من اليهود بترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، فقد طلب بطليموس من (اليعازر) رئيس الكهنة أن يرسل اثنين وسبعين عالماً من علماء التوراة (ستة من كل سبط)، لترجمة أسفار موسى الخمسة إلى اليونانية، فنفذ الطلب وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين يوماً، فكانت الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية[2].

إلاّ أن أثر الثقافة اليونانية بلغت أوجها في العهد السلوقي على وجه التحديد، فتركت جماعات من اليهود الالتزام بأحكام التوراة وتركوا السبت، وعادة الختان، وظهر الشبان اليهود في تقليد لليونان عراة في ساحات الألعاب، وبدأ العهر المقدس ينتشر من جديد بين اليهود، ثم اتخذ الأمر صورة الإجبار والإكراه، حيث عمدت فئة من المرتدين، الذين هضموا وتمثلوا الثقافات الوثنية وعلى رأسها الحبر الأعظم (جالسون)، الذي عينته السلطات الحاكمة حاخاماً أكبر، على فرض ثقافتهم الوثنية على

(1) المصدر السابق: 47، 48.
(2) تاريخ بني إسرائيل: دروزة:295.

اليهود المحافظين، وجعل جالسون من القدس مدينة يونانية خالصة في نظمها التربوية والثقافية، وفرضت عقوبة الموت على من يلتزم بالسبت والختان، ويحرم أكل الخنزير، وأحرقت الكتب المقدسة وصار امتلاكها جريمة كبرى، وحول المعبد إلى معبد وثني.

وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوماً بعد يوم حتى اندلعت ثورة المكابيين،وقد أطلق على عصرهم الذي دام حوالي القرن وربع القرن (116-37 ق.م) اسم العصر المكابي.[1].

9- العصر المكابي:

وبسبب ما تعرض له اليهود على يد السلوقيين، قامت ثورة عسكرية ذات طابع قومي، بزعامة الحبر اليهودي (ميتاثياس) حاملاً شعار (من كان غيوراً على التوراة فليتبعني)، اشتركت فيها الجماعات اليهودية كافة بدوافع سياسية ودينية ورغبة في الحفاظ على التقاليد الموروثة والإستقلال القومي، وقد انتظمت هذه الجماعات الثورية في صورة عصابات صغيرة انتشرت في البلاد وصار ت تعمل جاهدة من أجل القضاء على البدع الوثنية، فكانت تصطاد أبناء المرتدين لإجراء الختان لهم جبراً، فجهز الجيش حملة ضاربة ضدهم واختارت لهم يوم السبت (حيث لا تجوز الحركة والدفاع عن النفس) فانتهت الحركة من غير مقاومة، وقتل الآلاف منهم خنقاً في الكهوف، ومن حينها أصدرت الجهات اليهودية فتوى أوجبت على اليهودي المضطهد المكره الدفاع عن نفسه حتى وإن كان اليوم يوم سبت[2].

ولقد اختلفت الأقوال في سبب تسميتها ب(المكابية)، وقد ذكر في كتب التاريخ أسباباً عدة في سبب التسمية، وأوجهها – كما يقول محمد عزة دروزة- أنها مشتقة من كلمة (مكابا) العبرية التي تعني المخبأ لأن زعماء الثورة اختبئوا أولاً في المغاور حيث هيأوا أنفسهم للثورة[3].

---

(1) العرب واليهود/ د. أحمد سوسة:542.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:50،51.

(3) تاريخ اليهود/ دروزة:298.

صيتاريث

وبعد موت زعيم الحركة وفشلها، تـرأس حركة المقاومة أبناؤه الخمسة وخصوصاً (يهوذا المكابي)، والذي لقب بالفأس الحديدي، وبه عرفت الثـورة باسم (المكابية)، وقد أحدث يهوذا تغييراً في طرق المقاومة، فـانتقل مـن حـرب الخنادق إلى الهجمات الليلية المباغتة والسريعة مستخدماً المشاعل الزيتية، واستطاع بذلك أخذ القدس واستعادة المعبد وذلك في (25 كانون أول سـنة 165ق.م)، وهـو اليـوم الـذي يحتفل فيه اليهود بإشعال الشموع في عيدهم المعروف بالحانوكة[1].

إلاّ أن هذا القائد سقط في أحد المعارك، فخلفه أخوه (يوناثان)، فحمـل لقـبي (ملك) و(رئيس أحبار)، لكنه وقع في قبضة أحد جيرانه، ومات قتلاً في المنفى، فخلفه ثالثهم سمعان، وبعد فترة من ملكه مات قتلاً بيد أحد المغامرين[2].

ونشير هنا إلى أن قصة المكابيين مدونة في سفرين هما (المكابيين الأول والثاني)، وهما لم يدخلا ضمن الأسفار القانونية التي يتكون منـها كتـاب اليـهود المقـدس، وإن كانوا يحيطونه بكثير من العناية والاهتمام[3].

10- الشتات الثاني لليهود:

وفي هذه الأثناء كانت الدولة الرومانية ترقب هذا الصراع لتنتهز فرصـة للتدخـل، وحانت هذه الفرصة عندما هب صراع داخلي بين قائدين متنافسين مـن اليـهود فاكتسـح الرومـان فلسـطين سـنة (63 ق.م) واسـتولوا علـى القـدس بقيـادة القـائد الرومـاني (بامبيوس). وفي عهد الرومان حلـت أسـرة (هـيرودوس) محـل المكـابيين، وقـد اسـتطاع القضاء على آخر ملوك المكابيين، وحاول في الوقـت نفسـه أن يرضـي اليـهود فبنـى لهـم هيكلاً سنة (20 ق.م)، وقد ظل هذا الهيكـل حتـى سـنة (70م)، حيـث دمـر الإمـبراطور تيطس الروماني مدينة القدس وأحرق الهيكل على أثر ثورة قـام بـها اليـهود، وهـذا هـو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه (نبوخذ نصر)[4].

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:51،52.

(2) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:57.

(3) المصدر السابق:60.

(4) اليهودية/ د. أحمد شلبي:88.

وإذا كان تيطس قد اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه، فإن (أدريانوس) أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماماً سنة 135م، إذ حرث الأرض وسواها وزرعها كما تخلص تماماً من اليهود بها بين قتل وتشريد، فلم يبق بها يهودي واحد[1].

وبدأت فترة الضياع الحقيقية لليهود في أنحاء الكرة الأرضية، ورحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمالي أفريقيا وشمالي الجزيرة العربية وإسبانيا.

ثم استمر اليهود في ثوراتهم ضد الرومان مرات عديدة على عهد تراجان سنة (106م)، وعلى عهد هادريان سنة (130م)، الذي اقتنع بأن اليهود لن يقهروا ما دامت التوراة بين ظهرانيهم، وملتزمون بأوامر الشريعة اليهودية ونواهيها، فحرمهما معاً، وأعاد تسمية المنطقة باسم (فلسطين) ليقطع مزاعم اليهود بأنهم لها وارثون لها، وقتل منهم الخلق الكثير وسبا الآخرين إلى روما[2].

وأقام مكان الهيكل اليهودي هيكلاً وثنياً باسم أحد آلهة الرومان، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية وأعتنقها الرومان في عهد قسطنطين[3].

ثم لما صارت القدس العاصمة الدينية للمسيحية، وجعل يوم الأحد بدل يوم السبت عطلة وراحة، صار التهود بدعة دينية وجريمة يستحق صاحبها الاضطهاد.

وبلغت الحياة العامة لليهود حداً لا يطاق من الإضطهاد، وعلى مدى القرون الوسطى أظهرت المسيحية عداء واضحاً لليهود، حتى أنهم أجبروا على الحياة في أوروبا في مناطق مخصوصة لا يجوز لهم تجاوزها عرفت ب (الغيتو)[4].

وهكذا بقي الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر، عندما صارت الكنائس البروتستانتية خاصة في الولايات المتحدة، تبذل جهوداً مضنية لإعادة توكيد ارتباط المسيحية باليهودية، عقيدة وسلوكاً، وإعادة النظر في الأناجيل لتحريرها من الاتهامات

---

(1) المصدر السابق

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:56.

(3) اليهودية/ د. أحمد شلبي:88.

(4) ليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:56.

الموجهة ضد اليهود، وظهر إتجاه صار يقوى ويشتد يحاول ربط المسيح والمسيحية باليهودية جملة وتفصيلاً، وتوكيد أن المسيح وحواريه كانوا يهوداً[1].

وكان من نتائج هذه المحاولات ظهور ما يسمى ب (المسيحية المتصهينة) في أمريكا، وكذلك القرار البابوي الصادر عن المجتمع الفاتيكاني عام 1965 بتبرئة اليهود من تهمة صلب المسيح.

ومع تفرق اليهود في الشتات وتمزق جمعهم فقد ظلت الجماعات اليهودية على ولائها لعقيدتها وتقاليدها وعوائدها المتوارثة من خلال:

1- الالتزام باللغة العبرية التي ما كان يجوز أداء الطقوس الدينية إلا بها، حتى ظهور حركة الإصلاح في العصر الحديث.

2- الالتزام بمجموعة القواعد الشرعية التي فصل التلمود في تفاصيلها، وعكفت أجيال متعاقبة من علماء اليهود على شرحها.

3- الضريبة الدينية المالية المفروضة على اليهود، والتي كانت قد شرعت بعد العودة من الأسر البابلي "وأقمنا على أنفسنا فرائض أن نجعل على أنفسنا ثلث شامل كل سنة لخدمة بيت إلهنا"[2].

4- الالتزام التاريخي بأمل العودة إلى أرض صهيون لإقامة الدولة القومية على ترابها، بزعم أن ذلك هو الشرط المسبق لقيام اليهود بدورهم التاريخي كشعب مختار لإنقاذ البشرية، كما جاء في التوراة: "وفي جبل صهيون تكون النجاة، وهو مقدساً، فمن صهيون تخرج الشريعة، من أورشليم كلمة (الرب)"[3].

وقد كان رجال الدين اليهود قد أصدروا – لأول مرة- في أرض بابل وأثناء السبي البابلي فتوى تجيز لليهودي شراء أربعة فدادين وهمية في فلسطين[4].

---

(1) المصدر السابق:61.

(2) سفر نحميا: 10:32.

(3) سفر عوبديا 1: 19-21.

(4) أنظر الهامش في كتاب اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:55.

المبحث الثالث
يهود العالم وصلتهم بفلسطين

1- تمهيد:

يزعم الصهيونيون وهم الذين يقومون بالحركة اليهودية السياسية الحديثة المسماة (الصهيونية)[1]، أن اليهود المعاصرين يمتون بنسب وثيق إلى بني إسرائيل القدماء، ويربطون حركتهم بتاريخ هؤلاء في فلسطين ويجعلونه سنداً ومبرراً لإقامة دولة لهم في تلك البلاد، وهي دعوى لا تستند إلى أي أساس من منطق وتاريخ صادق.

أما دعوى الحركة الصهيونية بحق عودة اليهود إلى فلسطين وإنشاء دولة فيها، فهو كلام باطل، وذلك لأن بني إسرائيل عاشوا فيها زمناً ما قبل ألفي سنة، وكان وجودهم فيها وجوداً طارئاً، وهي غاصة بالسكان الأصليين.

بالإضافة إلى أن دعوى اليهود المعاصرين بصلتهم ببني إسرائيل القدماء زائفة، لأن معظم الفئة القليلة التي بقيت في فلسطين بعد ضربات الرومان القاصمة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد من بني إسرائيل اعتنقوا المسيحية ثم الإسلام واندمجوا بين سكان تلك البلاد. ومن الثابت أن كتلاً كبيرة من أصل آري في آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية ديناً، منهم من فعل ذلك قبل الميلاد، ومنهم من فعله بعد الميلاد، بحيث يصح أن يقال إن معظم اليهود من أنسال هذه الكتل، وأن الدم الإسرائيلي الذي كان في الجدود الأولين قد بادَ، وأن قصارى ما في الأمر أن الدين اليهودي هو الطابع المخصص للكتل التي تدين بهذا الدين، والتي تمت إلى مختلف الأجناس والدماء والألوان والقارات والدول[2].

---

(1) نسبة إلى صهيون، وهي اسم قديم لهضبة في القدس كان أقام عليها داود قصره، حينما صار له الملك واتخذ القدس عاصمة له.

(2) تاريخ بني إسرائيل/ محمد عزة دروزة: 527، 528.

وإن أسفار العهد القديم التي ظل اليهود يتداو لونها ويتدارسونها مع التلمود ويعتبرونها كتبهم ومراجعهم الدينية والتشريعية والطقسية والتاريخية ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع الجبلة الشاذة التي تميز بها بنو إسرائيل القدماء، وهذا ليس من شأنه أن يسبغ عليهم صفة قومية متميزة واحدة، فبقاء اليهود في كل مكان وجدوا فيه كتلاً منطوية على نفسها، معرضة للاضطهاد والاحتقار[1]، ليس من شأنه كذلك أن يؤكد مزاعمهم أنهم من أصل واحد، ويصل بينهم وبين إسرائيل القدماء، وإنما هو متصل بعزلتهم عن المجتمعات التي عاشوا فيها، والتي كانت من أبرز خصائصهم والتي تطبعوا بها من كتبهم وتشريعاتهم.

ولهذا عاش كل من اعتنق اليهودية حياة منعزلة عن الشعوب والأوطان، في أحياء خاصة بهم سميت باسم (الغيتو)، وترتب على ذلك أنهم لم يعرفوا الولاء لوطن نزلوا به، فكان مجتمعهم مصدر الخيانات والمؤامرات ضد كل بلد نزلوا فيه.

2- يهود الخزر: كانت أكبر الكتل المتهودة قبائل (الخزر)، وهم من الأتراك المغول، وطنهم في بلاد الخزر الواقعة في جنوب روسيا في جوار مصب نهر (الفولتا) في بحر قزوين أو (بحر الخزر)، فقد اعتنق أكثر أهل الخزر الدين اليهودي في العصور الوسطى بعد اعتناق أميرهم اليهودية وبقيت تمارس الديانة اليهودية بحرية هناك حتى أواخر القرن العاشر الميلادي. وأقدم معلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحالة العربي (ابن فضلان)، الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة (309هـ/ 921م) في بعثة إلى ملك البلغار، ففي طريق عودته مر بمملكة الخزر ووصف ما شاهده بتلك البلاد، حيث أكد أن الملك وخاصته مع إنهم كانوا يهوداً ولكن الغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان، وهذا يدل على أن هذه القبائل عندما تهودت بقيت محتفظة بعاداتها وثقافاتها الوثنية[2].

(1) المصدر السابق:528.

(2) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة:558.

ويذهب المسعودي إلى أن تهود ملك الخزر وأشراف بلاده قد تمّ في عهد هارون الرشيد، وأن كثيراً من اليهود الذين أخرجوا من إمبراطورية الروم جاءوا إلى الخزر بعد اضطهادهم على يد الرومان[1].

وتدل الحوادث التاريخية على أن اليهودية لم يكتب لها أن تدوم في الخزر، حيث جاءت حملة الروس بعد حوالي قرن ونصف من دخول اليهودية إلى الخزر فقضت على مملكة الخزر بأكملها وتشرد أهلا وانتشروا في روسيا وأوروبا الشرقية، وقد انتشر اليهود في أعقاب غزوة الروس على الخزر في أنحاء روسيا ومنها إلى أوروبا الوسطى، ولا تزال اليهودية منتشرة بين هذه الشعوب، فكانت روسيا منذ أواخر القرن الثامن عشر موطن أكبر عدد من اليهود في العالم[2].

وهؤلاء كما يقول محمد عزة دروزة: هم طوائف اليهود المسماة ب (الشكناز) والتي تؤلف أكثرية اليهود[3].

وينقل الدكتور أحمد سوسة عن الكاتب الأمريكي (جون بيتي) قوله: أن سبب المشاكل التي انهالت على أمريكا كان في هجرة يهودا الخزر إليها، وذلك أن هذا الجنس من اليهود دون بقية اليهود في العالم متعصبين تعصباً أعمى لليهودية والصهيونية، إذ لم يسمح لهم رجال الدين في وسطهم أن يتحرروا من الطوق الديني الانعزالي الذي يعيشون فيه، لذلك فهو يحذر المسؤولين من العواقب الوخيمة في تأثير نفوذهم على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية[4].

وهكذا استطاع هؤلاء اليهود، والذين لا صلة لهم بفلسطين ولا ببني إسرائيل أن يؤسسوا الحركة الصهيونية العالمية، والتي عملت على إقناع دول الغرب وعلى رأسها بريطانيا في وجوب قيام دولة إسرائيل وعودة اليهود المشردين إلى أرض الميعاد في فلسطين.

---

(1) المصدر السابق:559.

(2) المصدر السابق: 559،560.

(3) تاريخ اليهود/ د. دروزة:528.

(4) العرب واليهود في الترخ/ د.أحمد سوسة:560.

واستطاعوا فيما بعد وبسبب هجرتهم بأعداد كبيرة إلى الولايات المتحدة أن يسيطروا على القرار السياسي فيها، وبذلك أصبحت هذه الدولة أكبر داعم لإسرائيل منطلقة في هذا الدعم من منظور ديني متطرف.

3- الحركة الصهيونية: في أواخر القرن التاسع عشر ظهر زعيم يهودي كبير هو (تيودور هرتزل)، وكان صحفياً نمساوياً، وقد شهد بباريس محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي (دريفوس)، فأحس - كما يقول - في هذه المحاكمة بروح العداء للسامية ولليهود، فكتب كتابه (الدولة اليهودية) سنة 1895م يعلن فيه ضرورة قيام دولة لليهود، ولم يعين هرتزل مكاناً لهذه الدولة، ثم بذل جهداً هائلاً لجمع كلمة اليهود وتوجيه نشاطهم، فعقد مؤتمر بازل سنة 1897، وقد حدد هرتزل أهدافه بقوله: "إننا اجتمعنا هنا لكي نضع حجر الأساس للمبادئ التي تجمع الشعب اليهودي"، وسرعان ما سيطر يهود الخزر على هذا المؤتمر، وكان هؤلاء يتمسكون بأن يكون مأوى اليهود في أرض فلسطين، فاتخذ المؤتمر القرار التالي: "إن أماني الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية، ويصبح الشعب اليهودي بإنشائه في مأمن من الاضطهاد، على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين".

وتوالت المؤتمرات، وكانت خلاصة نتائجها تدور حول: كيف يمكن لليهود استعادة فلسطين؟ فاتفقوا أن هذا يستلزم جهدين: جهداً داخلياً يرمي الصهيونيين من ورائه إلى تنظيم أنفسهم وإعدادها لاستعادة فلسطين، وجهداً خارجياً يرمي إلى البحث عن دولة تساندهم، وتحقق لهم ما تصبو إليه نفوسهم.

أما من الناحية الأولى فقد أنشأوا جهازاً إدارياً دقيقاً لجمع المال، وظهرت "جمعية عشاق صهيون" لنشر اللغة العبرية، وللدعوة إلى تكوين مستعمرات زراعية في فلسطين، وذلك بشراء الأرض من العرب مهما بلغ سعرها، ودفع أكبر عدد من اليهود للهجرة إلى فلسطين بحيث يصبحون أكثرية بأسرع ما يمكن، واشترك أثرياء اليهود بسخاء في تمويل هذه المشروعات وبخاصة المليونير اليهودي (روتشيلد) الذي فتح خزائنه لهذا الغرض دون حساب.

وأما من الناحية الثانية فقد درسوا أحوال القوى الاستعمارية المتصارعة لينحازوا للمعسكر الذي يتفق مع أغراضهم ووجدوا في إنجلترا خير حليف لهم، فأعلن زعيم الحركة الصهيونية الجديد (وايزمان) ارتباط مصالح اليهود بمصالح إنجلترا وانضم صراحة إلى معسكرهم[1].

وما لبث أن أصبحت الحركة الصهيونية، مؤسسة سياسية استعمارية دولية ذات جهاز تنظيمي، إتخذ مؤسسوها من اضطهاد اليهود ذريعة لتنظيم حركة يهودية سياسية تستهدف أول ما تستهدف تأسيس وطن لليهود في فلسطين بحجة حقوق اليهود التاريخية في فلسطين، وقد وجدت الصهيونية بعد تحرر اليهود في معظم أرجاء أوروبا ومنحهم الحقوق المدنية والحرية الكاملة للعيش في المجتمعات الأوروبية ظروفاً مواتية لنشاطاتها، فبدأت نشاطها المنظم بدعوى معاداة الشعوب للسامية، وبنشر أسطورة مفادها أن فكرة إنشاء الوطن اليهودي في فلسطين قديمة، فمنذ هدم هيكل سليمان قبل ما يقرب من الفي عام واليهود يتطلعون إلى تحقيق حلم العودة إلى فلسطين أرض الميعاد[2].

4- بروتوكولات حكماء صهيون: وقد كشف النقاب عن وثائق مهمة يعتقد أنها كانت مدار بحث ونقاش في مؤتمرهم المنعقد في (بازل) سنة 1897م، فسميت هذه الوثائق (بروتوكولات حكماء صهيون)، وقد كتبت هذه الوثائق على شكل ينطوي على مخطط يرمي لتمكين اليهود من السيطرة على العالم أجمع لمصلحة اليهود وحدهم وتأسيس حكومة ملكية استبدادية يهودية مقرها أورشليم أولاً، ثم تستقر إلى الأبد في روما. والثابت أن مراد هذا المخطط مستقاة من التلموم الذي تجمعت فيه الروح المتعصبة والمعادية لكل من كان من غير اليهود، وعقيدة الشعب المختار التي تمسك بها اليهود طيلة أدوارهم التاريخية، وعلى الرغم من إحاطة هذه الوثائق بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلاّ أنها وقعت في أيدي من قام بترجمتها وطبعها، حينما سرقتها سيدة فرنسية من أحد زعماء الماسونية في فرنسا[3].

---

(1) اليهودية/ د. أحمد شلبي:98،99.

(2) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة:576.

(3) العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة: 578، 579.

وعلى الرغم من أن اليهود قد جمعوا النسخ المطبوعة لهذه البرتوكولات إلاّ أن نسخة منها قد وصلت إلى المتحف البريطاني وظلت مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة 1917م فعثر عليها صحفي بريطاني وأخرجها وقام بطباعتها بعد ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، وأهم ما لفت نظرة فيها أنها قد طبعت سنة 1905م وتنبأت بالثورة الشيوعية قبل اثني عشر عاماً من تحققها، وظلت هذه البروتوكولات تظهر وتختفي ويكتب عنها أحياناً حسب تسارع الأحداث التي تنبأت بها، ومع أن اليهود ينكرون نسبتها إليهم إلا أنهم ظلوا يقاومون نشرها أو الحديث عنها ويحملون الحكومات على مصادرة نسخها، وقد ثاروا عندما نشرت بالإنجليزية وصارت الصحف تكتب عنها[1].

ومع كل هذا فقد تمكن اليهود من تجاوز المرحلة، فعلى الرغم من انتشار هذه الوثائق وطباعتها وتعليق الكثيرين عليها، إلاّ أن اليهود مضوا في برنامجهم وسخروا بريطانيا لخدمتهم في الوصول إلى فلسطين كما هي خطتهم وأحكموا سيطرتهم على المرافق المهمة وهي: المال والإعلام في أنحاء أوروبا، كما أشارت هذه المخططات.

وحينما اندلعت نار الحرب العالمية سنة 1914م، رأى اليهود فرصة ثمينة لهم لتحقيق مطامعهم، ونجح (حاييم وايزمان) في استغلال بريطانيا عندما أنتج مادة (الأستيون) لصناعة المتفجرات، وفضلاً عن هذا فقد استطاع اليهود أن يجروا أمريكا إلى الدخول في الحرب العالمية الأولى لمناصرة بريطانيا وحلفائها، وقبض اليهود ثمن هذه الخدمات لبريطانيا (وعد بلفور) وهو وزير خارجية بريطانيا حينئذ، والذي يقضي بأن يعمل الإنجليز على إقامة وطن قومي في فلسطين لليهود، وكان ذلك في تموز من عام 1917م، أي قبل شهور من احتلال الإنجليز لفلسطين واستعمارهم لها. واستطاعت بريطانيا بهذا الاحتلال أن تضع فلسطين والفلسطينيين في ظروف

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس المفتوحة:180.

اقتصادية وإدارية وسياسية تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود فيها، وتمّ ذلك في 15/ 5/ 1948م[1].

وإذا عدنا إلى البروتوكولات، فيمكن أن نلخص أهم عناصر أهدافها بما يلي[2]:

1- يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار والاستعاضة عنها بحكومات ملكية عالمية يهودية، ويهيئون كل الوسائل لهدم هذه الحكومات.

2- إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والاجتماعية والفنية والمحافل الماسونية والأندية التابعة لها.

3- طرق الحكم الحاضرة فاسدة في العالم كله، والواجب زيادة إفسادها إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم، لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين أتقنوا التدرب التقليدي عليها... وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأميين (الجوييم).

4- يجب أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة، وكل الأمميين حتى الزعماء الممتازون فيهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو بالمال أو النساء أو المناصب.

5- يجب أن يوضع تحت أيدي اليهود - المحتكرين للذهب - كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها.

6- إن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشباب والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحراف، حتى تستنزف قوى الأمميين استنزافاً فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

---

(1) انظر بنو إسرائيل في القرآن والسنة/ د. محمد سيد طنطاوي:452-454.

(2) انظر الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون/ محمد خليفة التونسي:31-41.

7- وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود وإحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام.

5- الإشكناز والسفرديم:

رغم وجود قاعدة دينية مشتركة وجامعة لليهود، فقد انشطرت الثقافة اليهودية إلى لونين متمايزين، لكل منهما خصائصه التي تفرد بها، لذلك فقد انقسم اليهود إلى طائفتين كبيرتين، كل منها تتبع البيئة والثقافة التي عاشت في وسطها وهما الإشكناز والسفرديم.

أ- الإشكناز: وهم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها، وكلمة إشكناز كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على الأراضي الأوروبية التي يسكنها الجنس الجرماني، ثم أصبحت تعني (ألمانيا) باختصار، مع أن جزءاً كبيراً من (الإشكناز) يسكنون بالإضافة إلى ألمانيا، شمال فرنسا وشرقها، والنمسا وبولونيا وسائر دول أوروبا الشرقية، وكذلك في روسيا[1]، وهؤلاء تطورت ثقافتهم في أجواء العالم الغربي والثقافة المسيحية اللاتينية، واعتمدوا الأصول الدينية المنحدرة من فلسطين وروما مرجعاً لهم[2].

وقد فقد اليهود الإشكناز القدرة على استعمال اللغة العبرية نهائياً، وحلت محلها لهجة هجينه من العبرية والألمانية، والتي يتخاطب بها يهود أقطار أوروبا الشرقية، والولايات المتحدة وأقطار أمريكا الجنوبية وتعرف ب (اليديش)[3].

وكانت النزعة العامة ليهود العالم المسيحي دينية خالصة، ولهذا فقد كان ثمة وجوه للاختلاف عن الفريق الآخر في مسائل تتعلق بصور الطقوس الدينية وأدائها، وطرائق الجلوس في الكنيس أثناء الصلوات، وفي الموائد والعادات، ومناهج الدراسة والتدريس،

(1) الفكر الديني/ د. حسن ظاظا:202.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:119.

(3) المصدر السابق :120.

ويبدو أن هذا جاء إليهم بفعل المناخ البارد الذي عاشوا فيه قروناً طويلة، وبتأثير الأمــم الـتي جاوروها أيضاً، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الإشكيناز هم أقطاب الصهيونية.[1].

ب- السفرديم: وهؤلاء اليهود الذين اسـتقروا في حـوض البحـر الأبيـض المتوسـط، وخاصة في أقطار العالم الإسلامي، وكلمة (سفرد) كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا، التي تضم إسبانيا والبرتغال[2]. واعتمدوا الأصـول الدينيـة المنحـدرة مـن بـلاد بابل مرجعاً لهـم، ومســتوياتهم الثقافيــة والاجتماعية أدنى كثيراً من الأشكناز.[3]

وهؤلاء اليهود، كانوا أيضاً قد فقدوا اللغة العبرية بعد الشتات الذي أوقعه بهم الرومـان سـنة (70 ميلاديـة)، وأصبحـوا يتكلمـون لهجـة إسبانية ممزوجــة ببعــض المصطلحات الدينية العبريـة، كـانت تسـمى (اللادينو)، إلا أن السـفرديم كـانوا مـن الناحية اللغوية والدينية أسعد حظاً من الأشكناز، فعندما دخـل المسـلمون الأندلـس، منحوا اليهود حرية دينية وثقافية واجتماعية لم يعرفوها في أي عهد من عهودهم، ففـي الأندلس ازدهرت اللغة المعبرية مع ازدهار اللغة العربية، وكثرت المدارس والجامعات والمعاهد والمعابد اليهودية، وانبثقت حركـة أدبيـة قويـة باللغـة العبريـة بحيـث أصبـح استعمال السفرديم للغتهم هو أنقى وأفصح صورهـا المعروفـة، ممـا جعـل السـفرديم يتـأثرون في عبادتـهم وتلاوتـهم وترتيلـهم وإنشـادهم بـالذوق العربـي في الأذكـار والأناشيد والموسيقى[4]. وبسبب هذا الاطمئنان الذي شعر فيه اليهود في الأندلس فقد تبوأ العديد من اليـهود مراكـز متقدمـة في الدولـة الإسـلامية، فشـغل كثـيرون منـهم مناصب سياسـية متقدمـة في بـلاط الخلفـاء، أمثـال: حسـداي بـن شبروط، وابــن النغريلة[5].

(1) انظر الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:202. واليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:121.

(2) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:202.

(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:191.

(4) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:203.

(5) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:120.

ويمكن القول أن أمن اليهود وحريتهم قد عاد إليهم بظهور الإسلام، وأخذ اليهود يقبلون على فلسطين ثانية بعد أن حرموا من زيارتها قروناً طويلة، واستمر الحال باليهودية في النماء والتطور بفضل سماحة الإسلام والمسلمين، حيث بلغت الثقافة اليهودية في ظل العرب والمسلمين درجة من النضج والتأليف لم تعرفها من قبل. وعرف علماء اليهود في هذه الفترة ب(الغوئنيم) أي (العلماء المبرِّزون)، وغدت معاهد اليهود في العراق مراكز ثقافية ليهود المهجر كافة، حيث توافد طلبة العلم إلى هذه المعاهد من أنحاء العالم بغية دراسة التلمود، والإحاطة بمشكلاته، وشرح مسائله، واستنباط القواعد الفقهية منه. واشتهر من أوائل علمائهم (يهودا البصير) بمدونته الفقهية، التي صارت أساساً لغيرها، وسعدايا الفيومي، الذي دون كتاباً للصلوات اعتمده اليهود...... وإلى علماء هذه الفترة يعود الفضل أيضاً في إخراج أول نسخة محققة للتوراة التي كان الاعتماد في تلاوتها على ما اعتمد تواترها شفاهاً، لخلو النسخ المتداولة من علامات التنقيط والحركة، مما تسبب في اختلاف القراءات ودخول ما ليس في المتن آراء واجتهادات في صلبه[1].

وتأثر اليهود كذلك بمناهج بعض علماء الكلام والفلسفة المسلمين، الذين حاولوا الجمع والتوفيق بين الوحي والعقل، أو بين الدين والفلسفة، فقد تابع متكلمة اليهود أيضاً هذا المنهج التوفيقي وقلدوه في مدوناتهم، وقد أدت أجواء التسامح الديني التي تمتع بها اليهود إلى إنجازات رائعة في الآداب والعلوم واللغة عند اليهود، حتى استحقت هذه الفترة أن تسمى بالعصر الذهبي للأدب العبري[2].

وقد ترتب على ذلك أن إسرائيل عندما قامت على أكتاف الإشكناز وجدت نفسها، بالرغم من كل شيء، مضطرة إلى اعتبار عبرية السفرديم هي اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة والتعليم في الجامعات والمدارس، بل إن المؤلفين في الأدب العبري الحديث، أو في الدراسات اللغوية، حتى ولو كانوا من الإشكناز، قد اضطروا إلى الخضوع المطلق للسان السفرديم[3].

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:62،63.

(2) المصدر السابق:120.

(3) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:203:204.

الفصل الثاني

كتب اليهود المقدسة

المبحث الأول: التوراة

1- التعريف بالتوراة

2- أقسام التوراة

3- الأسفار الخفية عند اليهود.

4- التوراة وتاريخ تدوين أسفارها.

5- اللغة التي ألفت بها التوراة.

6- النقد الموجه للتوراة.

7- لماذا حرّف اليهود التوراة.

المبحث الثاني: التلمود

1- التعريف بالتلمود

2- ملاحق الجمارا

3- طبعات التلمود

4- أهمية التلمود

5- عقائد وشرائع التلمود


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الأول

التوراة

تمهيد:

الديانة اليهودية ديانة متطورة وليست ثابتة عند وضع معين على مر العصور، فهي تتشكل ويزيد فيها التراث المكتوب، كما تتعدل فيها العبادات والشعائر بحسب الظروف، فمدونو التوراة تركوا الباب مفتوحاً بعد موسى لدخول نصوص مقدسة، لها ما لتوراة موسى من القدسية، مثل: أسفار الأنبياء، وكتب الحكمة، ثم إنهم كتبوا بعد ذلك المشنا والتلمود البابلي، والأورشليمي. ومنذ القدم كان الجهد الرئيسي لليهود جيلاً بعد جيل يتجه إلى الاحتفاظ بالأسفار التي تشمل على التاريخ القومي والديني لهم، لكي تكون مرآة للأجيال اللاحقة، وقد استنفذ ذلك حوالي ألف عام جمعت فيها هذه الأسفار[1].

1- التعريف بالتوراة:

التوراة كلمة عبرية معربة تعني (التعليم أو الشريعة)، وتطلق هذه التسمية على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، والمنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي: التكوين، الخروج، العدد، التثنية، اللاويين.

ويؤمن اليهود بشكل عام بأسفار العهد القديم، ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا إليهم قبل عيسى عليه السلام، فهي عندهم

(1) اليهود في العالم القديم/ د. مصطفى عبد العليم ورفيقه:11، 13.

وحيٌ وتنزيل، يستمدون منها عقيدتهم وتشريعاتهم ونظمهم وأخلاقهم، ويستندون إليها في معرفة تاريخهم وأيامهم[1].

وتتكون التوراة من تسعة وثلاثين سفراً أطلق عليها في العصور المسيحية اسم (العهد القديم) للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم (العهد الجديد)، واعتبروا هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفاراً مقدسة أي موحى بها/ويراد بكلمة (العهد)، ما يرادف معنى الميثاق، أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه، فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى عليه السلام، والأخرى ميثاقاً جديداً من عهد عيسى عليه السلام[2].

ولكن المسيحيين زادوا على عدد أسفار التوراة المعتمدة عند اليهود سبعة أسفار، وذلك لأنهم اعتمدوا الترجمة اللاتينية للترجمة السبعينية للتوراة، فالترجمة السبعينية اشتملت على أربعة عشر سفراً لا توجد في الأصل العبري، بينما الترجمة اللاتينية التي تمت ترجمتها عن السبعينية أنقصت العدد الذي تمت زيادته إلى سبعة أسفار فقط، ولهذا فإن العهد القديم عند النصارى يتكون من ستة وأربعين سفراً، وفضلاً عن الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمتان اليونانية واللاتينية عن الأصل العبري، فإنهما في بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق. وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري واعتبرتها كلها أسفاراً وأجزاء مقدسة، ولكن معظم البروتستانت من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة ولا يعتبرونها من العهد القديم. وأما اليهود أنفسهم فإنهم يدخلون في القسم الذي يسمونه (الأسفار الخفية)، جميع ما تزيد به الترجمتان عن الأصل العبري من أسفار وأجزاء[3].

(1) في مقارنة الأديان/ د. محمد عبد الله الشرقاوي:13.

(2) الأسفار المقدسة/ د. علي عبد الواحد وافي:13.

(3) انظر المصدر السابق:19-21.

2- أقسام التوراة[1]:

يقسم علماء الأديان التوراة إلى أربع مجموعات هي[2]:

أ- المجموعة الأولى: التوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهي كما يلي:

1- سفر التكوين، ويسمى سفر الخليقة أيضاً: ويقص- كما هو واضح من اسمه- قصة خلق العالم وبناء السماء والأرض، ونشأة الإنسان الأول: آدم وحواء، ثم قصة نوح والطوفان وأبناء سام بن نوح، وقصة إبراهيم وابنيه عليهم السلام، وقصة يعقوب وأبناءه الاثني عشر (أسباط بني إسرائيل) ورحيلهم إلى مصر حيث دعاهم يوسف.

2- سفر الخروج، ويعرض هذا السفر تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة موسى عليه السلام، ودعوته فرعون إلى توحيد الله، وخروجه مع بني إسرائيل من مصر قاصدين أرض فلسطين، وعصيانهم إياه وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون، وفيه قصة عبورهم البحر وانقلابه وإغراق فرعون مصر فيه، ثم قصة التيه الذي استمر أربعين سنة.

3- سفر العدد: ويشتمل هذا السفر تفصيلاً لأعداد قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم، وكذلك على طائفة من أحكام تتعلق بالعبادات والمعاملات.

4- سفر التثنية: وتحتوي معظم أحكامه على أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب السياسية وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات، ويسمى (التثنية) لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

5- سفر اللاويين: وقد شغل معظم هذا السفر بشؤون العبادات وخاصة ما تعلق بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، واللاويون هم نسل

---

(1) انظر في مقارنة الأديان/ د. الشرقاوي 14-21، والأسفار المقدسة/ د. وافي 13-16.

(2) يقسم علماء دائرة المعارف البريطانية أسفار العهد القديم إلى ثلاث مجموعات فقط، وذلك طبقاً للتقاليد اليهودية وهذه الأقسام هي أ) توراة موسى ب) أسفار الأنبياء ج) المكتوبات.

(لاوي) أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب، وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات.

ب) المجموعة الثانية: وتسمى بـ (الأسفار التاريخية)، وهي إثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على فلسطين، وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شؤونهم وهي أسفار يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل (سفران)، والملوك (سفران)، وأخبار الأيام (سفران)، وعزرا، ونحميا، وأستير.

ج) المجموعة الثالثة: وتسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية، وهي أناشيد ومواعظ معظمها ديني مؤلفة تأليفاً شعرياً في أساليب بليغة، وعددها خمسة أسفار، وهي سفر أيوب، ومزامير داود، وأمثال سليمان، الجامعة من كلام سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان.

د) المجموعة الرابعة: وتسمى أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً، وهي أسفار أشعيا، وأرمياء، ومراثي أرمياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويئيل، ووعاموس، وعويديا، ويونس أويونان، وميخا، وناحوم، وحتقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاحي أو ملاخيا.

وجميع هؤلاء من الأنبياء أرسلوا إلى بني إسرائيل، فيما عدا يونس فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى، وهو النبي يونس عليه السلام المذكور في القرآن.

3- الأسفار الخفية عند اليهود:

وبجانب هذه الأسفار التي تتألف منها التوراة توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود في توراتهم، ويطلقون عليها اسم (الأسفار الخفية) أو (الكتب غير القانونية) أو (الأبوكريفا).

وبعض هذه الأسفار غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود، بينما بعضها الآخر مقدس، أي معترف بأنه موصى به ومعتمد في نظرهم، ولكن رأي أحبارهم وجوب إخفائه، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه عوام الناس، ولا أن يدرج في أسفار التوراة[1].

(1) الأسفار الخفية/ د. علي وافي:32.

وإلى هذا يشير القرآن الكريم في أكثر من آية في سورة، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1].

ويقول اليهود أن كتابهم المقدس ظل زمناً طويلاً يروى مشافهة من مصادر مختلفة، وأنه لولا العلماء المحققون من اليهود، الذين محصوا هذه المرويات ونسقوها، لانطمست معالم النص المقدس ودخلت فيه متناقضات كثيرة، ومن الجدير بالذكر أن نسخة هذا الكتاب يرجع الفضل في تدوينها إلى (عزرا)، ولهذا يمكننا أن نقول إن إقرار النص في الكتاب المقدس وفي صورته النهائية الكاملة المتكاملة المقفلة، قد استغرقت أجيالاً من العلماء من عهد (الكتبة)، في غضون القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى عهد الأحبار الفقهاء، في القرن السابع والثامن الميلاديين.

فكل النصوص التي لم تدخل في النسخة العبرية المشار إليها، وظلت شائعة بين اليهود، أو مثبتة في بعض المخطوطات أو الترجمات هي التي تتكون منها (الأسفار الخفية) أو (الأبوكريفا)، وقد حاول علماء اليهود أن يحددوا الأسس التي طردت بمقتضاها نصوص (الأبوكيفا) فذكروا منها:

1- النصوص التي ترجع إلى زمن الكتاب المقدس، ولكنها فيما بدا لهم لا تحمل روح الكلام الموصي به، لأنها تناقض التوراة في بعض الأحيان، وكتب الأنبياء المعتبرين في أحيان أخرى، لا سيما إذا كان آباء الدين الأقدمون قد حرفوا قراءتها.

2- النصوص التي كتبت بعد انتهاء عهد الأنبياء، وأمر آباء الدين الأقدمون بعزلها وإيداعها في مخازن تخفيها عن أعين الجمهور، وهي التي يسمونها (النصوص المخفية) أو المخزونة.

3- النصوص التي تعالج فترة من التاريخ الإسرائيلي، وهي على وجه اليقين متأخرة عن عصر الأنبياء، والعصر الذي تمت فيه نسخة التوراة الرسمية، ومن ذلك

(1) الأنعام:91.

سفر (المكابيين) الأول والثاني، وهذه الطائفة من النصوص تسمى عند اليهود باسم (الكتابات المتأخرة).

4- النصوص الأسطورية التي تتضمن رموزاً خيالية وقصصاً مستقبلية خاصة بفناء هذا العالم، ومن أشهر أمثلتها سفر (حنوك) أو (أخنوخ).

5- الأسفار الأدبية والحكمية والفلسفية الكثيرة التي لا تمت إلى الدين بصلة، ولكن رواها بعض اليهود وقيدوها إعجاباً بقيمتها الأدبية.

النصوص التي انفردت بروايتها وكتابتها طوائف منشقة على اليهودية الرسمية، وجزم علماء الشريعة اليهودية بعدم استعمالها أو قراءتها أو الرجوع إليها[1].

4- التوراة وتاريخ تدوين أسفارها:

ظهر للباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي، وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل.

وعلى أساس هذه التحقيقات يرجح الباحثون أن قسما من الأسفار الأخرى للتوراة قد ألف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد، ويشتمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسفار الأنبياء، وأن قسماً آخر قد ألف في الفترة بين

---

(1) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:62-65.

أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال [1].

ويلاحظ أن أبعد تاريخ لتدوين أقدم نسخة خطية للكتاب المقدس حسب تقدير المتساهلين من علماء الأديان الغربيين، هو نهاية القرن الرابع الميلادي، وهذا يعني أن أقدم نسخة خطية مدونة للتوراة قد كتبت بعد نزول التوراة بأكثر من ألفي سنة !!![2].

5- اللغة التي ألفت بها التوراة:

دونت جميع أسفار التوراة بلغة واحدة وهي اللغة العبرية، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الآرمية وهي بعض أجزاء من سفري عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء.

وأقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم (الترجمة السبعينية)، وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا ، وهذه الأسفار هي: سفر طوبيا ، وسفر الحكمة لسليمان ، وأسفار المكابيين وعددهم أربعة أسفار، وسفر يهوديت ، وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة، ونشيد الأطفال الثلاثة، وسفر سوزان، وسفر بل والتنين، وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت في الأصل العبري، وبعض زيادات في سفر دانيال . وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية، ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت مطابقة لها كل المطابقة، فقد اشتملت على سفرين اثنين فقط للمكابيين، وحذف منها أسفار عزرا الثلاثة التي زيدت في السبعينية على الأصل العبري.

وفضلاً عن الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمتان اليونانية واللاتينية عن الأصل العبري، فإنهما في بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق.

وهناك ترجمات أخرى للتوراة، فقد ترجم أحبار اليهود التوراة من العبرية إلى اللهجة الآرمية الحديثة، وهي إحدى لهجات اللغة الآرمية وكانت مستخدمة في

(1) الأسفار المقدسة/ د. علي وافي: 17، 18.

(2) في مقارنة الأديان / د. محمد الشرقاوي: 55.

فلسطين. وفي هذه الفترة نفسها ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية، وتمت ترجمته عن الترجمة السبعينية اليونانية[1].

6- النقد الموجه للتوراة:

هناك الكثير من الأدلة والبراهين العلمية والتاريخية التي تؤكد عدم موثوقية التوراة الموجودة بين أيدينا، ومن أهم هذه الأدلة: [2].

أ- اختلاف لغة التوراة عن لغة موسى عليه السلام: من الراجح أن اللغة العبرية نشأت بعد دخول اليهود إلى فلسطين واختلاطهم بالكنعانيين أي بعد وفاة موسى عليه السلام. وموسى ولد في مصر ونشأ فيها وتثقف بثقافة أهلها وتكلم لغتهم المصرية القديمة، وبما أن اليهود مكثوا في مصر (430) عاماً كما ورد في سفر الخروج (12:40) فمن المنطق أن نقول أنهم تكلموا لغة أهل البلاد أيضاً.

وربما احتفظوا بلغتهم التي كانوا يتكلمونها قبل رحيلهم إلى مصر إلى جانب اللغة المصرية، وتلك اللغة لم تكن العبرية، والمفروض أن التوراة نزلت باللغة التي كان يتكلمها موسى وقومه وهي المصرية القديمة أو لغة أخرى سوى العبرية، بما أن التوراة الحالية مكتوبة بالعبرية فهي على أحسن تقدير ترجمة لتوراة موسى الأصلية ، والترجمة لا تعدل الأصل بحال.

ب) عدم ثبوت نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام: يعتقد كثير من اليهود والنصارى أن موسى هو كاتب التوراة الحالية معتمدين على نصوص وردت في العهد القديم مثل الذي ورد في سفر التثنية: (وكتب موسى هذه التوراة 31:9)، ولكن الشواهد الداخلية لا تساعد على مثل هذا الاعتقاد ومن ذلك:

1- التوراة مكتوبة بصيغة الغائب، ولو كان موسى كاتبها لكتبها بصيغة المتكلم خاصة وأن مجمل أحداثها يدور حول شخصيته.

---

(1) الأسفار المقدسة / د. علي وافي:21-22.

(2) انظر دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة / محمد السعدي:98-106.

2- ورد في سفر العدد (12:3): "أما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" وورد في سفر الخروج : (11:3): "وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد وعيون الشعب".

ومن المستحيل أن يكون موسى قال هذا الكلام عن نفسه، ولا بد أن تكون هذه الشهادة صادرة عن شخص آخر.

3- وورد في سفر التثنية (34: 5-11): "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينيه ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً فكملت أيام مناحة موسى، ولم يقم بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب لبعلمها".

وليس معقولاً أن يكون قد كتب بنفسه كيف مات، وماذا فعل بنوا إسرائيل من بعد، وقول الكاتب: "" ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم" و: لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى: يوحي بأن الكاتب عاش بعد موسى بزمن طويل.

4- ورد في سفر التكوين (36:31): "وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك مُلك لبني إسرائيل". وكاتب هذه العبارة لا بد أن يكون قد عاش في عصر الملوك، والمعروف أن اليهود لم يعرفوا الملكية إلا في عهد شاؤول (طالوت) أي بعد عصر موسى بقرنين.

ج- عدم ثبوت تواتر التوراة الحالية: معظم العلماء المحققين يرون أن التوراة الحالية قد كتبها أحبار اليهود خلال فترة السبي البابلي ما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، أي بعد حوالي سبعة قرون من عصر موسى عليه السلام، وهذه الكتابة تمت اعتمادا على الذاكرة وعلى بعض الوثائق التي ظلت على قيد الحياة، وبما أن التوراة كتبت في جو مشحون بالشعور بالمرارة والكراهية والحقد، فقد جاءت حافلة بالنصوص التي تمجد بني إسرائيل وتحقر سائر الشعوب الأخرى وتدعو إلى إبادتها.

ويخبرنا سفر نحميا (8: 1-8) أن اليهود العائدين من السبي طلبوا من عزرا الكاهن أن يأتيهم بالتوراة فأتى بها وقرأها عليهم جميعا، وتذكر الموسوعة البريطانية في المجلد الثاني (ص930): أن عزرا هذا قدم إلى القدس حوالي عام (400 ق.م)، ومنذ بداية القرن السابع عشر الميلادي بدأ كثير من العلماء يدركون أن التوراة الحالية هي نتاج عصر المنفى.

وفي عام (1678) كتب العالم الفرنسي (ريتشارد سيمسون) كتابة (التاريخ النقدي للعهد القديم) نفي فيه نفيا قاطعاً نسبة أسفار الشريعة إلى موسى عليه السلام، وأكد أنها مجموعة من مدونات مختلفة الأصول عكفت أجيال متعاقبة من الأحبار على إعادة تسجيلها حتى أخذت شكلها الأخير على يد عزرا.

ونحن اليوم لا نملك أي نسخة من التوراة إلى عصر موسى أو عصر داود وسليمان ولا عصر المنفى، ولا نملك تلك النسخة التي قرأها عزرا في بداية القرن الرابع قبل الميلاد على قومه، وأقدم نسخة للتوراة اليوم هي تلك المكتشفة في كهوف قمران قرب الشاطئ الشمالي الغربي للبحر الميت ابتداء من عام (1947م) والتي يرجع تاريخ دويها إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، أي أن بين تاريخ كتابتها وتاريخ كتابة النسخة الأصلية في عهد موسى عليه السلام فجوة زمنية تقدر بألف سنة أو أكثر. وهذه الفجوة الزمنية كافية للتغير والتحريف وعدم الثقة بصحة التوراة الحالية، لأننا لا نستطيع أن نتأكد من مطابقة نسخة قمران بالأصل الموسوي.

وقبل اكتشاف وثائق قمران كانت أقدم نسخة من التوراة ترجع إلى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلادي، أي بعد أكثر من ألفي سنة من عهد موسى عليه السلام. ويفهم من الموسوعة البريطانية أن وثائق قمران ليست متطابقة تماما مع النص الحالي للتوراة العبرية، ولحن لا نستطيع التأكد من التطابق لأن وثائق قمران قد استقرت أخيراً في يد اليهود، وليس بعيدا أن يحرفونها حتى يظهرون تطابقها مع نصوص التوراة الحالية.

د- تعدد مصادر التوراة: لقد أدرك العلماء المحققون منذ القرن السابع عشر أن التوراة الحالية تتكون من عدة روايات تعود إلى مصادر مختلفة، وهذا يعني أنها ليست نتاج

كاتب واحد بل مجموعة من الكتاب، وهذا الأمر أصبح اليوم من المسلمات التي يعترف بها علماء اللاهوت أنفسهم.

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية، لأنها كانت تختلف عما باشروا من طباع وخلق، وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة. فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا نفس النتيجة، فإن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جدا عمن نسبت لهم هذه الأسفار، وقد قرر الكتاب الغربيون هذه الحقيقة، ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه إرميا، وبين يوشع وإرميا أكثر من ثمانية قرون تقريبا، وسفر القضاة ينسبه البعض إلى حزقيال وينسبه الآخرون إلى عزرا، وينسبه فريق ثالث إلى فنيحاس، وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي عاش فيه دانيال، أي عندما سقطت بابل في يد الفرس، بل لا بد أن يكون هذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون، فهو يتضمن كلمات مقدونية، مع أن اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد؛ إضافة إلى أن السفر قد اقتبس طرفا من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا، مع أن هؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي.(1)

والروايات التي تعود إليها التوراة تتكون من أربعة مصادر مختلفة هي:

1- مصدر يحمل اسم (يهوه) علما على رب العبريين الوطني القديم، وهو يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد،ورواته كانوا من الجنوب، مما كان يسمى (مملكة يهوذا).

2- مصدر يحمل اسم (إلوهيم) علما على الله باسمه المنتشر في أسباط إسرائيل العشرة في الشمال، وهذه المدرسة ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

3- مصدر تثنية الشريعة، وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقي بالاً إلى القصص الشعبي، وخلاصة ذلك أن التثنية قد كتبت لأول مرة في غضون القرن السابع قبل الميلاد، ثم اعتبرت جزءًا من توراة موسى سنة (621 ق.م).

---

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 251 – 253.

4- حواشي الكهنة، وترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهذه الحواشي قد أضيفت إلى نص التوراة في عهد عزرا ونحميا، أي بعد العودة من السبي البابلي، وهي فترة وصل فيها الكهنة أو الأحبار إلى قمة قوتهم، وكامل سيطرتهم على مقدرات اليهود[1].

هـ- **الاختلافات بين المخطوطات القديمة للتوراة:** من المعروف أن للتوراة ثلاث نسخ أساسية وهي النسخة العبرية واليونانية والسامرية، والنسخة العبرية ترجع أصولها إلى عصر المنفى البابلي، أما النسخة اليونانية فهي ترجمة تعرف بالسبعينية، والأصل العبري الذي اعتمد عليه المترجمون مجهول ولا سبيل بالتالي للتأكد من موثوقية هذه الترجمة، وهذا الأصل يختلف عن النص العبري الموجود حاليا، وأقدم نسخة من هذه الترجمة تعود إلى القرن الرابع الميلادي.

وأما النسخة السامرية فتسمى كذلك نسبة إلى السامريين، وهم بقايا اليهود الذين ظلوا يعيشون في مملكة إسرائيل بعد سقوطها على يد الأشوريين.

ولقد قارن العلماء بين النسخ الثلاثة للتوراة فوجدوا فيها اختلافا كبيرا، فالتوراة السامرية تحتوي على ستة آلاف اختلاف عن النص العبري، وثلثا هذه الاختلافات تقريبا قائم بين النسختين السامرية واليونانية.

تقول الموسوعة البريطانية (2:884): فيما يتعلق ببعض كتابات العهد القديم فإنه توجد إمكانية حقيقية أن تناقلها ظل شفهيا لمدة طويلة قبل إخضاعها للكتابة، وخلال هذا الفاصل الزمني فإن هذه المواد ربما عانت من الاختصار أو التضخيم أو التحريف على أيدي النقلة، وبذلك فإن النسخة الأصلية لم تتغير فحسب بل إن عملية النقل المتعاقبة قد ولدت أكثر من تنقيح واحد منذ بداية كتابتها. وتزداد المشكلة تعقيدا بسبب الفارق الكبير بين زمن الكتابات الأصلية للعهد القديم وبين زمن كتابة أقدم مثيلاتها الموجودة حالياً، وفي بعض الأحيان يصل الفارق إلى ألف سنة من

(1) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا: 26- 28.

أعمال النسخ، ومهما تكن المدة الفاصلة فإن إمكانية التغيير المتعمد وغير المتعمد الذي يؤثر في جميع عمليات نسخ المخطوطات الموجودة والحاضرة[1].

و- التناقض بين أسفار التوراة: نجد في التوراة الكثير من التناقض بين أسفارها، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنها من عند غير الله، لأن التناقض لايصدر إلا عن المخلوق القاصر الضعيف، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

- ما ورد في أسفار الخروج(34:2) والتثنية(5: 9) والعدد (14: 18) عن أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع حيث يقول النص" مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع"، وفي سفر حزقيال مايعارض هذا الحكم، فقد جاء به " النفس التي تخطىء هي تموت، الإبن لا يحمل من إثم الأب، والأب لايحمل من إثم الابن، برّ عليه يكون، وشر الشريرعليه يكون" (حزقيال: 18: 2) ، وهذا تناقض واضح.

- وورد في سفر الخروج (20:33) أن يهوه قال لموسى " لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لايراني ويعيش"، بينما ورد في نفس السفر (23: 11) " ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه"، وورد في نفس السفر أيضا (24: 9-10): " ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل"، ومعروف أن أحدا من هؤلاء لم يمت بسبب رؤية الله.

- وورد في سفر التكوين (6: 19) أن الله أمر نوحاً أن يأخذ معه في السفينة ذكرا وأنثى من كل نوع من أنواع البهائم والطيور، ثم ورد بعد ذلك في السفر نفسه (7 :2) أن الله أمره أن يأخذ سبعة أزواج من البهائم الطاهرة والطيور وزوجين من البهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل إثنان إثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحاً".

- وورد في سفر العدد (23: 19):" ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم"، وقد ورد في كثير من الأسفار ما يناقض ذلك، ويؤكد أن الاله رجل وعلا- يندم، فقد

(1) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة/ محمد السعدي: 111- 117.

وورد في سفر الخروج (32 :14): فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه. وورد في سفر صموئيل (15: 10- 11): (ندمت على أني قد جعلت شاؤول ملكاً.

ز- التناقض مع الحقائق العلمية والتاريخية: هناك الكثير من محتويات التوراة يتناقض بشكل صريح وواضح مع ما أثبته العلم والتاريخ، يقول موريس بوكاي: وعلى سبيل المثال فإنا نجهل التاريخ التقريبي لظهور الانسان على الأرض غير أنه قد اكتشفت آثار لأعمال بشرية نستطيع وضع تاريخها فيما قبل الألف العاشرة من التاريخ المسيحي دون أن يكون هناك أي مكان للشك، وعليه فإننا لا نستطيع علميا قبول صحة سفر التكوين الذي يعطي أنسابا وتواريخ تحدد أصل الإنسان (خلق آدم) بحوالي (37) قرنا قبل المسيح[1].

والذي يستخلص من قائمة الأنساب والأعمار التي تقدمها النسخة العبرية أن عمر الإنسان من آدم إلى ميلاد المسيح هو (4004) سنة، ولكن العلم يقدر عمر الإنسان بمليون سنة على أقل تقدير[2].

ويفهم من سفر التكوين (7:23) أن الطوفان عمَّ الأرض كلها وقضى على كل الأحياء/عدا ركاب سفينة نوح، ولكن الأبحاث التاريخية تؤكد أن هناك حضارات قامت قبل الطوفان وظلت مستمرة بعد الطوفان دون انقطاع، وهذا يؤكد أن الطوفان كان مقتصيرا على قوم نوح ولم يكن كما ورد في سفر التكوين.

كما يذكر سفر التكوين (20 :2) و(26 :1) أن إبراهيم وإسحاق عاشا في عصر ابيمالك ملك الفلسطينيين، وعلماء التاريخ يقدرون أن إبراهيم عليه السلام عاش في القرن العشرين أو التاسع عشر قبل الميلاد، بينما يرجع تاريخ ظهور الفلسطنيين الذين سميت فلسطين باسمهم إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وتقدم التوراة تعليلات لبعض الظواهر الطبيعية لا تتفق مع العلم ومن ذلك:

---

(1) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث / موريس بوكاي: 12.

(2) دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة/ محمد السعدي: 123.

أ- فالتوراة تذكر أن سبب زحف الحية وأكلها التراب هو عقوبة لها بسبب تحريضها حواء لتأكل من الشجرة المحرمة (التكوين:3 :14).

ب- ويذكر سفر التكوين (3: 16) أن سبب آلام المرأة عند الوضع هو مخالفتها لأوامر الله وأكلها من الشجرة المحرمة.

ج- ويذكر سفر التكوين (11 :1-9) أن سبب تعدد البشر عائد إلى أن الله نظر إليهم فرآهم متفقين فحسدهم وبلبل ألسنتهم وشتتهم، فتعددت أقوامهم واختلفت ألسنتهم.

د- ويذكر سفر التكوين (9 :13) أن قوس قزح هو قوس الله وضعه في السماء ليتذكر وعده نوحا وقومه بعد الطوفان بعدم هلاك البشر ثانية.

هـ- ويذكر سفر اللاويين (12 :1-5) أن نفاس المرأة التي تنجب ذكرا أربعين يوماً، ونفاس المرأة التي تنجب أنثى يكون ثمانين يوما، وهذا مخالف للعلم فلا فرق في النفاس سواء أكان المولود ذكرا أو أنثى، ولا علاقة ومدة دوام نزول دم النفاس.

ي- عدم ورود ذكر الآخرة في التوراة: يفاجأ القارئ للتوراة حين يفرغ من قراءة أسفارها الخمسة دون أن تقع عيناه على إشارة إلى اليوم الآخر ومن المستحيل أيضاً أن يكون موسى لم يكتبه في التوراة ولم يبلغه لأتباعه، لأن اليوم الآخر ركن أساسي من أركان عقيدة التوحيد وأمر ضروري لتمام العدل الإلهي.

وقد وردت في بعض أسفار التوراة الأخرى إشارات إلى يوم القيامة ولكنها غامضة ولا تعطي توضيحا وتأكيداً لوجود هذا اليوم.

ولعل هذا الغموض هو الذي أدى إلى انقسام اليهود حول القيامة إلى طرفين وهما:

الفريسيون، والذين يؤمنون بالبعث واليوم الآخر ولكن بطريقة غير صحيحة، لأنهم يعتقدون أن البعث سيكون للصالحين من أموات اليهود حتى يشتركوا في مملكة المسيح المنتظر.

والصدوقيون، وهم لا يؤمنون باليوم الآخر وينكرون وجوده، ويعتقدون بأن الثواب والعقاب يكونان في الدنيا أثناء حياة الإنسان.

ك- وصف الله بأوصاف لاتليق به: التوراة الموجودة بين أيدي اليهود تصف الله سبحانه وتعالى بأوصاف لا تليق إلا بالمخلوق الضعيف المحتاج، ولا تليق بصفات الخالق سبحانه وتعالى. فقد أطلقت التوراة على الله صفات الإنسان الضعيف، يستريح بعد التعب في خلق السماوات والأرض (التكوين: 2: 3)، وهو عز وجل يتنفس (الخروج: 31: 17)، وهو متردد في أفعاله ويندم على ما فعل كما ورد في سفر الخروج (32 :9-14)، وهو لا يعلم كل شيء، فقد أمر اليهود بطلاء أبواب بيوتهم بالدم ليكون علامة يميز بها بيوتهم حتى لا يدمرها حين يأتي لتدمير بيوت المصريين (الخروج:13 :21)، وهو يحسد البشر ويحقد عليهم، فحينما رأى الناس متفقين ومتعاونين ويتكلمون لغة واحدة حقد عليهم، وبلبل ألسنتهم وشتتهم كما ورد في سفر التكوين (11 :109)، وهو يصارع البشر، حتى إن البشر إستطاعوا أن يغلبوه ويصرعوه، كما ورد في سفر التكوين (32: 24-30) عن مصارعة يعقوب مع الله، فقد استطاع يعقوب أن يغلب - الله جلَّ وعلا -، ولم يتركه حتى باركه. وأن الله - جلَّ وعلا - يحب رائحة القرابين المحروقة(التكوين:28: 1)، والله في نظر التوراة المحرفة إله عنصري خاص باليهود فقط كما ورد في سفر الخروج (10: 3)، وهو إله قاس ظالم أمر بإفناء الفلسطينيين كما ورد في سفر التثنية(7: 1-3).

ل- تشويه صورة الأنبياء: صورة الأنبياء في التوراة صورة مشوهة، فهم يقترفون جميع أنواع الذنوب من الصغائر إلى الكبائر، ولذلك فالأنبياء عندهم غير معصومين عن المعاصي، وهذه الصورة لا يمكن أن تكون في كتاب يدعي أصحابه أنه موحى به من عند الله، لأن الله تعالى أراد من إرسال الرسل أن يكونوا قدوة للناس في الخير وعبادة الله، وليس عكس ذلك.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في سفر التكوين أن نوحاً عليه السلام سكر حتى الثمالة وانكشفت عورته لابنه حام (التكوين 9 :21-22)، وأن إبراهيم عليه السلام رضي أن يسلم زوجته سارة إلى فرعون مرة وإلى (أبيمالك) ملك جرار مرة أخرى مدعيا أنها أخته (التكوين 12 :14-20) و (20 :1-7)، وأن لوطاً عليه السلام زنى بإبنتيه بعد أن شرب الخمر وحملتا منه وأنجبتا ذكرين (التكوين19 :30-38)، وأن

يعقوب خدع أباه إسحق عليه السلام الذي كان أعمى وحصل على بركته رغم أنها من حق أخيه عيسو بصفته البكر. ومن نال بركة أبيه فهو خليفته) التكوين (27 :1-40)، وأن موسى عليه السلام أمر بقتل الأطفال (العدد 31 :17)، ومارس إبادة النساء والأطفال والرجال في ستين مدينة شرق الأردن (التثنية 3:3-6)، وأن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل الذي عبده بنوا إسرائيل (الخروج 32 :2-4)، وتخبرنا التوراة أن سليمان عليه السلام تزوج من النساء الغريبات اللواتي حرم الله الزواج بهن، وأنه عبد الأصنام وبنى لها المعابد إرضاء لزوجاته (سفر الملوك الأول 11 :1-8)، وتزعم التوراة كذلك أن داود عليه السلام زنى بزوجة أحد قواد جيشه ثم أرسله إلى جبهة القتال ليتخلص منه (سفر صموئيل (11 :1-26).

م- مخالفة تشريعات التوراة للعقل والمنطق: فالتوراة تحتوي على أحكام وشرائع وأوامر ونواه تخالف العقل والمنطق ويستحيل أن تكون صادرة عن الله تعالى، ومن أمثلة ذلك:

1- إجبار شقيق الميت على الزواج بأرملته حتى لا تتزوج برجل أجنبي، وهذا ورد في سفر التثنية (25 :5-10).

2- إباحة التوراة لليهودي بأن يقرض الأجنبي بالربا، ولكن هذه الاباحة لا تجوز لليهودي مع أخيه اليهودي (التثنية 25 :5-10).

3- وورد في سفر العدد (27 :8) أن البنت لا ترث إذا كان لها أخوة ذكور.

ن- التوراة تشجع على جميع أنواع الفساد الأخلاقي: فالتوراة مليئة بالقصص التي تتحدث عن كثير من صور السرقة والزنا والغش والخداع والكذب، وأغلب هذه القصص يقوم بها الأنبياء أو أبناء الأنبياء، ومن أمثلة ذلك.

ما جاء في سفر التكوين (35 :22)، من أن راوبين بن يعقوب زنى بزوجة أبيه وأم أخوين من أخوته، وسمع أبوه بذلك ولم يتحرك ساكنا.

وورد في سفر التكوين(38 :6-30) أن شابا من الكنعانيين زنى بابنة يعقوب (دينة) ثم جاء وطلب يدها من أبيها، فوافق شريطة أن يختن الشاب وقومه.

وورد كذلك في سفر التكوين(38 :6-30) أن يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه وأنجبت منه توأمين، كما جاء في سفر التكوين (31: 19- 35) أن راحيل زوجة يعقوب سرقت أصنام أبيها، وحينما جاء ليستردها أخفتها تحتها وادعت أنها لا تستطيع القيام لأن عليها عادة النساء.

7- لماذا حرّف اليهود التوراة؟

بعد كل هذه الأدلة على تحريف التوراة وتبديلها على يد يهود بابل وعلى رأسهم عزرا، يتساءل الباحث لماذا حرف اليهود هذا الكتاب المقدس؟ وما غايتهم في ذلك؟

يقول سهيل ديب: إن غاية الشريعة اليهودية هي أن تربط ببعضها فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير، ولا تقبل المصالحة أو المهادنة معهم، ولا تعرف الرحمة أو الشفقة .... وبناء على ذلك كله لا مناص من الجزم بأن تاريخ اليهود المدون في التوراة مختلف على نطاق واسع، وقد إختلقه المتآمرون البابليون، وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم، تفرض عليهم تنظيماً باطشاً تحت إمرة الشريعة، ومن ثم إضفاء ثوب الدين عليهم لإخفاء وتبرير غاياتهم الاجرامية ضد العالم[1].

ولا يستطيع غير اليهودي أن يفهم التوراة فهما صحيحا مالم يدرك تماما معنى ومدى شمول الكلمة العبرية (غوي) وجمعها (غوييم). وترجمة هذه الكلمة في النص الإنجليزي إلى (الأمم، أو (الشعوب)، وهم غير اليهود، أو الغرباء، أو الذين لم يقبلوا باليهودية كدين، ولئن كانت هذه الترجمة صحيحة حرفيا، إلا أنها لا تعطي القارئ غير اليهودي ردة الفعل العاطفية المثيرة التي تخلقها كلمة (غوييم) في العقلية اليهودية، فهي تعني بالنسبة لليهودي، تارة العدو العالمي المكروه، وطوراً القرود الحليقة المحتقرة، أو قطيع الغوييم الغبي[2].

ويمكننا إجمال الأسباب التي أدت إلى تحريف التوراة بما يلي:

(1) التوراة/ سهيل ديب: 20، 21.

(2) المصدر السابق: 24.

1- تبرير إجرامهم وفسادهم: لقد نسب كتبة التوراة إلى الله الأمر بالمنكر وإبادة الشعوب حتى تكون هذه الأوامر غطاء شرعيا لجرائمهم وعدوانهم. كما نسبوا الموبقات والفواحش لرسلهم وأنبيائهم حتى يبرروا معاصيهم وانحرافهم.

2- تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم شعب الله المختار: إن الناظر في التوراة يجد أن كتابها حاولوا بكل طاقتهم أن يرفعوا شأن اليهود ويؤكدوا على أنهم شعب الله المختار المتميز عن بقية الشعوب، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، فقد ورد في سفر التثنية: "أنتم أولاد للرب إلهكم ...... لأنكم شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (التثنية 14 :1-3).

3- جعل فلسطين وطنهم الموعود: وقد نسبوا إلى الله وعودا قطعها على نفسه لإبراهيم واسحق ويعقوب تقتضي بمنحهم أرض فلسطين إلى الأبد، ومما أورده سفر التكوين (17 :8) عن هذا الوعد: إن الله قال لإبراهيم: "وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم".

وحتى لا يكون لأي قوم سواهم حق في هذه الأرض حرموا إسماعيل ونسله من حق الميراث ثم حرموا عيسو شقيق يعقوب ونسله، وقصروه على نسل يعقوب فقط، ولم يكتفوا بذلك بل لفقوا قصصا تفيد أن أجدادهم اشتروا بضعة أمتار من الأرض ودفعوا ثمنها لأصحابها الكنعانيين حتى يكون لهم الحق في أن يعودوا لفلسطين ويمتلكوا فيها.

ولم يكتفوا بكل هذا بل لفقوا قصة عجيبة جعلوا فيها نوحا يلعن كنعان ولد حام ويدعو عليه أن يكون عبدا لنسل سام ويافث. فادعوا أن نوحا سكر وبانت عورته فرآه ابنه الصغير حام ولم يستره، بينما قام بذلك ولداه سام ويافث مما جعل نوحا يغضب على حام، ولكنه بدل أن يلعنه ويوبخه ادعى كتبة التوراة أنه لعن ولده كنعان الذي سيولد له في المستقبل، وقرر نوح أن كنعان سيكون عبدا لاخوته من نسل سام ويافث (التكوين 9 :21-27)، وهكذا لفق الكتبة هذه الحكاية مبررا لهم وهم أبناء سام- كما يدعون - لكي يستبعدوا الكنعانيين أصحاب أرض فلسطين.

المبحث الثاني

التلمود

1- التعريف بالتلمود وأقسامه: "كلمة التلمود (TALMUD) مستخرجة من كلمة لامود (LAMUD) التي تعني تعاليم وهذه الكلمة تعني: الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية، والتي تدعى باسم (التلمود)، أي الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه.

أما أصل التلمود، فإن الرابيين[1]. يعتبرون موسى عليه السلام هو المؤلف الأول لهذا الكتاب، ويفسرون ذلك، أنه بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح الحجر، الذي تسلمه موسى من ربه على جبل سيناء، فقد تسلم موسى أيضا من الله تفسيرات وشروحاً لهذا القانون، أو ما يدعى بالقانون الشفوي، ويستطرد الرابيون في توضيحهم للقضية قائلين: إن هذا هو السبب في بقاء موسى لوقت أطول مما هو محدد له على جبل سيناء، لأنه (جل وعلا) كان بمقدرته تسليم موسى القانون المكتوب خلال يوم واحد فقط. ويقال أيضا أن موسى عليه السلام نقل هذا القانون الشفوي إلى (يوشع)، وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين، وأن هذا القانون نقل بالتتالي إلى عدد من الرابيين، حتى جاء زمن بات من المستحيل استيعابها والحفاظ عليها شفويا"[2].

ويفسر أحد الحاخامات اليهود ما جاء في التوراة: "إنا سنعطيك ألواح الحجر: وقانونا ووصايا كتبناها ، لتعلمها لهم" (الخروج 24 :12)، بأن المراد من الألواح: الوصايا العشر، والقانون: هو القانون المكتوب، والوصايا: هي المشناة، وكتبناها يعني الذي كتبه الأنبياء من كتابات مقدسة (يتناقلها اليهود)، لتعلمها معناه: الجمارا[3].

(1) جمع رابي، وهو رجل الدين اليهودي.

(2) فضح التلمود/ الأب براناتيس:22:21.

(3) التلمود تاريخه وتعاليمه / ظفر الإسلام خان:14.

(والمشناة) هو الجزء الرئيسي والأساس للتلمود كله، وكلما كثرت التفسيرات يوما بعد يوم، من مناظرات وأحكام حول محتويات كتاب (المشناه)، كانت تدون وتضاف إليه كجزء جديد، شكل فيما بعد ما يعرف باسم (الجمارا). وهو الشروح والتعليمات على هذه التعاليم كتاب التلمود[1].

ومن المؤكد أن المحاولات الأولى لرواية شرائع (المشناه) وتقييدها لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد بزمن طويل، وقد ظلت هذه الشرائع تروى بلا رقيب ولا حسيب، وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح[2]. ويضيف اليهود: أن المنشاه شيء تناقله عن موسى أربعون شخصا جيلاً عن جيل[3]، وكان أول جهد يذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الكتلة المختلطة من المرويات هو الذي قام به الحبر اليهودي (هيلل) رئيس المجلس الديني الأعلى (السنهدرين)[4]. في أيام هيرودس، أمير اليهود الذي ولد المسيح في زمانه.

وهذا الحبر هو الذي خطط تقسيم هذه المرويات إلى أقسامها الستة المعروفة، ثم جاء من بعده حبر يهودي آخر هو (عقيبا) فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة، وجاء من بعده الحبر اليهودي (مئير) فأكمل نصوص المشناة وأضاف إلى نظامها مزيدا من الأحكام، أما الذي (وضعها) كتابيا في وضعها الذي نعرفه فهو الحبر اليهودي (يهوذا هاناسي) وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد.

ولم يكن عمل يهوذا هاناشئ مجرد تبويب وتنظيم، بل إنه أكمل المرويات وقام بعملية تمحيص وتدقيق أخرج بموجبها من المشناة مجموعة من النصوص، ومنذ ذلك

---

(1) فضح النلمود / الأب براناتيس:23.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا:66.

(3) التلمود / ظفر الإسلام خان: 14، 15.

(4) ومعناها بالعبرية المحكمة العليا، وهو أحد أبواب المنشاه، ويعالج موضوع المحكمة اليهودية العليا وقواعدها ودستورها، وهو مقسم إلى أحد عشر فصلا، وكل فصل يعالج حالة من الحالات التي تمكن للمحكمة العليا اليهودية أن تصدر حكمها فيها أو تتدخل.

الحين أصبحت هذه المجموعة من النصوص تسمى (مشناة الرابي يهوذا)[1].

أما القسم الثاني من التلمود فهو (الجمارا)، فقد تكون من مناقشات ومناظرات علمائهم حول محتويات المشناة، وقد جمعت هذه التفسيرات ودونت وأضيفت إلى المشناة كجزء جديد، تشكل فيما ما عرف باسم (الجمارا)، وواضح أن المشناة اعتمدت أولا على أنها القانون الثاني المدون، ثم اعتمدت الجمارا كتحليل للآراء المختلفة تؤدي للتوصل إلى أحكام قاطعة، وتمثل الجمارا الشرح والتعليقات في التفسير والحواشي للمشناة، وألف الحاخامات هذه الشروح في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد[2].

وقد تم شرح المشناة فيما يسمى ب (الجمارا) في بيئتين مختلفتين ومستقلتين هما فلسطين والعراق، وقد أدى ذلك إلى ظهور تلمودين اثنين لا واحد، هما: التلمود الأورشليمي، تمسحا بمدينة القدس وتبركاً بها، والتلمود البابلي[3]..

وإذا كان التلمود البابلي يغطي بشرحه كل نص المشناة، فإن التلمود الأورشليمي ظل ناقصا لا يشرح إلا بعض المشناة فقط، إضافة إلى أن أحبار اليهود في بابل كانوا أيضا يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين، بحيث بقي التلمود البابلي بعد ذلك يتمتع بتقدير أعظم في أعين اليهود من التلمود الأورشليمي[4].

2- ملاحق الجمارا: بعد استكمال التلمود البابلي بنحو خمسمائة سنة، أصيبت دراسات الأدبيات اليهودية بنكسة شديدة، نتيجة النكبات الاجتماعية، علاوة على الخلافات التي نشبت بين فقهاء التلمود، لكنه في القرن الحادي عشر الميلادي كتب بعض علمائهم ملاحق للتلمود. ولأن التلمود كتاب ضخم غير منسق، ظهرت

---

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 66.

(2) دراسة للدكتور محمد عبد الله الشرقاوي في كتاب الكنز المرصود في فضائح التلمود: 20، 25.

(3) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا: 83.

(4) المصدر السابق: 83، 84.

حاجة ملحة إلى إيجاد خلاصة وافية، ولتلبية هذه الحاجة، عمد الرابي إسحاق بن يعقوب الفاسي في سنة 1032م إلى إصدار تلمود مصغر، وقد حذف الفاسي جميع المناقشات المملة الطويلة، وحافظ فقط على تلك اللوائح التي تنظم شؤون الحياة العملية، وظل الحال هكذا إلى أن انجز موسى بن ميمون أول عمل منظم عن القانون اليهودي، أسماه (مشناة توراة) أي (إعادة القانون)، ويضم كتاب ابن ميمون هذا تهذيب التلمود بكامله، وقد أضاف إليه بحثا فلسفيا ضخما حاول فيه اشتراع قوانين وأحكام من عنده، وبسبب ذلك نبذه قومه دينيا.

وبالرغم من ذلك، فقد ازدادت أهمية كتاب إبن ميمون هذا مع الوقت، وجاء حين اعتبرت فيه نسخة ابن ميمون أفضل نسخ التلمود. ثم ظهرت سنة 1340م نسخة منقحة من هذا الكتاب بإشراف الحاخام يعقوب بن آشير حذف منها جميع بدعه الفلسفية، وسميت هذه النسخة (اربعة توريم) أي الأنظمة والقوانين الأربعة.

وبمرور الوقت، وبسبب الخلاف بين شروح الفاسي وابن ميمون ويعقوب، نشأت حاجة ملحة إلى إيجاد كتاب يحتوي على حلول وأحكام موجزة، ويسد حاجة الشعب اليهودي إلى كتاب قانون، وقد بادر إلى الاضطلاع بهذه المهمة حاخام فلسطين (جوزيف كارو) سنة 1577م الذي سماه (شولشان أروخ)، ويعتبر هذا الكتاب في الوقت الحاضر القانون الإلزامي عند اليهود، ويستخدمونه لدراستهم، وأغراضهم الدينية، وأحكام، وضبط تقاليدهم، وتنظيم جماعاتهم[1].

3- **طبعات التلمود:** لقد طبعت بعض فصول التلمود البابلي سنة 1481م، إلا أن الطبعة الكاملة نشرت في البندقية بين سنة 1520- 1523م، أما نسخة بازل، فقد خضعت للرقابة الكنسية التي حذفت منها أشياء كثيرة، ثم طبعة أمستردام بين سنة 1646-1648م، والتي لم تشوه كثيرا رغم خضوعها للرقابة، والطبعة المعتمدة هي طبعة (روم) المنشورة سنة 1886م في عشرين مجلدا.

---

(1) مقدمة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي / الكتاب المرصود في فضائح التلمود:27-29.

وأحسن طبعة لتلمود بابل نشرت سنة (1912م) عن نسخة أعدت في ميونيخ في أواسط القرن الرابع عشر.

ومن الجدير بالذكر أن أحد أهم الأسباب لعدم بقاء مخطوط كامل لتلمود بابل هو التعصب الديني المغالي للمسيحية في العصور الوسطى، الذي دفع الكثيرين إلى إشعال النيران في العربات المحملة بالتلمود المطبوع أو المخطوط"[1].

وهذا كله أدى إلى إزالة الكثير من النصوص والتعبير في الكلمات في طبعات التلمود، وهو ما سمي بالرقابة الدينية، وكان ذلك خوفا من الرأي العام المسيحي في أوروبا والذي كان يعتبرها اعتداء على مقدساته[2].

4- **أهمية التلمود:** يعتبر اليهود التلمود من قديم الزمان كتابا منزلا مثل التوراة، ولكن إذا أمعن الإنسان نظره في اعتقاداتهم يتحقق أنهم يعتبرونه أعظم من التوراة، فقد جاء في التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس (المشناة) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة......... وجاء أيضاً: من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، أما من احتقر أقوال التوراة فلا يستحق عقاباً، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى، وجاء أيضاً: من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية، كما جاء أيضاً في التلمود: إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يوماً الاختلاف بين الله تعالى وبين علماء اليهود في مسألة وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد أن حاكم الحاخام المذكور لصالح الحاخامات[3].

---

(1) التلمود/ ظفر الإسلام خان:27 ، 28.

(2) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:91.

(3) الكنز المرصود في فضح التلمود/ أوجست روهلبنج:170-173.

والذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الانهيار الكامل لشوكتهم، الأمر الذي جعلهم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمة، ووجدوها في التلمود، الذي يعلمهم مواصلة الحياة بالانغلاق والسيطرة على المجتمع تمهيدا لإقامة إمبراطورية عالمية.

وفي رأي الدكتور فابيان أن التلمود: أسهم بقوة في حفظ اليهودي، بأن مكنه من أن يتأقلم مع كل زمان ومكان، في كل دولة ومجتمع، وفي كل درجة من الحضارة. وينقل (فابيان) قول (جينز برج): أعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة، يلجأ إليها كيفما شاء، هارباً من العالم الخارجي بكل ما فيه من حقد ومظالم، وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة إشباعا لأعمق أمانيها الدينية، وكذلك وجد اليهود نافذتهم لأسمى إستلهاماتهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية، فإن التلمود لا يزال القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية. وكما قال إسرائيل أبرهامز: بقي اليهودي بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي.

ثم يمضي فابيان فيقول: الحياة اليهودية، حتى هذا اليوم، مؤسسة إلى حد كبير، على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا، وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود، الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي(1).

فالتلمود إذن صورة صادقة التعبير عن الشخصية الإسرائيلية التي أفرزته، فهو يجلي دفائن النفسية اليهودية، ويبرز مكوناتها الغائرة، لذا فقد جاء التلمود على قياس النفسية الإسرائيلية التي امتلأت إلحادا، وقسوة، وحقدا وحسدا، واستعلاء، وجبنا ومسكنة، وفسادا وتحريفا، جاء التلمود ليؤصل في النفس اليهودية ويحيي هذه الخصائص أو الرذائل، ويبقيها دينا ومنهاجاً. فالتلمود كتاب إسرائيل الأول، وهو بتعاليمه وعقائده كتاب إسرائيل الأسود، وليس أدل على ذلك من قراءة نصوصه

(1) التلمود/ ظفر الإسلام خان:33،34.

ومطابقتها على ما يجري في واقع الحياة من حوادث وتطبيقات، لأن ما يبثه في اليهود من غل وعداء وبغض ورغبة محمومة في التجبر والاستعلاء والسيطرة تشمل كلها دونما استثناء[1].

5- عقائد وشرائع التلمود: اشتمل التلمود على كثير من العقائد والشرائع التي وضعها الحاخامات، وهي في مجملها تقوم على العنصرية والحقد والظلم ضد الجوييم - أي غير اليهود-، وهي كذلك في مضمونها تتضمن الفساد العقائدي والأخلاقي الدال على الانحراف في الفكر والمنهج عند اليهودي، ونماذج ذلك كثيرة في أسفار التلمود، ومن أمثلة ذلك:

أ- الله في التلمود: أسفار التلمود تظهر الله متصفا بجميع صفات الحوادث وصفات النقص، فقد ورد في بعض أسفار التلمود أن الله يقضي الساعات الثلاث الأولى من النهار في مذاكرة الشريعة، والساعات الثلاث الثانية في شؤون الحكم بين الناس، والساعات الثلاث الثالثة في تدبير العيش للخلق، وأما الساعات الثلاث الأخيرة فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك .... وأما ساعات الليل فيقضيها الله في مذاكرة التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين الذي يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض، وقد تغير هذا النظام بعد أن قدر الله هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل، فقد اعترف الإله بخطأه في هذا الصدد وندم على ما فعله، وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم، وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من في الآفاق، وتضطرب المياه وترتجف الأرض، فتنجم عن ذلك الزلزال، وهو يردد أثناء ذلك: تباً لي أمرت بخراب بيتي واحتراق الهيكل وتشريد أولادي[2].

ب- الفرق بين أرواح اليهود وأرواح غيرهم: يقول التلمود بأن كل الأرواح قد خلقت في السنة الأولى للخليقة، ثم خلق الله ستمائة ألف روح يهودية، وتتميز

---

(1) مقدمة الدكتور محمد الشرقاوي لكتاب الكنز المرصود:4.

(2) الأسفار المقدسة / د. علي عبد الواحد وافي:32؟

أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات[1].

ج- الجحيم والنعيم في التلمود: فلا يدخل الجنة - حسب تلمودهم - إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار- أي غير اليهود-، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء بما فيه من الظلام والعفونة والطين.

د- المسيح المنتظر في التلمود: فالمسيح عند اليهود هو المخلص الذي يحرر اليهود من العبودية لمضطهد يهم، ويعيدهم من المنفى، ويحكم بالشريعة اليهودية، يقول التلمود: لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود، وكل الأمم تخدم المسيح وتخضع له. ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد القضاء على حكم الأشرار - غير اليهود -، ولذلك يجب أن يبذل جهده لمنع امتلاك باقي الأمم في الأرض، كي تظل السلطة لليهود وحدهم، لأنه من الضروري أن تكون لهم السلطة أينما حلوا........ وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقي الأمم يجب أن تقوم الحروب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم ويبقى اليهود سبع سنوات متواليات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر[2].

هـ- الفرق بين اليهودي وغيره، أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية، ولذلك إذا ضرب أمي إسرائيليا، فالأمي يستحق الموت، وأنه إذا لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب[3].

---

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود / أوجست روهلنج:190.

(2) المصدر السابق: 196.

(3) المصدر السابق:200.

ويضيف التلمود في تعاليمه: أنه من يصب زيتا فوق (غوي)، يعفي من العقاب، لأنه ليس بشرا، ! ولكن كيف يمكن القول أن صب الزيت على (غوي) يعفي من العقاب، مع أن الغوي هو أيضا من البشر؟ والجواب: أن ذلك ليس صحيحا ولا شرعيا، حسب ما هو مكتوب: أنتم قطيعي، وقطيع مرعاي هم بشر، أنتم، إذن تدعون بشرا، لكن الغويم ليسوا كذلك. كما جاء في التلمود عن غير اليهود أنهم يختلفون شكلا فقط عن البهائم، فالله خلقهم في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل، إلا أن الأغوم - غير اليهودي - خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم - لخدمة بني إسرائيل - ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة، ومن اللائق أن يقوم على خدمة ابن ملك (الإسرائيلي) حيوانات بأشكال طبيعية، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمه[1].

و- الأرض ملك لليهود وحدهم، وكذلك أموال غير اليهود، فالتلمود يقرر أن الدنيا ملك لليهود، ولهم عليها حق التسلط، فالسرقة من الأجانب ليست سرقة عندهم، بل استرداد لأموالهم، فإذا قال الحاخام: لا تسرق، فإن معنى ذلك عدم سرقة اليهودي، أما الأجنبي فسرقته جائزة[2].



(1) فضح التلمود/ الأب برانايتس:92:91.

(2) الكنز المرصود/ روهلنج:210.

الفصل الثالث

طوائف وفرق اليهود

المبحث الأول: الفرق القديمة

1- الفريسيون

2- الصدوقيون

3- السامريون

4- الآسينيون

5- القراؤون

6- يهود الحبشة

7- يهود الهند

8- يهود تركيا

المبحث الثاني: الفرق المعاصرة

1- الإصلاحيون

2- المحافظون

3- الأرثوذكس


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثالث

طوائف وفرق اليهود

مقدمة

انقسم اليهود في مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية تدعي كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودي وروحه من الفرق الأخرى، وأهم المواضيع التي يدور حولها الاختلاف بين هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار التوراة، وكذلك الاعتراف بقدسية التلمود، إضافة إلى إنكار بعض هذه الفرق ببعث بعد الموت أو تصديق البعض الآخر لهذه العقيدة.

ورغم أن معظم هذه الفرق قد انقرض، وبعضها الآخر لا يزال موجودا، إلا أن الفرق اليهودية يمكن تقسيمها من حيث تاريخ النشأة إلى قسمين اثنين هما الفرق القديمة والفرق المعاصرة، ومع أن بعض الفرق القديمة لا يزال موجودا بنفس اسمه القديم، إلا أن هناك فرقا أخرى ظهرت للوجود في الحياة اليهودية بأسماء جديدة لكنها تحمل نفس الأفكار والعقائد القديمة.

المبحث الأول

الفرق القديمة

1- الفريسيون: ومعنى (الفريسيون) المنشق أو المعتزل، ولعل مرجع هذا المعنى إلى أنهم انشقوا عن مسلك عامة اليهود التابعين للتوراة، أو أنهم انشقوا عن الطائفة اليهودية التي تسمى (الصدوقية)، التي كانت أول من ثار ضد الفريسيين.

وتجمع المصادر على أن فرقة الفريسيين اليهودية هم الذين وضعوا التلمود، ولذلك تعد من أهم فرق اليهود وأخطرها وأكثرها عددا في ماضي تاريخهم، وحاضره، وقد ظهر الفريسيون قبل ميلاد المسيح عليه السلام بمائتي عام تقريبا، وهم الذين ابتدعوا أصل القانون الشفوي واتبعوا الحاخام (عزرا)، كما حذوا حذو الكتبة اليهود الأقدمين الذين يشار إليهم باسم (رجال الكنيس العظيم)، الذين اعتبروا عزرا أكبر معلم يهودي بعد موسي عليه السلام[1].

ولهذا فإن اليهود يرون فيهم الآباء الروحانيين الذين حافظوا على وجود اليهود المعنوي وتراثهم الديني[2].

وهذه الفرقة تدعي لنفسها معرفة أدق من أي إنسان آخر بشريعة موسى، وهي بهذه الصفة تنظم نفسها بما يتفق مع تطبيق في منتهى الدقة للأحكام الشرعية يسمح لها بأن تفرض كلمتها في ذلك على الآخرين[3].

وبسبب ذلك كان الفريسيون ينعمون بكثير من السلطة والنفوذ الواسع في المجتمع اليهودي، وقد أدى اتساع هذا النفوذ إلى تخوف السلطات الحاكمة منهم، وإلى نظرها لتصرفاتهم في شيء من الشك والريبة[4].

---

(1) الكنز المرصود/ مقدمة د. محمد الشرقاوي:32، والتلمود / ظفر الإسلام خان:31.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:101.

(3) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:211.

(4) اليهودية/ د. أحمد شلبي:220.

وتاريخ الفريسيين في المراجع الأوروبية يميل إلى كثير من التنديد بهؤلاء الناس، والتشنيع عليهم، بسبب الأوصاف التي وصفوا بها في الإنجيل، نتيجة لمناهضتهم للسيد المسيح عليه السلام ووقوفهم في وجهه بصلابة وعناد. لقد وصفوا بأنهم متزمتون عن جهل وتنطع في الدين، وبأنهم يغرقون في النصوص بتفاصيل تافهة، وبأنهم حرفيون شكليون، وبأنهم جدليون كذابون منافقون[1].

وبحكم القيادة الدينية التي حرص الفريسيون أن تبقى في أيديهم، فهم مثلا كانوا دائما حريصين على غرس بذور الصهيونية في نفوس اليهود، وتوجيههم إلى احتقار الأمم والأجناس والأديان الأخرى، وحضهم، على رفض أي حكومة أجنبية غير يهودية تهيمن عليهم، ومن هنا كانوا دائما وراء القلاقل والاضطرابات والثورات وأعمال التخريب والمؤامرات التي ظل اليهود يقومون بها في فلسطين، طوال العهدين اليوناني والروماني حتى انتهت بتشريدهم نهائيا على يد تيطس.

فالفريسيون بتعصبهم وتشددهم هم مسؤولون عن (الدياسبورا)، وهو التشريد الروماني لليهود، وهم مسؤولون أيضا عن كل التفاسير التي وجهوا بها النصوص المقدسة وجهة الصهيونية السياسية[2].

ويمكن القول بأن أهم ميزتين لهذه الفرقة هما:

1- أنها تعترف بجميع أسفار التوراة، إضافة إلى التلمود.

2- أنها تؤمن بالبعث، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر، الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس[3]. وهذا من أهم ما ميزهم عن الصدوقيين.

وبناء على إيمانهم بالمسيح المنتظر، فقد رأوا في المسيح عيسى عليه السلام ألد أعدائهم، ولذلك فقد كانوا وراء المؤامرة التي دبرت ضد حياة المسيح، والتي أدت إلى

---

(1) الفكر الديني / د. حسن ظاظا:211.

(2) المصدر السابق:213.

(3) الأسفار المقدسة/ د. علي عبد الواحد وافي:63.

الحكم عليه بالصلب، وقد تضمنت الأناجيل فصولا طويلة يوجه فيها المسيح تقريعا شديدا لأتباع هذه الفرقة ويكشف عن كفرهم ونفاقهم وتحريفهم للتوراة[1].

لقد كان لفرقة الفريسيين تأثير واسع ومستمر على الفكر اليهودي، ولهذا ببنما انقرضت الكثير من الفرق الأخرى، فإن تراث الفريسيين ظل مستمرا، وهذا ما سيتوضح عند الحديث عن الفرق اليهودية المعاصرة.

2- **الصدوقيون**: وهي الفرقة التي كانت تالية في الأهمية لفرقة الفريسيين طوال القرنين السابقين لميلاد المسيح، وفي المرحلة اللاحقة للميلاد، وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودي في هاتين المرحلتين بحوادث الخلاف والمشادات بين هذه الفرقة وفرقة الفريسيين[2].

وينسب الصدوقيين أنفسهم إلى الكاهن الأكبر (صدوق)، الكاهن الأعظم لداود، الذي تولى أخذ البيعة لابنه سليمان، وتنصيبه على العرش، فعينه سليمان كاهنا أعظم لهيكله، وهذا ما أورده سفر الملوك الأول (1: 39)[3].

ويرى بعض المؤرخين أن هذه التسمية من موضع أعدائهم وأنها من نوع التسمية المضادة لأن الصدوقين عرفوا بالإنكار فسماهم أعداؤهم بالصدوقين[4]، تسمية تدل على الاستهزاء بهم من قبل أعدائهم. ولأن مفهوم هذا الاسم عند اليهود التلموديين ينطبق على من يصاب بالشك في الحقائق، وعدم تصريف الروايات التلمودية، مع الانفكاك من قيود الدين والأخلاق[5].

وينحدر الصدوقين من طبقة الأرستقراط الذين كانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة والمكانة في المجتمع اليهودي، ولهذا لا يميل الصدوقيين للاشتراك في الحركات

---

(1) انظر إنجيل متى:23.

(2) الأسفار المقدسة/ د. علي وافي:64.

(3) انظر الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:214.

(4) اليهودية / د.أحمد شلبي:221،222.

(5) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا: 215،216.

الثورية، ويميلون لاحترام القوانين الموجودة على أي حال، ما دامت الديانة اليهودية محترمة بوجه ما، فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة الاعتراف بيهوه، وبامتيازاتهم الخاصة، ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع[1] .

وأهم ما تمتاز به هذه الفرقة من عقائد ما يلي:

أ- إنكارهم التام للبعث الجسماني، وبناء على ذلك فهم ينكرون الحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيئ يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب[2].

ب- وترفض هذه الفرقة العمل بالتلمود، لاعتقادهم الصارم بأن السبيل الوحيد لحفظ الدين هو التمسك الحرفي الشديد بأحكام التوراة المدونة ووجوب فرضها بالكامل، وبناء على ذلك فقد رفضوا وناهضوا كل أمر لم يثبت بنص، باعتباره بدعة مستحدثة[3]، واعتبروا أن التلمود من وضع أعدائهم الفريسيين.

ج- تنكر هذه الفرقة وجود الملائكة والشياطين[4].

د- وتنكر كذلك القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه في اللوح المحفوظ، وتقول تبعا لذلك بأن الإنسان خالق أفعال نفسه، حر التصرف وبذلك فهو مسؤول [5].

هـ- تصورهم القومي للألوهية، فالإله في نظرهم إله قومي، وأنه رب إسرائيل حصراً، فهو الذي اختارهم، وهم شعبه[6].

و- ينكرون المسيح المنتظر ولا يترقبونه [7].

---

(1) اليهودية/ د. أحمد شلبي:222.

(2) المصدر السابق:222.

(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:103.

(4) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:216.

(5) المصدر السابق:216.

(6) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:104.

(7) اليهودية/ د.أحمد شلبي:222.

وبسبب إنكارهم لليوم الآخر، فالأناجيل تذكر أن هذه الفرقة قد حاولت أن تستدرج المسيح حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم في ذلك ضد أعدائهم الفريسيين، ولكن المسيح عليه السلام ناقشهم في ذلك، وبين لهم بطلان وفساد ما يعتمدون عليه من أدلة.[1]

3- **السامريون**: تمثل فرقة السامريين أقدم انشقاق ديني في تاريخ اليهودية، فبعد سقوط السامرة، عاصمة المملكة الشمالية على يد سرجون الآشوري عام 712 ق.م، وتدميره لمملكة إسرائيل قام بنقل أعداد من مواطني إمبراطوريته الواسعة، وأسكنهم مكان اليهود، الذين أجلاهم عنوة وقسرا عن مستوطناتهم، وقد تشكلت عند هذه الأقوام غير المتجانسة عرقيا عقيدة دينية هجينه مركبة، يتهمها الربانيون بالوثنية من عناصر يهودية وأخرى اقتبسوها من الأديان الوثنية القديمة، ثم لحقت بهذه المجموعة غير المتجانسة عام 432 ق.م جماعات يهودية أخرى خاصمت (عزرا ونحميا) لمنعهما الزواج من الأغيار الأجانب[2].

هذا ما يقوله المتشددون من اليهود عن أصول هذه الطائفة، أما المعتدلون من اليهود الربانيين فإنهم يقولون إن أصل هؤلاء السامريين يرجع إلى من بقي من اليهود الجهلة الضعفاء في فلسطين بعد السبي البابلي[3].

أما السامريون أنفسهم فإنهم ينتسبون إلى هارون عليه السلام وينتخبون كاهنا أعظم يسمونه (الكاهن اللاوي) أي المنحدر من سبط لاوي أو (ليفي)، الذي انحدر منه موسى وهارون عليهما السلام[4].

وما دمنا بصدد الحديث عن أصول هذه الفرقة، فإن سبب تسميتهم بالسامريين، يعود إلى انتسابهم إلى مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها، والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، وكانت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة على عرش

---

(1) الأسفار المقدسة/ د. علي وافي:65، وانظر إنجيل متى:22.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:112.

(3) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:207.

(4) المصدر السابق:208.

سليمان عليه السلام بعد وفاته، ونابلس أو السامرة هي التي كانت تسمى قبل أن تطرق أقدام العبريين أو اليهود فلسطين مدينة (شكيم) ويشرف عليها جبل مقدس اسمه جبل (جرزيم). وتقول التوراة إن يعقوب، قد بنى معبده المكرس للرب في هذا المكان وسماه (بيت إيل) أي بيت الله، وهكذا يقول السامريون أنهم البقية الباقية على الدين الصحيح، وأن موسى عليه السلام كان يجعل قبلته نحو (بيت إيل)، أما داود وسليمان فقد غيرا - حسب هواهما- القبلة القديمة.

وقد ترتب على ذلك أنهم لا يؤمنون بنبوة الأنبياء الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى في العهد القديم، ويعتبرون كل هذه النصوص من صنع البشر وأنها من عمل قوم ضالين مضلين، ولا يستثنون من ذلك إلا يوشع بن نون الذي يأتي سفره بعد توراة موسى مباشرة، لأن التوراة نفسها تشير إلى أن يوشع كان صاحب موسى وخادمه، وأن موسى عهد إليه بالخلافة من بعده، ولهذا فهم يرفضون بقية النصوص المقدسة اليهودية، كالمشناه والتلمود ونحوها[1].

والنص المقدس الذي يتعبدون به هو توراة موسى ويضاف إليها سفر يوشع بن نون، وبذلك يتألف كتابهم المقدس من ستة أسفار فقط، ولكن توراة السامريين تختلف عن التوراة المعتبرة عند اليهود، وهي مدونة بالعبرية وبأحرف عربية، وثمة ما يقرب من ستة آلاف اختلاف في القراءة بينها وبين النسخة المعتبرة عند اليهود، ومن وجوه الخلاف مثلا أنهم أضافوا إلى الوصايا العشر عبارة تفيد وجوب بناء الهيكل على جبل جرزيم[2].

وتقوم عقيدة السامريين على الأركان التالية[3].

1- الإيمان بإله واحد، وأنه تعالى ليس بجسم، ولا يقبل القسمة والتجزئة.

2- الإيمان بموسى رسول الله، وأنه خاتم الأنبياء وأفضلهم، وأنه نور العالم وضياؤه.

---

(1) المصدر السابق:206.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:113،114.

(3) انظر اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:114، والفكر الديني / د. حسن ظاظا:206،209.

3- الإيمان بالأسفار الخمسة وتقديسها، وبأنها وحي الله وكلامه، لا يقبل النسخ.

4- الإيمان بقدسية جبل جرزيم، واعتباره المكان المقدس الحقيقي، والقبلة الحقيقية الوحيدة لبني إسرائيل، ولهذا فهو مركز العالم وقطبه.

5- الإيمان بيوم القيامة والبعث والحساب، والإيمان بمجيء المسيح المنتظر.

والسامريون يمثلون في الوقت الحاضر طائفة صغيرة جدا في تعدادها، وهذا يعود للعزلة التي عاشوا فيها، فقد انتشر فيهم الجهل بحيث قل عدد من يعرفون القراءة والكتابة بينهم، وأكثرهم الآن يحفظون صلواتهم بالعبرية، لكن بدون فهم، لأنهم يتخاطبون في الأغلب باللغة العربية[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرقة وبسبب كفرهم بداود وسليمان، فإن جيل صهيون بالنسبة إليهم يمثل قاعدة الكفر، والصهيونية تمثل محاولة خطيرة لتجديد هذا الكفر وتقوية وبسط سيادته[2].

4- الأسينيون[3]: زادت المعرفة بهذه الفرقة بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت، أو (مخطوطات قمران) عام 1947م، عندما أكتشف مجموعة من مخطوطات التوارة باللغة العبرية، في مغارة بالقرب من الجبال المحيطة بالبحر الميت، وهذه المخطوطات بغرابتها وغزارتها والمواضع التي خبأها أصحابها فيه تؤكد بدون أدنى شك عن فرقة دينية يهودية مختلفة عن بقية الفرق.

ويمكن أن يستخلص من هذه المخطوطات وما ذكره بعض المؤرخين اليهود عنهم، أنهم لم يكونوا فرقة دينية خالصة كالفريسيين، وإنما مثلوا ظاهرة دينية اجتماعية قريبة في سلوكها من الرهبنة المسيحية.

والظاهر أنه كانت لهم فلسفة دينية وأخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية، منها الفلسفة الفيثاغورية اليونانية، ومنها التنظيم الديني المجوسي الفارسي

(1) الفكر الديني/ د. حسن ظاظا:208.

(2) المصدر السلبق:205.

(3) انظر الفكر الديني / د. حسن ظاظا:2210227، واليهودية عبد الحميد:104-107.

القائم على تقديس النور وربطه بالخير، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية لا سيما ما يتصل منها بتقديس الشمس، إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة.

أما عن سبب تسميتهم بالأسينيين، فهناك أكثر من رأي، فالشائع بين الباحثين هو أن الكلمة معناها، (الأطباء)، وأن أصلها آرامي هو كلمة (آسيا) بمعنى الطبيب والمداوي، فقد عرف عن أتباع هذه الفرقة اهتمامهم بالطب الروحاني، ومن هنا كان اهتمامهم بالأعشاب الطبية، وتصنيفها، وبالأحجار والمعادن الكريمة.

ومال بعض الباحثين إلى اشتقاق اسم هذه الفرقة من اللفظ اليوناني (أوسيوي) التي تستعمل بمعنى (القديسين)أو (الأبرار)، كما ربطها غيرهم باللفظة اليهودية القديمة (حسيا) بمعنى (الأتقياء)، وهناك من يقول بإرجاعها إلى اللفظ اليهودي (حاشيا) أي الصامت التي لا يتكلم، بل تكلف آخرون فأرادوا جعلها صيغة محرفة من (ساحيا) التي معناها نزل إلى الماء وسبح فيه، وبنوا هذا الرأي لأن هذه الطائفة كانت تعتقد في المعمودية أو الغطاس أو الطهارة بالإغتسال الكامل في الماء.

وقد عرف عن هذه الفرقة أن جماعتهم تشكلت في هيئة مجتمع من الزهاد يقوم على الشيوعية، وعرفوا بكراهيتهم للمال والأغنياء، وكانت تعاليم الجماعة تقتضي بأن يتنازل من يريد اللحاق بهم عن ممتلكاته الشخصية كلها للجماعة، فأعضاء هذه الجماعة كانوا يعيشون كأنهم أبناء أب واحد، لا صفقات بيع وشراء بينهم، بل كان الواجب يقضي على كل واحد منهم أن يقدم ما عنده لمن هو في حاجة إليه، ويأخذ هو ما شاء أيضا مما يحتاجه من الآخرين.

وكانوا لا يحبذون الزواج، ولكن بعض المؤرخين اليهود يرى أنهم قد حرموه على أنفسهم، لذا لم تقيم النساء بينهم.

وكانوا كذلك ينكرون نظام العبودية، باعتباره مدعاة للظلم، وكان يقف على رأس مجتمعهم الإشتراكي السادة الكبار الذين كان على الأعضاء طاعتهم طاعة مطلقة، وغير مشروطة، فيتنازل من يلحق بهم طوعيه عن إرادته، لتفنى إرادته في إرادة السادة الكبار، وساعة دخول المريد في الجماعة كان يجهز بفأس وصدرية وحبل أبيض

ليستعين بها على كسب قوته، ثم يخضع للتدريب والاختيار للتحقق من نيته واستعداداته لمدة عام كامل، وذلك قبل السماح له بالمشاركة في الطقوس الدينية للجمعية مثل الوضوء المقدس، يخضع بعده لفترة امتحان ثانية تمتد لعامين، ليؤخذ منه العهد بعد ذلك، ليكون عضوا في الفرقة، وجرت العادة أن لا يقبل بينهم إلا الذكور البالغون، كما جرت عادتهم على تبني الأطفال للإكثار من تعدادهم.

وكانت حياتهم تخضع لقواعد عامة صارمة، لا تقبل المهاونة، تبدأ عادة بالصلاة ثم الذهاب إلى العمل، وعند الساعة الخامسة، يعودون للإجتماع، حيث يتدرعون في أوساطهم بحزام من قماش، ويغتسلون بماء بارد، وبعد إجراء مراسيم الغسل والطهارة[1] يتقدمون كافة إلى قاعة الاجتماع، ويتلو الكاهن الأكبر أدعية وصلوات يأكلون بعدها طعام الفطور بسكينة ووقار، وتختم وجبة الفطور بأدعية أخرى مخصوصة، يعودون إلى الانتشار لمعاودة أعمالهم حتى المساء، ليجتمعوا مجددا حول المائدة المشتركة المقدسة لتناول طعام العشاء، مسبوقا ومختوما بالأدعية والصلوات أيضا.

وهكذا تميزت حياتهم بالزهد وحياة العزوبة، مع التقليل في المآكل والمشارب مع الصدق في القول، والتجافي عن الغرور، والامتناع عن الحلف والقسم.

وكان من قواعدالسلوك عندهم أيضا الاغتسال قبل كل وجبة طعام، وعقب الاتصال بالاغيار.

ويمكن تلخيص معتقدهم ومظهرهم العام على النحو التالي:

1- الاعتزال عن الناس، والارتباط القائم بين أعضاء الفرقة بعهد مقدس، ويمين يحلفونه عند الدخول في الفرقة، ثم لا يحلفون بعده يمينا أبدا.

2- كانوا يلبسون الثياب البيضاء، ويحرصون على نظافتها، ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب وقور.

3- المعيشة الجماعية في دار عامة للطائفة بعيدة عن الناس، يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة أو طبخ أو تنظيف أو تعليم.

(1) عادة الاغتسال في الماء طلبا للطهارة سرت إليهم من دين الصائبة.

4- الاهتمام بتهذيب شعر الرأس واللحية، والتطهر بالاغتسال والغطاس في الماء.

5- الاهتمام بشروق الشمس، فقد كانوا يقومون من نومهم قبل الفجر فيقفون جماعة في انتظار لحظة الشروق، حيث يؤدون صلاة معينة يسمونها (صلاة الأسلاف)، وقد لمس الباحثون في هذه النقطة اقترابا من العقائد المصرية القديمة وكذلك المجوسية.

6- كانوا يحرمون ذبح الحيوانات، ويرون فيها لونا قاسيا من سفك الدماء، مخالفين في ذلك أكثر فرق اليهود، ومقتربين من المجوسية، بل لقد رأى بعض الباحثين أنهم لا بد أن يكونوا قد تأثروا بشيء من الفلسفات الدينية القديمة.

7- كان لهم تنظيم داخلي دقيق في فرقتهم، ففي كل من دورهم التي يعيشون فيها رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه، ومن تحته كان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم لا يجوز أن يتعداه، حتى بالكلام.

8- كانوا يأخذون أنفسهم بالتقشف والقناعة، فلا يقبلون هدية أو زكاة أو راتبا من أحد، وكان على كل واحد منهم أن يعيش من عمل يديه.

9- يذكر عنهم بعض الباحثين- حسب رواية فيلون الإسكندراني اليهودي- أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الزواج، وقد حار الباحثون حول ذلك، فقد أرجعه بعضهم إلى تأثير الفلسفة الفيثاغورية، ولكن آخرين يقولون: إن هذه الفيثاغورية تمثل تناقضا صارخا مع العرف الديني اليهودي بضرورة الزواج، ولكن ربما أتت إلى الأسينيين من الشريعة اليهودية، التي ترى في الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة عملا يدنس جسميهما، ويبعدهما عن هذه الطهارة.

10- كانوا يحرمون الإستعباد والرق.

11- كانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها، ولو جرَّ ذلك عليهم القتل.

12- يؤمنون بمجيء المسيح، وباليوم الآخر.

13- كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر، وبأن الله هو المتصرف في كل شيء.

14- نظرا لانتشار تعاطي الطب بينهم فقد قوي فيهم الإيمان بالأعمال السحرية، وتأثير البروج والأفلاك على صحة الإنسان، ثم على مقدرته، وبناء على ذلك فقد

كانوا يؤمنون بالأرواح والملائكة ويعطونها أسماء، ويحاولون بطقوس معينة أن يوجهوها إلى تحقيق ما يريدون.

15- كانوا يلتزمون بالفضيلة، ويبتعدون عن الشر، ولا يلجأون إلى العنف أبدا.

5- القراؤون: اسمهم من الفعل قرأ، ظهروا بأرض بابل في منتصف القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي)، وتزامن ظهورهم مع تعاظم قوة الإسلام وانتشار سلطانه[1].

فتسمية القرائين بهذا الاسم يرجع إلى العهد القديم، كانت تسمى عند اليهود (المقرا) أي (المقروء)[2].

أنشأ هذه الفرقة (عنان بن داود) أحد علماء اليهود في بغداد، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[3]، وكان عنان مرشحا لتولي منصب أمير اليهود في المهجر، ونظرا لما عرف عنه من غلو ونزعة متطرفة وتأويلات عدها الربانيون تحريفا وجدفا، فقد تجاوزوه إلى أخيه الأصغر سنا منه، مما تسبب في خروجه عن قومه، وانشقاقه عنهم، مؤسسا مذهبه الذي لا يعترف بشرعية التلمود، وفي وجه المعارضة القومية التي لاقاها اضطر إلى ترك بابل والالتجاء إلى القدس. وقد انتهى التأويل والاجتهادات والتفسيرات الذاتية بالمذهب إلى جماعات متباغضة ومتحالفة مما أدى إلى ضمورهم تاريخيا بمرور الزمن[4]. وقد أطلق على القرائين كذلك اسم (العنانيون) نسبة إلى منشأها عنان بن داود.

والذي جعل الحركة القرائية تبدو خطيرة في عين الجماهير اليهودية هو تبحر زعيمهم في التلمود وكثرة رجوعه إلى النصوص بقصد تفنيده وهدمه، لهذا فقد اشتد الصراع بين الفريسيين والقرائين، فأعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها، ومنعوا الصلاة كل منهم في معابد الآخر، وحرموا كل مشاركة

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:94.

(2) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:247.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:95.

(4) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:95.

دينية أو شعبية من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الأخرى، من الأكل على مائدة السبت أو الأعياد إلى الزواج الذي حرم نصاً بين الطائفتين. ووصل الأمر بالفريسيين أن سموا أتباع هذه الفرقة ب (مينيم) أي الزنادقة أو الكفرة[1].

ومع الزمن ظهر في مجتمع القرقيساني الكثير من العلماء الأقوياء، الذين كتبوا مدونات في تفاصيل مذهبهم ونقض دعاوى الفريسيين، منهم (ابن ساقوية) صاحب كتاب النصائح بالعبرية، و(يعقوب القرقيساني) مؤلف كتاب (الأنوار والمراقب)، وابن الهيتي وداود وبنيامين النهاوندي[2].

وقد تصدى أكبر كاتب فريسي، سعيد بن يوسف الفيومي المعروف ب (سعدايا الفيومي) بالرد على القرائين، كما هو واضح في كتابه المعروف (الأمانات والاعتقادات)، ورسالته الثانية المعروفة ب (الرد على المتحامل). وقد انتهى ذلك إلى تحول هذه الفرقة إلى أقلية دينية واصلت حياتها في تركيا وشبه جزيرة القرم والعراق ومصر، التي هاجروا منها أخيرا إلى فلسطين، حيث تعيش بقية منهم اليوم قرب الرملة وتل أبيب، ويقدر عددهم بعشرة آلاف نسمة[3]. وهجرتهم إلى فلسطين لا تعني أنهم مؤيدون للحركة الصهيونية، فقد كانت الطائفة القرائية منذ بداية الحركة الصهيونية معادية لها ونافرة منها، وما تزال كذلك حتى الآن، لأنها ترى فيها أكبر خطر يهددها وهو استيلاء الكفرة الربانيون الأعداء على كل مقدسات إسرائيل، وكان للقرائين في تركيا وروسيا ومصر نشاط ملحوظ ضد الصهيونية، ولكن هذه الأخيرة استعانت بالجواسيس والعملاء، واستغلت ظروفا حربية وسياسية معينة لاصطياد بضعة آلاف من القرائين وإدخالهم إلى إسرائيل[4].

والظاهر أن تقلص ظل القرائين في العصر الحديث، يعود إلى انتشار اليهود الفريسيين بعددهم الكبير في أوروبا وأمريكا، مما أدى إلى الوصول إلى مستوى

(1) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:250،251.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:95.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:95:96.

(4) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:254.

حضاري ومالي وسياسي لا يستهان به من مجتمع الربانيين، بينما ظل القراؤون منكمشين في الشرق، يعيشون حياة بعيدة عن الثراء الواسع أو الأهمية السياسية الخطيرة، وقد أدى هذا الفرق الكبير في العدد والثروة والمستوى الفكري والأهمية السياسية إلى ما يشبه سحقا للقرائين على يد الربانيين[1].

وشريعة الربانيين في التلمود تغذي حقدهم على القرائين، فهي تحرم الزواج منهم، وإذا حدث تعتبره زنا، وتعتبر الأطفال المولودين منه غير شرعيين، ولا ينتمون إلى شعب الله المختار، وقد أفتى بعض الربانيين، ومنهم سعديا الفيومي، برفض عودة القرائي إلى مذهب الربانيين، على اعتبار أنه مرتد عن الدين، وكذلك في الطعام والشراب يعتبر القراؤون (جوييم) [2]

ويمكننا أن نلخص أهم تعاليم وعقائد القرائين بما يلي:

1- عدم والاعتراف بالتلمود، والرفض المطلق للشريعة الشفوية، أو الالتزام بها باعتبارها أمورا مبتدعة وغير ملزمة، مع التشدد في الالتزام بحرفية نصوص التوراة فقط[3]. فهذه الفرقة رفضت العنعنات الخبرية، والمرويات الشفوية المروية في المشناة والتلمود وكفرت بها.

2- وهم يتميزون بالتمسك بظواهر النصوص ومعانيها الحرفية ويحرمون التأويل، ومثال ذلك تقيدهم بحرفية النص التوارتي عن تحريم العمل يوم السبت، فلا يجوز عندهم الخروج من الدار أو الانتقال أو الحركة داخل البيت من غرفة إلى أخرى أو غسل الوجه أو لبس المعاطف والأحذية سوى القميص، وحرموا كذلك التداوي في الحالات المرضية، واعتبروا المداواة تدخلا في التقدير الإلهي[4].

3- ألغت هذه الفرقة جميع التشريعات التي قررها الربانيون، ولذلك فقد انفردت بأحكام وتشريعات خاصة بها، ومن ذلك تحريم العم من ابنة أخيه، وزواج الخال من ابنة

---

(1) المصدر السابق:254.

(2) المصدر السابق:255.

(3) اليهودية/ د. عرفان عبد احميد:96.

(4) المصدر السابق:97.

أخته، ومن التشريعات التي شرعتها وخالفت بها نصا صريحا في التوراة أنها ساوت بين الابن والبنت في الميراث، وقررت أن الزوج لا حق له في تركة زوجته[1].

4- وتقول هذه الفرقة أن عيسى عليه السلام ليس زنديقا كما يدعي الفريسيون، وأنه لم يشوه التوراة ولم يكذبها أو ينسخها، وأنه كان رجلا من البشر، من بني إسرائيل، تقيا صالحا، لم يدع قط النبوة أو الألوهية، بل كان مصلحا، يريد أن يخلص شريعة موسى من المفاهيم المحرفة[2].

5- ومن أهم الأشياء التي قالتها هذه الفرقة، أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي حق، وأنه كعيسى بن مريم لم يفكر قط في مخالفة التوراة، أو التعدي عليها، أو نسخ شرائعها[3]، ولكن نبوة محمد عليه الصلاة والسلام كانت لبني إسماعيل فقط[4].

6- يميل القراؤون أخيرا في مسائل القضاء والقدر إلى القول بالإختيار الإنساني وحرية الإرادة[5].

6- يهود الحبشة[6]: هم طائفة صغيرة تتبع الشريعة الموسوية بصورة خاصة، وتعيش في الحبشة، ويطلق عليها اسم (الفلاشة)، وهذه الطائفة نموذج حي يثبت بما لا يقبل الشك خرافة الدعوى العنصرية اليهودية، فمن الناحية الأنثروبولوجية هم أفريقيون لا يمتون إلى الجنس اليهودي، ويشبهون غيرهم من الأحباش المسيحيين والمسلمين، بل إن معظمهم أشد سوادا من لون البشرة لدى الحبشي، وهم لا يعرفون اللغة العبرية، ولا يؤمنون بطبيعة الحال بالمشناة ولا التلمود، ولكنهم يؤمنون بالكتاب المقدس، ويقيمون السبت ويحتفلون بأكثر الأعياد ويحافظون على الشرائع الخاصة بالختان والزواج والجنازة وما إلى ذلك، ولهم معابدهم الخاصة بهم، وهذه المعابد

---

(1) الأسفار المقدسة/ د. علي وافي:71.

(2) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:250.

(3) المصدر السابق:251.

(4) الأسفار المقدسة/ د. علي وافي:72.

(5) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:98.

(6) انظر الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:270،271

يقوم بالخدمة فيها كاهن يسمى (نازير)، ومن رجال الدين عندهم نوع يسمونه (كوهين) وهي كلمة عبرية، وتعني عندهم الجزار المأذون بالذبح الشرعي.

ولكن السؤال المطروح: من أين جاء هؤلاء الفلاشة إلى الحبشة؟ يقول الدكتور حسن ظاظا: لعلهم سلاسة بعض الذين تهودا في اليمن أيام الملك يوسف ذي نواس، أو لعلهم أحباش اعتنقوا اليهودية على يد بعض المتهودين من اليمن، وفي أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، قامت إسرائيل بعملية من أضخم عمليات (الخطف) في التاريخ، إذ نقلت الجانب الأكبر من الفلاشة سرا إلى فلسطين، منتهزة فرصة المجاعة والجفاف في أفريقيا، وعند وصول الفلاشة إلى فلسطين أعلنت السلطات الدينية في إسرائيل أن عليهم أن يعتنقوا اليهودية وإلا فهم كفار.

7- يهود الهند[1]: وهؤلاء يسمون بـ (بني إسرائيل)، ويقيم أكثرهم في ضواحي مدينة (بومباي).

وإقامة هؤلاء اليهود في الهند ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى، ولون هؤلاء أميل إلى البياض، وهم يؤمنون بالكتاب المقدس، ولكنهم لا يعرفون التلمود، ويقال إن السبب في تسميتهم بني إسرائيل أن كلمة يهود كانت غير محببة عند الأمم الأخرى، فلما دخل العرب الهند، ووجدوا فيها هؤلاء، ولاحظوا فيهم الاستقامة والمسالمة، لم يسموهم اليهود بل بني إسرائيل، ومعظمهم يشتغلون بالتجارة وببعض الحرف اليدوية.

8- يهود تركيا[2]: وهؤلاء يسمون بـ (الدونمة) [3]، ويتخذون الإسلام واجهة يخفون وراءها يهوديتهم، وهم أتباع المسيح الكذاب (شبتاي صبي)، المولود في أزمير عام (1626)، ويحب أتباع هذه الفرقة أن يطلق عليهم اسم (المؤمنين) أو (الرفاق)أو (المجاهدين).

(1) المصدر السابق:272.

(2) المصدر السابق:261-263.

(3) كلمة من تركيب عامي، مركبة من (دو) أي اثنين، و (نمة) بمعنى نوع، أي الفرقة القائمة على نوعين من الأصول، اليهودي والإسلامي.

وهم يسترون عن الناس كل ما يثبت أنهم يهود، لدرجة أنهم يتسمون بأسماء إسلامية لا يستعملونها في بيوتهم ولكن في الحياة العامة فقط، وهم يستعملون العبرية في صلواتهم، والتركية في حديثهم، وهم شديدو المحافظة على تراث زعيمهم شبتاي صبي وتعاليمه، ومن أهم هذه التعاليم:

1- الزواج سنة واجبة، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة بذاتها.

2- تعدد الزوجات محرم عليهم، ويستحسن عقد الزواج يوم الاثنين أو الخميس، وينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذي يبارك العروسين سبع مرات.

3- شريعة الختان قائمة عندهم ومفروضة كما عند اليهود.

4- لهم مدافن خاصة، وتختلف مراسم الحداد عندهم عنها لدى اليهود، فهي تشبه ما تعوده المسلمون، إذ يحضر الحاخام إلى البيت ويتلو ما تيسر من الأدعية والصلوات على روح الميت، وهم يقيمون العزاء على الميت يوم وفاته، وبعد أسبوع، وبعد شهر، وفي يوم الأربعين، وبعد ثلاثة أشهر، وبعد تسعة أشهر، وفي ذكرى السنة، وتنتشر في أدعيتهم وصلواتهم غير المأخوذة من الكتاب المقدس اللغة العبرية الإسبانية وتسمى بـ(اللادينو).

وعدد الدونمة آخذ في التضاؤل نظراً لقلة مواليدهم، وعدم الإهتمام الفكري بهم من جانب اليهودية العالمية، وبخاصة لأنهم يرفضون الإيمان بالتلمود أيضا، كما يرفضون الإعتقاد في مسيح مخلص آخر غير زعيمهم شبتاي صبي الذي ينتظرون عودته إلى الآن.



المبحث الثاني

الفرق المعاصرة

1- الإصلاحيون، أو (الفرقة الاصلاحية) [1]: يمكن القول إجمالا بأن الحركة الاصلاحية اليهودية جاءت نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لسببين اثنين هما:

أ- انفصال اليهود عن المجتمعات الأوروبية في مناطق خاصة سميت بـ (الجيتو)، فقد اضطهد المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد، ولم يعترفوا لهم بأية حقوق مدنية، وأجبروهم على الانفصال عن مجتمعاتهم في مناطق خاصة بهم في المدن الأوروبية سميت بـ (الجيتو). وكان الجيتو في معظم الحالات يقع في أردأ الأماكن، ولم يكن له منفذ للتوسع رغم ازدياد السكان القاطنين فيه، لذلك كان الجيتو في كل مكان غاصا بالسكان مما يسهل انتقال العدوى والأوبئة، وإقامة اليهود في مثل هذا المكان المغلق سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم، ولم يكن معقل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب، بل العيوب الاجتماعية، فكان مركز المومسات وبؤرة الفساد والدسيسة، ومقر المتعاملين بالربا.

ويرجع نظام الجيتو إلى حجة لاهوتية تذرع بها المسيحيون في اضطهادهم لليهود والحكم بالمعيشة الانعزالية، وذلك لأن اللاهوتية المسيحية تعتقد أن اليهود هم الذين قاموا بصلب المسيح وقتله، ورفضه كمخلص لبشرية. وكانت هذه النظرة اللاهوتية لليهود بمثابة القاعدة الأولى لجميع العلاقات المسيحية اليهودية، وعلى أساسها ظهرت المجتمعات المنغلقة والتي سميت بالجيتو.

إلا أن آثار الجيتو في اليهود لم تكن كلها شرا، فقد ترتب عليها نتائج حسنة، يرى اليهود أنفسهم لولاها لاضمحل كيانهم ومحيت هويتهم في المحيط الأوروبي. ذلك أن حياة اليهود مع بعضهم بعضا ضمن جدران الجيتو وتعرضهم للمصير الواحد زكى

---

(1) انظر الملل المعاصرة في الدين اليهودي/ د. إسماعيل الفاروقي:23-29.

فيهم شعلة تضامن كانت ولا تزال من أقوى وأوثق العرى، فقد أدى الجيتو إلى نشوء وعي جماعي بين اليهود انحصر في امتثال اليهودي لرؤسائه وولاءه لشعبه أشد الولاء، ومحافظته على القانون- أي التلمود- وتحقيق الواجبات المنبثقة عنه.

ففي ظل هذه الظروف التي يعيشها اليهود داخل الجيتو، ظهرت دعوات تدعو اليهود إلى الانفتاح على الآخرين، بالتخلي عن الأفكار والمعتقدات التي تجعل اليهودي منعزلا عن المحيط الذي يعيش فيه، وبالتالي لا بد من إصلاح داخلي في الشرائع والعقائد من أجل أن تقبل تلك المجتمعات خروج اليهودي من الجيتو الذي يعيش فيه.

ب- النهضة الأوروبية: الفرقة الإصلاحية لا يمكن الحديث عنها منفصلة عن ظاهرة يهودية ولدت في ظل الانغلاق والظلام الذي كان سائدا في الجيتو، هذه الظاهرة كانت تسمى (بالحسيديم) أي المتصوفين، وهم الذين وصلوا باليهودية إلى مرحلة الانحطاط الفكري والديني، فقد تعلقوا بالبدع والخرافات، وادعاء فعل الخوارق والمعجزات، وعلم الغيب، ونحو ذلك من مظاهر الدجل، وقد انتعشت هذه الحسيدية في منتصف القرن الثامن عشر.

وفي نفس الوقت الذي كانت الحسيدية تسيطر على أرواح اليهود، كان رقي العلم والثقافة في أوروبا، وظهور القوميات المستقلة، وتألق نظريات الحرية الفردية وحقوق الإنسان، هذا الرقي الأوروبي أتاح لبعض اليهود أن يأخذ بنصيبه من العلوم الحديثة، فكانت طلائع حركة الوعي الفكري اليهودي الإصلاحي[1].

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن حركة الوعي أو التنوير الفكري في أوروبا هي التي أوجدت المناخ المناسب لليهود في الانخراط في هذه الحركة، ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر، ظهرت في المجتمعات الأوروبية حركة التنوير على مبادئ خمسة، تقوم على أن عقل الإنسان هو الذي يؤهله لاكتشاف قوانين الكون، ولا حاجة للعقل بأن يرجع إلى الوحي أو المعرفة الغيبية، لإدارة حياته وشؤون دنياه، وبناء على هذه

(1) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا:264.

المبادئ، فقد اعتبر من آمن بها متساويا مع الآخر في الإنسانية والعقلانية، فبما أن الإنسان إنسان ، وله عقل، فهو جدير باستخدامه، وسارع العقلانيون المتحررون من الكنيسة وتعاليمها إلى تطبيق المبدأ المذكور في موضوع الدين، فهم اعتبروا الفرق بين الدينين المسيحي واليهودي غير ذي بال في الحياة المدنية، وقالوا: إذا كانت القرارات السياسية يجب أن يتخذها المواطنون باستخدام عقولهم، فما يهم أن يدين المواطنون بأديان مختلفة؟!(1).

وكانت حركة التنوير الأوروبية لها الأثر الكبير في إشعال الثورة الفرنسية التي أسقطت بإعلانها (لائحة حقوق الإنسان والمواطنة)، كافة القيود التي كانت السلطة الكنيسة قد فرضتها على اليهود في دول أوروبا وحجزتهم عن المشاركة في الحياة المدنية مع مواطنيهم، ومن فرنسا انتشرت الحركة بسرعة فائقة في ألمانيا وبقية الدول الأوروبية(2).

وكان الرد اليهودي الأقوى لهذا الانفتاح، من (موسى مند لسون)، والذي كان أعظم من تأثروا بأيدلوجية عصره، أي بالتفتح والعقلانية، وكان أيضا شديد التمسك بتراثه اليهودي والحرص عليه، وأول ما تطرق لذهنه أنه طالما أنه هو استطاع أن يحيا التراثين ويعرفهما حق المعرفة، فلم لا يقدم اليهود على درس مواضيع هذا العصر والتقدم بأنفسهم ودينهم إلى الأمام؟ فإلى هذا الهدف كرس مندلسون جهوده، وكان أول من قام به ترجمة التلمود للألمانية كي يتسنى لليهود الذين تعلموا الألمانية ولم يتعلموا العبرية التعرف على تراثهم وقانون حياتهم، وللألمان التعرف على الدين اليهودي، وأسس مندلسون مجلة (المجمع) لنقل الثقافة الألمانية إلى اليهود، مستهدفا تثقيف المحافظين والمسنين اليهود. وكذلك أسس (المدرسة اليهودية الحرة) في برلين للقيام بنفس الهدف.كما أصدر مندلسون كتابه الخطير (أورشليم) في موضوع علاقة الدين بالدولة، فهو يقول: أنه إذا أريد للمواطن أن يتمتع بحرية الفكر، وجب أن ينحي الدين، وتصور مندلسون الدين اليهودي كشريعة فقط، لا كعقيدة موحى بها،

(1) الملل اليهودية/ د. إسماعيل الفاروقي:33.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:149.

فالمبادئ والقصص التاريخية في التوراة ليست في رأيه من العقيدة اليهودية، فقط الشريعة، أي القانون الخاص باليهود جدير بالإيمان، والشريعة لا تقول لليهودي ما يجب أن يؤمن به بل ما يجب عليه فعله؟! لقد أراد مندلسون بهذا الموقف أن يحرر اليهودي من قيوده، وأن يبقى السلوك وحده مقيدا بهذه القيود، فالفكر يجب أن يعمل بنفسه ويتقبل ما يشاء دون إكراه[1].

ووسط هذا التحول المفاجئ وغير المتوقع واجه اليهود أزمة جادة، ذلك أنهم وبعد قرون من الاغتراب والعزلة لم يعد ميسرا لهم أن يكونوا مواطنين سواء مع غيرهم في الحقوق وفي دولة قومية علمانية لا تدين باليهودية، فكان أمر الوصول إلى صيغة متوازنة للتوفيق بين عقيدتهم الدينية، وبين المكانة السياسية والاجتماعية الجديدة التي اكتسبوها، قضية شائكة تستعصي على الحل، لقد تجاوز كثيرون هذا المأزق وذلك بالارتداد عن اليهودية واعتناق دين الأكثرية السائدة، في حين وجد آخرون أن أفضل سبيل يمكن اتباعه هو التكيف مع الظروف المستجدة ومحاولة الإندماج مع معطياتها. وهكذا رفضوا مجرد التسمية باليهودي، فلم يعد مقبولا في عرفهم أن يدعو يهوديا، بل مواطنين من أتباع الديانة اليهودية، وسرعان ما انتشرت هذه الاتجاهات المتطرفة الداعية إلى الانصهار القومي والاندماج في الدولة العلمانية في صفوف اليهود، فصاروا ينكرون علانية للمآثر الدينية والقومية المتوارثة التي ظنوها تتصادم ولا تتفق مع حركة التنوير، وكان حصيلة ذلك كله ظهور الحركة المعروفة بحركة الإصلاح، التي نبتت بادئ ذي بدء في ألمانيا ثم واصلت انتشارها المذهل في الولايات المتحدة وإنجلترا[2].

والسؤال الذي كان يجابه اليهود في ذلك الوقت هو: كيف لليهودي الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون التطويح بالأمة اليهودية والدين اليهودي؟ أو كيف لليهودي المتحرر أن يتفهم ولاءه لأمته ولتراثه القانوني والروحي؟ هذا ما يحاول مفكرو اليهود الإجابة عنه في العصر الحديث، وهو السؤال الذي انقسم اليهود في الإجابة عنه إلى

---

(1) الملل اليهودية/ د. إسماعيل الفاروقي: 35-37.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:155،156.

فرق ثلاث: الفرقة الإصلاحية، والفرقة الأرثوذكسية، والفرقة المحافظة، يقول مندلسون مواجها هذه القضية: أيها اليهودي، وافق دستور الدولة واعمل على تجميع عادات وقوانين البلد الذي تحل فيه، ولكن في ذات الوقت، كن أمينا على دين آبائك وأجدادك[1].

لقد استهدفت حركة الإصلاح اليهودية تطويع الصور التقليدية المتوارثة للحياة والسلوك لروح العصر وثقافة الأمم التي اندمج اليهود في تاريخهم ومسيرتها الاجتماعية في الحياة، ويعيد (ديفيد فردلندر) أحد أكثر تلامذة مندلسون إخلاصا لدعوته، والمؤسس الحقيقي لحركة الإصلاح، فهو المسؤول عن إرساء دعائمها وقواعدها التي لم تهجرها الحركة قط. لقد ذهب (ديفيد فريد لندر) في مسعاه إلى حدود متطرفة، وذلك يعود إلى وطأة المشاعر المؤلمة التي كانت تسببه له عقيدته اليهودية، وما تثيرها من مصاب ومشكلات له، فاندفع من أجل تطوير اليهودية وفق منهج قصد به إسقاط كل الخصائص القومية عن اليهودية، والتي من شأنها في اعتقاده أن تعيق قيام علاقات سوية بين اليهود ومواطنيهم من رعايا الدول التي كانوا يقيمون فيها، أو تشكك في إخلاصهم الوطني، فدعا إلى إلغاء كافة الصلوات الدينية التي تعكس سمة قومية، وطالب باستبدال اللغة العبرية بالألمانية كلغة للصلاة، وأداء الطقوس والمراسيم الدينية الأخرى بها[2].

والحقيقة أن الحركة الإصلاحية لم تصبح حركة منظمة وقادرة على التطوير في المضامين وليس في المظاهر فقط إلا على يد الحاخام اليهودي (إسرائيل جاكبسون)، الذي أسس أول كنيس يهودي للإصلاح، فقد جرى في هذا الكنيس ولأول مرة في تاريخ اليهودية أداء الصلوات والطقوس الدينية وفق صيغ المسيحية وتقاليدها الكنيسية، كذلك تضمنت بدعة جاكبسون، أداء المراسيم والاحتفالات باللغة الألمانية والاستعانة بفرق المنشدين (الكورال الكنسي)، واستخدام الأورغن، على غرار ما هو قائم في الكنائس المسيحية.

---

(1) الملل اليهودية/ د. إسماعيل الفاروقي:41.

(2) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:156،157.

ومع تقادم الأيـام قويـت حركـة الإصلاحيـين وازدادت تطرفـا وعنفـا، فـأقدم أتباعها على تطبيق ما كان قد بشر به (فريد لندر)، فأجروا تحويلات جوهرية في جميـع الصلوات ومضامينها القومية، وهكذا غيرت الصلاة من أجل العودة إلى أرض الميعاد وتبشر بالخلاص القومي المرتقب لليـهود، لتعـني نشـدان الخـلاص العـام للبشـرية جمعاء. وغُير مفهوم (المسيح المنتظـر الموعـود) وأفـرغ مـن دلالتـه التاريخيـة والقوميـة ليصبح دعوة إلى بداية عصر إنساني ينعم فيه الجميع بالعدل.

كذلك أعلن الإصلاحيون جوازا دخول الإناث في العقيدة ومع ظهور كل من (صموئيل هولدهايم) و(إبراهيم جايجر) قـادة وزعمـاء للحركـة الإصلاحيـة، بـدأت الحركة تتخذ مسارا أشد تطرفا وغلوا فقد صرحا: بأن اليهودية عقيدة دينية وأخلاقية، ليس فيها ما يشير إلى خصائص قومية، ومن هنا فقـد عمـلا إلى إلغـاء كافـة الأحكـام الشرعية والطقوس الدينية التي أريد لها أن تميز اليهود عن سائر الأمم والطوائف.

وهكذا أقدم صموئيل هولدهايم على اسـتبدال السـبت اليـهودي ومراسـيمه بالأحد المسـيحي وطقوسـه، وألغـى الاحتفـال بـاليوم الثـاني لشـهور القمـر الجديـد وولادته، وسمح باختلاط الجنسين أثناء مراسم أداء الصلوات من غير غطـاء الـرأس والشال الذي يوضع على الكتف، واستبعد اللغة العبرية عن الطقوس الدينية، وأبطل استخدام (البوق) إيذانا بالعام الجديد، ورفـض التمـائم والأدعيـة، بدعـوى أن هـذه الممارسات ترتد إلى أيام الهيكل القديم، ولا تتفق مع عقلانية العصر.

أما إبراهام كايجر، فقد أنكر فيها الأصل الإلهي للأسفار الخمسة، ورفض الاعتراف بالأحكام الشرعية الثابتة وحيا من السماء، وناصر الدعوة إلى إلغاء (الإختتان).

وانطلاقا من اعتقاده بأن اليهودية لا تدل إلا على طائفة دينيـة مجـردة عـن أيـة خصائص قومية، فقد بشر بمفهوم عالمي مجرد عـن كـل مضمـون قومـي، ولهـذا فقـد أسقط من كتاب الصلوات كافة الأدعية والصلوات التي تتضمن الدعـوة إلى اسـتعادة بناء الدولة اليهودية في فلسـطين، وكذلـك كـل إشـارة إلى الأمـل القومـي المنتظـر في اجتماع يهود الشتات وعودتهم إلى أرض الميعاد، وبين بأن هذه المعالم القومية أمور قـد بادت وانقرضت واختفى مضمونها عن الوعي اليهودي بإطلاق.

إن إنكار قادة حركة الإصلاح لشرعية التوراة وقدسيتها قد فتح المجال واضحا أمام ظهور الاتجاهات الفردية، مما أنتج بدوره اختلافا كثيرا في صفوف الإصلاحيين حول ماهية اليهودية ومعالم السلوك في الحياة[1].

إن انفصال الإصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يأت سوى في سنة 1885، حيث عقد مؤتمر في مدينة (بيتسبورج) سمي باسمها فيما بعد، وفي هذا المؤتمر عرض الحاخام الإصلاحي (كوهلر) قائمة ليتبناها المؤتمر كدستور نهائي لحركة الإصلاح، وبناء على هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات يمكننا تلخيص مبادئ وتعاليم هذه الحركة بما يلي:

1- إنكار نظرية المسيح المنتظر، وتأويلها بأنها نظرية الأمل الإنساني لتحقيق الحق والسلام بين البشر.

2- إعادة تأويل تدمير الدولة اليهودية الثانية على أيدي الرومان، واستبدال معناها التقليدي بـ: أن اليهود شردوا في أقطار العالم كي يحققوا رسالتهم الإلهية، وأنهم شردوا ليحققوا تلك الرسالة بين البشر لا انفصالا عنهم.

3- إنكار الأمل وبالعودة للطقس القرباني والكهنوت الروماني، أي الأمل بالعودة إلى بناء الهيكل.

4- إنكار ما سموه ب (نظرية بعث الجسد)، وإنكار العذاب بعد الموت.

5- إقامة الصلوات باللغات القومية.

6- تأويل فكرة (الشعب المختار)، بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق.

7- تعديل قوانين الربابنة المختصة بالزواج والطلاق.

8- الكتاب المقدس هو أعظم وثيقة أوجدها الإنسان، وينطوي هذا المبدأ على أمرين اثنين هما[2]:

---

(1) اليهودية/ د. عرفان عبد الحميد:157-161.

(2) الملل اليهودية المعصرة / د. إسماعيل الفاروقي:54-58.

أ- أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله، بل من صنع الإنسان، وهذا الكتاب كالإنسان يتضمن الروعة والحسن والضعف.

ب- إذا كان الكتاب المقدس هو أعظم الوثائق فإن هذا لا يعني أنه أوحدها، فوثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة بتاتا، بل هي من نفس النوع كالكتاب المقدس، وإن قلت عنه درجة في الروعة والحسن والخطأ والضعف.

9- الكتاب المقدس وثيقة سجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه لتحقيق رسالته، ككاهن للإله الواحد، وهذا يعني تنازل الإصلاحيين تنازلا نهائيا عن فكرة الوحي الكلامي، وأرسوا قاعدة: أنه أقوى معبر عن المعاني الدينية الأخلاقية.

10- المفاهيم الإصلاحية ضرورية لأي شيء في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي، وعدم الاعتبار إلا لتلك الطقوس والشعائر التي تقدس الحياة، أما التشريعات الباقية والتي لا تلائم فلسفة هذا العصر الحديث ومدنيته، فهي مرفوضة.

11- عدم الالتزام بالتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب، وفي الملبس وطهارة الكهنة.

12- وجوب تعاون الحركة الإصلاحية مع الأديان الأخرى، خاصة مع الدينيين السماويين المسيحية والإسلام.

13- يقيم الإصلاحيون شعيرة (السبت) في مساء الجمعة بدلا من السبت، وذلك لأنهم لم يريدوا أن يتقيدوا بعدم مزاولة أعمالهم يوم السبت.

14- يستعمل الإصلاحيون البنوك الخشبية الطويلة للجلوس في الكنيس باختلاط الجنسين، ويتخلل عبادتهم العزف على الأورغن، وغناء الأناشيد من قبل كورال يتألف من الرجال والنساء والصبيان والبنات.

15- عدم إلزام أتباعهم بوضع (اليارمولكا) أو غطاء الرأس الصغير، ولا يلزمون نساءهم بغطاء رؤوسهن أثناء الصلاة.

16- عدم الالتزام بلبس الشال أثناء الصلاة، لكنهم لا يمانعون من يرغب في الامتثال لهذا التقليد.

ويسكن معظم أتباع الفرقة الإصلاحية الولايات المتحدة وكندا، ولهم فروع في أوروبا الغربية، إلا أنها ضئيلة العدد، أما في أمريكا الشمالية فللفرقة (700)كنيس، ويتراوح عدد أعضائها بين المليون ونصف والمليونين، وهنالك (850) حاخاماً ينتمون للفرقة الإصلاحية[1].

أما عن موقف الفرقة الإصلاحية من الحركة الصهيونية، فقد حذفوا من مبادئهم فكرة أن اليهود قومية، وحذفوا كل ذكر ودعاء بالعودة إلى صهيون. وبالرغم من هذا الموقف المبدئي، وجد في صفوف الإصلاحيين حاخامات دافعوا عن الصهيونية، وجعلوا من أنفسهم ابواقاً لها داخل صفوف الإصلاحيين، وحاول هؤلاء جر الفرقة بكاملها إلى المعسكر الصهيوني، ولكنهم لم يفلحوا إلا في سنة 1943، عندئذ وتحت ضغط الحرب العالمية الثانية، وأخبار تقتيل اليهود على يد النازيين في أوروبا، استطاع الصهيونيون إقناع المؤتمر المركزي للربابنة الإصلاحيين بإقرار أول قرار ملائم للصهيونية، ونص هذا القرار أن لا ثمة تناقض بين الصهيونية والمبادئ الإصلاحية. أما المجتمعات الإصلاحية، فقد قرر مؤتمرها المنعقد سنة 1937، بعد اربع سنوات من تولي هتلر الحكم في ألمانيا، بأن واجب اليهود جميعاً أن يساعدوا في بناء فلسطين كوطن لليهود، وذلك ليس بمحاولة جعلها ملجأ لليهود والمضطهدين فحسب، بل مركزاً للثقافة اليهودية والحياة اليهودية الروحية، ولكن هذا لم يفعل أكثر من إزالة معارضة الإصلاحيين للفكرة والبرامج الصهيونية، فهو لم يدفع بالفرقة جميعها إلى المعسكر الصهيوني، ولعل أهل فرع من فروع الفرقة الإصلاحية قاوم الصهيونية، الكنائس الداخلة في المجلس الأمريكي للدين اليهودي، والذي يرأسه الحاخام (المربرجر) الشهير الذي ألف كتباً عدة ضد الصهيونية[2].

2- **الفرقة المحافظة:** كانت أوروبا الغربية، لاسيما ألمانيا، المسرح الذي قامت فيه الحركات اليهودية في القرن الماضي، والتي نشأت عنها الفرق اليهودية المعاصرة.

---

(1) المصدر السابق:57.

(2) المصدر السابق: 115-117.

فالإصلاحيون والأرثوذكس، شعروا بأنه لابد للدين اليهودي أو لشعائره من بعض التغيير مجاراة للعصر، ومع أنهم اختلفوا في مدى هذا التغيير وفحواه، اقتنع معظمهم بأن لابد من محاولة جديدة لإقناع شباب اليهود الجامعيين بأن الدين اليهودي يصلح للعصر الحديث، ولاشك أن المثقفين اليهود الذين اختلطوا بالمسيحيين مالوا إلى مبادئ الدين الأخلاقية أكثر مما مالوا لشعائره الدقيقة التي ورثوها عن الآباء والأجداد، وطبيعي أن يعتقد هؤلاء المثقفون اليهود بأنها المبادئ الأخلاقية، لا الشعائر والقوانين الدقيقة، هي التي تجعل الدين اليهودي مجارياً للعصر والمدنية.

ولكن هناك بون شاسع بين أكثر الأرثوذكس تقدمية وتفتحاً وبين الإصلاحيين، وكان لابد أن يوجد أناس لا يجدون لهم محلاً لا بين هؤلاء ولا بين أولئك، ولعل (جايجر فيليبسون) و (صموئيل كاهان) كانا يشيران إلى أولئك المتوسطين بين الأرثوذكس والإصلاحيين عندما قالوا عن هؤلاء: أولئك بين بين، يحاولون دمج الأفكار التقليدية السائدة، بالتي يأتي بها التأمل العميق.

والواقع أنه يمكن وصف رجال الوسط بأنهم يتخذون خطوة واحدة أكثر من الأرثوذكس في اتجاه الإصلاح، لكنهم يأبون اتخاذ الخطوة الأخيرة في نفس الاتجاه التي يمكنها أن تدفع بهم إلى معسكر الإصلاحيين"[1].

والحق أن دعوة المحافظين لم تتبلور كمنهج وسطي إلا على يد (زكريا فرانكل)، والذي كان في بداية أمره يناصر الإصلاحيين إلى أن انعقد مؤتمر فرانكفورت من قبل الإصلاحيين عام 1845، والذي جرى فيه نقاش حول اللغة العبرية، وضرورة إلغائها، لأن تأكيد المحافظة عليها ينتهي إلى القول بأن اليهودية ديانة قومية، وقد أدى هذا الاستعداد من قبل الإصلاحيين للتخلي عن اللغة القومية إلى انشقاق (زكريا فرانكل) عن الآخرين وقيامه بتأسيس (مدرسة الوضعية التاريخية)، التي فصلت فصلاً تاماً بين الدعوة إلى حرية البحث والاستقصاء التاريخي في عقائد اليهود، وماضيهم الغابر، وبين مراعاة الشريعة اليهودية والتقاليد القومية المتوارثة باعتبارهما معاً نتاج خبرة تاريخية

(1) المصدر السابق: 81-83.

مشتركة تراكمت عبر العصور وميزت اليهود عن غيرهم[1].

وحاول زكريا فرانكل تعريف الموقف المتوسط من خلال نقده لمنهاج الأرثوذكس، وكذلك لمنهاج الإصلاحيين، وكان ذلك من خلال تأكيده: أن الدين اليهودي دين تقدمي، يستطيع أن يجاري العصر، ولكن من دون الإصلاح السلبي الذي يؤدي إلى انحلال الدين، فالدين اليهودي له مقومات داخلية ثابتة في استمراره عبر العصور وتقدمه، وهذا التقدم إذا أريد له الاستمرار فلابد من البحث العلمي المستند على أسس تاريخية وضعية.

ويستند موقف فرانكل إلى يقينه بأن الدين اليهودي هو التعبير الديني لروح الأمة اليهودية، وهو بمثابة إجماعها الشعبي العام، وعليه فيجب أن لا تثار مسألة عما إذا كان القانون من أصل سماوي أو أرضي؟ فطالما أن القانون يعبر عن هذا الإجماع الشعبي العام يجب أن يبقى ساري المفعول، حتى وإن كشف البحث التاريخي العلمي بأن وظيفة أو شعيرة ما لم تكن يهودية الأصل بل اخترعت لغرض نشأ، فالمقياس الذي يجب أن نقيسه هو تحقيق تلك الوظيفة أو الشعيرة لإجماع يهودي شعبي عام.

فزكريا فرانكل لم تكن تعنيه أصول وتاريخ الديانة اليهودية الحقيقية، بقدر ما كان يعنيه تحقق الإجماع الشعبي في كل أمر من الأمور، ولذلك قال بصراحة: أن مبدأ تسلم موسى التوراة الشفهية على طور سيناء خرافة ابتدعها الربابنة كي يضفوا لوناً من المصداقية على ما أقره الإجماع الشعبي[2].

ويمكننا القول بأن فرانكل كان يريد من هذا المبدأ التقريب بين الطرفين المتخاصمين بهذه الطريقة الجديدة، إلا أنه، خلافاً لما كان يرجوه، أسس فرقة ثالثة سميت بفرقة المحافظين.

وعقائد وتعاليم فرقة المحافظين يمكن تلخيصها بما يلي[3]:

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 161، 162.

(2) الملل اليهودية المعاصرة / د. إسماعيل الفاروقي 84-86.

(3) المصدر السابق: 91-98.

1- إقامة الصلوات والوعظ باللغة التي يفهمها العابدون، فإن لم يفهموا العبرية، يجب أن يسمح لهم باستعمال اللغة التي يفهمونها، لذلك دعوا إلى إضافة اللغة الإنجليزية إلى العبرية في الصلوات والأدعية، باعتبارها الأكثر استعمالاً.

2- يجب حذف القراءات المطولة والأناشيد الخليعة أو المدروشة من الكنيس وجعل الصلاة والطقوس الأخرى على جانب عظيم من الحشمة والرزانة والاحترام، مما يتفق مع التعبد.

3- يجب تربية اليهوديات تربية دينية وإشراكهن في أعمال الكنيس وبقية الطقوس على قدم المساواة بالرجال، ولذلك دعى المحافظون إلى اختلاط الجنسين في مقاعد الكنيس، ونظموا هذه المقاعد حسب النظام المتبع في الكنائس المسيحية.

4- يجب التقيد بالقوانين المأكلية والطقوس السبتية، وذلك حتى ينفذ الدين اليهودي إلى البيوت والحياة العائلية، كما أنه يجب على اليهود تشجيع أبنائهم على تعلم العبرية إن لم يكونوا يعرفونها.

5- القول بما سماه المحافظون بـ (كلال يسرائيل)، وهو شعار رفعه المحافظون ويقوم على ثالوث هو مقومات الأمة اليهودية، ويتكون هذا الثالوث من: الشعب الإسرائيلي، والتوراة، والإله، وهذه المقومات كلها متساوية، إذ لا يتصور الشعب الإسرائيلي دون الإله والتوراة، ولا إله دون التوراة والشعب، ولا التوراة دون الشعب والإله. فالأقانيم الثلاثة تساوي في مجموعها وحدة عضوية هي الأمة اليهودية أو (كلال يسرائيل).

فبينما أظهر الإصلاحيون الشعب على التوراة وعلى الإله، وأظهر الأرثوذكس الله والتوراة على الشعب، فإن المحافظين ساووا وعادلوا بين المقومات الثلاثة، ويترتب على هذا المبدأ الإدانة اللازمة للإصلاحيين لإبعادهم تطلع اليهود إلى العودة لصهيون.

فالنواحي القومية والسياسية في التاريخ اليهودي أصبحت من مقومات هذا التاريخ، فالتوراة والتلمود وكل الأدب الديني، يتكلم عن مأساة إسرائيل في المنفى، وبعدهم عن وطنهم الأصلي في الأرض المقدسة، وإنه لمن عدم الصدق للتراث والتاريخ اليهودي أن يحذف أمل اليهود بإحراز وطن جغرافي مادي، وأن يحرم اليهود

في شتى أنحاء العالم من المكاسب التي تترتب على إحرازهم هذا الوطن.

6- يعتقد المحافظون أن القانون (التلمود) يجب أن يفحص من جديد على ضوء حاجات الشعب اليهودي الحاضرة، وأنه، إن لزمه تعديل، أن يعدل حسب الطريقة التي عدل وتطور فيها في الأزمنة القديمة.

7- الوحدة في التنوع، أي جمع اليهود ضمن إطار واحد، والإبقاء على تنوع فكرهم الديني وحاجات مجتمعهم.

8- الالتزام بلبس القبعة والشال (اليارمولكا والتاليت) أثناء الصلاة.

9- وافقوا الإصلاحيين في استعمال (الكورال) في الأناشيد الدينية والصلوات، ولكنهم طالبوا بأن يكون المنشدون أكثر تدريباً وتأهيلاً، ومنعوا استعمال الأورغن في الصلوات، وكذلك في أن يكون بين المنشدين أو المغنين من غير اليهود، وهم بذلك خالفوا الإصلاحيين، الذين أجازوا استعمال المسيحيين لهذا الغرض.

10- مساعدة إستيطان اليهود في فلسطين، فقد استطاعت الحركة الصهيونية أن تندس في صفوف المحافظين وتبث دعايتها بينهم، إلى أن أصبح المحافظون كلهم يعطفون على الحركة الصهيونية في فلسطين. وساعد هذا التحول ما آمن به المحافظون من مبدأ (كلال يسرائيل)، وما ركزه هذا المبدأ من توجيه واهتمام بالأمة اليهودية في العالم.

11- رفضت فرقة المحافظين عقيدة البعث والقيامة، وإن هي آمنت بخلود النفس البشرية[1].

هذا وتتألف الفرقة المحافظة من حوالي مليون ونصف مليون عضو في أمريكا، ومن نصف مليون عضو آخر يعيشون في بقاع الأرض.

ولهذه الفرقة مجلس ربابنة يسمى (المجلس الرباني لأمريكا)، وهو يجمع على الأقل مرة في السنة لبحث شؤون الفرقة، وكذلك لها (مجلس اتحاد كنائس المحافظين) في أمريكا، ووظيفته أن يوحد كلمة المحافظين في جميع الأوساط والمستويات[2].

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 166.

(2) الملل اليهودية المعاصرة / د. إسماعيل الفاروقي: 96، 97.

3- الفرقة الأرثوذكسية، استعملت كلمة (أرثوذكسية) لأول مرة في تاريخ الدين اليهودي سنة (1808)، وكان أول من استعملها الإصلاحيون ناعتين بها المحافظين الذين كانوا يعارضونهم في دعوتهم للإصلاح، والواقع أن استعمال هذه الكلمة من قبل الإصلاحيين خطأ، وذلك أن كلمة أردثوذكسية تعبير مسيحي، ينطبق على المسيحية فقط. ومع ذلك فقد تقبل معارضو الإصلاح هذا النعت وأخذوا يسمون به أنفسهم فيما بعد.

وعلى كل حال، فإن نشأة الفرقة الأرثوذكسية كانت في يهود أوروبا الغربيين والشرقيين، عندما انجذبوا إلى العلوم العصرية والتقدم من جهة، وإلى تراثهم القديم من جهة أخرى.

وكان أول من قدم الموقف الأرثوذكسي وشرحه ودافع عنه هو الحاخام (شمشمون رفائيل هرش)، الذي ولد في ألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الإصلاحي فيها أشد المعارضة، وأسس فيها مدرسة لتدريس التلمود ليناهض مسعى الإصلاحيين، وقد تلقى هرش دروس التلمود في هذه المدرسة ونشأ محافظاً كأبيه. واتخذ هرش موقف الداعي إلى تغيير بطيء متدرج حسبما ألفه التراث اليهودي نفسه، وبدلاً من رفض الطقوس اليهودية وتشريعات التلمود، حاول أن يبعث فيها الحياة بإيجاد معان ووظائف جديدة لها، وألف في هذا الصدد عدداً من الكتب[1].

وقد أعلن هرش مبدأ الاعتزال أو الهجرة، قاصداً به ضرورة انفصال اليهود الأصوليين عن المجتمعات والهيئات التي تسود فيها النزعة الإصلاحية، وتأسيس مجتمعات خاصة بهم، وعلى الرغم من استجابة عدد قليل من الهيئات لدعواه هذه، فإنه استطاع تأسيس جماعته الأصولية الملتزمة بمبادئه في (فرانكفورت) وعمل على تطويرها، لتتحول من بعد إلى منظمة دينية قوية لها مدارسها الحديثة[2].

والتصور الذي قامت عليه مبادئ هرش: أن واجب العصر هو بناء علاقة جديدة بين التوراة وحضارة القرن التاسع عشر، ولا يختلف هذا التصور عن تطور

(1) المصدر السابق: 62، 63.

(2) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 163.

الإصلاحيين في ظاهره، إلا أنه في جوهره فيه إختلاف واضح، فالإصلاحيون إتخذوا أفكار وقيم الحضارة المعاصرة كمعيار ثم قاسوا بها التوراة وأحكامها فتقبلوا البعض ونقضوا البعض الآخر، بينما الأرثوذكس اتخذوا التوراة كمعيار تقاس بها أفكار وقيم الحضارة المعاصرة، ورأوا أن أفكار وقيم التوراة خالدة، بينما أفكار وقيم الحضارة المعاصرة وقتية ولابد لها من التغير، أما الإصلاحيون فقد اعتبروا الحضارة الأوروبية كأعلى مرحلة من مراحل التقدم البشري، ورأوا أن على الدين اليهودي إما أن يتفق معها أو يموت[1].

ويمكننا تلخيص أهم عقائد وتعاليم الفرقة الأرثوذكسية بما يلي[2]:-

الدين اليهودي ليس عقيدة كما هو الحال في المسيحية، فالخلاص، ليس بالإيمان، بل بالعمل، فالدين اليهودي نظام حياة قبل أن يكون عقيدة.

2- مصدر التوراة هو الله، فهو صانعها ومؤلفها وكاتبها حرفاً بحرف، والتوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس كما هو اليوم، سلمها الله لموسى تسليماً يداً بيد، عندما أظهر نفسه على شعبه (إسرائيل) المجتمع في أسفل الطور. وفي الوقت نفسه سلم توراة أخرى، غير مكتوبة (شفوية)، وهي مجموعة القوانين والنظم والترتيبات التي دونت فيما بعد، بعد أن تناقلها الإسرائيليون شفهياً جيلاً بعد جيل. وقد كان محرماً وضع هذه القوانين في كتاب، ولكن عندما تعرضت للخطر بسبب تضعضع أحوال إسرائيل السياسية، سمح البربابنة بتدوينها في (المشناه)، بالإضافة إلى القوانين والأنظمة والترتيبات التي توصل إليها الربابنة بطريق التفسير وهي (الجمارا)، وتكون من (المشناه) و (الجمارا) ما يسمى بـ (التلمود).

3- الأرثوذكس يعتبرون (التلمود) نظام معياري للحياة، أي للدين والدنيا معاً، ويؤمنون بتطويع جميع طاقات اليهودي لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات.

---

(1) الملل اليهودية المعاصرة / د. إسماعيل الفاروقي: 67.

(2) المصدر السابق: 75-78.

4- يؤمن الأرثوذكس بمصدر التوراة الإلهي، وعلى هذا الاعتقاد يبني الأرثوذكس قولهم: أنه بما أن التوراة مستمدة من الإله، والإله أزلي، فإنها أزلية، تطبق على مدى العصور وفي جميع الأمكنة بدون أي تغيير أو تبديل، وعليه يؤمن الأرثوذكس أنه يجب أن تتغير الحياة لا القانون حين يتعارض القانون والحياة.

5- الأرثوذكس يؤمنون بإمكانية التعايش مع غير اليهود، والتوراة تأمر بذلك، ولكن بشرط أن ينصاع كل شيء إلى مبادئها وقوانينها.

ولعل أقوى ملة أرثوذكسية يهودية في العالم هي الموجودة في (إسرائيل)، وذلك لا لعدد أفرادها، أو لتمسكهم العنيد بالتوراة والتلمود، بل لتمتعهم بالدعم السياسي والحكومي للدولة، فالدولة الإسرائيلية لا تعترف بأية ملة سوى الأرثوذكسية. ويجب أن لا يفهم من إتباع إسرائيل كمجتمع ودولة للأرثوذكسية، أن الإسرائيليين كلهم يؤمنون بالمبادئ الأرثوذكسية، فالحقيقية أن إسرائيل وإن تمسكت بشعائر الذبح، وشعيرة السسبت، بتعطيل أعمال الحكومة وحركة المواصلات وإغلاق المتاجر من مساء الجمعة حتى مساء السبت، لا تتوانى عن الضرب بالتوراة وقوانينها عرض الحائط عندما تتعارض هذه مع مصلحتها السياسية والعسكرية[1].

أما عن موقف اليهود الأرثوذكس من الصهيونية، وهجرة اليهود إلى فلسطين بانتظار خلاص اليهود على يد المسيح المنتظر، فقد انقسموا إلى قسمين:

1- المنظمة المزراحية، وهي التي تقبلت الحل السياسي لمشكلة خلاص اليهود بدل الحل المعجز على يد الإله (بظهور المسيح المخلص)، فقد تبنى المزراحيون فكرة الصهيونية بقيام دولة إسرائيل، كبديل للمخلص (المسيح المنتظر).

2- جمعية (أجودات إسرائيل)، التي أصرت على أن خلاص اليهود لن يتم بطريقة السياسة (بقيام دولة إسرائيل)، وإنما لابد له من العمل المعجز الإلهي عن طريق انتظار المسيح المخلص[2].

---

(1) المصدر السابق: 79، 80.

(2) المصدر السابق: 117.



الفصل الرابع

عقائد اليهود

المبحث الأول: عقيدة اليهود في الله

المبحث الثاني: عقيدة اليهود في النبوة والأنبياء

المبحث الثالث: عقيدة اليهود في اليوم الآخر والمسيح المخلص


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الأول

عقيدة اليهود في الله

كانت الديانة اليهودية في أصلها، كما ينبئنا بذلك القرآن الكريم، ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمال، والتجرد من جميع مظاهر النقص، والمخالفة للحوادث في كل شيء.

ولكن يظهر من استقرار تاريخ اليهود أن بني إسرائيل أهملوا المصدر الحقيقي للعقيدة وهو السماء، وانساقوا خلف مصادر أخرى، فهم لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم، وتُعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم، وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد[1].

فالقرآن الكريم يحدثنا أن بني إسرائيل لم تقو عقولهم في بداية الأمر على فهم الذات الإلهية الفهم الصحيح، وظنوا أنه من الممكن رؤيتها، بل علقوا إيمانهم بموسى ورسالته على رؤيتهم لله تعالى، وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[2]. وينبئنا كذلك القرآن الكريم أنهم لم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته، وطلبوا إلى موسى حينما رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، أن يجعل لهم إلهاً يحسونه كما يحس هؤلاء آلهتهم، وفي

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 173.

(2) البقرة: 55

هـذا يقـول القـرآن الكريـم: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾[1]. وينبئنا كذلك القرآن الكريم بالإضافة إلى أسفار التوراة، أنهم في أقدم عصورهم قد ارتدوا عن عبادة الله أكثر من مرة، فعبدوا العجل تارة، والأصنام تارة أخرى، ويظهر مـن التـأمل في أسفار التوراة، أن فكرة الألوهيـة ظلـت مضطربـة في عقولهـم، فتصـوروا الله تعـالى في صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكـذب والغفلـة والجـهل، وأشركوا معه آلهة أخرى، وارتدوا أحياناً إلى عبادة الأصنام والحيوان[2].

ويمكننا القول من خلال النظر إلى التوراة والتلمود ومـا تضمنتـها مـن مفـاهيم تتعلق بالألوهية، أن مفهوم الألوهية قد مرَّ بمراحل تاريخية وهي:

1- مرحلة تدوين توراة موسى عليه السلام، ومن أهم سمات وملامح هذه المرحلة:

أ- **تعدد الآلهة:** فنصوص توراة موسى تشير إلى إله إسرائيل وحدها، والذي يجـب على اليهود عبادته دون غيره من الآلهة، وهذا يعني أن فكرة تعدد الآلهة ووجود آلهة أخرى غير الله وجدت لها طريقاً في الفكر العقائدي عند اليهود، فقـد جـاء في سفر الخروج (1: 9): ثم قال الرب لموسى أدخل على فرعون، وقل له كذا، قال الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني.

ب- **التأثر بمعتقـدات الكنعـانيين**، فمفـهوم الألوهيـة في نصـوص تـوراة موسـى، تصورها بصورة الإله الموجود في أساطير وملاحم (أوغاريت) عند الكنعـانيين، فيعقوب عليه السلام دخل في صراع مع الله كمـا جـاء في سـفر التكويـن (32: 24-26): وبقي يعقوب وحده فصارعه رجـل إلى مطلـع الفجـر، ورأى أنـه لا يقدر عليه فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعتـه لـه، وقـال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك أو تباركني.

جـ- **الاختلاط بالوثنية:** إن مفهوم الألوهيـة كـان مضطربـاً في هـذه المرحلـة عنـد اليهود، حتى وصل بهم الأمر أن يجعلوا نبياً مـن أنبيـاء الله هـو يعقـوب عليـه

(1) الأعراف: 138، 139.

(2) الأسفار المقدسة / د. علي وافي، 26، 27.

السلام يقبل بوجود الأوثان والأصنام في بيته وبين أبناءه، وهذا ما ذكره سفر التكوين (31: 25-34)، لذا لم يجد بنو إسرائيل غضاضة في العودة إلى الوثنية من جديد عندما كان موسى عليه السلام معتكفاً في جبل سيناء يتلقى وحي الله، فأتوا إلى هارون عليه السلام، كما جاء في سفر الخروج (32: 3-5) وقالوا: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا....فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر.

ولكن القرآن الكريم يبرئ هارون من التهمة التي ألصقتها به التوراة في أنه هو الذي صنع العجل، فقد بين القرآن أن الذي صنعه رجل ضال اسمه السامري فقال عز وجل ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾[1].

وهذا يدل على أن الوثنية القديمة المتأصلة فيهم منذ خروجهم من مصر لا تزال بقاياها وجذورها تسكن في قلوب بني إسرائيل، والمتمثلة في اعتقادهم بوجود أرواح في بعض الصخور[2]، إضافة إلى عبادة العجول التي لا تزال حية في ذاكرتهم منذ خروجهم من مصر[3]، ولكن غضب موسى الشديد، وكذلك الوسائل التي اتبعها لفرض عبادة إله واحد لم تفلح، حيث نجد بني إسرائيل يغتنمون كل فرصة مواتية للعودة إلى عبادة الآلهة الأخرى ومنها (بعل) أحد آلهة الكنانيين[4].

---

(1) طه: 85-88.

(2) السامريون اليهود / د. سيد فرج راشد: 44.

(3) قصة الحضارة / ول ديورانت: 2: 338.

(4) لغز عشتار / فراس السواح: 364.

وهذا ما جاء في سفر العدد (25: 1-4): وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب، فدعوا الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فحمي غضب الرب على إسرائيل.

د- **إظهار الرب بمظهر الضعف وتصويره بصفات البشر:** فالله حسب مفاهيمهم مثله مثل المخلوق يأكل ويشرب ويندم ويصارع، إلى غير ذلك من المظاهر والصفات التي لا تليق بعظمة الله وقدرته.

وتبدأ مفاهيمهم الفاسدة مع النصوص التي جاءت تتحدث عن عملية خلق الكون، فيقولون بأنه بعد إتمام عملية الخلق احتاج الرب ليوم سابع للراحة وكان يوم سبت كما جاء في سفر التكوين (2: 1-3). والرب عندهم يتجسد ويسير في الجنة ليتفقد آدم وحواء، وهو يتصف بالغفلة والجهل وعدم الإحاطة والعلم، وهذا ما جاء في نص من نصوص التكوين (3: 8-11).

يضاف إلى ذلك تصويرهم للخالق بأنه قد يتراجع أو يندم على ما كان قد فعله، كما تندم على إيجاد الإنسان على وجه الأرض (التكوين: 6: 5-6).

2- مرحلة ما بعد موسى عليه السلام، ومن أهم سمات هذه المرحلة كما تصورها التوراة:

أ- **تصوير الله بأنه (إله الحرب والجازر):** فالرب في هذه المرحلة هو إله الحرب والجازر، فالرحمة مفقودة، والدعوة إلى القتل والتدمير هي الأساس، ونصوص سفر (يوشع) مليء بهذه المفاهيم القاسية التي تدعو إلى الوحشية بكل معانيها، ومن ذلك مثلاً ما أوردته عن دخولهم لمدينة أريحا عندما قتلوا كل الرجال والنساء والأطفال حتى البهائم (يوشع: 6: 20-24).

وهكذا أصبح إلههم (يهوه) في نظرهم إلهاً للجيوش، وهو شبيه بآلهة الإلياذة عند اليونان[1].

---

(1) قصة الحضارة / ول ديورانت: 2: 343.

ب- العودة إلى الوثنية وعبادة آلهة الكنعانيين: وقد تأثر اليهود في هذه الفترة بالكنعانيين، خاصة بعقائدهم الوثنية وعبدوا آلهم العديدة، ويوضح سفر القضاة في التوراة تاريخ تلك الفترة، وبين مدى الانحطاط الخلقي الذي أصاب بني إسرائيل في ذلك العهد وارتدادهم عن عبادة الله سبع مرات على الأقل، عبدوا فيها الأوثان مثل البعل وعشتاروت وشيدوا لها المعابد وقدموا لها القرابين والنذور لدرجة أنهم قدموا الأبناء والبنات لهذه المعابد قرباناً لها[1].

لهذا نجد أن بني إسرائيل يتوجهون بشكل رئيسي إلى بعل وعشتاروت وينسون (يهوه)، حتى تأتي فترات لا يذكر فيها أحد اسمه، لأن الجميع يتوجهون بالعبادة إلى بعل وعشتاروت ويتركون عبادة يهوه نهائياً.

3- مرحلة داود وسليمان عليهما السلام: فمفهوم الألوهية في عصري داود وسليمان عليهما السلام - كما ترسمه التوراة- ظل مضطرباً غامضاً يدل على أن مفهوم الألوهية كما بشر به الأنبياء لم يدخل في قلوبهم، بل ظلوا في تصورهم القديم القائم إما على الوثنية وعبادة غير الله أو التجسيد، وتصوير الله بصورة المخلوق، ومن أهم مميزات هذه الفترة كما دونته التوراة:

أ- حاجة الإله إلى بيت يرتاح فيه: عندما نقرأ بعض أسفار التوراة التي تذكر أهم ما دار في عهد داود عليه السلام من أحداث، نجد أن الإله يريد بيتاً يرتاح فيه من التجوال والمعيشة في الخيمة؟! ويعلن رضاه على داود ومملكته لأنه بنى بيتاً يستقر فيه؟! قال الرب: أنت تبني لي بيتاً لسكناي، لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن (صموئيل الثاني: 7: 6-8).

ب- بناء الهيكل لإستقرار الإله: فالتوراة تزعم أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى الهيكل أو المعبد الذي استقر فيه الإله (الملوك الثاني: 6)، والتوراة مليئة بالتفصيلات الدقيقة لكيفية بناء سليمان للهيكل، ولكن التوراة عندما تصور

(1) المدخل إلى دراسة التوراة / د. محمد علي البار: 72.

تصميم الهيكل الذي بناه سليمان تجعله شبيهاً بمعابد الكنعانيين، فغرفة (قدس الأقداس) في الهيكل شبيهة إلى حد كبير بالغرفة التي يوضع بها تمثال الإله في معابد الكنعانيين[1].

جـ- عبادة الأصنام من جديد: فالتوراة تأتي بنصوص تبين فيها سليمان بأنه لا يجد غضاضة في التعبد للآلهة الوثنية، فتذكر التوراة أنه كان لسليمان سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية، وأن نسوته أملن قلبه وأوقعنه في الوثنية (الملوك الأول: 11: 3-5)، بل إن سليمان - كما تصوره التوراة- بنى لكل زوجة من زوجاته الغريبات صنماً يقدمن أمامه الذبائح والقرابين (الملوك الأول: 11: 6-13).

4- مرحلة ما بعد سليمان عليه السلام: وتتسم هذه المرحلة بانقسام بني إسرائيل إلى دولتين هما (إسرائيل ويهوذا)، حيث قامت مملكة إسرائيل بعبادة آلهة الكنعانيين وعلى رأسهم (بعل)، ووصل الأمر في هذه المملكة أن صار لهذه الآلهة أنبياء يدعون لعبادتهم سمتهم التوراة بالأنبياء الكذبة، وقد تكاثر هؤلاء الأدعياء إلى أربعمائة وخمسين نبياً (الملوك الأول: 18: 13-19).

وبسبب انغماس اليهود في الوثنية، فقد ظهر العديد من الأنبياء والمصلحين الداعين إلى العودة إلى عبادة الإله الواحد، وترك عبادة الأوثان، وكان من أهم أنبياء الله الذين ظهروا وتزعموا حركة المقاومة ضد عبادة الأوثان النبي (إلياهو)، والنبي (أشعيا).

فهذه المرحلة تعد من أخطر الفترات التي مرت على بني إسرائيل، فقد كان الصراع واضحاً بين الوحدانية والوثنية، وكان أنبياء الله يقفون بالمرصاد لكل هذه المفاهيم الوثنية، ولكن يبدو أن الأمر كان صعباً، فالتعصب والمفاهيم المنحرفة التي ترسخت في المجتمع اليهودي تدريجياً، قد جعلت من الصعب عليه الوصول إلى صورة الإله الواحد القادر على كل شيء، والذي لا مثيل له.

5- مرحلة ما بعد السبي البابلي: ويمكننا من خلال قراءة أحداث هذه الفترة من أسفار التوراة أن نحدد أهم الاتجاهات والمفاهيم العقائدية المتعلقة بالألوهية بما يلي:

---

(1) اليهود في العالم القديم / د. مصطفى كمال ورفيقه: 80.

أ- **تأثر اليهود بعادات البابليين وطقوسهم**: جرى بين اليهود والبابليين في فترة السبي تمازج فكري وعقائدي عجيب، فقد تأثر اليهود بعادات البابليين وطقوسهم وآلهتهم، حتى أنهم تعلموا منهم السحر الذي اشتهر به أهل بابل، بل اشتهر به اليهود فيما بعد، والذي يمكن استخلاصه من نصوص التوراة حول هذه الفترة، أن اليهود عندما ضربت عليهم الذلة والمسكنة بالنفي إلى بابل، أرادوا أن يتلمسوا طريقاً آخر يخرجهم من هذه المهانة، من أجل ذلك ظهر بينهم إثنان من الكهنة هما (نحميا وعزرا)، وهم الذين قادوا الجهود الرامية لجمع التراث القديم وتصنيفه وتعديله، بحيث يبقى اليهودي مرتبطاً بهذا التراث، القائم على الأمل بالعودة إلى أرض الميعاد.

ب- **ظهور الأفكار العنصرية**: ويبدو أن اليهود أرادوا من جمع هذا التراث أن يجعلوا التوراة ستاراً يخفون وراءها مفاهيم لم تكن معروفة إلى ذلك الوقت، ومن أهمها العنصرية والدعوة إلى الانغلاق على الذات[1]، وهذا يفسر لنا -ما ذكرته التوراة- من أن الأنبياء في هذه الفترة دعوا إلى اعتزال الأمم الأخرى وعدم التزاوج معها، لأن ذلك قد أدى في الماضي إلى عبادة آلهة هذه الأمم[2].

جـ- **عودة اليهود إلى عبادة الأصنام**: وهذه الفترة تتميز بالاضطراب الفكري الشديد بين اليهود، وذلك بسبب حالة اليأس والقنوط التي أصيبوا بها، حتى ظهر فيهم من رجع إلى عبادة الأوثان من جديد وترك شعائر الإله الواحد[3].

د- **وصف الله بصفات النقص**: وهذا ما نجده في أسفار التلمود، التي تظهر الإله متصفاً بكثير من صفات الحوادث والنقص، ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضاءه، وما كان يقوم به من نشاط وعمل في الليل أو في النهار، وكيف غيّر ذلك بعد تدمير الهيكل حيث صار يبكي ندماً على سماحه بذلك، ويؤنب نفسه لأنه جعل شعبه يتشرد.

---

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 25.

(2) المدخل إلى دراسة التوراة / د. محمد علي البار: 99.

(3) اليهودية / د. احمد شلبي 89.

6- مرحلة ما بعد ميلاد المسيح وحتى العصور الوسطى: يعد التلمود آخر ما كتبه اليهود من تراثهم المقدس، وهو يعبر تعبيراً حقيقياً عن التصورات والمفاهيم التي انتهى إليها اليهود عن الألوهية، فقد عادوا -كما سبق ذكره- في أسفار هذا الكتاب إلى وصف الله بصفات النقص. ولذلك نجد أن هذا المفهوم بقي مستمراً وواضحاً عند اليهود حتى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك نجد الكثير من الآيات القرآنية ترد على اليهود مزاعمهم عن صفات الله عز وجل.

ومن الآيات الكريمة التي بينت مزاعم اليهود في الله عز وجل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾[1].

وهذا يعني أنهم تبجحوا أمام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم أبناء الله فهم مختلفون عن بقية الناس بأنهم شعبه المختار، وليس المراد بالبنوة عند جمهور المفسرين البنوة الحقيقية حتى يزعموا أنهم أبناء الله حقيقة[2].

ومن ادعاءاتهم التي وصفت الله بصفات لا تليق به قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[3]. وأرادوا بقولهم هذا أن يصفوا الله سبحانه بأنه بخيل يمسك خيره عنهم، مانع فضله عن أن يصل إليهم، كالمغلولةُ يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف[4].

وبظهور الإسلام، تأثر اليهود بالفكر الإسلامي، وظهرت مناهج عقائدية فيهم، تدل على هذا التأثر، وصار البون شاسعاً جداً بين ما جاء في التوراة والتلمود عن الله، وبين ما انتهت إليه العقيدة اليهودية في العصور الوسطى، بعد قرون طويلة من الاختلاط بالإسلام، والذي أدى لتطور الفكر الديني اليهودي خاصة فيما يتعلق بالله عز وجل.

---

(1) المائدة: 18.

(2) بنوا إسرائيل في القرآن والسنة / د. محمد سيد طنطاوي: 248.

(3) المائدة: 64.

(4) بنو إسرائيل / د. طنطاوي: 289.

ومن مشاهير علماء اليهود وفلاسفتهم الذين برزوا في العصور الإسلامية وكانت كتاباتهم مراجع كبرى في التراث اليهودي وخاصة العقائد منه اثنان هما: سعيد بن يوسف الفيومي (سعدايا الفيومي)، وموسى بن ميمون الأندلسي.

أما الأول فهو مؤلف كتاب (الأمانات والاعتقادات)، وقد وصف سعدايا الفيومي في كتابه الله بأنه دائم أبدي، وأنه أنشأ الكون من العدم، وأنه تام الحكمة والقدرة، ولا يشاركه شيء في قدمه، وقال: وليس الله سبحانه واحداً فقط، ولكنه أحد ومجرد عن المادة، فلا هو جسم مركب ولا أعضاء. وأما الصفات المادية التي وصف بها في التوراة، فهي عند سعدايا الفيومي تعبيرات مجازية[1].

وقد وضع موسى بن ميمون ما يسمى بـ (الأصول الثلاثة عشر، والتي سماها (أركان الدين اليهودي)، وواضح من هذه الأصول أن ابن ميمون وصل بالعقائد اليهودية إلى المستوى الفكري الموازي لنتائج علم التوحيد وعلم الكلام عند المسلمين[2].

وهذا يعني بوضوح أثر الفكر الإسلامي في الفكر العقائدي عند اليهود، فالإله الواحد في التوراة كان لا يعنيه. إلا شعبه المختار، ولا يغضبه أن تكون للأمم الأخرى آلهة أخرى، وهذه الصفات جعلت علماء اليهود وفلاسفتهم في العصور الإسلامية يؤولون العبارات الواردة في التوراة، والتي تصف الله بصفات المخلوقين، بأنها تعبيرات مجازية يراد بها تثبيت صفات الله في عقول الناس[3].



(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 168.
(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 134، 135.
(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 163.

المبحث الثاني

عقيدة اليهود في النبوة والأنبياء

1- مفهوم النبوة وتطوره: كلمة نبي في العبرية تعني: من تحدث باسم الله، أو من يتحدث الله من خلاله[1]، أو الذي اختاره الله ودعاه للخدمة التي كرسه لها[2].

والقارئ لأسفار التوراة يجد أن مدلول النبوة اليهودي اتسع لمعانٍ كثيرة، يتغير مفهومه على ضوء المرحلة التاريخية أو الظرف السياسي الذي مرَّ به اليهود.

فقد كان يقصد بالنبوة في بداية التاريخ اليهودي، أن يكون النبي متحدثاً عن الرب من ناحية، ومتحدثاً عن الشعب من ناحية أخرى، فهو إذن مجرد مبلغ ينوب عن أحدهما عند الآخر[3].

وقد تطور مفهوم هذه الكلمة في أسفار التوراة، واكتسب بعض الدلالات الأخرى، فأصبح يطلق بعد عهد القضاة وفي عهد الملك شاؤول (طالوت) على ذلك الشخص الذي كان يطلق عليه قبل ذلك (الرائي)[4].

وأصبح مفهوم النبوة في عهد مملكتي (يهوذا وإسرائيل) يدل على وظيفة التنجيم لأن النبي كانت مهمته في تلك المرحلة التنبؤ بأمور المستقبل، لذا كان لكل ملك من ملوك مملكة يهوذا أو إسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء يتنبأون بما ينبغي فعله[5]،

---

(1) الأيدولوجية الصهيونية / د. عبد الوهاب المسيري: 1: 235.

(2) المجتمع اليهودي / زكي شنودة: 74.

(3) النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ / علي مبروك: 42.

(4) وسمي بذلك عند اليهود لأن النبي تأتيه حالة مهولة تصحبه في حال اليقظة، فتعطل الحواس عند فعلها ويأتي ذلك الفيض للقوة الناطقة ويفيض منها.

(5) المدخل إلى دراسة التوراة / د. محمد علي البار: 199.

وهكذا أصبحت النبوة في تلك المرحلة مهنة كأي مهنة أخرى يستطيع للإنسان أن يتعلمها ويتدرب عليها[1].

والقارئ لأسفار التوراة التي تتحدث عن مرحلة السبي البابلي، يظهر له أن النبي أصبح في نظر مدوني الأسفار، واعظاً لشعبه يوبخهم ويؤنبهم ويذكرهم مثلما فعل أنبياء تلك المرحلة وما بعدها.

إلا أن مفهوم النبوة في الذاكرة اليهودية تعلق بمفهوم خطير بقي راسخاً في عقولهم وقلوبهم، وهو ارتباط النبوة بالأزمات والمحن التي مرَّ بها التاريخ اليهودي عبر العصور، وهذا ما نقرأه بين السطور في أسفار العهد القديم، فقد جاءت نبوة موسى من خلال أزمة العبودية التي مرَّ بها اليهود في مصر، ونبوة (صموئيل) أثناء حالة الضياع التي مرت على اليهود في عهد القضاة وقدرته على إيقاظ روح الشعب. وكانت قسوة المنفى والأسر في بابل كبيراً استطاع الفكر الديني اليهودي أن يلج من خلاله إلى باب الأمل والخلاص عن طريق التنبؤ بالمسيح المخلص الذي سيقود شعبه إلى طريق الخلاص، ومن هنا كان الأسر البابلي والأزمة التي عاشها اليهود أثناء ذلك باعثاً من أجل تنبؤ الأنبياء بتدخل (يهوه) لكي يخلص شعبه المختار من أسر العبودية[2].

وبناء على ما سبق فإننا نصل إلى نتيجة مفادها أن مفهوم النبوة في التاريخ اليهودي يتغير معناه حسب الظرف السياسي والاجتماعي.

2- **الرؤية اليهودية المعاصرة للنبوة:** اتجه العقل اليهودي المعاصر إلى تطوير مفهوم للنبوة يختلف في معناه ومدلولة عما كان معروفاً، فقد أضيف مصطلح النبوة إلى كل شخص أظهر شجاعة فريدة في مواجهة الأغيار، وقد ترك هذا الارتباط بين (النبوة) و (الشجاعة) أثراً حاسماً على الرؤية المعاصرة للنبوة اليهودية[3].

واستطاعت الحركة الصهيونية توظيف ذلك لخدمة مصالح اليهود القومية، وتركز الصهيونية على فكرة اليهودي النبي الموجود في كل عصر وزمان الذي يقيم

(1) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام / أحمد عبد الوهاب: 193.
(2) التراث الإسرائيلي في العهد القديم / د. صابر طعيمة: 630.
(3) النبوة / علي مبروك: الهامش: 90.

إرادة الله وقانونه، (فإبن جوريون) أول رئيس وزراء الإسرائيل، كثيراً ما يتحدث عن اليهودي العادي على أنه (نبي وشهيد، بل مسيح مصلوب)[1].

وهكذا أصبح في متناول كل شخص يلعب دوراً مهماً في حياة الشعب اليهودي أن يكون نبياً.

وقد وصفت الحركة الصهيونية في كتب اليهود المعاصرة بأنه بعث علماني لتقاليد النبوة اليهودية، لأن الصهيونية تفكير يقوم على حوار مع الرب أو مع روح الشعب اليهودي الحقيقية[2].

وبناء على ذلك فقد استمد المفكر اليهودي المعاصر (مارتن بوبر) من الفهم الصهيوني الجديد للنبوة، تصوراً يقوم على الحوار بين (الأنا) و (الأنت) ويرى فيه حواراً لا ينقطع بين الله (الأنت الأزلي) وبين الشعب اليهودي (الأنا الأزلية)، وهو حوار يأخذ شكل العهد المقدس[3].

واعتبر المؤرخ اليهودي المعاصر (بارون) أن الرباني التلمودي كان بمثابة الخلف الحقيقي للنبي اليهودي[4].

ووصل الأمر بالفرقة اليهودية (المحافظون) أن تعتبر شعب إسرائيل كله بمثابة أنبياء، فالذي يقدسه اليهود هو ما يقدسه الدين[5]، ولهذا اعتبرت شعب إسرائيل جزءاً من ثالوث الأمة اليهودية (كلال يسرائيل) المكون من الإله والشعب والتوراة[6].

3- **صفات الأنبياء عند اليهود:** الباحث في نصوص العهد القديم يفاجأ بأن سيرة الأنبياء في التاريخ اليهودي تتصف بجميع النقائص والعيوب التي يتصف بها عامة الناس، فهم لا يتورعون عن أي معصية صغيرة كانت أو كبيرة.

---

(1) الأيدولوجية الصهيونية / د. عبد الوهاب المسيري: 1: 236.

(2) المصدر السابق: 1: 236.

(3) النبوة / علي مبروك: 91.

(4) التلمود والصهيونية / أسعد رزق: 282.

(5) الملل اليهودية / د. إسماعيل الفاروقي: 93.

(6) المصدر السابق: 95.

فالشيء المتفق عليه عند اليهود أنه يجوز على الأنبياء معصية الله في الكبائر والصغائر من الذنوب، فهم في نظرهم غير معصومين من الخطأ والخطيئة[1].

وتطبيقاً لهذه القاعدة فإن كتبة أسفار التوراة وصفوا الأنبياء جميعاً من غير تمييز بين أنبياء الله وأدعياء النبوة بكل أنواع الخطأ والخطيئة، ونماذج الخطيئة التي يقترفها الأنبياء كما دونها كتبة التوراة كثيرة نذكر منها ما يلي:

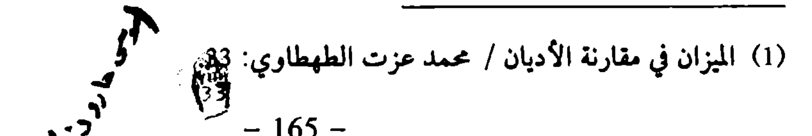
أ- الكفر وعبادة غير الله: فقد اتهموا هارون عليه السلام بأنه صنع لبني إسرائيل عجلاً من الذهب حتى يعبدوه ويسجدوا له، كما جاء في سفر الخروج (32: 1-5)، واتهموا كذلك سليمان عليه السلام بأنه اتبع آلهة أخرى وترك عبادة الله، وذلك من أجل زوجاته الغربيات، وهذا ما أورده سفر الملوك الثاني (11: 4-9).

ب- خيانة الله: فالتوراة تزعم أن موسى وهارون عليهما السلام قد خانا الله عز وجل، وبسبب هذه الخيانة حرمت عليهما أرض فلسطين، فلقد كان آخر وحي تلقاه موسى عليه السلام: إصعد إلى جبل العباريم، هذا جبل نبو، الذي في أرض مؤاب تجاه أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل ملكاً، ثم مت في الجبل الذي أنت صاعد إليه وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وانضم إلى قومه، لأنكما تعديتما علي فيما بين بني إسرائيل...ولم تقدساني بين بني إسرائيل (التثنية: 32: 49-51).

إن ما حدث لبني إسرائيل، أنهم تذمروا على الرب وأنبوا موسى وهارون عليهما السلام لأنهما أخرجا شعب إسرائيل من أرض مصر، ولم يكن لموسى وهارون دخل في ذلك ولا يمكن أن يكون؟!

جـ- الأمر بالسرقة ونهب أموال الناس: فالتوراة تزعم أن موسى أمر قومه قبل خروجهم من مصر أن تطلب نساء بني إسرائيل الذهب والفضة من المصريات، فيهربوا به مع موسى، (الخروج: 3: 21-22).

د- الوحشية: وهي من الصفات التي وصف بها الأنبياء في التوراة، فقد اتهم



(1) الميزان في مقارنة الأديان / محمد عزت الطهطاوي: 33

الأنبياء بالوحشية والهمجية الدالتان على عدم وجود الرحمة والعفو، وهما صفتان تتناقضان تماماً مع رسالة النبي ودعوته.

ففي سفر التثنية (2: 31-35) تزعم التوراة أن موسى عليه السلام قام بقتل أحد الملوك وبنيه، وعندما استولى على بلاده قام بإحراق الرجال والنساء والأطفال. وهذا المشهد يتكرر مع يوشع بن نون، عندما دخل أريحا ومدناً أخرى من فلسطين، والفرق بين المشهدين، أن القتل والتدمير والإحراق كان بأمر الرب، وهذا أورده سفر يشوع (6: 21 و 8: 24، 25).

وما قدمته التوراة في حق يوشع، كذبه الله عز وجل في القرآن الكريم مبيناً أن ما فعله بنو إسرائيل إنما كان بعصيانهم لأوامر نبي الله يوشع، يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[1].

هـ- **الأفعال الشاذة الدالة على الخبل والجنون:** القارئ لأسفار التوراة يستغرب وتصيبه الدهشة عندما يجد أن أنبياء الله امتزجت تصرفاتهم عند مدوني التوراة بالخبل والجنون، واقترنت أعمالهم بالكثير من الشذوذ.

فها هو شاؤول لا يأتيه الوحي إلا بعد أن يتجرد من ملابسه ويتعرى بين الناس، (الملوك الأول: 19: 23، 24)، وهكذا سار أشعيا بين الرجال والنساء والأطفال بعورته الغليظة لمدة ثلاثة أعوام استجابة لأمر الله (أشعيا: 2: 2، 3).

و- **الزنا:** اتهم كتبه التوراة أنبياء الله بالزنا، حتى إن بيوتهم كانت ترتكب فيها هذه الفاحشة، وهكذا فقد اتهموا داود وهوشع بارتكاب هذه الفاحشة، ومن قبل اتهموا لوطاً بأنه زنى بابنتيه.

أما داود عليه السلام، فالقصة التي ترويها التوراة تدل على أنه كاتبها كان يروي قصة رجل فاسق ضال مرتكب للخطيئة، وليس عن نبي من أنبياء الله، فقد

(1) البقرة: 58، 59.

زعموا أن داود زنى بزوجة أحد قواده بعد أن رآها تستحم في بيتها، ثم بعد ذلك أمر بقتل زوجها حتى يحظى بها (الملوك الثاني: 11: 2-5).

والغريب أن محرري الكتاب المقدس في القرن العشرين يعترفون بارتكاب داود عليه السلام لهذه الخطيئة، ولكنهم يحاولون أن يبرروا ارتكابه لها فيقولون: ومع أن داود ارتكب في بعض الأحيان خطايا يندى لها الجبين خجلاً، إلا أننا إذا نظرنا إلى نسبة النضوج الروحي الضئيلة التي كانت سائدة في ذلك العصر وحالة الظلام التي كانت تعم العالم قبل إنبلاج فجر النور، ثم إذا نظرنا إلى عمق توبته لرأينا في هذا شيئاً يخفف ذنبه إلى حد ما[1].

ولكن القرآن الكريم عندما يذكر داود عليه السلام، يذكره باعتباره رجلاً تقياً دائم التسبيح والإنابة إلى الله، كان يلعن الكافرين من بني إسرائيل الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، يقول الله عز وجل: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[2]، ويقول أيضاً: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾[3].

وهوشع في أسفار التوراة تلقى أمراً إلهياً بمعاشرة امرأة زانية لتلد له أولاد عن طريق الزنا (هوشع: 1: 2-6)، واستمر هوشع يتردد على بيوت الزانيات، حتى أمره الله -كما تزعم التوراة- بأن يعشق امرأة متزوجة ويخطفها من رجلها (هوشع 3: 1-3).

هذه بعض الصور التي ألصقت بشخصيات الأنبياء في أسفار التوراة، ومن الأهمية القول أن مدوني التوراة لم يجعلوا هذه الصفات للأنبياء إلا من أجل هدف

---

(1) قاموس الكتاب المقدس / بطرس عبد الملك ورفاقه: 365، 366.

(2) المائدة: 78، 79.

(3) ص: 17، 18.

واحد، هو تبرير الشذوذ والانحراف والضلال الذي يقومون به، فمادام أنبياء الله قاموا بكل هذه الكبائر والذنوب -وهم الأولى بأن يمتنعوا عنه-، فإن بقية الشعب إذا قاموا به فلا تثريب عليهم.

4- أنواع الوحي في التوراة: تحدثنا التوراة عن وسائل كثيرة كان يتم بها وحي الله إلى أنبياءه، أهمها: المخاطبة المباشرة، والرؤيا في اليقظة، والحلم أثناء الليل[1].

وقد وردت هذه الوسائل الثلاث في سفر العدد، (العدد 12: 6-8). أما وسيلة المخاطبة المباشرة فإن أمثلتها كثيرة في أسفار التوراة، إذ خاطب الرب معظم أنبياء بني إسرائيل بهذه الوسيلة من يعقوب إلى دانيال مروراً بيوشع وصموئيل وداود وأشعيا وأرميا وحزقيال، (أنظر سفر يشوع: 1: 1-2).

وأما وسيلة الرؤيا التي يعلن الرب فيها إرادته لأنبيائه أثناء يقظتهم عن طريق صورة حقيقية أو رمزية، فقد وردت في نبوءات الكثير من الأنبياء مثل أشعيا وحزقيال ودانيال، (أنظر سفر حزقيال: 1: 1).

وقد وردت وسيلة الرؤيا المنامية أو (الأحلام) في أمثلة كثيرة من أسفار التوراة، ومن أمثلة ذلك كما جاء في سفر التكوين عن يعقوب (31: 11)، وما جاء عن سليمان في سفر الملوك الثاني (3: 5).

5- أثر الأنبياء اليهود: يرى المؤرخ اليهودي (هرمان كوهين) أن الأنبياء اليهود كانوا بمثابة مفكرين رواد خلصوا الدين من عناصره الأسطورية، وطوروا اليهودية، فانتقلوا بها من مجرد دين قبلي إلى دين توحيد أخلاقي[2].

وما ورد في قول كوهين جدير بأن يأخذ بعين الاعتبار الجهود الجبارة التي قام بها أنبياء الله في سبيل تقويم انحراف اليهود العقدي والفكري، الذي استمر جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن.

وقد كان جوهر الدعوة التي عمل من أجلها الأنبياء على امتداد التاريخ اليهودي

---

(1) النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ / علي مبروك: 96، 97.

(2) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية / د. عبد الوهاب المسيري: 238.

(الاعتقاد بوحدانية الله)، ويعد موسى عليه السلام الرسول الأول لليهود في عقيدة الوحدانية، وبالرغم مما عاناه موسى من قومه، إلا أنه استطاع غرس الاعتقاد بوحدانية الله وعدم تجسيده أو تصويره، كما نصت على ذلك الوصية الثانية من الوصايا العشر التي وردت في سفر الخروج (20: 2-5): لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي، لا تضع لك منحوتاً ولا صورة شيء ما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ولا مما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور.

ولكن رغم هذه الوصية الواضحة إلا أن اليهود عادوا إلى عبادة الأصنام وتركوا عبادة الله عز وجل، ومن أجل هذا كثر إرسال الأنبياء لنبي إسرائيل ليواجهوا عبادة غير الله.

إذن من الواضح أن إخراج اليهود من براثن الوثنية وإيصالهم إلى بر الأمان في عبادة الله وتوحيده، كانا من أهم ما عمل من أجله جميع الأنبياء في بني إسرائيل ابتداء من موسى وانتهاء بعيسى عليهما السلام.

فكانت قسوة الأسر البابلي سبباً جعلهم يدركون أن يهوه هو الإله الواحد للعالم كله، وأدركوا كذلك أن ما حلَّ بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم إتباع شرائع يهوه واتباعهم لمعبودات أخرى، مما دفع الرب إلى الانتقام منهم، وأصبحوا يفكرون في الخلاص على يد يهوه[1].

وكثر بينهم الأنبياء في هذا الوقت ومنهم النبيان (حجاي وأشعيا) اللذان ولدا في السبي وترعرعا فيه، لهذا فقد دعوا على الوحدانية النقية، مذكرين بأن الشقاء الذي حصل لهم كان وسيلة للتطهر أتاحها الرب لهم.

وكانت إقامة معبد يهودي على أرض بابل بعيداً عن القدس، من الآثار الواضحة لأنبياء بني إسرائيل، فقد عمل حزقيال وكنتيجة مباشرة للسبي واستحالة العودة إلى المعبد في القدس، على إنشاء معبد يهودي على أرض بابل، ومن هناك نشأت المدرسة الدينية المعروفة باسم (بيت المدراش أو بيت الكنيست)[2].

(1) اليهود في العالم القديم / مصطفى كمال عبد العليم ورفيقه: 170.
(2) المصدر السابق: 171.

ومن أهم آثار الأنبياء في بني إسرائيل إيقاظ روح القتال والمقاومة ضد أعدائهم، خاصة بعد حالة الضعف والاستعباد في عهد القضاة، عندما تحول صموئيل إلى قائد سياسي استطاع أن يوحد قومه تحت راية ملك واحد (طالوت) أدى إلى نصر ساحق على أعداء بني إسرائيل من الكنعانيين وغيرهم، وكان ذلك تمهيداً لظهور نبيين كانا من أهم قواد بني إسرائيل وملوكهم وهما داود وسليمان عليهما السلام، إذ كان عهدهما العهد الذهبي لليهود في فلسطين، يقول الله عز وجل عن هذه الأحداث ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].



(1) البقرة: 246.

المبحث الثالث

عقيدة اليهود في اليوم الآخر والمسيح المخلص

1- **عقيدة البعث واليوم الآخر في الديانة اليهودية**: لقد مرت فكرة البعث واليوم الآخر في الديانة اليهودية بثلاث مراحل رافقت المراحل التاريخية لبني إسرائيل منذ خروجهم من مصر، متأثرة بما حولها من الديانات والأفكار التي كانت تعيش في المنطقة.

ففي المرحلة الأولى: أغفلت الديانة اليهودية الحديث عن اليوم الآخر وتجاهلت هذه العقيدة، والقارئ للأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، يجد أنها تخلو تماماً من ذكر هذه العقيدة.

وينقل الدكتور حسن ظاظا عن أحد الباحثين الفرنسيين قوله: إن يوم الرب بالمعنى الذي قصده الأنبياء، كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين وكانوا يرون أنه بعيد جداً، وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد الاسم العبري (أحيريت هياميم) التي معناها (آخر الأيام) أو (الآخرة) أو (اليوم الآخر)، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئاً، لا على عهد موسى ولا عهد القضاة[1].

تميزت المرحلة الثانية خلال فترة وجودهم في فلسطين بغزو المعتقدات الشرقية، حيث توضحت فكرة العالم الأسفل، وأصبحت قريبة من التصور السومري والبابلي[2].

فالعبرانيون قد ساروا في تصوراتهم الأخروية في هذه الفترة على نسق التصورات السومرية والبابلية، وبقيت فكرة الخلود والعالم الآخر غامضة لديهم[3]،

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 97.

(2) الموت والمغامرة الروحية / محمد منير منصور: 46.

(3) لغز عشتار / فراس السواح: 381.

فقد وصف السومريون والبابليون العالم الآخر أنه عالم الظلام والرهبة، وهو المكان الذي إذا ذهب إليه الإنسان فلا يخرج أبداً.

وإذا رجعنا إلى نصوص التوراة في هذه المرحلة فلا نجد أي ذكر لعقيدة البعث واليوم الآخر بشكل واضح سليم، بل نجد كلاماً يدل على الأسطورة والخيال كما هو الحال في الديانتين السومرية والبابلية.

فالنص التوراتي يشبه تماماً النص البابلي في أن العقاب زمني في هذه الدار الدنيا كالآلام والمرض وفقد المال والموت العاجل وتسلط الأعداء... الخ، أما بعد الموت فيذهب الإنسان إلى دار الأموات، وهذا نفس عالم الظلام البابلي حيث يتساوى الجميع فيه، وقد سمت التوراة العالم السفلي البابلي باسم (سلاه)، ولعل كلمة (سلاه) تعريب لكلمة (شيئول) العبرية التي تعني الهاوية، والهاوية معناها في الأصل (الميثولوجي) مكان الأموات من هبط إليه لا يصعد، وهذا نفس كلام السومريين والبابليين[1].

وقد اعتقد اليهود أن الموتى جميعهم يلقون في هذه الهاوية الطيب منهم والخبيث، ولا يستثنى منهم إلا المقربون إلى الله كموسى وأخنوع وإيليا[2]، فالأرض السفلى، والجب، أو شيئول هي الهاوية التي تأوي إليها لأموات بعد موتها، ولا نجاة منها لميت[3].

وتصور كتبة التوراة في هذه الفترة لمفهوم الهاوية يناقض بعضه بعضاً، فكاتب سفر أيوب يؤكد على وجود الهاوية التي سماها بأرض الظلمة كما في النص التالي: لم أخرجتني من الجوف، إذن لكانت تفيض روحي ولا تراني عين، وكنت كأني لم أكن قط، فأقاد من البطن إلى القبر، أليست أيامي إلى حين فأكفف، وخفف عني فأرتاح قليلاً قبل أن أنصرف من لا يؤوب إلى أرض ظلمة وموت، أرض دجية حالكة كالديجور، وظلال موت لا نظام فيها ونهارها كالديجور (سفر أيوب: 10: 18-22).

ونجد كاتب السفر في نص آخر تالٍ للنص السابق يؤكد على لسان يهوه أن

(1) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة: 354.

(2) قصة الحضارة / ول ديورانت: 2: 345.

(3) الله / عباس العقاد: 99.

الجزاء سيكون في الدنيا، ولا يذكر الهاوية التي ذكرها في بداية النص فيقول: إن الله عظيم وهو لا يزدري أحداً، عظيم القدرة والحكمة، لا يحيى المنافق ويفضي حق البائسين، لا يصرف طرفه عن الصديق والملوك على العرش، هو يمكنهم على الدوام فيرتفعون، وإذا أوثقوا بالقيود ونشبوا في حبائل الشقاء، ينبئهم بأعمالهم ومعاصيهم إذا تجبروا، ويفتح آذانهم للتأديب ويأمرهم بالإقلاع عن الإثم، فإن سمعوا وأطاعوا قضوا أيامهم في الطيبات وسنيهم في النعم (سفر أيوب: 36: 5-13).

ويعكس هذان النصان الواقع الذي وصل إليه اليهود في هذه المرحلة التي كتب فيها سفر أيوب، وهي مرحلة قاسية في تاريخ اليهود، تجرعوا خلالها مرارة السبي على يد البابليين إلى بابل، وخاب أملهم الذي كانوا ينتظرونه بالنصر على أعدائهم، وهذا الاضطراب نجده واضحاً في نصوص هذا السفر، وقد عبرّ عنه ول ديورانت بقوله: ولعل ذلك السفر قد كتب في أيام السبي البابلي، ولعله يصف بطريق القياس الأسر البابلي، وهو أول وأقدم شرح لتلك المشكلة التي لا آخر لها -مشكلة مصير الإنسان وتصرف الله معه على ظهر هذه الأرض-، وقد قامت هذه المشكلة بسبب اهتمام العبرانيين بأمور هذه الدنيا، ذلك أنه لما كانت الجنة لا وجود لها في الديانة اليهودية القديمة، فقد كان من الواجب المحتم أن تنال الفضيلة ثوابها في هذا العالم والألم لم يكن لها ثواب على الإطلاق، ولكنهم كثيراً ما كان يبدو لهم أن الأشرار ينجحون ويفوزون، وأن أشد الآلام قد اختص بها خيار الناس، فلم إذن لا يعاقب الله الأشرار ويثيب الأخيار؟[1]

ولهذا فإننا نجد أن كاتب سفر أيوب يقرر بعد كل هذا وفي نهاية السفر أن الثواب والجزاء سيكون في الحياة الدنيا، وتجاهل تماماً الحياة الآخرة حتى ولو كان اسمها (شيئول)، ويدل على ذلك أن يهوه قد كافأ أيوب عما أصابه من بلاء بالكثير من ملذات الدنيا ومباهجها، وتجاهل كاتب السفر كل إجابات الأسئلة التي أوردها على لسان أيوب وهي مصير الإنسان بعد الموت.

(1) قصة الحضارة / ول ديورانت: 2: 391.

أما المرحلة الثالثة: وهي مرحلة ما بعد السبي البابلي، وذلك عندما احتل الفرس بلاد بلابل، ولهذا السبب فقد احتك اليهود بهم، وتأثروا بديانتهم التي تتبنى عقيدة اليوم الآخر، خاصة بعد أن سمح (قورش) ملك فارس لليهود بالرجوع إلى فلسطين. وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية ديانة الفرس، ومن تعاليم هذه الديانة اقتبس اليهود الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضاً أن هناك جنة ونارا فنقلوا ذلك الاعتقاد إلى دينهم[1]. فلما أقروا فكرة الحياة الآخرة، اعتنقوها بالغيرة التي شكلت دائماً خاصية الشعب اليهودي، ولكن غيرتهم على أية حال لم تضف شيئاً من الوضوح، أو حتى احتمال وجودها[2].

وربما كان توقيت هذه النزعة الجديد -عند كتاب التوراة- مرتبطاً بالشعور النفسي لليهود وقد تعرضوا لمظاهر القمع والقهر والاضطهاد، وعرفوا حياة التمزق والخوف والعبودية، وكأنهم خابت آمالهم في تحقيق السعادة على الأرض وبدأوا يتطلعون إلى سعادة أخرى في السماء، أو كأنهم حين عجزوا عن القصاص لأنفسهم في الدنيا شرعوا يحلمون بقصاص عادل في يوم عصيب[3].

والحقيقة أنه قبل أن يصل كتاب التوراة إلى إيراد فكرة الحياة الآخرة، نجد أن سفر الجامعة الذي كتب بعد سفر أيوب يقضي كُتابه بعض الوقت وهم يبحثون عن حل اللغز الحياة ومصير الإنسان عن طريق الانغماس في ملذات الحياة، بل إن هذا السفر يشكك بوجود حياة بعد الموت ويتساءل ويقول: ولو أنه كان من مبادئ هذا الدين أن الرجل العادل يستطيع أن يتطلع إلى شيء من السعادة بعد الموت، لكان في مقدوره أن يتحمل مصائب الدهر وقلبه عامر بالأمل والشجاعة...ولكن كاتب سفر الجامعة يؤكد بأن هذا أيضاً وهمٌ باطل...فالإنسان حيوان يموت كما يموت غيره من الحيوانات...لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة لأن كليهما باطل، كلاهما يذهبان

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 195.

(2) اضمحلال الأمبراطورية الرومانية / أدوارد جيبون: 1: 346.

(3) قصة الأديان / رفقي زاهر: 58.

إلى مكان واحد، كان كلاهما من التراب، وكلاهما يعودان إلى التراب (سفر الجامعة: 3: 19-22).

وأول إشارة ليوم البعث في التوراة وردت في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أشعيا، الذي عاش حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، وفيه نبوءة عن يوم لبيّ فيه الرب جند العلاء في العلاء، ويجمعون جمعاً كأسارى في سجون ويخجل القمر، وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم[1].

ولعل ما جاء في سفر دانيال أصرح مما ورد في سفر أشعيا إذ يقول: وفي ذلك الزمان يقوم ميكائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون وقت ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الزمان، وفي ذلك الزمان يجد شعبك كل ما يوجد مكتوباً في الكتاب. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي[2].

ويعلق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار على ما جاء في سفر دانيال فيقول: ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي العودة إلى الحياة وليس البعث في اليوم الآخر، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعاً، وإذا كان البعث لا يشمل الجميع، فأي بعث هذا؟![3]

والقارئ لنصوص سفر أشعيا يجدها تشير كذلك إلى أن اليوم الذي أشار إليه السفر ليس يوماً آخر كما بشرت به الديانات السماوية، وإنما تشير إلى يوم دنيوي كما تفصح الإصحاحات التي ورد فيها ذكره منها: قد تدنست الأرض تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع ونقضوا الحق ونكثوا عهد الأبد، فلذلك أكلت اللعنة الأرض وعوقب الساكنين فيها واحترق سكان الأرض فبقي نفر قليل[4].

---

(1) الله / عباس العقاد: 99، وانظر سفر أشعيا 24: 22، 23.

(2) سفر دانيال: 12: 1، 2.

(3) الديانات والعقائد / أحمد عبد الغفور عطار: 4: 301.

(4) سفر أشعيا: 24: 6، 7.

فاليوم الآخر عند اليهود إنما هو يوم من أيام الحياة الدنيا، فهو يوم نصر على أعدائهم، وهذا ما يؤكده سفر شعيا: فيقال في ذلك اليوم هوذا إلهنا الذي انتظرناه وهو يخلصنا، هوذا الرب الذي انتظرناه، فلنبتهج ونفرح بخلاصه، لأن يد الرب تستقر في هذا الجبل يوطأ تحته كما يوطأ التنين في ماء الدمن[1].

بل إن هذا السفر يصرح بأن قيامة الناس من قبورهم ليست لكل الناس فيقول: الأموات لا يحيون، والجبابرة لا يقومون فإنك قد افتقدتهم ودمرتهم وأبدت كل ذكر لهم[2].

إذن فالنبوءات السابقة المنسوبة لأنبياء بين إسرائيل تشير إلى قيام بعض الموتى، ولكن هذه القيامة ستكون في الحياة الدنيا، وهذا ما أشار إليه دانيال في إصحاحه الثاني عشر[3].

فأي يوم آخر في اليهودية التي يمثلها العهد القديم؟! إنه لا شيء منه إطلاقاً، إن التوراة التي أنزلها الله على موسى كانت تقر البعث والنشور والحساب والجنة والنار كما يخبرنا بذلك القرآن الكريم، في حين أن التوراة التي كتبها أحبار اليهود فيما بعد، قد خلت من ذكر اليوم الآخر وما فيه من نعيم وجحيم. وهذا دليل على أن الأحبار الذين كتبوا التوراة حسب أهوائهم في وقت لاحق قد تأثروا بالعقائد التي لا تقر بالبعث والنشور[4].

ولكن النزعة الجديدة التي أقرت بوجود يوم آخر غامض، والتي نقرأها في سفري أشعيا ودانيال، ربما كان سبب هذه النزعة الجديدة مرتبطاً بالشعور الإضطهادي عند اليهود، بعد أن تعرضوا للاضطهاد على يد البابليين والرومان. ولكن هذا اليوم ظل غامضاً في الفكر اليهودي، بعيداً كل البعد عن اليوم الآخر الذي جاء به الأنبياء وكان أقرب إلى الأسطورة والخرافة منه إلى الحقيقة، وهذا الغموض نراه واضحاً في

---

(1) سفر أشعيا: 24: 13-14.

(2) سفر أشعيا: 25: 9-11.

(3) سفردانيال: 12.

(4) العرب واليهود / د. أحمد سوسة: 473.

الكتاب المقدس الثاني عند اليهود، والذي يعد من الكتب المهمة لأنه يبين بوضوح حقيقة نفسية اليهود وطرق تفكيرهم، وأقصد بذلك كتاب (التلمود).

فنصوص التلمود حول (مصير الإنسان بعد الموت) نصوص متناقضة وتبدو فيها النزعة المادية الواضحة[1].

وقد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر للجنة والنار، ولكن في صورة مضطربة أقرب منها للخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة، فتذكر في هذه الفقرات أن الجنة تأوي إليها الأرواح الزكية، وأنه لا يدخلها إلا اليهود، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة، كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم[2].

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات[3].

وتبدو الأساطير والخرافات واضحة في نصوص التلمود حول اليوم الآخر، فهذا الكتاب المقدس رغم إقراره بالجنة والنار وخلود الروح، إلا أنه يقر بتناسخ الأرواح، تلك الخرافة الهندوسية أو اليونانية، التي تزعم أن الجزاء يقع على الروح بانتقالها في الأجساد، وهذا يعني أن الجزاء بقي أمراً غامضاً بعيداً كل البعد عن الجزاء الذي بشر به الأنبياء، وهم عندما يقررون ذلك فإنهم يقررون أن الجزاء سيتم في الحياة الدنيا عن طريق انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر، فالله تعالى -كما يزعمون- قد شاءت إرادته أن هذه الأرواح حبيسة في سجونها الدنيوية لتكفر عن ذنوبها وخطاياها التي ارتكبتها في حياة سابقة[4].

وهكذا فإن القارئ للتوراة والتلمود، يجد أن هذه المصادر الهامة ينعدم فيها الكلام الحقيقي والصحيح عن اليوم الآخر، فمعتقدات اليهود حول اليوم الآخر لم

---

(1) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية / علي النشار ورفيقه: 41.
(2) الأسفار المقدسة / د. علي وافي: 34.
(3) اليهودي على حسب التلمود / أوغنست / روهلنج: 25.
(4) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية / إدوارد جيبون: 2: 486.

ترتق عن أمور الحياة ومطالب الحس، فلم يكن من فارق بين طبيعة الكائنات أو القوى العلوية أو الغيبية، وبين طبيعة القوى أو الكائنات الأرضية[1].

ولهذا فلن نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: أن اليهودية تهتم بالأعمال في عقائدها ولا تعنى بالإيمان، وهي في جوهرها، أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد، وهي في هذا تختلف عن المسيحية التي تعنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح، فالاتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد السليم، فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم، ذلك الذي لن يقدر الإنسان العائش هنا على الأرض أن يدركه، وإنما مجالها الأوحد هو هذا العالم الحاضر[2].

ومن الجدير بالذكر في هذا الموضوع أن الديانة اليهودية في المجتمع الإسلامي قد تأثرت بالفكر الإسلامي وأخذت عنه في موضوع الميعاد الأخروي، مثلما كتبه (سعدايا الفيومي) في كتابه (الأمانات والاعتقادات)، وكذلك ما كتبه موسى بن ميمون في كتابه (دلالة الحائرين)، والذي اعتبر الإيمان بالميعاد الأخروي الأصل الثالث عشر من أركان العقيدة اليهودية.

2- المسيح المخلص وعلاقته بعقيدة اليوم الأخر في الديانة اليهودية:

لقد كان تفكير اليهود في الغيبيات بعد أن تعرضوا للسبي البابلي، ثم للتشتيت في الأرض على أيدي الرومان، يتخذ اتجاهين محددين هما:

أ- نهاية العالم.

ب- الخلاص على يد المسيح المنتظر[3].

ومن أهم ما أحدثه المنفى من تغيير في الدين اليهودي، هو إدخاله عليه فكرة المسيح المنتظر، أو المتوج ملكاً على إسرائيل، وهي فكرة انتظار من يقوم بقيادة اليهود من منفاهم إلى دولتهم بعمل معجز، فيعيد لهم مملكتهم الداودية، ويحقق لهم

(1) التاريخ اليهودي العام / د. صابر طعيمة: 2: 103.

(2) اليهودية / د. أحمد شلبي: 194.

(3) الفكر الديني اليهودية / د. حسن ظاظا: 95.

استعبادهم واستعمارهم للبشر وسيادتهم على الدنيا كلها[1].

وكما سبق ذكره، فإن اليهودية تبقى في أساسها عقيدة الحياة الدنيا، لذلك فإن من أهدافها الأساسية إقامة ملك الله على الأرض. وفي الواقع فإن هذه الرؤيا اليهودية حول اليوم الآخر قد تشكلت بالأساس من خلال الاعتقاد بأن مملكة الله سوف تتحقق في الأرض بمجيء المسيح المنتظر، هذا المنتظر الذي هو من نسل داود، وسوف يكون من إنجازه إيجاده النسل الداوودي إلى الحكم في مدينة القدس ويعيد بناء الهيكل المدمر[2].

ويبدو كما يقول المؤرخ الفرنسي (جينبير): أن اليهود قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء، قضيتهم بقضية الله، فهم ينتظرون يوم الرب ليحمل انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع[3].

وهذا يوضح لنا سبب ارتباط واقتران فكرة المسيح المخلص بفكرة تجديد العهد مع الرب في يوم الرب، فأمة اليهود تتجدد في ذلك العهد لتصبح جديرة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول فيها الأحقاد، بل يموت فيها الموت نفسه، وسفر أشعيا يقرر هذا بوضوح، فيوم الدينونة والقصاص سيكون في الحياة الدنيا، ففي الإصحاح الخامس والعشرين وما بعده يدل على أن هذا اليوم في الدنيا لا في الآخرة: "وفي هذا الجبل سيضع رب الجنود لكل الشعوب مأدبة مسمنات"[4].

وفي الإصحاح السادس والعشرين نجد أن النص واضح في أن هذا سيكون في أرض يهوذا، يقول النص: في ذلك اليوم ينشد هذا النشيد في أرض يهوذا، لنا مدينة حصينة، خلاص جعل لنا أسوار ومترسة[5].

---

(1) الملل اليهودية المعاصرة / د. إسماعيل الفاروقي: 100.

(2) دائرة المعارف الأمريكية: 16.

(3) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 96.

(4) سفر أشعيا: 25: 6.

(5) سفر أشعيا: 26: 1.

فيوم الرب المرتبط بالمسيح المنتظر ليس يوماً آخر كما هو في الديانات السماوية التي أنزلها الله سبحانه، وإنما هو عالم آخر يختلف عن عالم الذل والاضطهاد الذي عاشه اليهود، ففيه الخلاص على يد المسيح المخلص، فالعالم السابق كان عالم دنس وتفريط، أما العالم الآخر أو (عالم المسيح) فإن الرب سيكون له مع الدنيا يوم عظيم يذكره سفر عاموس، وفي هذا اليوم سيكون السلطان المطلق الأبدي على العالم للمسيح المخلص بعد أن تجدد وصلح، أي على مملكة الله[1].

ومع انتشار الدين المسيحي ازداد تشبث اليهود بمادية وجغرافية سياسة المملكة المنتظرة، فقد غالى اليهود كعادتهم في كل شيء، في قيمة المملكة الأرضية، فالذين كانوا لا يستطيعون سبيلاً إلى (مكان تلك المملكة)، كانوا يوصون بوضع حفنة من تراب فلسطين تحت رأسهم عند دفنهم بعد موتهم.

وخلاصة القول: فإن اليوم الآخر أو (يوم الرب)، وعقيد المسيح المخلص من الاعتقادات اليهودية، التي لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، فالبعث سيكون لصالح اليهود عند عودة المسيح المخلص لكي يمكنهم أن يشاركوا الأحياء في خلاص إسرائيل.

3- **الفرق اليهودية وموقفها من عقيدة اليوم الآخر**: إن اليهودية عندما ذكرت اليوم الآخر في بعض أسفارها، لم تكن تعني ما تعنيه الأديان السماوية من وجود دار للحساب يجازى فيها الناس على ما قدموا في حياتهم الأولى، وإنما كانت تعني شيئاً آخر.

ومن ثم فلا نجد من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام، فالشعب اليهودي عند الباحثين قسمان: قسم عاش حياته الدنيا سعيداً حراً، وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم. أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب وعاشوا تحت سلطان الجوييم، أو عاشوا في المنفى مشردين، فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم[2].

---

(1) قصة الحضارة / ول ديورانت: 11: 183.

(2) اليهودية / د. أحمد شلبي: 196.

وعلى العموم فإن فرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان...أي أن هذه الفرقة تعتقد أن البعث لن يكون للجميع، وإنما للصالحين من الأموات، وأن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا[1].

وقد ظهرت جماعة من اليهود مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة كانت تجاهر بمبدأ نكران البعث والنشور والقيامة، وتذهب إلى أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم، وهؤلاء صاروا يعرفون بالصدوقيين[2].

وهذه الفرقة تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عذاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم[3]، وهؤلاء أقرب إلى المادية والقواعد العملية، وقد أملى لهم هذه النزعة أنهم يؤمنون بأن الكتب اليهودية الأولى لا تذكر البعث ولا اليوم الآخر ولا تعد الصالحين حياة بعد هذه الحياة[4].

ومن الواضح أن إنكار البعث في اليوم الآخر كان أمراً شائعاً عند اليهود، خاصة قبل بعثة المسيح عليه السلام، وقد ذكرت الأناجيل إنكار فرقة الصدوقيين لليوم الآخر ومناقشة المسيح لهم في هذه العقيدة.

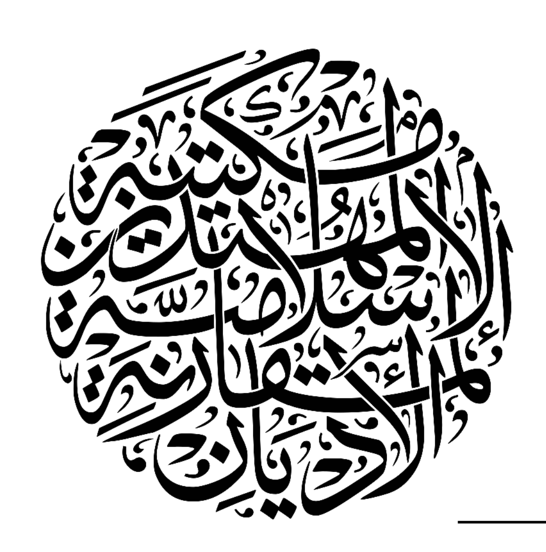
وعلى العموم فإن عقيدة البعث واليوم الآخر لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود ولا في عالم فرقهم، ويبدو هذا واضحاً في الفرق اليهودية المعاصرة، فالفرقة الأرثوذكسية المناهضة للفرقة الإصلاحية تجاهلت تماماً عقيدة اليوم الآخر وإنكار الإصلاحيين لبعث الجسد[5]، وكذلك الفرقة المحافظة التي اتخذت موقفاً وسطاً بين المتشددين الأرثوذكس والمنفلتين من الإصلاحيين، تجاهلت أيضاً عقيدة البعث واليوم الآخر[6].

---

(1) الأسفار المقدسة / د. علي وافي: 34، 55.
(2) العرب واليهود في التاريخ / د. أحمد سوسة: 355.
(3) الأسفار المقدسة / د. علي وافي: 34.
(4) عبقرية المسيح / عباس العقاد: 41، 43.
(5) الملل اليهودية / د. إسماعيل الفاروقي: 75، 76.
(6) المصدر السابق: 94.

فالفرقة الإصلاحية المعاصرة والتي انشقت عن بقية فرق اليهود، اتخذت قراراً مهماً في مؤتمرهم الذي عقد سنة (1875م) حول موضوع البعث قالت فيه: ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت[1]، واعتبر زعماء هذه الفرقة (البعث الجسدي) من جملة الأكاذيب والخرافات[2].

وبناء على ذلك فقد أنكروا أن يكون الخلاص على يد المسيح المخلص كما تعتقد بقية الفرق، واعتبرت هذه العقيدة عندهم من المبالغات والمغالطات، فقد قال (صموئيل إدلر) حاخام كنيس إصلاحي في نيورك: إن أولى الخطى التي يجب أن تتخذ هي تطهير الطقس الديني من الأكاذيب والخرافات الأخرى...ومن هذه الخرافات النحيب والعويل حول الاضطهاد، والدعاء بالعودة إلى فلسطين، والتطلع إلى مسيح شخصي والإيمان بالبعث الجسدي، وبالتالي يجب حذف كل المبالغات والمغالطات[3]. فالخلاص عندهم يكون في الدنيا بالحصول على المساواة في الحقوق المدنية، ولا ضرورة إطلاقاً لربط ذلك بفلسطين أو بغيرها من البلاد[4].



(1) المصدر السابق: 56.

(2) المصدر السابق: 53.

(3) المصدر السابق: 53.

(4) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 267.

الفصل الخامس

شرائع اليهود

المبحث الأول: عبادات اليهود

1- الصلاة

2- الصيام

3- زيارة بيت المقدس

المبحث الثاني: الأحوال الشخصية عند اليهود

1- الزواج

2- تعدد الزوجات

3- الطلاق

4- اليبوم

5- الميراث

المبحث الثالث: نماذج لشرائع أخرى عند اليهود

1- الحلال والحرام في الطعام والشراب عند اليهود

2- الختان

3- احتفال سن البلوغ

4- الربا

5- من هو اليهودي؟

6- الخطيئة والتوبة


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الأول

عبادات اليهود

الطقوس والعبادات اليهودية تطورت جنباً إلى جنب مع تطور العقائد، فقد انتهى علماء اليهود من خلال تأويل وتفسير النصوص التوراتية على ضوء الظروف المتقلبة التي مروا بها إلى صياغة نظام تفصيلي وكامل للحياة الدينية لليهود مستفاد من الشرائع والوصايا الواردة في التوراة والتحديات التي واجهوها. وظلت هذه الممارسات الدينية تتنامى بفضل الإضافات التي تراكمت عبر الزمن، وهكذا شكلت نظم العبادة بمفرداتها المتنوعة، إطاراً من الطقسيات، التي صارت تميز الحياة التعبدية عند اليهود[1]. ومن أهم الطقوس والعبادات اليهودية:

1- الصلاة[2]: لم تكن الصلاة فريضة إجبارية على اليهود، ولم تكن محددة في أعدادها وأوقاتها، قبل خراب الهيكل وما تلاه من السبي إلى بابل، حيث كان اليهود يكتفون بتقديم القرابين في أماكن مخصصة في المعبد أو الهيكل، وكانت تقسم هذه القرابين على يد الكهنة، تتخللها صلوات متفرقة للكهنة وللأنبياء.

وعندما خرب الهيكل وتمّ السبي البابلي، أدى ذلك إلى إبطال ما اعتاد عليه اليهود من تقديم القرابين في الهيكل، فوضعت الصلوات بدلاً منها إلى يومنا هذا، وهذه العبادات بالصلوات أفضل بكثير من العبادات القديمة بالذبائح والقرابين، كما جاء في المشناه: أن الصلاة أفضل من القرابين. فإن العبادات بالقرابين هي عبارة عن تقدمة شيء من مال الإنسان، أي مادة حسية أرضية على مذبح مادي، بخلاف العبادة

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 129.

(2) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 142.

الروحية بالصلوات، فإنها إظهار عواطف وإحساسات، وتقدمة شكر روحية صادرة من نفس الإنسان على مذبح قلبه وعقله وشهواته الجسدية.

وترتبط الصلاةِ عند اليهود، بظرف خاص أو حدث ما يتعرض له الفرد أو الجموعة، حتى يمنح الله خلاصه للأرض، فمضمون صلاة إسرائيل يجدد صلتها بالتاريخ، والتاريخ المقدس[1].

والصلاة عند اليهود على نوعين: فردية وجماعية، أما الفردية فهي صلوات إرتجالية من أفراد، تتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم، ومن أمثلة ذلك صلاة إبراهيم لأجل خلاص سدوم (أنظر سفر التكوين: 18: 23-33)، وصلاة يعقوب لأجل خلاصه من عيسو أخيه (أنظر التكوين: 22: 9-12)، وصلاة موسى لأجل بني إسرائيل (أنظر سفر الخروج: 22: 31-32).

وهذا النوع من الصلاة يتلى في أي مكان، فإن يونس صلى في جوف الحوت، ودانيال في جُب الأسود[2].

أما الصلاة الجماعية، فيشترك فيها مجموعة أشخاص علناً، وفي أماكن مخصصة للعبادة، وفي مواعيد معلومة، والذي يقرر ذلك الكهنة والحاخامون، ولم يعرفوا هذا النوع من العبادات إلا بعد أن بنوا الهياكل والخيم الخاصة لهذه الغاية[3].

ويتضح من سفر إشعيا (1: 15 و 29: 13 و 85: 5) أن الصلوات القانونية قد وضعت في عهد الأنبياء، ويستدل على أوقات الصلوات من سفر (دانيال: 6: 10) فإنه كان يصلي ويركع ويشكر الله ثلاث مرات كل يوم، وكذلك من المزمور (55: 17) من مزامير داود، وأحياناً مرتين كل يوم، كما جاء في سفر (أخبار الأيام الأول: 23: 30)[4].

والصلاة عند اليهود فريضة واجبة على النساء والرجال، وهم كذلك يصلون

---

(1) البيان في مقارنة الأديان / د. أسعد السحمراني: 36.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 143.

(3) البيان في مقارنة الأديان / د. أسعد السحمراني: 38.

(4) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 143، 144.

جلوساً ووقوفاً، ويركعون ويسجدون، ويبوّقون، ويبكـون في تضرعاتـهم واعترافاتـهم، وفي أيام الشدة والضيق كانوا يلبسون خيشـاً، ويـذرون ترابـا ورمـاداً علـى رؤوسـهم، ويمزقـون ثيابهم، ويحلقون شعور رؤوسهم (أنظر سفرإيخا، أو المراثي: 10: 20) ويحرصون على وضع الأيدي على الصدر مع حني الرأس قليلاً، كوقوف الخادم أمام سيده، لزيادة الاحترام. وهـم يتجهون في صلواتهم إلى جهة أورشليم، وفي أورشليم إلى جهة الهيكل قبلة لهم[1].

واليهود يؤكدون على الطهارة بعد الجنابة، وضرورة الاغتسال لكل من الرجل والمرأة، ففي سفر الأحبار: وأي رجل خرجت منه نطفة مضاجعة فليغسل جميـع بدنـه بالماء، ويكون نجساً إلى المغيب، وأي امرأة ضاجعها رجل بنطفة فليرتحضا بالماء ويكونـا نجسين إلى المغيب[2].

والأتقياء والمتعبـدون مـن اليـهود يصرفـون نحـو سـاعة مـن الزمـان اسـتعداداً للصلاة، من نظافة وتطهر ولبس وجمع الأفكار، وكان عـزرا يوصـي بوجـوب غسـل الجسم بكل تدقيق قبل العبادة[3].

أوقات الصلوات: الصلوات الواجبة على اليهودي ثلاث في كل يوم وهي:

1- صلاة الفجر: ويسمونها صلاة السحر أو (شحاريت)، ووقتها حسب مـا قررتـه المشـناه منذ أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأزرق إلى ارتفاع عمود النهار[4]. أي حتـى نهايـة الثلث الأول من النهار، وتعد أقدس الصلوات الثلاث، لذا لا يجوز تناول الطعـام وأداء الأعمال قبلها ويسبقها (الشيما) والتي تمثل الإقرار بشهادة الإيمان وتوكيدها[5].

2- صلاة العصر، أو نصف النهار، ويســمى بــ (منحـة): وتجـب هـذه الصـلاة منـذ انحراف الشمس عن نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب[6].

(1) المصدر السابق: 144.

(2) البيان في مقارنة الأديان / د. أسعد السحمراني: 39.

(3) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 144.

(4) المصدر السابق: 151، 152.

(5) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 133.

(6) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 152.

3- صلاة المساء، ويسمونها صلاة الغروب أو (عربيت): ووقتها غروب الشمس وراء الأفق إلى أن تتم ظلمة الليل الكاملة، أي ما يقابل وقت المغرب والعشاء عند المسلمين[1].

طقوس الصلاة:

هناك طقوس تسبق البدء بالصلاة عند اليهود، وهذه الطقوس يجب على المصلي الالتزام بها إذا أراد القيام بصلاته، وهي:

أ- غسل اليدين قبل البدء بأي من الطقوس الأخرى.

ب- وضع الشال على الكتفين، ويسمى عندهم بـ (الطليت)، وهناك شالٌ صغير يوضع للصلاة الفردية، وشال كبير في الصلوات الجماعية التي تتم جماعة في الكنيس كصلاة السبت والأعياد. ولهذا الشال مواصفات خاصة به، فهو مكون من نسيج أبيض (مستطيل الشكل أو مربع الشكل)، وفي كل زاوية من زواياه ثمانية أهداب من الخيط (أربعة بيضاء وأربعة زرقاء)، رمزاً للتعرف على طلوع الفجر بتميز الخيط الأبيض من الخيط الأزرق[2]، ولهذا الشال في طهارته أحكام خاصة أهمها أنه لا تلمسه النساء، لذا يخصص له موضع معين في المنزل، ويجب على اليهودي لبسه منذ أن يبلغ سن التكليف بالعبادة وهي ثلاث عشرة سنة (في احتفال خاص)، ويبقى عنده إلى أن يموت فيكفن عادة فيه[3].

وهذا الشال صار بعد القرن الثالث عشر للميلاد لباساً داخلياً ورمزاً يذكر اليهودي بصلته الدائمة بربه[4].

جـ- وضع التفلين: وهي عبارة عن علبة صغيرة من الخشب أو الجلد محفوظ بداخلها رقعة من رق الغزال أو الجلد مكتوب عليها (قراءة الشماع)، وهذه العلبة مثبتة في

---

(1) المصدر السابق: 152.

(2) وهذا الأزرق مختلف فيه من حيث درجته في الزرقة، وإنما اهتم فيه حالياً لدخوله حالياً في العلم الإسرائيلي، وقد مال (سعدايا الفيومي) إلى ترجيح الأزرق السماوي، ومعظم اليهود يتبعون هذا الرأي، وهو لون علم إسرائيل.

(3) المصدر السابق: 152، 153.

(4) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 132.

شريط من الجلد، ويجب وضعها عند الصلاة في وسط الجبهة بحيث يربط شريط الجلد حول الرأس، وتوضع واحدة أخرى على الكف اليسرى بحيث يربط شريطها حول اليد (على أعلى الذراع الأيسر المقابل للقلب)، وتكون العلبة مثبتة عند أصل الإبهام، وإذا كان المصلي (أشول) أي يستعمل يده اليسرى، وجب عليه أن يربطها على الكف والذراع اليمنى[1].

وقد اعتمد اليهود على نص موجود في سفر الخروج (13: 9): ويكون ذلك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك، لكي تكون شريعة الرب في فمك، لأنه بيدٍ قوية أخرجك الرب من مصر فتحفظ هذه الفريضة في وقتها، من سنة إلى سنة. ونص آخر في سفر التثنية (6: 8): وثبتها على يدك آية، ولتكن عصائب بين عينيك. وواضح أن المراد هو المعنى المجازي وهو التمسك بها كما يتمسك الإنسان بشيء ثمين في يده، والاهتداء بها كما يجعل الإنسان العلامة التي تهديه أمام عينيه دائماً[2].

د- **تغطية الرأس:** فالصلاة اليهودية تجب فيها تغطية الرأس، وهو الذي يسمى عندهم بـ (اليارمولكا)، وهو عبارة عن (طاقية صغيرة) توضع على أعلى الرأس، وهي تقليد عندهم للتعبير عن الاحترام، إذ قرأوا في النصوص المقدسة، أو ذكروا الله، أو قابلوا عظيماً من العظماء[3]، وهذا الغطاء الصغير يكون للرجال فقط، أما النساء فيجب تغطية الرؤوس كاملة أثناء الصلاة.

تلاوات الصلاة: القسم الأساسي من التلاوات التي تُقرأ أثناء الصلاة عند اليهود تتكون من (الشماع) و (الشمونة عشرة)، وهي تنسب إلى (عزرا) ومائة وعشرين رجلاً من الأنبياء والكهنة، ومن ضمنهم الأنبياء (دانيال وحجي وزكريا وملاخي)، لأن عزرا بعد خراب الهيكل وما حدث بعده من السبي البابلي، والذي أدى إلى وقف تقديم الذبائح والتقدمات، رأى وجوب وضع صلوات يومية للشعب لتقوم مقام هذه، ولتعزيهم في ضعفهم وذلهم، فجمع هؤلاء الرجال المعروفين بـ

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 153.

(2) المصدر السابق: 153.

(3) المصدر السابق: 153.

(رجال الكنيسة الكبرى)، ووضعوا القسم الأساسي من الصلاة (الشماع والشمونة عسرة)، وهو الأصل الهام لتلاوات الصلوات، ولم يتغير إلى الآن، إلا في بعض الإضافات البسيطة، كإضافة بعض الفصول والأناشيد المنتخبة من التوراة والمشناه والجمارا، وأغاني روحية[1].

ومما يذكر أن (الشماع) مأخوذ من سفري التثنية والعدد رتبه عزرا وجماعته، وكلمة (شماع) أي (إسمع) هي أول كلمة من النص والذي يبدأ بـ: إسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا الرب واحد (التثنية: 6: 4)[2]، وهو مكون من أقسام ثلاثة.

أما (الشمونه عسرة) فيتضمن تسع عشرة بركة أو تسبيحة، وكانت في الأصل ثمان عشرة، ثم أضاف الحبر اليهودي (صموئيل الأصغر) البركة التاسعة عشرة، وهي في الواقع ليست بركة ولكنها لعنة يصبونها على الفرق الأخرى من غير اليهود الربانيين، وبخاصة طائفة الصدوقيين، وتقسم البركات الثماني عشر إلى ثلاثة أقسام وهي: التسابيح، والتوسلات، والتشكرات، والقسم الأول والثاني من هذه البركات لا يتغيران مطلقاً في كافة الصلوات على مدار السنة، وأما القسم الثالث فيتغير في أيام السبت ورؤوس الشهور والمواسم والأعياد. والشماع هو الوحيد من الصلاة اليهودية المأخوذ من التوراة، بينما البركات الثماني عشر التي تسمى عندهم (شمونة عسرة)، فترجع في تصنيفها وكتابتها إلى عزرا ورجال الكنيسة الكبرى[3].

وتختتم الصلوات اليومية الثلاث بالدعاء والمناجاة والتوسل بالخلاص الأبدي، والأولى في العرف والعادة أن تؤدى الصلوات جماعة، وأن لا يقل عدد المصلين عن عشر من الذكور البالغين، ويجوز أداء الصلوات بانفراد. ومن المظاهر المصاحبة للصلوات القراءة الجماعية للتوراة، وتتلى التوراة عادة من أجزاء مفردة مستقلة تعرف بـ (سفر توراة). وقد أوصى علماء التلمود منذ القدم الا يمر على اليهودي أكثر من ثلاثة أيام من غير تلاوة متدبرة للتوراة، كذلك أوصوا بالتلاوة الجماعية للأسفار

(1) المصدر السابق: 145.
(2) المصدر السابق: 146.
(3) المصدر السابق: 146، 147، 154.

الخمسة أيام الخميس والاثنين من كل أسبوع، وصباح ومساء كل سبت، ولهذا جزئت التوراة إلى أربعة وخمسين جزءاً، ورتبت بحيث تتم تلاوتها على مدة سنة كاملة، وكانت العادة قد جرت في فلسطين أن تختتم التوراة في ثلاث سنوات ثم انقرضت هذه العادة المتبعة، وحلت بديلاً عنها الختمة السنوية، كما حددها التلمود البابلي[1].

وتبدأ الحياة الدينية لليهودي منذ الصباح الباكر وذلك بتلاوة أدعية الشكر والثناء على الله تعالى، تصحبها صور من الغسل والوضوء التي تتناسب مع دواعيها. فغسل اليدين عقب القيام من النوم عمل من أعمال الطهارة، ومظهر من مظاهر التقديس لله، وكذا الأخذ بعادة غسل اليدين قبل وعقب تناول وجبات الطعام، وكان هذا أحد الأسباب لمعاداة اليهود للنصارى الأوائل الذين كانوا يتناولون الطعام بأيدٍ نجسة، أي غير مغسولة[2].

ومما يذكر أن الصلوات الجماعية عند اليهود تكون فيما يسمى بـ (بيت التوراة) أو المعبد، ويُعد المعبد مركز الحياة الدينية عند اليهود، ولهذا المعبد مظاهر ورموز هي[3]:

أ- تابوت العهد القديم، الذي يحفظ فيه لفائف ورقائق، ويُتوجه إليه في الصلوات.

ب- المشكاة المضاءة دوماً.

جـ- المحفل: وهو عبارة عن منصة للتلاوة، ويرمز إلى الهيكل القديم.

2- الصيام: الصوم عبارة تدل على الالتزام بطاعة الله، وطلب القرب منه أو العون، وقد يؤدونه جماعة في مناسبات معينة، وقد يؤديه فرد بشكل شخصي لحاجة معينة، وبذلك يكون حال الصوم كحال الصلاة.

والصوم عندهم قد يكون كفارة عن خطأ أو إثم وقع فيه الإنسان، وقد ينذرون الصوم أو يقومون به مقروناً بالدعاء في إطار طلب الشفاء لمريض من الله تعالى، كما

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 133.
(2) المصدر السابق: 129.
(3) اليهودية د. عرفان عبد الحميد: 137، 138.

فعل داود من أجل شفاء ولده المريض، كما أن الصوم قد يكون عندهم بعد نكسة أو خسارة عسكرية[1].

والصوم عندهم يكون بالامتناع عن الطعام والشراب من غروب الشمس لليوم الأول إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي.

ومن أهم أيام الصيام عندهم، اليوم الرابع من شهر تشري (تشرين أول)، ويكون بعد احتفالهم برأس السنة العبرية في الأيام الثلاثة الأولى. وكذلك في يوم الغفران أو الكفارة، وهو اليوم العاشر من شهر تشري، ويبدأ الصوم في هذا اليوم من قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي. والظاهر أن هذا اليوم كان لحساب النفس، والندم على ما بدر من الخطايا، والتكفير عنها بالصوم، ولكن حدث في هذا اليوم أن (نبوخذ نصر) (دمر أورشليم في هذا اليوم، فاقترن هذا اليوم بتلك الذكرى الأليمة، وأصبح عندهم أكبر أيام الحداد[2].

ومن أيام الصوم كذلك اليوم الثالث عشر من شهر آذار من السنة العبرية، ويسمى عندهم (صيام أستير)، بالإضافة إلى صوم اليوم الثامن عشر من شهر تموز (العبري)، ويجعلون هذا الصيام حداداً من أجل حوادث مختلفة أهمها: تحطيم ألواح التوراة، وهناك أيضاً صيام التاسع من آب (العبري)، وهو ذكرى سقوط أورشليم على يد الرومان[3].

3- **زيارة بيت المقدس:** يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد أن يزور بيت المقدس مرتين في العام، وأن يبقى به أسبوعاً كل مرة، يبدأ الأسبوع يوم الجمعة، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الوافدون، ويقودها الكهنة واللاويون، وقد قصد بهذه الزيارة أن تتاح فرصة لليهود أيا كانت مناطقهم أن يتعارفوا ويتحدوا[4].

---

(1) البيان في مقارنة الأديان / د. أسعد السحمراني: 40، 41.

(2) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 168، 169.

(3) المصدر السابق: 173، 190.

(4) اليهودية / د. أحمد شلبي: 302.

المبحث الثاني

الأحوال الشخصية عند اليهود

1- الزواج: السن المفروضة لصحة التزوج هي الثالثة عشرة للرجل، والثانية عشرة للمرأة، ولكن يجوز نكاح من بدت عليه علامات بلوغ الحلم قبل هذه السن، ومن بلغ العشرين ولم يتزوج فقد استحق اللعنة[1]. لذا فإن بقاء اليهودي أو اليهودية في العزوبة يعد أمراً منافياً للدين، ففي المادة (393) من القانون المدني: أن كل يهودي يجب عليه أن يتزوج، وأن الذين يبقون عزاباً يتسببون في أن يتخلى الله عن شعبه إسرائيل[2].

والزواج في اليهودية صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة، تشترى من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق، ويتم الزواج إذا باركه أحد الكهنة، وقدم الرجل للمرأة خاتماً أو هدية أخرى لها قيمة في حضور شاهدين على الأقل، ويعتبر ذلك عقداً، وإذا حضر العقد عشرة رجال فأكثر، أتبع العقد بصلوات وأدعية يشترك فيها الجميع، ومن تقاليد الفكر اليهودي أن الرجل إذا تزوج لا يلتحق بالجيش، ولا يرتبط بأعمال تبعده عن زوجته مدة عام، فشهر العسل في الفكر اليهودي عام كامل[3].

وتبدأ الحياة الزوجية بالخطبة، التي تقام تحت قبة مخصوصة، وعلى الخاطب ومخطوبته صيام اليوم السابق لإعلان الخطبة، التي تعقد بحضور شاهدين اثنين يعينان خصيصاً لهذا الأمر، ومن غير أقارب الزوجين، وعلى الزوج أن يقدم عهداً مدوناً، يتضمن ضمانات تكفل حق الزوجة مستقبلاً، والقصد من الزواج هو التكاثر والتناسل وطلب العفة وبناء عش الزوجية. ولا يجوز للزوجين الجماع خلال فترة الحيض، وسبعة أيام بعدها، تعرف بفترة الانفصال، ثم تأتي فترة وجوب الاتصال

(1) المصدر السابق: 298.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 191.

(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 300.

الجنسي بين الزوج وزوجته، وعلى الزوجة الاغتسال في بركة مخصوصة جُمع ماؤها من المطر، ومثل هذا الغسل يلزم المخطوبة قبل الدخول بها[1].

ويحرم الزواج بين اليهود وغيرهم، ويسمى غير اليهود في كتب الشريعة اليهودية (كفاراً) يستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون والوثنيون والزنادقة، فالزواج المعقود بين يهودي وكافرة أو العكس باطل، والحياة الزوجية القائمة بينهما تعتبر فجوراً وزناً مستمرين، والأولاد الذين يولدون من هذه المعاشرة المرذولة يعتبرون أبناء زنا، ونجد بعض المشرعين اليهود لا يكتفي بوحدة الدين بين الزوجين، بل ينص أيضاً على وحدة المذهب، ويصح عندهم أن يعقد بين اثنين كان أحدهما أجنبياً ثم اعتنق الدين أو المذهب اعتناقاً شرعياً، والأولاد الذين يولدون من هذا الزواج (أي زواج اثنين أحدهما يهودي والثاني أجني لصيق باليهود عن طريق اعتناقهم دينهم)، لا يصح أن يكون منهم كهنة في إسرائيل، وهذا تأكيد للنزعة العنصرية التي تصبغ أكثر الشرائع اليهودية، ولذلك تقول إحدى مواد تشريعاتهم: إذا ارتد الإسرائيلي ثم تزوج شرعاً بإسرائيلية صح العقد، كذلك إذا ارتدت الإسرائيلية ثم تزوجت بإسرائيلي، ومعنى ذلك أن الزواج عندهم ليس فرعاً من الإيمان، بل هو فرع من العصبية العنصرية، فالإسرائيلي يبقى كذلك حتى ولو كفر، وكذلك الإسرائيلية[2].

وتوصي الشريعة اليهودية الرجل بعدم الإقدام على الزواج حتى يستطيع إعالة المرأة، فقد ورد في المشناه أن (التوراة قد رسمت الطريق الصحيح الذي ينبغي على الرجل اتباعه، فعليه في المحل الأول أن يبني بيته، بعد ذلك يزرع الكرمة، ثم بعد ذلك يتزوج)، كما يوصي التلمود بالتدقيق في اختيار المرأة، وعدم الإقدام على زواجها إلا بعد رؤيتها، وكذلك ضرورة التناسب بين الرجل والمرأة في السن والحجم، وذلك حرصاً على تحسن النسل، ومن وصايا الشريعة اليهودية للرجل: بألا يختار امرأة من نفس مستواه الاجتماعي، وإنما الأفضل أن ينزل درجة عند اختيار امرأته لأنه إذا تزوج ممن هي أعلى منه مرتبة، عرض نفسه للاحتقار من جانبها وجانب أقاربها[3].

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 134، 135.
(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 192.
(3) نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية / د. محمد سرور: 64.

والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون، لا يجوز لها البيع ولا الشراء، وينص التشريع اليهودي على أن جميع مال المرأة ملك لزوجها، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج تطالب به بعد موته، أو عند الطلاق منه، وعلى هذا فكل ما دخلت به من مال، وكل ما تلتقطه وتكسبه من سعي وعمل، وكل ما يهدى إليها في عرسها، ملك حلال لزوجها، يتصرف فيه كيف يشاء[1]. وقد حرمت الشريعة اليهودية على الرجل الزواج من زوجة عمه، ومن كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه، ولم تجعل الرضاعة سبباً للتحريم[2].

2- تعدد الزوجات: تعدد الزوجات جائز شرعاً عند اليهود، ولم يرد في تحريمه نص واحد، لا في التوراة ولا في التلمود، وكانت العادة جارية بين اليهود، على اتخاذ أكثر من زوجة، وليس في الدين أيضاً حد أقصى لتعدد الزوجات، فقد كان مباحاً لليهودي أن يتخذ من النساء ما طاب بلا قيد أو شرط[3]. ولكن بعض شراح التلمود قد خفض عدد الزوجات الشرعيات اللاتي يمكن لليهودي الاحتفاظ بعصمتهن إلى أربع، إلا أن الأغنياء فقط هم الذين كانوا يعددون زوجاتهم، أما الآخرين فلم يفعلوا بذلك إلا نادراً[4].

ولكن ظهر في العصور الوسطى الحاخام اليهودي (جرشوم بن يهودا)، فأفتى بوجوب تحريم تعدد الزوجات بين اليهود، وكانت هذه الفتوى مبنية في الأساس على ما كانت تلاقيه الجاليات اليهودية في أوروبا في العصور الوسطى من احتقار واضطهاد بسبب تعدد الزوجات فيها، وهو أمر حرمته المسيحية تحريماً قاطعاً، فأراد الحاخام جرشوم أن يضع حداً لهذا المظهر المثير من مظاهر تكوين المجتمع اليهودي، ولكن اجتهاده لم يحظ بالتطبيق القانوني المتفق عليه في المجالس الملية ومحاكم الأحوال الشخصية لليهود في أوروبا إلا حوالي سنة (1240م)، إذ اتفقت كلمة كهنة اليهود على

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 301.
(2) المصدر السابق: 299.
(3) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 192، 193.
(4) نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية / د. محمد سرور: ،

هذا التحريم، وبناء على ذلك فإن مواد القانون الذي يلتزم به اليهود في المجتمعات الغربية تؤكد على أن من خالف فتوى الحاخام جرشوم فإنه يقع تحت عقوبة التكفير والخلع والطرد من المجتمع الإسرائيلي، ولكن ابن شمعون -الذي عاش في المجتمع الإسلامي- يقول في بنود القانون الذي كتبه: إذا كان الرجل في سعة من العيش، ويقدر أن يعدل، أو كان له مسوغ شرعي، جاز له أن يتزوج بأخرى. ومن هنا يتضح أن الشريعة اليهودية تتلون وتتأثر بالشرائع التي تجاورها، فالحاخام جرشوم يبدو مسيحياً في اتجاهه نحو التحريم البات للتعدد، بحكم معيشته في أوروبا الكاثوليكية، بينما ابن شمعون يتأثر بالشريعة الإسلامية، بحكم معيشته في القاهرة، فلا يتشدد في المسألة بنفس الطريقة، حتى بعد تسعة قرون من فتوى الحاخام جرشوم[1]. لهذا فقد ظل تعدد الزوجات مألوفاً، عند اليهود الساكنين في الأوساط الإسلامية[2].

2- الطلاق: إن الطلاق في التوراة حق موضوع بيد الرجل يستعمله بلا قيد ولا شرط، فالشريعة اليهودية لا تمنع الرجل من طلاق زوجته ولو لغير سبب سوى رغبته في التزوج بأجمل منها، إلا أنه لا يليق برجل من أهل الخير والمعروف أن يقدم على الفراق بدون سبب يستوجب الطلاق[3].

والأسباب التي يحل بسببها الطلاق ثلاثة: (الزنا، والعقم، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق) فيحل للرجل أن يطلق زوجته إذا أشيع عنها الزنا، ولم يثبت عليها الزنا فعلاً، كما يحل له طلاقها إذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك قبله، كما يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات أن يفارقها ويتزوج بغيرها، أما عيوب الخلقة التي يحل للرجل طلاق زوجته بسببه هي العمش والحول والحدب والعرج، أما اللكنة فلا تستوجب الطلاق لتيسر مداراتها بالصمت، وأخيراً فإن عيوب الخلق التي تجيز الطلاق هي: الوقاحة والثرثرة والوساخة والإسراف والشكاسة والعناد والنهمة والبطنة والتأنق في المطاعم وحب الفخفخة والبهرجة[4].

---

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 192، 193.
(2) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 135.
(3) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 97.
(4) المصدر السابق: 99.

وللزوجة الحق في طلب الطلاق، إذا توافرت الأسباب المسوغة لذلك، وعندها يتعين على الرجل إجابة المرأة لطلبها، والإيجاز للمحاكم الشرعية أن تحل محله في إيقاع هذا الطلاق، وقد أوردت الشريعة اليهودية أمثلة للحالات التي يسوغ فيها للمرأة طلب الطلاق.

أ- التقصير من جانب الزوج في واجباته الشرعية، كالإخلال بواجب الاتصال الجنسي، وعدم الإنجاب من الزوج لكونه (عنيناً أو عقيماً) ولا يصح طلب الطلاق بسبب عدم الإنجاب إلا بعد أن تمضي عشر سنين إن كانت الزوجة بكراً، أو خمسة إن كانت ثيباً، وكالإخلال بواجب الإنفاق، أو لسوء أخلاق الزوج، أو لاعتياد الزوج الزنا.

ب- استحالة استمرار الحياة الزوجية، مثل كراهية المرأة للرجل، أو العكس[1].

وهذا التطور الواضح في التشريع اليهودي حيال المرأة بأن أعطاها الحق في طلب الطلاق، لم يكن إلا نتيجة فتوى أخرى من الحاخام اليهودي (جرشوم بن يهودا)، الذي حرم طرد المرأة من بيت الزوجية إلا إذا أفتى القاضي بطلاقها، أو اتفقت مع زوجها بالتراضي على الطلاق[2]. بحيث لا يقع طلاق من غير رضى الزوجة وقبولها[3].

ويعتبر اليهود الأرثوذكس كل طلاق لا يتم من قبل (الحاخامات)، وينتهي بحصول المطلقة على وثيقة الطلاق الشرعية من زوجها باطلاً، ويعد زواج المطلقة من جديد زنا، ويعد النسل المولود منها أبناء زنا، ولا يحق لهم الزواج -عندئذ- إلا من أمثالهم، وللمطلقة أن تتزوج بعد ثلاثة أشهر، ويجوز أن تعود إلى زوجها شريطة أنها لم تتزوج أثناء الانفصال بغيره[4].

وعلى كل يحرم في الشريعة اليهودية مراجعة من فارقها بسبب الزنا أو العقم، وكذلك معاشرة مطلقته ومخالطتها، ولا يجوز له السكن معها في دار واحدة تحت سقف واحد، ولا في منزل واحد[5].

---

(1) نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية / د. محمد سرور: 302-304.
(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 194.
(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 135.
(4) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 136.
(5) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 104، 105.

والشريعة اليهودية لا تجيز زواج الكهنة من المطلقات إطلاقاً، كذلك تحرم وقوع الطلاق في حالتين: الأولى: ادعاء الرجل بأن زوجته لم تكن (بكرا) حال دخوله عليها، ثم تبين فساد ادعائه، فيلزمه الإمساك بها، والثانية، في حالة اغتصاب الرجل لبنت بكر، فلا يجوز له الطلاق منها بعد أن فضَّ بكارتها[1].

4- الييُّوم: ويقصد به أن أرملة اليهودي الذي مات ولم ينجب منها، يجب تزويجها لأخيه الأعزب على وجه الإجبار، فإذا أنجب منها فإن المولود لا يحمل اسمه وإنما يحمل اسم أخيه الميت وينسب إليه، وإذا امتنع هذا الأخ عن الزواج بأرملة أخيه، فإنه يشهر به ويخلع من المجتمع الإسرائيلي، وتسمي الشريعة اليهودية المرأة التي تؤول إلى أخ الزوج الميت (بيامة)، وهذا الحكم ورد في سفر التثنية (25: 5-10). والمعمول به الآن في قانون الأحوال الشخصية: المتوفى زوجها إذا لم يترك أولاداً، وكان له شقيق أو أخ لأبيه، عدت له زوجة شرعاً، ولا تحل لغيره مادام حياً، إلا إذا تبرأ منها[2]. والقراؤون من اليهود يرون أن هذا التشريع قد نسخ من زمن بعيد ولا يزال منسوخاً[3].

5- الميراث: أول من يرث الميت ولده الذكر، وإذا تعدد الذكور من الأولاد فللبكري حظ اثنين من إخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح أو غير صحيح من الأولاد في المواريث، فيعطى لكل منهم نصيبه بقطع النظر عن النكاح الذي ولد منه، ولا يحرم البكري من امتيازه بسبب كونه من نكاح غير شرعي، أما البنات فمن لم تبلغ منهم الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذا السن تماماً، وليس لها شيء بعد ذلك[4].

ويتضح من هذا أن الشريعة اليهودية لا يوجد فيها فرائض مقدرة للآباء والأزواج والبنات والأخوة والأخوات ولا غيرهم من الأقارب، وأنه لا ميراث للبنات ولا للزوجة

---

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 136.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 194، 195.

(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 299.

(4) المصدر السابق: 297، 298.

ولا الأباء ولا غيرهم من الأقارب مع الولد الذكر بكرياً أو غير بكري[1].

وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإن لم يكن له ابن ابن فالميراث للبنت، وإن لم يكن له بنت فالميراث لأولاد البنت، وإذا لم يكن له حفدة فلأولاد أولادهم الذكور (أولاد الحفدة)، وإذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة وهكذا[2].

وإذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسلاً من ذكر أو أنثى أولاداً أو حفدة، أو من نسلهم ذكوراً أو إناثاً فميراثه لأصوله، وأحق الأصول بميراث الميت أبوه وله كل التركة، وإذا لم يكن له أب فجده ثم أصوله من أبيه، وإذا كانت أصول الميت من أبيه معدومة فينتقل الميراث إلى درجات الأقارب أو الفرعية. وإذا لم يكن للميت وارث من أصول أو فروع أو حواشي كانت أمواله مباحة يمتلكها أسبق الناس إلى حيازتها، إلا أنها تعتبر وديعة في يد حائزها لمدة ثلاث سنوات فإذا لم يظهر للميت وارث بعد ذلك صارت ملكاً لحائزها ملكاً دائماً[3].

ومما لاشك فيه أن العصبية العنصرية تتجلى في التشريعات الخاصة بالإبن البكر، فالبكر من الجارية أو الأجنبية لا يمنع البكورة من الإسرائيلية بعدها، وهذا التشريع مقصود به تزييف حق العرب وجدهم إسماعيل عليه السلام في النسبة والميراث والبكورة من إبراهيم عليه السلام، فإسماعيل ولد قبل أن يولد إسحق، فهو إبن إبراهيم البكر، ولكنه مولود من هاجر الجارية المصرية، فأفتت الشريعة اليهودية بثبوت البكورة للإبن الأصغر (إسحق)، لأنه وإن تأخر في الولادة، فهو سليل الزوجة التي توصف بأنها عبرية (سارة)[4].

(1) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 106.
(2) المصدر السابق: 109.
(3) المصدر السابق: 110، 111.
(4) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 196.

المبحث الثالث

نماذج لشرائع أخرى عند اليهود

1- الحلال والحرام في الطعام والشراب عند اليهود[1]: هناك تقاليد مميزة في الشريعة اليهودية تتعلق بالطعام والشراب ما يحل منه وما يحرم، وهذه الشرائع جاءت نتيجة تأويلات وتفسيرات للنصوص التوراتية قام بها حاخامات اليهود وبقيت في تطور ونمو مستمر بفضل الإضافات التي تراكمت عبر الزمن، ومن أهم ما حرم وأحل على اليهود في موضوع الطعام والشراب:

أ- يحل من الحيوانات ذوات الأربع كل ما له ظلف مشقوف وليست أن أنياب، ويأكل العشب ويجتر، فالخيل والبغال والحمير تحرم لحومها لأنها ليست ذات أظلاف مشقوفة، وكذلك الجمل لأنه ذو خف لا ظلف، ويحرم الخنزير بالرغم من أظلافه المشقوفة لأنه ذو ناب، وتحرم السباع كلها لأنها ذات مخالب وأنياب، ولحم الأرانب وما يتصل بها من القوارض آكلة العشب حرام لأنها ذات أظافر لا أظلاف مشقوفة.

ب- ويحرم من الطيور كل ما له منسر، أي منقار معقوف، أو مخلب أو كان من أوابد الطير التي تأكل الجيف والرمم، فيحرم أكل الصقر والنسر والبومة والحدأة والببغاء لكونها ذات منسر أو مخلب أو كليها معاً، ويحرم أكل الغراب والهدهد ونحوها خوفاً من الخطر، لأنها من أوابد الطير التي لا يعرف ماذا تأكل. ويحل أكل الدجاج والأوز والبط ونحوها من الطيور الأليفة التي يمكن تربيتها في البيوت والحقول، كما تحل السماني والعصافير وبعض الطيور البرية آكلة العشب.

---

(1) الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا 197، 198.

جـ- أما الأحياء المائية، فيحل منها السمك الذي له زعانف وعليه قشور، وفيما عدا ذلك فكل صيد البحر حرام، فممنوع على اليهودي أكل الأسماك الملساء، وأنواع الأخطبوط والجمبري (القرديس) أو الربيان والسرطان (الكابوريا) والمحار.

د- ولا يجوز عند اليهود الجمع بين اللحم والحليب، أو أي شيء يمت إليه بصلة في طعام واحد، فيحرم طبخ اللحوم في السمن أو الزبدة، بل يجب أن تطبخ في زيوت نباتية. ويحرم أن يتناول اليهودي اللحم والجبن أو الزبدة أو اللبن أو نحوها في وجبة واحدة، ويحرم عليهم كذلك أن يوضع اللحم في إناء كان قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل، أو أن تستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن ونحو ذلك. ولذلك يتعين على كل يهودي متمسك بشريعته، وعلى كل مطعم يهودي يهتم بأن يكون ما يقدمه (كاشير) -أي حلالاً- أن يتوفر له مجموعة من الآنية والصحون وأدوات المطبخ تخصص للحوم فقط، وتوضع في مكان محدد، ومجموع آخر يخصص للألبان ومستخرجاتها، وله مكان منعزل أيضاً.

هـ- لا يجوز أكل الحلال المذبوح إلا إذا ذبح من قبل مأذون متخصص بالذبح، ويلزم عند الذبح إسالة كامل دم المذبوح باعتبار أن الدم محرم بالإطلاق[1].

و- يجب أن يكون اللحم خالياً من الألياف والأعصاب، وأن يعصر جيداً ويملح، كذلك يحرم الميتة، وشحوم بعض الحيوانات وعرق النسا الذي في حق الورك[2].

2- الختان: الإختتان في الشريعة اليهودية فريضة في الشريعة اليهودية يحتمها الولاء للجنس، فعلى اليهودي أن يقوم بعملية الختان ليبرهن على أنه يهودي[3]. وتجري عملية الختان في اليوم الثامن من الولادة إعلاناً وإشهاراً لدخول المولود في الملة وتوكيداً للعهد الإلهي، الذي أبرمه إبراهيم عليه السلام مع الرب، ويختص بالختان

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 130.

(2) المصدر السابق: 130.

(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 297.

مُعلِّمٌ يعرف بـ (موهل)، ثم يسمى المولود باسمه، وتجري عملية الختان بحضور عشرة أفراد من الذكور البالغين، ويحمل الطفل العرّاب، مع توهم حضور النبي (إيلياء) حفل الختان حيث يهيأ مقعد له مقعد إلى جانب مقعد الطفل الذي سيختتن[1].

3- احتفال سن البلوغ: يبلغ الفتى سن الرشد عند بلوغه سن الثالثة عشر، وهو سن التكليف الديني، ويسمى بعده بابن الوصايا، ويبدأ الطفل بلبس الطاقية والتفلين، وحضور الصلوات الجماعية، ويعقد حفل بلوغ سن الرشد في الكنيس يوم السبت الموافق لعيد ميلاده الثالث عشر، ويدعى الولد إلى المحفل لقراءة التوراة والصلوات المخصصة لذلك اليوم، وأجزاء من سفر الأنبياء المخصصة لليوم ذاته. وإذا كان المولود الأول للعائلة ذكراً، فإن احتفالاً آخر يقام في اليوم الحادي والثلاثين من عمره. أما الفتاة فإنها تبلغ سن الرشد في اليوم التالي لإكمالها السنة العاشرة من عمرها[2].

4- الربا: الربا محرم بين اليهود فقط، وعقوبة المخالف لذلك التكفير والخلع، بينما يباح الربا إذا أقرض اليهودي لغير اليهودي مالاً، ولكن نظراً لما جبل عليه هؤلاء الناس من حب المال فإنهم تحايلوا، حتى على تحرم الربا فيما بينهم، فبعد أن جاء في المادة (584) من المجموعة القانونية أنه: محرم على اليهودي أن يقرض اليهودي مالاً أو غيره من الأشياء التي يحتاج إليها كالقمح أو الدقيق مثلاً بالربا، وأن المقرض يتعرض تلقائياً للخلع والطرد. تعود المادة (585) من نفس المجموعة فتقيد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها، أما إذا اقترض اليهودي نقوداً من يهودي آخر، بقصد الاستثمار، أو التوسع في التجارة، أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ريعاً، فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيباً في الأرباح يتفق عليه[3].

(1) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 136، 137.

(2) المصدر السابق: 137.

(3) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 196.

5- من هو اليهودي[1]؟ من أعقد المشاكل المستعصية التي واجهتها اليهودية في العصر الحديث، وتعاني من وطأتها إسرائيل اليوم، قصة تحديد الهوية اليهودية، وتعريف من هو اليهودي؟

ولم تكن هذه المشكلة مثار خلاف وشقاق قبل نشأة الفرقة الإصلاحية، فقد كان اليهود قبل ذلك مجمعين على حصر الهوية اليهودية في المولود من أم يهودية فقط، واعتبار أن اليهودية ترتكز أصالة وبإطلاق على النسب من الأم، ومن ثم كانت اليهودية طيلة العصور الماضية ديناً محصوراً في جنس بعينه.

فالنزعة السائدة بين اليهود والأرثوذكس، حصر اليهودية في النسب المحض، ومن ثم اعتبار المولود من أم يهودية حصراً يهودياً، فعند هؤلاء (ومذهبهم هو السائد في إسرائيل)، يكفي أن يعد المرء يهودياً لمجرد أنه مولود من أم يهودية، وذلك عملاً بأحكام التلمود التي تنص: إبنك الذي من امرأة إسرائيلية يدعى إبنك، أما إبنك المولود من امرأة وثنية فلا يدعى إبنك، وهذا الأصل مما اخترعه عزرا بعد السبي البابلي، فقد شدد هو و (نحميا) على وجوب الحفاظ على الطهر العرقي لليهود، منعاً لمخاطر الانصهار في الأغيار، ومن ثم إلزامهما من تزوج من اليهود من غير اليهود، بوجوب الانفصال والطلاق حتى ينفرز اليهود من رجاسات الأمم.

وبناء على هذا فإن الطفل غير الشرعي المولود من يهودية أغتصبت كرهاً من قبل غريب يعد يهودياً، في حين أن الطفل المولود من أب يهودي وأم غير يهودية لا يعد كذلك، وهو الحكم الشرعي المعتمد عند الأرثوذكس.

أما الفرقة الإصلاحية فتعتبر الطفل المولود من أب يهودية وأم غير يهودية، يهودياً، ومن غير حاجة لمراسم اعتناق اليهودية التي يفرضها الأرثوذكس.

والقاعدة العامة عند الأرثوذكس وجوب تهود أمثال هؤلاء من مقطوعي النسب بإسرائيل، وفق المراسيم التي يوجبونها عل منقطع النسب بإسرائيل، ومن اعتنق اليهودية من غير اليهود، وهي عبارة عن طقوس ومراسيم وشروط تبدأ[2]:

---

(1) أنظر اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 123-128.

(2) المصدر السابق: 127، 128.

أ- الغطس في ماء الحوض المقدس، والذي جمعت مياهه من المطر، عارياً للأنثى، والختان المسبوق على الغطس للذكر.

ب- أن يعلن المرء عن تهوده في حضرة مجلس ديني وبحضور ثلاثة من الربانيين يشكلون عادة مجلساً شرعياً.

جـ- أن يسبق الإقرار بقبول تهوده فترة يوضع فيه من رغب في التهود تحت المراقبة للتحقق من الدوافع وراء رغبته، وهل هو مدفوع بأسباب مادية، أو رغبة في الحصول على مكانة اجتماعية، أو بدافع من الخوف، ويلقن خلاف هذه الفترة أصول اليهودية، وما تفرضها من التزامات وقواعد سلوكية، وقد تمتد مهلة التحقق عند الأرثوذكس إلى أربع أو خمس سنوات.

أما أتباع المذهب الإصلاحي فقد تجاوزوا كل هذه المراسيم، فعلى مذهبهم كل من يرغب في التهود بمحض إرادته، ومن غير إكراه، وكان عاقلاً بالغاً، يصبح يهودياً من غير المرور بعملية التهويد وشروطه، على أن مثل هؤلاء المتهودين على المذهب الإصلاحي، لن يُعدوا يهوداً في نظر الأرثوذكس، إلا إذا أعادوا تهودهم وفق شروط مذهبهم الآنفة الذكر.

وطبيعي هنا أيضاً أن يترتب على هذا الخلاف قضايا شرعية متنوعة، فأتباع المذهبين المحافظ والأرثوذكس، لا يجيزون الزواج من أو بمثل هؤلاء المتهودين، بل ويعتبرون النسل عن مثل هذا الزواج أبناء زنا، ويرى المؤرخون أن مثل هذا الشقاق والخلاف إن استمر بين الإصلاحيين من جهة والأرثوذكس والمحافظين من جهة ثانية، فإنه سيسوق حتماً إلى إنشطار اليهودية على نفسها إلى ثلاثة أديان مستقلة لا يجمعها جامع.

وقد أدت مثل هذه الخلافات إلى نشوب أزمات سياسية في الحكومات الإسرائيلية التي تأتلف فيها الجماعات الدينية المتشددة مع الجماعات المنتمية للاتجاهات الإصلاحية.

6- الخطيئة والتوبة: في الفكر اليهودي تكثر الخطايا، ففي كل شهوة تكمن الخطيئة، فالخطيئة تدنس المخطئ، والحيض والولادة كالخطيئة يدنسان المرأة، ويتطلبان

تطهيراً ذا مراسم وتقاليد وتضحية وصلاة على يد الكهنة، والهبات والقرابين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا، على أن تقدم للكهنة بعد الاعتراف الكامل بما ارتكب الإنسان من إثم(1).

لهذا كانت الخطيئة هي الفكرة الأساسية في الدين اليهودي، وكذلك كانت التوبة منها الشغل الشاغل للتشريعات اليهودية.

ويبرر اليهود كثرة الخطايا بأن الطبيعة البشرية ضعيفة، والسنن معقدة صعبة فلم يكن ثمة مفر من الوقوع في الخطيئة(2). ولما كانت الخطيئة كامنة في كل شهوة من الشهوات في الدين اليهودي، أصبحت الهبات والقرابين هي الوسيلة للتكفير عن الخطايا، وقلما كانت هناك خطيئة لا يمكن التكفير عنها بهذه الوسيلة.

وعلى هذا كان المجتمع اليهودي مجتمع خطايا، ومجتمع تكفير وغفران في نفس الوقت، حتى أن التاجر كان ولا يزال يطفف الكيل ويغش في الميزان، ثم يحاول التكفير عن ذنبه بالتضحية والصلاة(3).

وكان تقديم القرابين طقساً رئيسياً في عبادة اليهود، وكان الذي يقوم بتقديم القرابين لله في أيام الأباء والأوائل لليهود (رب العائلة) عن نفسه وعن عائلته....حتى جاء موسى فرسم لليهود نظاماً دقيقاً مفصلاً لتقديم القرابين، وقصر تقديمها على الكهنة وحدهم، يعاونهم اللاويون(4). وعلى هذا لم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ(5).

وقد أورد سفر العدد صورة مفصلة للمرأة التي تريد أن يغفر لها، وضرورة أن تذهب للكاهن لتعترف عنده بخطيئتها، وذكر السفر أن الكاهن يوقفها أمام الرب

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 295.
(2) قصة الحضارة / ول ديورانت: 1: 2: 345.
(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 295.
(4) المجتمع اليهودي / زكي شنودة: 185.
(5) قصة الحضارة / ول ديورانت: 1: 2: 346.

ويأخذ ماءً مقدساً من أناء خزف، ويتلو عليه ترانيم وأدعية، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف، فإن رفضت سقاها من هذا الماء الذي يسمى (ماء اللعنة)، وهددها بأن هذا الماء إذا دخل أحشاءها وهي مذنبة ولم تعترف، ورم بطنها وسقط فخذها، وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرابين والهبات والأدعية[1].

وكان اليهود يقدمون القرابين لله تعبيراً عن اعترافهم بخطاياهم، أو تكفيرهم عنها، أو توبتهم عن ارتكابها، أو شكرهم لله، أو تكريس أنفسهم لخدمته...وكانوا يقدمونها من الحيوانات المستأنسة التي تقضي الشريعة بطهارتها، وكان مقدم الذبيحة يضع يده على رأسها ويعترف بخطيئته ثم يذبحها[2]. وهذا ما أورده سفر اللاويين: ويضع يده على رأس المحرقة فيرضى عليه للتكفير عنه[3].

وهناك أنواع عديدة من القرابين التي كان اليهود يقدمونها من الحيوانات، ومن ذلك[4]:

أ- المحرقات: وكانوا يقدمونها صباح ومساء كل يوم تكفيراً عن الخطايا، فكانت هذه المحرقة الدائمة، إذ جاء في سفر الخروج: وهذا ما تقدمه على المذبح، خروفان حوليان كل يوم دائماً، الخروف الواحد تقدمه صباحاً، والخروف الثاني في العشية...محرقة دائمة في أجيالكم[5].

ب- ذبائح السلامة: وكانوا يقدمونها طلباً للرضا من الله، أو تعبيراً عن الشكر لله.

جـ- ذبائح الخطيئة: وكانوا يقدمونها للتكفير عن خطاياهم التي يرتكبونها، ولم يكن مسموحاً لمقدمي ذبيحة الخطيئة أن يأكلوا أي جزء منها، وتتميز هذه الذبيحة من الناحية الطقسية عن غيرها من الذبائح برش الدم على قوائم بيت الله وعلى زوايا

(1) سفر العدد: 5: 11- 28.

(2) المجتمع اليهودي / زكي شنودة: 185، 186.

(3) اللاويين: 1: 5.

(4) انظر المجتمع اليهودي / زكي شنودة: 188-192.

(5) الخروج: 29: 38-42.

المذبح الأربع....وحرق الجثة خارج المكان عندما يكون سبب تقديم الذبيحة وقوع جماعة من اليهود في الخطيئة[1].

د- ذبائح الإثم: وكانوا يقدمونها في الغالب عن الخطايا الشخصية التي تحدث سهواً، وتكون هذه الذبائح غالباً من الكباش.

وقد قضت الشريعة اليهودية بتقديم القرابين السابق ذكرها وبأنواعها المختلفة، لتذكير اليهود بخطاياهم، وللتكفير عنها إرضاء لقداسة الله التي ترفض الخطيئة، ولكن اليهود اتخذوها على العكس مبرراً لارتكاب الخطايا، ماداموا يستطيعون بالقرابين التكفير عنها، واجتناب القصاص الذي تستوجبه، ناظرين إلى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب، معتقدين أن مجرد القيام بها يغني عن الحكمة المقصودة من ورائها، ومن ثم أهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية التي هي جوهر الدين[2].

وبالمقابل فقد استغل أحبار اليهود تلك الطقوس الشكلية التي كان يقوم بها اليهود، بابتكار نظام جديد عجيب يدل على الخداع والاحتيال على النصوص المقدسة عندهم، فهم وإن تمسكوا بحرفية النص، إلا أنهم خالفوا روحه ومقاصده....وقد عرف هذا النظام المخادع باسم (نظام الإعفاءات الشرعية)....وتتناول تلك الإعفاءات معظم الأحكام المتعلقة بالقصاص والعقاب[3].

وأصبحت الخطيئة والتكفير عنها تستغل بشكل خطير من قبل الكهنة اليهود، ونتج عن ذلك أن وضع كهنة اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم يكن تقبل توبة ولا قربان إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء بين يديه[4]، حتى الحيض والولادة عند اليهود كالخطيئة يدنسان المرأة ويتطلبان تطهيراً ذا مراسم وتقاليد، وتضحية وصلاة، على يد الكهنة[5].

---

(1) اللاويين: 4: 1، 12.

(2) المجتمع اليهودي / زكي شنودة: 265.

(3) إسرائيل وهويتها الممزقة / د. عبد الله عبد الدائم: 16.

(4) اليهودية / د. أحمد شلبي: 2074.

(5) قصة الحضارة / ول ديورانت: 1: 2: 346.

ولقد كان بعض اليهود أيضاً في أيام المسيح يؤمنون بأن الغطس في الماء المتدفق يغسل الآثام، وكان يوحنا هو الآخر يؤمن بذلك فغمد الناس في ماء نهر الأردن قبل أن يعظهم، ولهذا سمي (يوحنا المعمدان)[1].

وقد حددت الشريعة اليهودية يوماً في كل سنة للتفكير عن الخطايا، تسميه (يوم الكفارة) أو (يوم الغفران)، وهو يوم لحساب النفس، والندم على ما بدر منها من الخطايا، والتكفير عنها[2].

ويتبين لنا من قراءة نصوص كثيرة في أسفار التوراة، ملاحظة عدة حقائق ظهرت في الفكر اليهودي، أهمها وأخطرها أن القرابين والأضحيات والهبات لم تعد تغني شيئاً من كثرة الذنوب والخطايا وعظمها، لهذا فقد أقفل باب التوبة أمام اليهود، وواجه اليهود مجموعة تحذيرات إلهية وجهها الأنبياء كان أولها في نهاية مملكة إسرائيل، وكان آخرها في نهاية مملكة يهوذا التي لم تتعض مما حلّ بجارتها، وهذا يعني أن الرب لم يعد يقبل توبتهم عن طريق تقديم القرابين والهبات على يد الكهنة، وإنما جعل تخليصهم من آثامهم بالعذاب والتشريد على يد أمم أخرى[3].

---

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر: 389.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 168.

(3) أنظر سفر عاموس: 3: 12، 13، وهوشع 4: 1- 3، 14: 1، وإرميا: 2: 4-8، 5: 6-10.

الفصل السادس

أعياد اليهود

المبحث الأول: الأعياد الدينية

1- السبت

2- عيد راس السنة العبرية

3- يوم الغفران، أو يوم الكفارة

4- عيد الفصح أو عيد الفطير

5- عيد الحانوكة

6- عيد البوريم

المبحث الثاني: الأعياد الزراعية الموسمية

1- عيد المظلات

2- عيد الحصاد



www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل السادس

أعياد اليهود

يحتفل اليهود بأعياد كثيرة، تتضمن مواسم واحتفالات وطقوس مختلفة، وهذه الأعياد إما أنها تعود إلى أصول دينية نصّ عليها العهد القديم، أو أنها تعود إلى أصول وجذور تذكر بمواسم الزراعة والحصاد، وصارت رموزاً لأحداث تاريخية لها أهميتها في الحياة اليهودية، أو أنها تتصل برؤية الهلال أو التوبة والتكفير عن الذنوب.

لذا يمكننا أن نقسم أعياد اليهود من خلال الجذور والأصول، وكذلك من خلال ما تتخلله من طقوس واحتفالات إلى قسمين: أعياد دينية، وأعياد زراعية، وقد وردت أكثر هذه الأعياد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين.



المبحث الأول

الأعياد الدينية

1- السبت: هذا اليوم من الأيام المقدسة عند اليهود، التي يجب مراعاة حرمتها مراعاة تامة، فلا يجوز ليهودي الاشتغال فيه، ومن خالف حرمة هذا اليوم ودنسه بالاشتغال فيه يكون قد ارتكب جرماً عظيماً.

ولم يكن عند اليهود خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة الأوثان، والسبت هو (شبايث) في العبرية بمعنى (راحة)[(1)].

وأهم شعائر السبت الكف عن أي عمل، وبذلك جاء الأمر صريحاً في الوصايا العشر، المنسوبة إلى موسى في التوراة، حيث وردت في روايتين: إحداها في سفر الخروج، والثانية في سفر التثنية، ومن المواضع التي اختلفت فيها الروايتان الموضع الذي تشرح فيه حكمة العمل يوم السبت، فرواية الخروج تجعل ذلك لأن الله نفسه استراح في هذا اليوم بعد انتهائه من تكوين الخليقة[(2)]، حيث تقول هذه الرواية: أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه[(3)].

أما رواية سفر التثنية، فالحكمة تمكين الإنسان والحيوان من الراحة بعد أسبوع من العناء، ولا يرتبط ذلك بأن الله استراح في اليوم السابع[(4)].

---

(1) اليهودية / د. أحمد شلبي: 304.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 166.

(3) الخروج: 20: 8-12.

(4) أنظر سفر التثنية: 5: 12-15.

وبداية السبت عند اليهود تبدأ من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت، وقد تفنن أحبار اليهود في تفسير الكف عن العمل يوم السبت، فحرموا فيه كل ما من شأنه أن يشعر بالسعي في الرزق أو الانشغال بحرفة أو صناعة أو إنتاج أو بذل الجهد في تحقيق هدف معين، ومن أهم المحرمات في هذا اليوم[1]:

أ- تحريم إيقاد النار يوم السبت، وإن كان أكثر اليهود قد أباح بقاء النار التي أشعلت قبل الدخول في السبت والانتفاع بها يوم السبت نفسه، كأن توقد الأنوار والشموع والقناديل والأفران ونيران المطابخ والمدافئ والمواقد بعد ظهر الجمعة لاستخدامها ليلة السبت.

ب- تحريم السفر في هذا اليوم، وذلك لتحريم ركوب الدواب قديماً، وتحريم إيقاد النار، وذلك لأن وسائل المواصلات الحديثة، كالقطار والسيارة والباخرة والطائرة، تعتمد كلها على النار أثناء تشغيلها وسيرها.

جـ- تحريم إنفاق النقود أو تسلمها، فهذا كله من باب العمل، وأساسه البيع والشراء والاكتساب من الناس.

د- تحريم الكتابة، لأنها - حسب عرفهم- تكون لإبرام العقود وعقد الاتفاقات ونحوها مما يدخل في مفهوم الشغل أو العمل.

هـ- تحريم عقد الزواج، لاحتياج ذلك إلى الكتابة ودفع الأموال وقبضها والعمل في إعداد الزفاف ونحو ذلك.

و- تحريم الحرب الهجومية، لكن إذا أعلن الحاخام الأكبر أن اليهود في خطر، أعتبرت الحرب دفاعية وجاز دورانها يوم السبت، ولذلك نلاحظ أن قادة إسرائيل في الوقت الحاضر حريصون جداً في إظهار حروبهم أمام الرأي العالمي بأنها حروب دفاعية، وحتى يتخلصوا من مشاكل السبت فيما يتعلق بكونها هجومية أو دفاعية، جعلوا اسم جيشهم (جيش الدفاع الإسرائيلي).

لذلك جرى العرف عند اليهود، ألا يخرج اليهودي المتمسك بتعاليم السبت من

---

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 166، 167.

بيته إلا وقد تأكد أن جيوبه ليس فيها أقلام ولا أوراق ولا نقود ولا كبريت، وأكثرهم يخرج إلى الكنيس وليس معه إلا التوراة أو كتاب الصلوات.

وسفر الخروج يؤكد أن من دنس يوم السبت من اليهود يقتل قتلاً يقول سفر الخروج: "فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم، من دنّسه يقتل قتلاً، إنَّ كل من صنع فيه عملاً تقطع تلك النفس من بين شعبها، ستة أيام يصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً فيحفظ بنو إسرائيل السبت ليصنعوا السبت في أجيالهم عهداً أبدياً، هو بيني وبين بني إسرائيل علامة إلى الأبد، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس"[1].

2- عيد رأس السنة العبرية: ويسمى عند اليهود (روش هشانا)، والاحتفال برأس السنة من الواجبات الدينية المفروضة لدى الطوائف اليهودية جميعاً، وتستغرق طقوسه ثلاثة أيام، منهما اليوم الأول والثاني من شهر تشري العبري، ثم يستمر الاحتفال في اليوم الثالث بطريقة شعبية. أما اليوم الرابع من تشري فهو يوم صيام اسمه (صوم جدليا)، وهو يوم حزن وحداد، ومناسبته هو ذكرى قتل جدليا الذي ولاه نبوخذنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها، ونقل من يصلح للخدمة من اليهود أسرى إلى بابل، وتقول القصة إن أعداء اليهود دبروا مؤامرة لقتل جدليا في هذا اليوم حتى يتمكنوا من إتمام إبادة هذه البقية الباقية معه من بني إسرائيل[2].

والشريعة اليهودية توجب الصوم في هذا اليوم على الذكر البالغ الثالثة عشرة من عمره، وعلى الأنثى البالغة الثانية عشرة من سنها، كما توجب الذهاب إلى سواحل البحار وضفاف الأنهار للاغتسال، العادة المسماة (بالتشليخ)، رمزاً لإلقاء اليهودي ذنوبه في المياه، وإعلاناً لتوبته، وعزمه على التطهر[3].

والظاهر أن احتفالات رأس السنة اليهودية، وما يتخلله من صيام وتطهير

(1) الخروج: 31: 14-18.

(2) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 168.

(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 143.

للذنوب إنما هو بمثابة الشروع والاستعداد والتهيؤ لاستقبال يوم الغفران، أعظم الأعياد وأقدسها عند اليهود، والذي سيكون في العاشر من شهر تشري.

ومما يذكر أن بداية السنة العبرية، تبدأ كما يزعم اليهود من نقطة خلق السماوات والأرض، وقد أخذ أحبارهم في حساب أعمار الأسلاف، وضم بعضها إلى بعض، منذ آدم، ملتزمين في ذلك حرفية نص الكتاب المقدس، وكانت النتيجة أننا الآن في عام (2007) ميلادية، نجد أنفسنا حسب التقويم العبري في سنة (5768) من بدء الخليقة، وهو بالطبع تاريخ خرافي أسطوري متأخر جداً عن بدء الخليقة، فهناك الكثير من آثار الحضارات، وبقايا من أجسام إنسانية في نواح كثيرة متفرقة من العالم ترجع إلى ما قبل هذا التاريخ بأزمان طويلة جداً.

وحساب الشهور في السنة العبرية يتبع دورة القمر، بينما حسبا السنين يتبع دورة الشمس، ولذلك فقد كان لزاماً على اليهود حتى يتطابق الحسابان، القمري للشهور والشمس للسنين، أن يكون هناك نسيء (زيادة) يكمل الفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية التي تقل عشرة أيام، هذا النسيء يجري عادة عند اليهود بإضافة شهر كل ثلاث سنين، بحيث تكون سنتهم الكبيسة التي تأتي مرة كل ثلاثة أعوام مؤلفة من ثلاثة عشر شهراً، وشهر النسيء يقحم عندهم بعد شهر آذار اليهودي، وهكذا يكون في السنة الكبيسة شهران هما آذار الأول وآذار الثاني.

ولما كانت الشهور اليهودية قمرية، فإما أن تكون ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً فقط، وفي السنة الكبيسة التي يقحم فيها شهر آذار الثاني، يحسب الأول ثلاثين يوماً، والثاني تسعة وعشرين يوماً. وكانت الطريقة القديمة للتقويم العبري، تجعل بدء السنة في شهر نيسان من شهور الربيع، ولذلك جرت عادة اليهود حتى الآن عندما يسردون أسماء شهور السنة أن يبدأوا بنيسان لا بتشرين.

وقد حدد الموقتون اليهود طبقاً لحساباتهم الفلكية، أياماً محددة من الأسبوع يبدأ فيها كل شهر من الشهور، فنيسان مثلاً يكون: الأحد والثلاثاء والخميس والسبت، ولا يكون أبداً: الاثنين أو الأربعاء أو الجمعة[1].

(1) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 162-165.

3- يوم الغفران، أو يوم الكفارة: ويسمى عند اليهود (يوم كيبور)، وهو اليوم العاشر من شهر تشري، ويبدأ هذا العيد قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من شهر تشري، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي، ويجب فيه الصيام ليلاً ونهاراً وعدم الاشتغال بأي شيء فيما عدا العبادة[1].

وفي هذا اليوم -كما يقول اليهود- هو يوم في العام يحاول فيه اليهودي أن يعبد الله، لا كإنسان بل كملاك، والملاك لا يأكل ولا يشرب ويمضي وقته كله في العبادة وتعظيم الله، فعلى اليهودي أن يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة في صوم جاد وعبادة دائمة[2].

والمتشددون من اليهود يلتزمون إلى جانب أداء الصلوات والطقوس الدينية الموصولة بالمناسبة، بأمور تعبدية وطقوس إضافية، فيحرمون العلاقة الجنسية بين الزوجين أو ارتداء الأحذية الجلدية أو استعمال العطور والروائح، أو غسل البدن سوى رؤوس الأصابع والعينين[3].

والظاهر أن بداية هذه الشعيرة ترجع إلى عصور العبريين الأولى، بل من الراجح أن الشريعة اليهودية نفسها قد قررت يوماً في السنة لحساب النفس، والندم على ما بدر من المؤمن من الخطايا، والتكفير عنها لا بالصوم فقط، بل بالذبائح والصلوات والأموال ورد المظالم إلى أهلها وطلب الصفح من المعتدى عليهم، وكان اسمه قديماً (يوم هكبوريم) أي يوم الكفارات، ولكن حدث صدفة أن نبوخذنصر دمر أورشليم وأشعل فيها النيران ودخلتها جيوشه منتصرة في هذا اليوم، فاقترن هذا اليوم بتلك الذكرى السياسية الأليمة بالنسبة لليهود، وأصبح عندهم أكثر أيام الحداد.

ومن الأشياء الهامة التي تجب الإشارة إليها هنا، أن اليهود قد جعلوا من يوم الغفران هذا يوماً يعلنون فيه نقضهم للعهود والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود، وأفتى أحبارهم بأن الداعي إلى ذلك كان إكراه اليهود على تغيير دينهم، وشاع بين عوام

(1) المصدر السابق: 168.

(2) اليهودية / د. أحمد شلبي: 305.

(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 143.

اليهود أن يوم الغفران هذا يجوز فيه أكل الديون التي على اليهودي وعدم أدائها، كما يجوز فيه الرجوع في كل وعد أو تعهد قطعة على نفسه طول السنة معتمدين في ذلك على نص يتعبدون به باللغة الآرامية، والتي تقول: كل النذور والتحريمات والأيمان ملغاة، وأن النذور ليست نذوراً، والتحريات ليست تحريمات، والأيمان ليست أيماناً[1].

4- عيد الفصح، أو عيد الفطير: وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم، لكل منها معناه ومغزاه، وأشهر هذه الأسماء: الفصح، أو الفسح، وأصل معناها المرور والعبور، وهذا الاسم يذكر اليهودي بأكثر من شيء:

أ- مرور ملك العذاب فوق أرض المصريين دون المساس باليهود.

ب- مرور الشتاء ليفسح المجال للربيع.

جـ- عبور اليهود من العبودية للمصريين إلى الحرية.

د- عبور البحر مع موسى.

ومنها: الفطير، لأن طقوسة توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين، لا يدخله الملح ولا الخميرة، تذكيراً لهم بما حدث معهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون، فلم يكن لديهم الوقت في انتظار أن يختمر العجين[2].

ويمثل هذا العيد أكثر الأعياد أهمية عند اليهود، ومدته سبعة أيام في إسرائيل، وثمانية في عالم الشتات، ويقع بين الخامس عشر والثاني والعشرين من شهر نيسان العبري[3].

وتبدأ طقوس هذا العيد منذ الرابع عشر من نيسان وهو الذي يسمونه ليلة التفتيش عن الخميرة، ويجب فيه اليهودي أن يتأكد من أن أية خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماماً، أما أهم أيام هذا العيد فهي أول يومين وآخر يومين فيه، بينما الأيام الأربعة الوسطى تعتبر بين بين، إذ يلتزم فيها أكل الخبز الفطير، ولكن لا تقترن بطقوس احتفالية كبيرة، ومن الجائز قطع العطلة في هذه الأيام الأربعة عند الضرورة،

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 168/ 169.

(2) المصدر السابق: 181، 182.

(3) اليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 139.

ولذلك جرى العرف عند اليهود على تسمية هذه الأيام الأربعة الوسطى (أيام تحليل العيد)، أو فك الإحرام عنه، لذلك وصفت هذه الأيام بـ (العيد الصغير)، بينما اليومان الأولان واليومان الأخيران تؤلف (العيد الكبير)، ومن أهم مظاهر هذا العيد مائدة الفصح والتي يوضع عليها[1]:

أ- وضع ثلاث قطع من الفطير، الواحدة فوق الأخرى، ترمز القطعتان العلوية والسفلية إلى المن والسلوى مما رزق الله بهما بني إسرائيل في سيناء، حيث تكون القطعة الوسطى رمزاً للآلام وصور المعاناة التي جابهوها في النية، ويشدد اليهود وجوب صنعها بالأيدي، ووجوب أن لا تحتوي على أي شيء يتعلق بالخميرة.

ب- استعمال أطقم جديدة لتهيئة الطعام والشراب، باعتبار أن الأدوات المستعملة نجسة، ولهذا يحتفظ المتشددون من اليهود بأطقم خاصة للمناسبة، وقد جوز البعض استعمال الأدوات القديمة شرط تطهيرها بالماء المغلي أو عرضها للحرارة.

جـ- وضع فخذ خروف مشوي، رمزاً لذبيحة الفصح، ولا يؤكل منه شيء بتاتاً.

د- وضع كأس من النبيذ باعتباره نخب النبي إيلياء عندما ينزل من السماء، معلناً اقتراب مجيء المسيح المخلص.

هـ- وضع قطعة من العظم الذي يحيط به بعض اللحم مأخوذة من الغنم وتكون مشوية، وحزمة من بعض النباتات والأعشاب المرة، وبجانب ذلك شيء من الفاكهة المهروسة والمنقوعة في النبيذ، وتوضع في نفس الطبق بيضة، وشيء من الفجل أو الجزر، وكأس من الماء المالح أو المخلوط بالخل، ويفسر علماؤهم كل هذا بأنه من أنواع المأكولات الكريهة على النفس التي كان أسلافهم يأكلونها أثناء فرارهم في الصحراء، وتقتضي الطقوس أن يبدأ رئيس العائلة بتذوق طرف من كل صنف ثم يشترك معه بقية أفراد العائلة في ذلك.

وقد جرت العادة أن يكون اليوم السابق للعيد يوم صوم للولد البكر العائلة، رمزاً لنجاة الطفل اليهودي من القتل الذي أمر به فرعون، وقد يكفر عن صوم الولد بوجبة خاصة كفارة عن عدم صومه.

---

(1) انظر المصدر السابق: 139، 140، والفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 182-184.

واتخذ اليهود هذا العيد ذريعة لنشر المطامع الصهيونية في مجتمعاتهم، فتبادل التهنئة بهذا العيد بين اليهود يكون بقولهم: (السنة القادمة في أورشليم)، ومهما يكن فإنها بدون شك لم تكن تنطوي في الأصل إلا على المعنى الديني البحت، نظراً لأن عيد الفصح هو الوقت المختار للقيام بالحج إلى مدينة القدس عند اليهود، ولكن الصهيونية استغلت ذلك كعادتها لتركز الأطماع على مدينة القدس الشريف، وأن تحول المعنى الروحي والديني إلى هدف سياسي وعسكري[1].

وعيد الفصح اليهودي هو عندهم عيد الضحية، كما أنه عيد خبز الفطير وموسم الحج، ويضحي فيه بحمل أو شاة أو جدي من الماعز أو نحوها، وهناك ظروف معينة تبيح تأجيل شعائر الفصح شهراً كاملاً لبعض الأفراد، بحيث تكون الضحية وعجينة الفطير ورحلة الحج في الرابع عشر من أيار من السنة اليهودية، ويسمونه (الفصح الثاني)[2].

ولا يستطيع باحث في الفكر اليهودي أن يذكر عجينة الفطير المفروضة في عيد الفصح دون أن يقف عند تهمة توجه إلى اليهود من كثير من أعدائهم في هذا العيد بالذات، هي التي اشتهرت في العالم باسم تهمة الدم، وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود في فصحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجينته دماً بشرياً يأخذونه ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين، والظاهر أن هذه التهمة التي يوصم بها اليهود بدأت من عهد مبكر في التاريخ، ويبدو أنها جلبت على أماكن التجمع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة، فقد كان الحي الذي يسكنون فيه يهاجم، وينتشر فيه القتل والتنكيل بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في فترة عيد الفصح، ونحس بذلك في المرسوم البابوي الذي أصدره من الفاتيكان في الخامس والعشرين من أيلول سنة (1253) البابا أنوسنت الرابع، ويقول فيه: إننا نحرم أيضاً اتهام اليهود باستعمال الدم البشري في طقوسهم، لأنهم مأمورون في العهد القديم بألا ينجسوا

(1) الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 184.

(2) المصدر السابق: 184.

أنفسهم بأي دم على وجه العموم، فضلاً عن الدم البشري، ومع ذلك فإن هذه التهمة بقيت تلاحق اليهود في كل زمان ومكان[1].

5- عيد الحانوكة، أو عيد التدشين، أو إهداء الشموع[2]: ومدة هذا المهرجان والاحتفال ثمانية أيام تبدأ في الخامس والعشرين من شهر (كسلو)، الذي يقابل شهر ديسمبر (كانون أول)، وهو بهذا التاريخ يمكن أطفال اليهود من الاحتفال بعيد يهودي في نفس الفترة التي يحتفل فيها المسيحيون بعيد الميلاد.

يمثل هذا العيد إحياء ذكرى انتصار المكابيين على الحكم السلوقي في القرن الثاني قبل الميلاد، حيث قاوموا السلطات الوثنية وطردوها عن الهيكل، وفي (25) من شهر كسلو أخرجت التماثيل اليونانية من الهيكل.

والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع الكثيرة والأنوار المختلفة لمدة أسبوع كامل، وتربط العادات اليهودية هذا العيد بخارقة، فيزعمون أنه بعد تطهير المعبد بحثوا عن زيتٍ لإشعال الشموع فوجدوا جرة واحدة لا تزال مختومة بختم الكاهن الأعظم، فاستدلوا منه على أنه طهور لم ينجس، ومع قلة كمية الزيت فيه، فقد كانت كافية لإشعال فتائل المشاعل لثمانية أيام متوالية، وقد صار هذا العيد يرمز إلى التحرر من أصفاد الأغيار ونيل الاستقلال، وتجعل الصهيونية منه فرصة من الفرص التي تغتنمها للدعاية.

ومن مظاهر هذا العيد:

أ- إشعال الشموع الثمانية، في كل ليلة شمعة واحدة حتى اليوم الثامن، حيث توقد الشمعة الثامنة.

ب- وضع حامل الشموع في مداخل البيوت أو على مشارف النوافذ إعلاناً للمناسبة.

ج- تناول معجنات مصنوعة من البطاطا.

---

(1) المصدر السابق: 184، 185.

(2) أنظر المصدر السابق: 171، واليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 143، 144.

6- عيد البوريم، أو القرعة، أو عيد النصيب[1]: وكان الكتاب العرب يسمونه (عيد المسخرة) أو (عيد المساخر)، والسبب في ذلك ما جرت به بعض التقاليد اليهودية في هذا العيد من إسراف في شرب الخمر والسكر، ولبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان (الكرنفال).

ويبدأ هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية، ويكون يوم (13) آذار نفسه صوماً يسمى عندهم (صيام أستير)، أما اليوم الرابع عشر فهو العيد الذي يستمر طيلة هذا اليوم ويطلق عليه (يوم بوريم)، ثم يكون اليوم الذي يليه، وهو الخامس عشر من آذار، اليوم الصاخب، يوم الكرنفال، ويسمونه (بوريم شوشان) نسبة إلى مدينة (شوشان) أو (سوزة) الإيرانية.

ويتصل هذا المهرجان بخلاص يهود بلاد فارس من المؤامرة التي دبرها هامان رئيس وزراء كسرى، وذلك بفضل مكيدة دبرتها جاريته اليهودية الحسناء (أستير) للتخلص من هامان وإنقاذ اليهود من خبث هامان،وطلبت من اليهود تنفيذاً لخطتها صيام ثلاثة أيام بلياليها، وسمي العيد بعيد القرعة لأن هامان كان قد استخدم القرعة، لأن هامان كان قد استخدم القرعة لتعيين اليوم والشهر اللذين فيهما يجري ما عزم عليه من إفناء لجميع يهود فارس.

وسفر أستير يتضمن هذه القصة في أسفار التوراة، وقد لاحظ نقاد الكتاب المقدس قضايا غريبة في هذا السفر، منها أن الله غير مذكور فيه على الإطلاق، لا على لسان اليهود، ولا على لسان الفرس، ويقول بعض المعلقين إن طابع هذا العيد الصاخب الذي يكثر فيه شرب الخمر والتهريج والكرنفال، قد أدى إلى احتياط في تسجيل النص بعدم ذكر اسم الله فيه.

---

(1) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 172-176، واليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 144، 145.

المبحث الثاني

الأعياد الزراعية الموسمية

1- عيد المظلات، أو عيد الظُلل، أو المظال، أو عيد العرازيل[1]: واسمه بالعبرية (سكوت)، والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي، كان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية للسنة كلها في هذا الفصل وهو فصل الخريف، فكانوا يكدسون مؤونتهم من التمر والتين الجاف والزيتون والزبيب والنبيذ، ولذلك يسمونه أيضاً (عيد التخزين).

ويبدأ هذا العيد في اليوم الخامس عشر من شهر تشري، ويكون الاحتفال به منذ غروب شمس اليوم الرابع عشر، بحيث تكون هذه ليلة العيد، ومدته التقليدية تسعة أيام، منها سبعة أيام هي عيد المظلات بذاته، ويومان آخران هما الثاني والعشرون والثالث والعشرون من تشري، فالأول يسمى (الثامن الختامي) لأنه يختم عيد المظلات، بل يختم الأعياد الكثيرة في هذا الشهر، وأما اليوم الثاني فإنه يقوم على قراءة التوراة، ويسمى بـ (عيد فرحة التوراة).

والتقليد عند اليهود في هذا العيد أن يقيموا في أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر التي لا تحجب عنهم رؤية السماء تماماً، وهذه الأكواخ تشبه ما يسمى بـ (العريشة)، وفي اليوم السابع والأخير من عيد المظلات، والذي يسمى بـ (اليوم الكبير لطلب النجدة)، يقوم اليهود بما يشبه صلاة الاستسقاء للتعجيل بالمطر، وقد جرى عرف اليهود أن يدخلوا الكنيس وفي يد كل واحد منهم غصن من الأغصان تستعمل في تهيئة المظلات، فيضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها، ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في السنة.

---

(1) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 169، 170.

أما اليهود المقيمون في أوروبا وأمريكا، فإنهم لا يحتفلون بعيد المظلات في الهواء الطلق لشدة البرودة، واحتمال سقوط الأمطار في هذه الأيام، ولذلك فهم يكتفون بعمل مظلة صغيرة في إحدى الشرفات بالمسكن، ويتناولون فيها وجبات الطعام فقط، ثم ينامون في فراشهم داخل بيوتهم.

ويمكن تلخيص أهم مظاهر هذا العيد[1]:

أ- بناء عريش مخصوص مصنوع من سعف النخيل وأغصان الشجر في العراء، والإقامة فيه لسبعة أيام، باعتباره تذكاراً لحياة الشغف والمعاناة في (التيه)، فالعيد موصول أيضاً بقصة الخروج من مصر.

ب- شعيرة الاستسقاء من الآباء، التي أكد الالتزام بها الفريسيون، وأنكرها ونفاها الصدوقيون لعدم وجود نص عليها، واليهود المتشددون لا يزالون يمارسونها وسط أجواء صاخبة من المرح واللهو والرقص والغناء حتى أواخر الليل، فهو بهذا الاعتبار أكثر الأعياد مدعاة للسرور والابتهاج.

2- عيد الحصاد، أو عيد الأسابيع، أو العنصرة، أو الخمسين[2]: يحتفل بهذا العيد ليومين في عالم الشتات، وليوم واحد في إسرائيل، ويقع في السادس والسابع من شهر (سيوان) أي (أواخر أيار وأوائل حزيران)، ويقابله في الأعياد المسيحية عيد (العنصرة)، ويسمى بعيد الأسابيع لأن الاحتفال به يأتي في اليوم الخمسين، وبعد سبعة أسابيع من عيد الفصح والفطير،

وهذا العيد كمثيله موصول في جذوره بمواسم الحصاد، ثم انقطع عن هذا الأصل، وصار رمزاً لنزول الوحي والألواح والوصايا العشر على موسى عليه السلام، ولهذا يقومون بحفلة زفاف التوراة في داخل الكنيس كأنها عروس، ومن مظاهر هذا العيد: قيام الليل، خاصة عند اليهود من أتباع النزعات المتشددة، تذكيراً لليهود بما أصاب بني إسرائيل من غفوة في (التيه)، ثم التوجه فجراً إلى حائط المبكى.

---

(1) أنظر اليهودية / د. عرفان عبد الحميد:

(2) أنظر الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا: 189، واليهودية / د. عرفان عبد الحميد: 141، 142.


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين



الباب الثاني

المسيحية



الفصل الأول

تاريخ المسيحية

المبحث الأول: مفهوم النصرانية والمسيحية

المبحث الثاني: نظرة مجملة في تاريخ المسيحية

1- البيئة التي سبقت ظهور المسيح

2- البيئة التي نشأ فيها المسيح

3- شخصيات لها علاقة بالمسيح والمسيحية

4- الحمل بالمسيح وولادته

5- بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته

6- موقف اليهود من دعوة المسيح

7- المسيحيون والإضطهاد الروماني

8- بولس وأثره في المسيحية بعد المسيح

9- اعتناق الدولة الرومانية للمسيحية

10- آثار اعتناق الرومان على عقائد المسيحيين



المبحث الأول

مفهوم النصرانية والمسيحية

تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل منذ ما يزيد عن ألفي عام، ثم تحول على يد بولس (اليهودي) إلى دين عالمي يعد الآن من أكبر الديانات في العالم.

واسم النصرانية كما يقول الباحثون يعود إلى أحد السببين التاليين:

1- إما أن تكون من النصر، حيث سمي حواريين عيسى في القرآن الكريم بـ (أنصار الله)، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[1].

2- وإما أن تكون مشتقة من مدينة (الناصرة) في فلسطين، باعتبارها المدينة التي عاش فيها المسيح عليه السلام.

والنصرانية هي التسمية التي استخدمها القرآن الكريم لهذا الدين، أما المسيحية فهي نسبة إلى المسيح عليه السلام، والتسمية القرآنية هي الأصوب والأدق، فالدين لا ينسب إلى من يدعو إليه.

والنصارى اليوم يتبعون لثلاث كنائس رئيسية هي:

1- الكنيسة الأرثوذكسية (الشرقية)، ومركزها القسطنطينية، والإسكندرية، وهي تمثل الأقباط والحبشة والأرمن والسريان وكنيسة أنطاكيا وتركيا واليونان وروسيا وصربيا.

2- الكنيسة الكاثوليكية (الغربية) ومركزها روما والفاتيكان.

3- الكنيسة البروتستنتية الإنجيلية، وليس لها مركز محدد، وتعد بريطانيا حاملة لواء البروتستنتية، ومن بريطانيا انتشرت إلى أمريكا.

وتجتمع هذه الكنائس على فكرة التثليث والخطيئة الموروثة التي أدت إلى فكرة الصلب والفداء، مع اختلافها في تحديد طبيعة المسيح عليه السلام[2].

(1) الصف: 14.

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس: 237.

المبحث الثاني

نظرة مجملة في تاريخ المسيحية

1- **البيئة التي سبقت ظهور المسيح عليه السلام:** كان القرن الثاني قبل الميلاد عصراً مضطرباً في تاريخ الرومان، كان ممتلئاً بالنزاع الداخلي، فقد قضى الرومان قرناً من الثورات والفتن والاغتيالات قبل أن يتمكن (أغسطس) أن يجمع السلطة بين يديه.

وكذلك اشتد النزاع منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد بين التقاليد الرومانية وبين الفلسفة اليونانية الوافدة من أثينا إلى روما.

وكان أبلغ المذاهب الفلسفية أثراً في حياة الرومانيين المذهب (الأفيغوري) والمذهب الرواقي، وقد اتجه المذهب الأول (الأفيغوري) نحو طلب اللذة ونحو المسالمة مما ساعد الرومانيين على شيء من الإطمئنان النفسي في عصر كثر فيه الاضطراب، لكنه اكتسب في البيئة الرومانية طابعاً أكثر مادية، فكان تعلق الرومانيين باللذة أكثر من إدراكهم لحقيقة ما يرمي إليه هذا المذهب.

1- **البيئة التي نشأ فيها المسيح عليه السلام:** أما المذهب الثاني وهو (الرواقي)، فقد بدأ منذ نحو 150 ق. م ، ومع أن هذا المذهب له صلة بالواقع الإنساني إلا أنه كان أوثق صلة بالتقاليد الرومانية، لأنه أكثر تمسكاً بالمبادئ وأقل احتفالاً بالميول العارضة (اللذة)، ومع شيوعه قويت النزعة الدينية في عهد (أغسطس) الذي ولد في عهده المسيح عليه السلام، في بيت لحم من أرض فلسطين، حيث كانت آنذاك جزء من الإمبراطورية الرومانية[1]. هذه هي البيئة العامة التي ظهرت فيها المسيحية على يد المسيح عليه السلام.

هذا بالإضافة إلى أن الكثيرين لا زالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التي تتحقق

---

(1) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 238.

فيها الأحلام والرؤى القديمة، ويعود اليهود، ليأخذوا الإنصاف كشعب الله المختار، وقيام مملكة الله المنتظرة، في هذه الظروف المتناقضة نشأ المسيح وترعرع[1].

وفي هذا الواقع المرير للمجتمع اليهودي الذي انحرف عن شريعة التوراة، وابتعد عن تعاليمها، أذن الله تعالى برسالة جديدة، لمعالجة انحراف هذا المجتمع، ورده إلى الطريق الصحيح.

3- **شخصيات لها علاقة بالمسيح والمسيحية**: الكلام عن المسيح والمسيحية يحتاج إلى تقديم سريع، للتعريف بشخصيات لها صلة بحياة المسيح، وأهم هذه الشخصيات:

أ- **زكريا عليه السلام**: كان زكريا عليه السلام أحد أنبياء بني إسرائيل، وقد تقدمت سنة وأصبح كهلاً، ولكنه لم يرزقه الله ولداً، ولكن تقدم سنه وإشرافه على التسعين، قطع أمله في الولد، كما قطع أمله عقر زوجته وتقدمها في السن أيضاً، ولكن زكريا رأى ما يجعله يذكر أن قدرة الله قادرة على كل شيء، فقد دخل على مريم وهي تتعبد في المحراب، فوجد عندها طعاماً وشراباً، ووجد فاكهة في غير أوانها، فسألها: ﴿ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[2].

وهذا يعني أن زكريا عليه السلام كان هو المتكفل بمريم بعد أن نذرتها أمها لخدمة الله عزوجل، وقد توفي زكريا قتلاً على يد بني إسرائيل وهو ينهاهم عن عبادة غير الله.

ب- **يحيى عليه السلام**: وهو ذلك الغلام الذي بشر الله به زكريا عليه السلام، وقد حملت به أمه العجوز كما ذكرنا سابقاً بعد أن انقطع أملها بالإنجاب، وتربى في أحضان نبي من أنبياء الله هو والده (زكريا)، لذلك فقد وصفه القرآن الكريم بأنه ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[3]،

---

(1) النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 36.
(2) آل عمران: 37 - 39.
(3) آل عمران: 39.

وعرف بأوصاف التقوى والصلاح منذ صباه، واتجه للعلم ففهم مسائل التوراة، وأحاط بأصولها وفروعها، وأصبح فيها مرجعاً هاماً، وأوحي إليه قبل أن يبلغ الثلاثين، ومن أهم ما اشتهر به أنه كان يعمد الناس أي يغسلهم في نهر الأردن للتوبة من الخطايا وللتطهير من الذنوب، ولذلك سماه اليهود (يوحنا المعمدان) لأنه عمد المسيح، وكان المسيح يضاهيه في العمر تقريباً، وقد ورد في إنجيل لوقا أن حمل عيسى بدأ في الشهر السادس من حمل زوجة زكريا بيحيى.

وكان يحيى جريئاً في الحق، يقول ما يعتقد دون خوف من سطوة حاكم أو طغيان ملك، وقد علم أن (هيرودوس) ملك اليهود في فلسطين وقع في حب (هيروديا) إبنة أخيه، وأنه ينوي الزواج بها، فأعلن يحيى أن ذلك يناقض التوراة، وأنه إن حصل فهو زواج باطل، لأنه لا يجوز للعم أن يتزوج من إبنة أخيه.

وكانت أم (هيروديا) حريصة على أن تتزوج ابنتها من الملك، ووجدت أن يحيى سيكون عقبة أمام هذا الزواج، فزينت ابنتها بأحسن زينة، وأسلمتها لعمها، وأوصتها إن طلب منها عمها أن تتمنى شيئاً، أن تطالب برأس يحيى، وأجادت الفتاة تمثيل الدور، فرقصت لعمها، وعرضت أمامه ألوان فتنتها وسحرها حتى وقع في حبائلها، وسألها أمنيتها، فقالت: رأس ذلك الذي سمع بي وبك وتكلم عنا في كل ناد، ولم تمض إلا دقائق حتى كانت رأس يحيى في طبق أمام هيروديا[1].

وقد بدأت رسالة عيسى وبعثته بمجرد وفاة يحيى عليه السلام.

جـ- يوسف النجار: هو شاب صالح من بني إسرائيل، تزعم الأناجيل أن مريم كانت مخطوبة له قبل أن تحمل بالمسيح، وهذا في الحقيقة يناقض السياق القرآني في أن مريم لم تكن لها علاقة بالرجال مطلقاً.

د- مريم إبنة عمران: كان عمران أحد عظماء بني إسرائيل، وكانت زوجته عاقراً تقدمت بها السن دون أن ترزق بولد، وتبعاً للطبيعة البشرية كانت زوجة عمران تأمل أن تكون أماً، فاتجهت إلى الله سائلة داعية، ونذرت إن حقق الله

---

(1) إنجيل متى: 14: 2، ومرقص: 6: 17.

رجاءها ورزقها ولداً أن تتركه لبيت الله خادماً محرراً، أي لا عمل له إلا خدمة البيت والعبادة.

واستجاب الله لها فحملت، وسرعان ما أحست بالجنين يتحرك في أحشائها فيحرك في نفسها لذة وسروراً وبهجة، وقبل أن تضع جنينها توفي زوجها، وأتمت امرأة عمران اشهر الحمل، وولدت بنتاً اسمها مريم، ولذلك خاب أملها في تحقيق النذر الذي نذرته، ولكنها سألت نبي الله زكريا، والذي كان زوج أختها عن إمكانية الوفاء بالنذر، فأشار عليها بوجوب الوفاء بالنذر، فوضعت طفلتها في بيت الله لخدمته وللعبادة فيه، وقد تنازع سدنة البيت أيهم يكفل مريم الصغيرة، فاقترعوا فيما بينهم فخرجت القرعة لزكريا، فكفلها وعني بها خاصة أنه كان زوج خالتها، وقد رأى زكريا أموراً تتعلق بهذه الفتاة، هي هذه الأرزاق التي تأتيها، وفاكهة الصيف التي يجدها عندها في الشتاء، وفاكهة الشتاء التي يجدها عندها في الصيف، وراقبها زكريا فما وجد أحداً يدخل عليها، ولا وجدها تخرج من حجرتها.

وقد وردت قصة مريم في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

هذه هي الأحوال التي اكتنفت الحمل بمريم، وولادتها، وتربيتها، فقد كانت العبادة لله هي حياتها، ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت في ظلها بريئة من دنس الرذيلة، لا يجد الشيطان سبيلاً أو منفذاً ينفذ إلى النفس منها، تمهيداً لأمر جليل قد إصطفاها الله تعالى له دون العالمين، ولذا خاطبتها الملائكة وهي الأرواح الطاهرة

(1) آل عمران: 34 – 37، وانظر كتاب المسحية / د. أحمد شلبي: 23 – 26.

باجتباء الله لها ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1].

ولقد كان ذلك الإصطفاء هو اختيار الله لها لأن تكون أماً لمن يولد من غير نطفة آدمية، وكان ذلك لكي تكون آية الله مشهورة.

4- الحمل بالمسيح وولادته[2]: حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام، وهو الأمر الذي اجتباها الله له، واختارها لأجله، ولقد فوجئت به، إذ لم تكن به عليمة، فبينما هي قد إنتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، أرسل الله إليها ملكاً تمثل لها بشراً سوياً ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾[3]. حملت مريم بعيسى من غير أب، ثم ولدته، ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت، فليس لنا إذن إلا أن نفرض أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر.

ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها، ومن لا يعرف، لأنها فاجأتهم بأمر غريب، وهي المعروفة عندهم بأنها عذراء ليس لها بعل، فكان ذلك مدعاة للإيهام، ولكن الله سبحانه رحمها من هذه المفاجأة، فجعل دليل البراءة بأن ينطق الغلام الذي ولدته قبل قليل، فاشارت إليه ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[4].

---

(1) آل عمران: 42، 43.

(2) انظر محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: 16- 18.

(3) مريم : 18 - 22.

(4) مريم : 29- 33.

ولابد أن نشير هنا إلى أن الحكمة في كون المسيح ولد من غير أب يعود إلى أكثر من سبب:

أ- أن ولادة عيسى من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه الفاعل المختار المريد، وأنه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات، فالأسباب والمسببات لا تقيد إرادة الله، لأنه خالقها، وهو مبدعها ومريدها، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الإرادة، بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية.

ب- أن ولادة المسيح من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وهذا كان قول اليهود، فإنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً، ولا يقرون أنه جسم وروح.

5- بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته[1]: بعث عيسى عليه السلام، وقد ورد في بعض الآثار أنه بعث في سنن الثلاثين، وهي السن التي تذكر الأناجيل أنه بعث على رأسها، وقد بعث عيسى عليه السلام يبشر بالروح، وهجر الملاذ التي انتشرت في حياة بني إسرائيل، ويبشر بعالم الآخرة، الذي أنكره اليهود.

وقد كانت معجزات عيسى عليه السلام تتلخص في خمس معجزات، ذكر أربعة منها في سورة المائدة وهي:

أ- أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، أي أن الله سبحانه خلق على يديه طيراً من الطين، فالخالق هو الله سبحانه، ولكن جرى الخلق على يد عيسى، وينفخ من روحه عليه السلام بإذن الله.

ب- إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله، والمحيي في الحقيقية هو الله العلي القدير، ولكن إجراء الإحياء على يد المسيح عليه السلام، ليكون ذلك برهان نبوته، ودليل رسالته.

جـ- إبراؤه عليه السلام (الأكمه) و(الأبرص)، وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، والتمكن من أسباب الشفاء منهما، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما.

(1) المصدر السابق: 18- 22.

د- إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن قد صدقهم.

هـ- وهذه الآية ذكرت في سورة آل عمران، وهي إنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

وهذه المعجزات تدل على هدف وحكمة أراد الله من إيجادها على يد المسيح عليه السلام، وقد بين الشيخ محمد أبو زهرة هذه الحكمة بقوله: وفي الحق أن الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات السيد المسيح جاءت على ذلك النحو، هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء، فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء، بل لأن أهل زمانه من قومه كان قد سادهم إنكار الروح، فجاءت عيسى بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، وإعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها، فهذا طين مصور على شكل طير، ثم ينفخ فيه فيكون حياً، وما ذلك إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه، فكانت معه الحياة. وهذا ميت قد أكله البلى، وأخذت أشلاؤه في التحلل، وأوشكت أن تصير رقيماً، أو صارت، يناديه المسيح، فإذا هو حي يجيب نداء من ناداه، وما ذاك إلا لأن روحاً غير الجسم الذي غيره البلى حلت فيه بذلك النداء... وهكذا، فكانت معجزة عيس من جنس دعايته، وتناسب أخص رسالته، وهو الإيمان بالبعث والنشور، الذي لم يكن اليهود يؤمنون به[1].

6- موقف اليهود من دعوة المسيح: لقد كانت الأجواء التي ظهرت فيها دعوة المسيح تقوم على الأمل الذي كان اليهود يترقبونه بظهور المسيح المنتظر، فالجو كان مهيئاً لظهور نبي جديد، يخلص الشعب المختار من الظلم والاضطهاد .

وعلى الرغم من ذلك فإن المسيح عليه السلام عندما أعلن دعوته لم يجد استجابة ولا ترحاباً في المجتمع اليهودي، بل وقفت الأغلبية الساحقة تقاوم دعوته، يكيدون له إلى أن حكم عليه مجلس (السسفهدرين) بالموت.

ولقد ظلت النصرانية أيام المسيح عليه السلام دعوة بسيطة واضحة مقتصرة على الشعب اليهودي تدعوهم إلى عبادة الله وحده، وإلى إيقاف حالة الإغراق المادي

(1) المصدر السابق : 22.

التي انتشرت في المجتمع اليهودي، فتدعوهم إلى الزهد والتواضع والتسامح والتطلع إلى ملكوت الله، وطلب الأجر والثواب من الله تعالى يوم القيامة.

فالمسيح كان يتجول في أوساط الشعب اليهودي يعظهم ويخاطبهم (طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للرحماء، فإنهم يرحمون، طوبى لأتقياء القلوب)[1].

كما كان يتصدى للإنحرافات التي كان يمارسها أحبار اليهود ممن تسلطوا على المؤسسات الدينية، وراحوا يشرعون ما لم يأذن به الله[2].

لكل هذا تقدم اليهود لمناوأة المسيح، وقليل منهم اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعوته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا الضعفاء والفقراء يستجيبون لنداءه، ويلتفون حوله مقتنعين برسالته، أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يتلفتون إلى المسائل الدينية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يسوونها فيما بينهم، ولكن اليهود كانوا يريدون أن يغزوا الرومان بالقبض على عيسى عليه السلام مهما كان الثمن.

فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، ولما لم يجدوا شيئاً ضد المسيح، كذبوا على لسانه، مما جعل الحاكم الروماني يصدر الأمر القبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلباً[3].

وهنا نجد القرآن الكريم يقرر أن الله لم يمكنهم منه، بل نجاه الله من أيديهم ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4]

وبعض الآثار تقول أن الله ألقى شبه المسيح على أحد حواريه المسمى بـ (يهوذا

---

(1) إنجيل متى: 5: 1-4.

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس المفتوحة: 240.

(3) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 23.

(4) النساء: 157، 158.

الإسخريوطي)، وهو الذي تقول عنه الأناجيل أنه هو الذي دُس عليه، ليرشد اليهود والرومان عليه، إذ كانوا لا يعرفونه.

إذن لم يصلب المسيح عليه السلام بنص القرآن، وإذا كان لم يصلب، فما هي حاله بعد ذلك؟ اختلف في هذا الشأن مفسرو القرآن، فجلهم على أن الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه إليه، وأخذوا بظاهر قوله تعالى (بل رفعه الله إليه)، وببعض الآثار التي وردت في ذلك. وفريق آخر من المفسرين، وهم الأقل عدداً، قالوا: إنه عاش حتى توفاه الله كما يتوفى أنبياءه، ورفع روحه إليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وأخذوا في ذلك بظاهر قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1]، ومن ظاهر قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[2] ولكل من هؤلاء أدلة وتأويلات[3].

أما النصارى فهم يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو في الحقيقة إبن الله الأزلي)، وأن المسيح صلب وقتل حقيقة، والسبب في الاعتقاد: أن الله الأب غضب على الجنس البشري بسبب خطاياهم وبخاصة خطيئة أبيهم آدم التي أخرجته من الجنة، ولكن مع غضب الله على الجنس البشري فهو رحيم، يريد أن يمحو هذا الذنب، فأرسل إبنه و وحيده إلى الأرض حيث دخل رحم مريم العذراء البتول، وولد كما يولد الأطفال، وتربى كالأطفال حتى بدا إنساناً كالبشر، ثم صلب ظلماً على الصليب، لأنه ارتكب خطأ في حق الرومان أو اليهود، بل ليكفر عن إثم آدم الذي أصبح المسيح كأحد أبنائه[4].

7- **المسيحيون والاضطهاد الروماني**: بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد، وقد نزل بأتباعه من بعده بخوفاً يفوق الوصف من الظلم والتنكيل، وذلك لأن الرومان كانوا يرون في اتباعه خطراً عظيماً على الدولة الرومانية، وكان مصدر هذا الرأي اليهود.

---

(1) آل عمران: 55.

(2) المائدة: 117.

(3) المصدر السابق: 24، 25.

(4) المسيحية / د. أحمد شلبي: 81.

وقد كانت عـهود الاضطـهاد مستمرة ضـد اتبـاع المسـيح مئـات السـنين، وتمّ تقسيمها عند المؤرخين إلى أربعة عهود، وهذه العهود الأربعة هي أشد العهود ظلامـاً، وأكثرها ظلماً، وأعنفها قسوة[1]:

أ- في عهد نيرون (64م): فقد اتهم نيرون المسـيحيين بـإحراق رومـا، فـأخذهم بـهذه التهمة، وتفنن هو وحكومته في تعذيب المسيحيين بشتى ألوان التعذيب، ومن تلك الألوان: إدخال المسيحيين في جلود الحيوانات، ثم تقديمهم طعاماً للكلاب الجائعة، ومنها إلباسهم ثياباً مطلية بالقار ثم إيقادهم كمشاعل على الطريق يستضاء بـها في الليل، ومنها كذلك أن نيرون إتخذ هو لنفسه مـن تلـك المشـاعل البشـرية شموعـاً يسير على ضوئها في قصره.

وفي ظل هذه الظروف العصيبة المستمرة يدعـي النصـارى أن بعـض الأنـاجيل دونت في هذا العهد، ومنها إنجيل مرقص، وإنجيل لوقا.

ب- في عهد تراجان (106م): خلف نيرون حكاماً أقل قسوة، ولكن جاء عهد تراجان القاسي العنيف أعاد الأمور إلى ما كـانت عليـه، فقـد طـاردهم إلى عقـر بيوتـهم، وأصدر أحكامه بمنع الصلاة المنفردة، واعتبرها من التجمعات السرية.

جـ- في عهد ديسيوس (251م): ففي عهده أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة، وكان يؤتى بكل مسيحي يرشد عنه إلى الهيكل، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض أن يكون هو الذبيحة.

د- في عهد دقلديانوس (284م): حيث قام بقتل الألوف من البشر في مصـر، ويـروي التاريخ أن عدد القتلى الذين قتلهم دقلديـانوس (140.000) مـن ابنـاء المسـيحية، ولهذا فإن أحداث المسيحية في هذا العهد تتخذ مبـدأ التقويـم القبطـي عنـد أقبـاط مصر، إحياء لتلك المأساة.

في هذا الجو من الاضطهاد يجدر بالبـاحث في المسـيحية، أن يتحـرى آثـار هـذا الاضطهاد ويتساءل: هل يمكن إثبات سند متصل للديانـة المسـيحية؟ وهـل الأنـاجيل

(1) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 24 - 27.

التي كتبت في عهود الاضطهاد المستمر تحمل صفة الكتاب المنزل من عند الله؟ وهل في ظل هذا الاضطهاد الديني يمكن لكاتبي الإنجيل أن يتحلوا بصفة الحياد العلمي التي ينادي بها علماء الغرب المسيحيون في العصر الحديث؟ وما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في هذه العهود من الأناجيل؟ وما مدى احترام التاريخ والعلم للرجال الذين كتبوا هذه الكتب؟.

8- **بولس وأثره في المسيحية بعد المسيح:** لقد كانت دعوة المسيح قائمة على التوحيد، وهي دعوة كل الرسل من آدم إلى محمد ﷺ أجمعين، ولكن الباحث في المسيحية بعد المسيح، يجد انحرافاً واضحاً عن هذه العقيدة التي بشر بها موسى عليه السلام ومن بعده عيسى عليه السلام، فمن الواضح أن التوحيد قد اختفى من العقائد التي آمن بها المسيحيون بعد ذلك، واستبدلت بنقيضه وهو القول بالتثليث، فمن أين جاءت عقيدة الثالوث إلى النصارى؟ ومن الذي أدخل هذه العقيدة في نفوس اتباع المسيح؟ تؤكد المصادر المسيحية أن أول من قال بذلك هو الحبر اليهودي شاؤول، والذي سمى نفسه بعد اعتناقه للنصرانية باسم (بولس)، فمن هو بولس؟ وما موقف تلاميذ المسيح منه. وما أهم الأفكار والعقائد التي بثها بين اتباع المسيح؟

أ- **حياة بولس وانتماؤه للمسيحية:** اسمه شاؤول، وهو رجل يهودي ولد في طرسوس، وكان ينتمي لفرقة الفريسيين اليهودية مثل والده، ولذلك نشأ على عقائد ومبادئ هذه الفرقة اليهودية المتشددة[1].

والقارئ لحياة بولس يجد أنه تأثر بمدرستين:

الأولى: المدرسة التي نشأ وترعرع فيها، وهي طرسوس، وهي مدينة من المدن التي شاعت فيها الفلسفات والأفكار اليونانية، حيث تشبع بشتى الفلسفات المنتشرة هناك، وكان في طرسوس اتباع للفلسفة (الأرفية) وغيرها من العقائد الخفية، التي تعتقد أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، فإن آمنوا به إيمان حق أنجاهم من الجحيم، وأشركهم معه في الحياة الخالدة المباركة[2]، كما كان في

(1) الفيلسوف المسيحي والمرأة/ عبد الفتاح إمام: 49.

(2) رسالة أعمال الرسل: 22.

طرسوس حينئذ معتقدات وأساطير يونانية تتحدث عن منقذ ينشل البشرية[1].

الثانية: المدرسة اليهودية الفريسية: فبعد أن تعلم شاؤول وتلقى علوم وأساطير اليونان، كما تلقى علوم ومبادئ ديانته اليهودية أرسله أبوه إلى القدس، وهناك كما يقول بولس نفسه: تعلمت عند رجلي (غمالائيل) على تحقيق الناموس الأبوي، وغمالائيل هذا، هو أحد تلاميذ الحبر اليهودي (هليل)، وكان أحد الذين كتبوا المشناة[2].

ومن خلال هاتين المدرستين، فقد كان شاؤول يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معاً، كما كان حبراً من أحبار اليهود، تربى في مدارسهم، وتشبع بمبادئهم وعقائدهم.

ومما لاشك فيه أن هذا الرجل كان يتصف بصفات امتاز بها عن غيره، فقد كان نشيطاً دائم الحركة، كما كان واسع الخيال، وشديد الذكاء بارع الحيلة، يدير الأمور كما يريد[3]، وكان تشربه للفكر اليوناني الأثر الكبير في أفكاره[4]، بالإضافة إلى تأثره بالفكر والعقائد اليهودية، وكان فوق كل هذا شديد التأثير في نفوس الجماهير، قوي السيطرة على أهوائهم[5].

وقد كانت قصة تحول شاؤول إلى بولس، أو قصة تحول شاؤول إلى النصرانية أمر محير لكثير من الباحثين في هذه الشخصية، فشاؤول كما يقول ديورانت: بدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيح[6].

وتزعم الإضطهاد الأول للمسيحيين في القدس، إذ كان مع الشهود الذين رجموا (إستقانوس)، وكان راضياً بقتله[7]. وكان من شدة حقده على اتباع المسيح، يذهب إلى بيوتهم فيأخذهم ليلقيهم في السجن، يقول صاحب رسالة أعمال الرسل: وأما شاؤول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت، ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن[8].

(1) أعمال الرسل: 23.
(2) أعمال الرسل: 22.
(3) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 74.
(4) النصرانية من التوحيد إلى التثليث/ د. محمد الحاج: 144.
(5) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 74.
(6) قصة الحضارة/ ول ديورانت: 11: 251.
(7) أعمال الرسل: 7: 59.
(8) أعمال الرسل: 8: 3.

بل وصل به الحقد أن يذهب إلى رئيس كهنة اليهود يطلب منه رسالة إلى اتباعه في دمشق حتى يأتي بأتباع المسيح من هناك مقيدين إلى القدس[1].

وبدون مقدمات، وبينما هو في طريقه إلى دمشق، يحدث الانقلاب المفاجئ في حياة شاؤول، يصفها لنا صاحب رسالة أعمال الرسل فيقول: وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده .... فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن افعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاؤول عن الأرض، وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب[2].

هذه هي قصة تحول بولس من عدو إلى قديس بل إلى رسول ، ذكرها كاتب أعمال الرسل، ثم كررها بعد ذلك مرتين آخريين على لسان بولس، ولكن بشكل مناقض لما رواه في القصة الأولى، إذ يقول الكاتب على لسان بولس في القصة الثانية، فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني؟ فأجبت من انت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذي كلمني[3].

أما القصة حسب الرواية الثالثة فهي تتناقض أيضاً مع الروايتين السابقتين إذ جاء فيها: ولما كنت ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد ابرق حولي وحول الذاهبين معي، فلما سقطنا جميعاً على الأرض سمعت صوتاً

---

(1) أعمال الرسل: 9: 1-3.

(2) أعمال الرسل: 9: 3- 9.

(3) أعمال الرسل: 22: 6-1.

يكلمني، ويقول باللغة العبرانية: شاؤول لماذا تضطهدني؟ .... فقلت أنا: من أنت يا سيدي؟ فقال أنا يسوع الذي تضطهده[1].

وقارئ الروايات الثلاث للقصة العجيبة يقف حائراً ومتسائلاً: ما هو النص الصحيح في الروايات الثلاث؟ فالرواية الأولى تقول على لسان بولس: أن الرجال المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون ولا يرون، أما الرواية الثانية فتقول أنهم نظروا النور وكانوا معه لم يسمعوا ولم يروا؟ وهؤلاء الذين كانوا معه من هم؟ ولماذا لم يشهدوا معه؟ ولماذا لم يقدم فيما بعد دليلاً واحداً على صدق إدعائه؟[2].

فرواية بولس مليئة بالتناقض، فعندما أمر رئيس الأحبار بضرب بولس، قال له بولس: سيضربك الله ايها الحائط ... فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة الله، فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة؟ [3].

فكيف لم يعرف بولس رئيس الكهنة؟ أليس هو الذي أرسل بولس إلى دمشق ليقبض على اتباع المسيح هناك؟ فكيف لم يعرف مرسله إلى دمشق؟ فقد مرّ أن بولس كان قد طلب من رئيس الكهنة كتاباً إلى الجامع في دمشق، فبدل أن يتعرف كل منهما على صاحبه، أنكر كل منهما صاحبه، وهذا يدل على أن النص متناقض من أساسه[4].

ويضاف إلى ذلك ان الرواية الأولى تزعم أن بولس ظل مرتعداً متحيراً مخاطباً يسوع: يا رب ماذا تريد أن افعل؟ فكيف أنه الرب؟ فهو لم يخاطبه إلا على أنه يسوع، فإذا بولس وبدون تفكير يخاطبه: يا رب، ألا يدعو ذلك إلى الريبة والشك؟!.

إن سبب كل هذه التساؤلات التي تثير الشكوك حول صحة القصة إنما يعود إلى سؤال تنبغي الإجابة عنه وهو: كيف ينتقل رجل من كفر بديانة رسول لهذا الدين من غير سابق تمهيد؟ فالتوراة التي يؤمن بها المسيحيون لم يذكروا لنا رسولاً بعث من غير

(1) أعمال الرسل: 26: 12- 16.

(2) الديانات والعقائد/ أحمد عبد الغفور عطار: 3: 259.

(3) أعمال الرسل: 23: 3-5.

(4) يهوذا الإسخريوطي/ محمد أمير يكن: 290.

أن يكون في حياته الأولى استعداداً لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعلـه أهـلاً للإلهـام؟ فإذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبـل تلقيـها، لا يكـون علـى الأقـل قبلـها مـا ينافيـها ويناقضها، كما كان في قصة بولس وعداؤه للمسيحية قبل تحوله إليها[1].

ب- بولس وتلاميذ المسيح: يروي كاتب أعمال الرسل أن بولس بعـد أن رأى النـور وهو في طريقه إلى دمشق، اصبح مفتوح العينين لا يبصر احداً، فاقتادوه إلى دمشق، وبقي ثلاثة ايام وهو على هذه الحال حتى جاءه أحد تلاميذ[1] المسيح كما جـاء في رواية أعمال الرسل: فمضى حنانيا ودخل البيت ووضـع عليـه يديـه وقـال: أيـها الأخ شاؤول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريـق الـذي جئـت فيـه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس، فللوقت وقـع مـن عينيـه شـئ كأنـه قشـور فأبصر في الحال وقام واعتمد[2].

وبدل أن يذهب بولس إلى القدس ليتتلمذ على يد تلاميذ المسيح ويعرف منـهم تعاليم المسيح، صار يدعو في دمشق بين المسيحيين أن المسيح هو ابن الله، يقول كـاتب أعمال الرسل: وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح إن هذا هو ابن الله[3].

وهذا الإدعاء جعل اتباع المسيح يقفون مبهوتين محتارين أمام هذه المزاعـم كمـا جاء في أعمال الرسل، ويبدو أن إدعاء بولس أثار حفيظة اليهود في دمشق، ممـا جعلـه يفر من وجههم ويغادر دمشق إلى بلاد العـرب، بـدل أن يغادرهـا إلى القـدس حيـث هناك تلاميذ المسيح[4].

وبقي في بلاد العرب ثلاث سنين، وبعدها ذهب إلى القدس ليجتمع مع تلاميـذ المسيح عليه السلام حسب رواية أعمال الرسل، ولكنهم رفضوه ولم يقبلوه بينهم، ممـا جعل برنابا تلميذ المسيح أن يتدخل ليقنع التلاميذ بصدق إيمان بولـس، ولكـن روايـة بولس في رسالته إلى أهل غلاطية تنفي رؤية بولـس للتلاميـذ، فـهو لم يـر إلا بطـرس

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة: 75.

(2) أعمال الرسل: 9: 15- 17.

(3) أعمال 9: 20.

(4) أعمال الرسل: 22، 9: 21، ورسالة غلاطية: 4: 22- 31.

ويعقوب فقط، وهو لم يأت بطرس ليتعلم منه، أو أن يعرف منه دين المسيح الذي بشر به، بل جاء ليتعرف إليه فقط.

ولذلك يعلن في نفس الرسالة أن الإنجيل الذي جاء به لم يكن من عند أحد، وإنما أعلمه به يسوع المسيح، ويترك بولس القدس ليتجه إلى بلاد اليونان مبشراً بالدين الجديد[1].

ومن الواضح أن الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح كان في البداية غير ظاهر أمام الناس، ولم يظهر إلا بعد أن واجهت بولس مشكلة مهمة، وهي فرض عملية الختان على المؤمنين الجدد، ولهذا جاء إلى القدس من أجل أخذ مشورة الرسل أي حواريي عيسى عليه السلام، وهنا احتدم الخلاف بين بولس من جهة وتلاميذ المسيح من جهة أخرى.

وهذا الخلاف كان لابد من حدوثه، لأن بولس كما يصرح في رسائله كان يبشر بإنجيله الذي استوحاه من تصوره وذاته، في مناطق لم يصلها تبشير تلاميذ المسيح، وذلك حتى لا يعارضه أحد، فهو يبشر بإنجيل جديد لا علاقة له بالأسس التي جاء بها المسيح وكانت عند التلاميذ، يقول بولس: ولكن كنت محترصاً أن ابشر هكذا، ليس حيث سمي المسيح، لئلا أبني على أساس آخر[2].

والإنجيل الذي كان يبشر به بولس يقوم على أن الإيمان لا يكون بالالتزام بالأعمال المفروضة في العهد القديم، وإنما فقط بالإيمان بيسوع المسيح، فهو يغني عن العمل، وبسبب ذلك تفجر الصراع، لأن الاتفاق في القدس حسب كاتب أعمال الرسل، كان على الالتزام بالطاعات والمحرمات الموجودة في العهد القديم، ولكن بولس نقض الاتفاق، إذ أصبح ينادي ويعلن: أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بالإيمان بيسوع المسيح، آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس[3].

لذا يهاجم بولس بطرس بشدة، ويتهمه هو والتلاميذ بالرياء والنفاق، بل

(1) قصة الحضارة/ ديورانت: 11: 254.

(2) رسالة رومية: 15: 20.

(3) رسالة غلاطية: 2: 16.

بالخوف والجبن، حتى إن برنابا الذي زكاه عند التلاميذ، لم يوافقه في رأيه وانقلب عليه، ولهذا يهاجمه بولس ويتهمه كذلك بالرياء[1].

إذن فإن السبب في الصراع بين الطرفين، هو أن بولس قد نسف قوانين الشريعة اليهودية، وحرر اتباعه من قوانين هذا الدين، مستعيضاً عن أعمال الشريعة التي طالب المسيح تلاميذه بالتقييد بها، بالإيمان القلبي فقط.

ومضمون هذا الإيمان هو أن يؤمن المسيحي بأن المسيح ضحى بنفسه لأجل مغفرة خطايا البشر، وهذا الإيمان سيخلص الإنسان من الدينونة، أما الشريعة فلا حاجة لها فقد أصبحت قديمة ويجب التخلص منها[2].

فالإيمان بيسوع المسيح يخول المؤمنين عمل ما يشاؤون، فما دامت الخطايا تغفر فلا حاجة للامتناع عنها، وإنما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان عن الخطية[3].

لقد دعا بولس الوثنيين إلى الإيمان باسم المسيح، ولكنه لقنهم مبادئ وتعاليم تخالف روح اليهودية التي ينتسب إليها المسيح وجاء ليكملها، وهذا هو الذي جعل تلاميذ المسيح واتباعه يخشون بولس وأفكاره، ويعتبرونه خارجاً عن دين موسى كما جاء في أعمال الرسل: وقد أخبروا عنك أنك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم، الإرتداد عن موسى، قائلاً: أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد[4].

وهكذا انفصل اتباع بولس عن تلاميذ المسيح وانفصلوا عن مجامعهم، وشكلوا لأنفسهم جماعة دعت نفسها بـ (المسيحيين)، ولم يكن هذا الاسم موجوداً أو معروفاً زمن المسيح[5].

من أجل هذا فإن تلاميذ المسيح تفرقوا بين الأمم والشعوب التي دانت بالمسيحية ليبينوا لهم أن تعاليم المسيح تختلف جوهرياً عن تعاليم بولس، واستطاع

---

(1) غلاطية: 2: 11- 14.

(2) يهوذا الإسخريوطي: محمد أميريكن: 298.

(3) رسالة إلى العبرانيين: 10: 18.

(4) أعمال الرسل: 21 : 21.

(5) يهوذا الإسخريوطي/ محمد أمين يكن: 310.

هؤلاء التلاميذ المخلصين أن يقنعوا كثيراً من تلك الجماهير بصدق ما يقولون، فانقلبوا على بولس وتعاليمه التي كان يبشر بها، مما جعل بولس يستشيط غضباً، ويواجه تلك الجماهير بأقذع الإتهامات، ويصف أهل غلاطية بالأغبياء: أيها الغلاطيون الأغبياء، من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق، أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً، أريد أن أتعلم منكم هذا فقط، بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان، أهكذا أنتم أغبياء[1]؟

وتتملك بولس الحيرة والعجب، وهو يرى أهل المدن والأمصار تترك إنجيله وتتجه نحو إنجيل التلاميذ الذي أخذوه عن المسيح حقيقة، ولا عجب في الحقيقية لهذا التحول السريع لأن بولس لم يأت بإنجيله من تعاليم المسيح، ولا من أفواه تلاميذ المسيح، وإنما هو من عند نفسه.

وأصبح تلاميذ المسيح أعدى أعداء بولس، خاصة عندما بدأوا يفندون عقائده المنحرفة جوهرياً عن عقائد المسيح، خاصة تلك المتعلقة بالزعم إن المسيح هو ابن الله و وحيده نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليصلب فداء الخطيئة البشرية.

فقد كان تلاميذ المسيح ينفون ألوهية المسيح، كما كانوا ينفون صلبه، وهذا ما أكده بولس في إحدى رسائله: كونوا متمثلين بي معاً أيها الأخوة ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة، لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صلب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك ... فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح[2].

لذا لا نستغرب أن اتباع المسيح المخلصين كانوا يعتبرون بولس (خائناً)، وتصفه وثائق (يهودية مسيحية) بالعدو[3].

من أجل هذا فقد صدقهم الناس، وتزايد عددهم بسرعة نتيجة لإخلاصهم،

---

(1) غلاطية : 3: 1-3.

(2) رسالة فيلبي: 3: 17-20.

(3) القرآن والتوراة والإنجيل / موريس بوكاي: 71.

وظهر منهم قديسون وعلماء أصبحوا موضع إجلال، وتشكلت طوائف صغيرة حول كل واحد منهم[1].

ويؤكد بوكاي أن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح كان يمثل حتى عام (70) ميلادية الغالبية، وكان بولس في تلك الفترة منعزلاً هو وتعاليمه، فقد كان الساحل السوري من غزة إلى إنطاكيا مسيحياً حسب تعاليم التلاميذ، وكذلك في آسيا الصغرى وأفريقيا[2].

جـ- **دور بولس في وضع عقائد النصارى**: يقول ديوارنت: لقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح[3].

والشيء الذي لا جدال فيه أن بولس عندما أنشأ هذا اللاهوت الجديد إنما كان يدل على عبقرية وذكاء مع الخبث والدهاء، فقد إنطوت أفكاره الدينية على آراء ومدركات ليس كلها من وحي عبقريته، بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة، وكان له الفضل في التعبير عنها ونقلها.

والدراسة المفصلة لرسائل بولس، تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار اليهودية، ومن المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، ومن الأساطير الدينية الشرقية[4].

فالأصول التي نادى بها بولس هي ذات جذور وثنية عميقة لا تمت إلى المسيح بصلة، لقد استبدل بولس أشخاص الآلهة الوثنية بالأب والإبن والروح القدس، وجعلها إلهاً واحداً، وبذلك وفق بين المسيحية الناشئة التي تدين بالتوحيد، مع الوثنية ذات الآلهة المتعددة والأسرار والتعاليم الغامضة[5].

إن الرومان والإغريق الذين كانوا يؤلفون السكان غير اليهود في العالم الذي عاش فيه بولس كانوا وثنيين يعبدون وفرة وافرة من الآلهة والآلهات، وكان بولس يعرف أن

---

(1) عيسى يبشر بالإسلام / عطاء الرحيم: 117.

(2) القرآن والتوراة والإنجيل / موريس بوكاي: 71، 72.

(3) قصة الحضارة/ ول ديورانت: 11: 263.

(4) المسيحية نشأتها وتطورها/ شارل جنيبر: 70.

(5) يهوذا الإسخريوطي/ محمد أميريكن: 313.

أناساً لهم هكذا عقائد وثنية عميقة سوف لن يقبلوا فكرة تقول إن الرحمة والخلاص يمكن أن تأتي على يدي فرد من البشر، يعتبر فقط شخصاً مستقيماً وإنساناً صالحاً، لذا أراد نتائج سريعة لمهمته، فعرف أنه يجب عليه أن يلطف أو يعدل الأمور قليلاً"[1].

وكان ذلك بقوله إن عيسى كان إلهاً، وهكذا استطاع أن يتقرب إلى الجماهير غير اليهودية في عبارات مألوفة لديها جيداً، وكان نجاحه لذلك مؤكداً، وشخصيته الجذابة مضافين إلى استعداده التام ليضع حلاً توفيقياً بين الرسالة الحقيقية لعيسى، وبين العقائد الوثنية، قد قادته لأن يخلع صفة (البنوة الإلهية) على عيسى[2].

لقد نادى بولس بالكثير من العقائد والأفكار، كان من أهمها:

1- عقدية صلب المسيح: لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا، هي عقيدة بولس التي جال بها المدن والبلاد الرومانية، فهو لم يرَ في رسالة المسيح شيئاً غير هذا[3].

وهذه العقيدة روج لها كثيراً في رسائله، فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس أن لا يعرف عقيدة غيرها في المسيحية، يقول بولس: لأني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً"[4].

فبولس لم يهتم بتوسيع عقيدة المسيح وتنميتها، ولكنه علّم الناس أن عيسى لم يكن المسيح المدعو فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشر[5].

لقد تأثر بولس بالأفكار والأساطير الأفلاطونية والوثنية الأخرى التي تقول: إن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته.

---

(1) نظرة عن قرب في المسيحية / بربارا براون: 20، 21.

(2) المصدر السابق: 30، 31.

(3) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ أحمد عبد الوهاب: 274.

(4) رسالة كورنثوس (1): 2: 2.

(5) المسيحية / د. أحمد شلبي: 89.

فالإيمان بأن الآلهة ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، عقيدة كان يؤمن بها جمهور عريض من بلاد مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان. وكان لفظ كريوس (الرب) الذي سمى به بولس المسيح، هو اللفظ الذي تطلقه الطقوس اليونانية السورية على (ديونتيس) الميت المفتدى[1]، وتتضمن هذه العقيدة الوثنية تعذب الإله، كما يتعذب الإنسان[2].

وأضاف بولس إلى هذه الأساطير بعض آراء غامضة كانت قد ذاعت بين الناس، من ذلك قول بولس: أن المسيح هو (حكمة الله، وإبن الله الأول، وبكر كل خليقة، وأنه فيه خلق الكل، والكل به وله قد خلق) [3].

إذن فإن بولس قد بشر بمسيح ليس هو المسيح المنتظر اليهودي، الذي سينجي بني إسرائيل من الأسر، بل هو الكلمة الذي سينجي الناس كلهم بموته.

والقارئ لنصوص الأناجيل في موضوع صلب المسيح يجد أن إنجيلي مرقص ولوقا لم يشيرا إلى أن صلبه كان لغفران الخطايا، بل كان من أجل خلاصها من الكفر والعصيان، يقول مرقص في إنجيله عن قصة العشاء الأخير: وأخذ الكأس وشكر وناولهم، فشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يسفك من أجل الكثيرين[4].

وهذا ما يؤكده لوقا أيضاً في إنجيله: وأخذ خبزاً وشكر وكسره وناولهم وقال: هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم... وهذا الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك من أجلكم[5].

ولكن عبارة غفران الخطايا تقحم وبشكل ملفت للنظر في إنجيل متى، إذ يقول على لسان عيسى عليه السلام: إشربوا منها كلكم هذا هو دمي، دم العهد الذي

---

(1) قصة الحضارة / ول ديورانت: 11: 264.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها / شارل جنيبر: 74.

(3) قصة الحضارة/ ول ديورانت: 11: 264.

(4) إنجيل مرقص: 14: 23.

(5) إنجيل لوقا: 22: 19، 20.

يسفك من أجل أناس كثيرين لغفران الخطايا[1].

وهذا يؤكد أن فكرة غفران الخطايا بالصورة التي جاء بها بولس لم تكن موجودة أو معروفة عند كتبة الأناجيل، فالقصة التي يوردها كتبة الأناجيل تدل على أن ما فعله عيسى عليه السلام إنما كان ليثبت مفهوم رسالته التي جاءت من أجل هداية الناس وخلاصهم من الضلال والكفر.

فعيسى عليه السلام دعا الخطاة إلى التوبة وضرورة اقتران القول بالعمل للمغفرة، بينما أعلن بولس أن التبرير والغفران وقعا بموت المسيح وقيامته، فلا قيمة للعمل، لأن المغفرة تحصل بالإيمان بأن موت المسيح كان موتاً كفارياً، وأن الله نفسه تدخل لفداء البشر في حياة يسوع كلها، فصالح العالم بنفسه عن طريق موت ابنه[2].

2- عقيدة التثليث وألوهية المسيح: تصور بولس عيسى إنساناً سماوياً، أي إنساناً سبقت عناصره الروحية في الوجود وجوده الجسدي، ومبدأ حياته: الروح الإلهية نفسها، فعيسى هو الروح، إنه صورة الله الخفية، فشخصه هو المكان الذي يجتمع الله والخليقة[3].

وهذا التصور عن المسيح كان واضحاً في رواية بولس عن كيفية اعتناقه للمسيحية وهو في طريقه إلى دمشق، إذ يصف بولس الصوت الذي سمعه بأنه الرب.

ومن المؤكد أن فكرة التثليث قد أخذها بولس عن كثير من الديانات والفلسفات القديمة، فالديانة الهندوسية تقوم على عقيدة التثليث، فهناك الإله براهما، ثم يليه في المنزلة إلهين: فشنو وشيفا[4]. وعقيدة التثليث قالت به الأفلاطونية الحديثة أيضاً فالمنشيء الأزلي فاض عنه كل من العقل الفعال والنفس الكلية[5]. ومما لاشك فيه أن بولس قد تلقى مثل هذه العقائد وطورها من خلال تناوله للمسيح.

---

(1) إنجيل متى: 26: 27، 28.

(2) اليهودي شاؤول بولس الطرسوي: د. محمد ملكاوي: 221، 22.

(3) النصرانية من التوحيد إلى التثليث/ د. محمد الحاج: 200.

(4) أديان الهند الكبرى/ د. أحمد شلبي.

(5) المعجم الفلسفي: 19.

إذن يمكننا القول بأن فكرة الثالوت والمتضمنة لألوهية المسيح، كانت هي أهم مبادئ وتعاليم بولس في تجواله وترحاله، فهو وإن لم يصرح بكلمة التثليث، إلا أنه ذكرهم وطالب الناس بالإيمان بهم، فقد تحدث عن الله بصفته الأب لهذا الكون، وعندما تحدث عن المسيح زعم أنه ابن الله نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليقدم نفسه قرباناً ويصلب عن خطيئة البشر، بينما كان الروح القدس هو الذي تظهر معجزاته ويتم من خلاله تعليم الناس كيفية الخلاص بيسوع المسيح.

لقد كان بولس يشرح للوثنيين بأنهم إذا آمنوا بأنه رسول المسيح إليهم، فإنه سيهبهم الروح القدس بوضع يديه فوق رؤوسهم، وأن إيمانهم به سيمنحهم الحياة الأبدية، وأنهم يصبحون أبناء الله وشركاء في المسيح الذي هو إله كامل[1].

ومن الجدير بالذكر أن الأناجيل الأربعة فيها الكثير من النصوص الدالة على بشرية عيسى عليه السلام ونبوته، وهذا يؤكد أن الذي جاء به بولس كان مخالفاً للأناجيل في عقيدة أساسية من العقائد التي بشر بها المسيح عليه السلام، ففي قصة شفاء عيسى عليه السلام للكسيح، نجد أن الناس قالوا عند مشاهدتهم ذلك أنهم: خافوا ومجدوا الله الذي أعطى البشر مثل هذا السلطان[2].

وهذا ما أكده كذلك عيسى عليه السلام عندما قال: ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل[3]. وفي قصة إطعام خمسة آلاف رجل، نجد الناس يهتفون: بالحقيقة هذا هو النبي الآتي إلى العالم[4].

ولو كان عيسى إلهاً أو إبناً لله، لما طلب مشيئة الله، فقد جاء في يوحنا: لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني[5]. ولو كان إلهاً لما صلى وأجهد نفسه في ذلك، وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض[6].



(1) يهوذا الإسخريوطي/ محمد أميريكن: 303.
(2) إنجيل متى: 9: 8.
(3) متى: 15: 24.
(4) يوحنا: 5: 14.
(5) يوحنا : 5: 30.
(6) لوقا: 22: 39- 45.

لذا فإن بولس أغفل في رسائله حياة عيسى عليه السلام الأرضية وأعماله، ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى مناقضة تعاليم بولس الجوهرية لأعمال المسيح وتعاليمه الثابتة عنه، فلو ذكر بولس منه شيئاً في رسائله، لكان في ذكرها هدم لمقاصده وحجة عليه عند خصومه، فأعمال المسيح عليه السلام وتعاليمه في حياته الأرضية والتي نقلها أقرب الناس إليه كلها تدل على بشريته ونبوته[1].

3- تغيير الشريعة: لقد كان إبطال الشريعة اليهودية والناموس الذي جاء به الأنبياء هدفاً رئيسياً من أهداف بولس، فهو لم يكتف بإعلان أن المسيح هو ابن الله جاء ليخلص البشرية من خطيئتها، وإنما أراد حذف تلك الشريعة التي جاء المسيح ليكملها لا ليبطلها، فقد أعطى أتباعه صكوك غفران، وأنكر على أي أحد أن يطالب أتباعه بالتقيد بالمحرمات الموجودة في العهد القديم، وجعل أتباعه أحراراً من كل التزام.

لهذا فإن بولس يرى أن عدم وجود شريعة أفضل من وجودها، لأن الإيمان القلبي هو المطلوب، وليس العمل والالتزام، فالإيمان مكانه القلب، والأعمال لا قيمة لها وليست من نتاج الإيمان.

ويعلم بولس أتباعه أن الإيمان بيسوع المسيح يخولهم عمل ما يشاؤون مادامت المغفرة عن الخطيئة قد ضمنت: هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب: إجعل نواميسي في قلوبهم واكتبها في أذهانهم، ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد، وإنما حيث تكون مغفرة لهذا لا يكون بعد قربان عن الخطية[2].

وعلى هذا فإن الإنسان بحسب طبعه يقبل على الأسهل والأحلى للنفس الإنسانية وهو اقتراف الشهوات، مادام الخلاص منها أصبح مضموناً بغفرانها عن طريق الإيمان بيسوع المسيح؟!

لهذا فإن أول عمل أبطله بولس من الناموس، كان الإختتان، وهو الذي فتح باب الخلاف على مصراعيه بين تلاميذ المسيح وبولس.

---

(1) اليهودي شاؤول بولس الطرسوسي/ د. محمد ملكاوي: 216.

(2) رسالة العبرانيين: 10: 16، 17.

4- بولس والرهبانية: كان للفكرة اليهودية القائلة بأن المرأة أصل الخطيئة أثـر بـالغ في تشكيل النظرية المسيحية عن المرأة في القرون الأولى وفي العصور الوسطى كذلـك، وقد جاءت هذه النظرية من كلمات بولس، الذي كان يردد الفكرة اليهودية القائلة بأن المرأة أصل الغواية، وأنها هي التي انحرفـت بـآدم وأخرجتـه مـن الجنـة عندمـا أطاعت الحية فأكلت من الشجرة المحرمة، ولم يكن ذلك الخطأ مرتبطاً بحـواء فقـط، بل امتد إلى بناتـها أيضـاً واسـتمر معـهن، فـأصبحت المـرأة دائمـاً مصـدر غوايـة الرجل[1].

ومنذ غواية حواء صار جنس النساء مصدر كل إثم، لذا فخلاص المرأة أن تعلو على طبيعتها الأنثوية، وأن ترفض متعة الجسد، وأن تقبل المسيح زوجاً لها، بـدلاً مـن أن تخضع لواحد من البشر[2].

ولكي يتم ذلك، يدعو بولس الرجال للابتعاد عن النساء بقدر المستطاع، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة[3]، ثم يقول: لكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنـه حسـن لهم إذا لبثوا كما أنا[4].

وهذه الكلمات دعوة صريحة من بولس إلى الرهبانية، فغير المتزوج يهتم بـالرب أكثر من المتزوج، وكذلك المرأة غير المتزوجة تكون مقدسة، يقول بولس: غير المـتزوج يهتم في ما للرب، كيف يرضي الرب، وأما المتزوج فيهتم في ما للعـالم، كيـف يرضـي إمرأته، إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للـرب لتكـون مقدسـة جسداً وروحاً، وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها[5].

ونستطيع أن نجمل إضافات بولس إلى المسيحية بنقاط هي:

---

(1) الفيلسوف المسيحي والمرأة/ إمام عبد الفتاح: 54.

(2) المصدر السابق: 55.

(3) رسالة كورنثوس (1): 7: 1.

(4) كورنثوس (1): 7:، 32، 34.

(5) قصة الحضارة / ول ديورانت: 11: 263.

أ- جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير.

ب- إخراج المسيحية من البساطة إلى تعقيدات الفكر اليوناني.

جـ- فكرة الخطيئة الموروثة: وهي أن كل إنسان مذنب منذ ولادته، لأنه يعد وارثاً لخطيئة آدم، وقد أرسل الله إبنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم.

د- أدخل بولس عقيدة الكلمة (اللوجس) التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية، كما أدخل عقيدة التجسيد[1].

هـ- أدخل فكرة الرهبانية إلى المسيحية، عندما فضل غير المتزوج على المتزوج، لأن الأول يهتم بالرب وفيما يرضي الرب، أما المتزوج فلا يهتم إلا بما في العالم، وكيف يرضي إمرأته.

9- إعتناق الدولة الرومانية للمسيحية: لقد عانت المسيحية من اضطهاد الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون، مما أفقدها الكثير من رجالها. وبحلول سنة 311م تكشف للإمبراطور (جالير) -وكان من أشد المضطهدين حماساً- عقم جهوده، فاضطر إلى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى، ولما مات بعد فترة قصيرة أصبح موته مجالاً للتنافس عند عدد كبير من طالبي الحكم الذين حاول كل منهم إسترضاء الأنصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة.

وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة أن تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفاً يعتز به كل طالب حكم.

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 242.

وقد فاز بتأييد الكنيسة الإمبراطور (قسطنطين) حيث رفعته إلى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس)، حيث أصدر الإمبراطور قسطنطين سنة (312م) مرسوم سمي بـ (مرسوم ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة، وساوى بينها وبين الديانات الأخرى داخل الإمبراطورية الرومانية(1).

وشخصية هذا الإمبراطور ذات أهمية كبيرة، وتوليه عرش الإمبراطورية يعتبر عند النصارى فاتحة خير وبركة على المسيحية، فقد انتهى الاضطهاد الذي عاشوه طويلاً، وأصبح رجال الدين النصارى يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة، وتدرجوا بهذه المناصب حتى صارت رتبة البابا أعظم من رتبة الإمبراطور نفسه(2).

وقد اعتنق النصرانية بعد انتصاره على أعدائه بسبب حمله للصليب، وقد كان لوالدته (هيلانة) أثر كبير في التفاته إلى النصرانية، فقد كانت تعتنق النصرانية قبل أن تتزوج والده، واستطاعت أن تخفف الاضطهاد عن النصارى من قبل، لذلك فإنها غذت ابنها حب الصليب والنصرانية.

أما السبب المباشر لتحوله إلى النصرانية فهو بسبب سياسي، وإن كان المؤرخون المسيحيون يكتفون بذكر قصة الرؤيا التي رآها في منامه، أو ما رآه أو خيل له أنه رآه في نهاره(3).

ويذكر ديورانت أن قسطنطين شاهد في إحدى المعارك صليباً ملتهباً في السماء وعليه عبارة معناها (بهذه العلامة انتصر)، وفي صباح اليوم الثاني رأى قسطنطين في نومه أن صوتاً يأمره بأن يرسم جنوده علامة الصليب على دروعهم، فلما استيقظ من نومه صدع بما أمر، وخاض معركة خلف لواء عرف من ذلك الوقت باسم (اللبارم) رسم عليه الحرفان الأولان من لفظ (المسيح) يربطهما صليب(4).

---

(1) الميزان في مقارنة الأديان / محمد عزت الطهطاوي: 231.

(2) النصرانية / د. محمد الحاج: 129.

(3) المصدر السابق: 129، 130.

(4) قصة الحضارة / ول ديورانت: 11: 384.

هذا ما يذكره المؤرخون عن سبب تسامح قسطنطين مع النصارى، أو اعتناقه للنصرانية، ولكن ديورانت يقول: ولعل حقيقة الأمر أن قسطنطين رأى أن يربط حظه بخط المسيحيين، حين رأى منافسه (ماكسنتيوس) برفع لواء (متراس) وهو لواء الشمس التي لا تقهر[1].

ويتساءل ديورانت بعد ذلك فيقول: ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب[2].

فالقضية عند قسطنطين كانت سياسية، فقد تحول إلى المسيحية على أمل أن يكون هذا التحول طريقاً له إلى نصره على أعدائه ومناوئيه، وظل هذا الهدف قائماً حتى بعد تحوله، فالأساس عنده مصلحته واستتاب الأمن في إمبراطوريته، وهكذا كان يعامل رجال الدين النصارى[3].

وانطلاقاً من هذه السياسة كان هذا الإمبراطور يكره أي اختلاف ويحاول القضاء عليه بأقصى سرعة لأنه يخشى أن يؤثر هذا الخلاف على عرشه، وهذا ما ظهر واضحاً في قضية آريوس (270-336م). فقد أراد أن يتفادى خطر حركة آريوس بأي شكل، وقد حاول بادئ الأمر أن يقنع الأطراف المختلفة بحل قضاياهم بسرعة، ولما عجز عن الإقناع أقام مجمعاً دينياً لبحث هذا الخلاف سنة (325م) يسمى بمجمع (نيقية)، ورأس المجمع بنفسه، وألقى كلمة إفتتاحية طالب المجتمعين فيها أن يوحدوا الصفوف[4].

وقد اشتد الخلاف في هذا الاجتماع بين آريوس وأتباعه الموحدين، الذين نادوا بأن الإبن مخلوق لا يساوي الأب في الجوهر، وبين (الكسندروس) وأتباعه المؤلهين

---

(1) المصدر السابق: 11: 385.

(2) المصدر السابق: 11: 387.

(3) النصرانية / د. محمد الحاج: 132.

(4) الروم / د. أسد رستم: 1: 56، 57.

الذين قالوا بمساواة الابن للأب في الجوهر، ولم يخرج المؤتمر بقضية متفق عليه، عندئذ كان لابد للإمبراطور الذي يهمه الأمن بالدرجة الأولى، أن يحسم الخلاف فيؤيد رأي المؤلهين، لأن آرائهم أقرب إلى الوثنية التي نشأ بها من آراء الموحدين[1].

وخرج المؤتمر بوثيقة إيمانية وضعها (ألكسندروس) بطريرك الأسكندرية وبعض أنصاره من القساوسة وأقرها قسطنطين، وأمر بوجوب تنفيذها ونفى من الأساقفة كل من امتنع عن الموافقة عليها ونفى آريوس أيضاً[2].

وخلاصة القول أن قسطنطين بقي وثنياً إلى حين وفاته، وإن إدعى أنه تنصر، فهم لم يتقبل سر المعمودية إلا قبيل وفاته، ففي سنة (337م) أصيب بالحمى فذهب إلى مياه معدنية قريبة يستحم بها، ثم انتقل إلى أنقرة، وكان يود أن يعتمد في نهر الأردن كما فعل المسيح نفسه، ولكن الموت عاجله، فتقبل سر المعمودية على يد الأسقف....وتوفي يوم العنصرة، وحنط جسمه، ووضع في تابوت من ذهب، ونقل إلى القصر في القسطنطينية....ثم أمر بنقله إلى كنيسة الرسل حيث صلى الإكليروس عليه طوال الليل، ودفن فيها، وأله الشيوخ (قسطنطين) حسب العادة الرومانية، وعظمه الشعب الوثني، وعبده أمام تمثاله الذي نصب فوق عمود من الرخام[3].

ويظهر من مراسيم دفنه أنه قد أقيمت عليه طقوس مسيحية، وطقوس وثنية، مما يدل على أن كلاً من الطرفين كان يعتبره منهم، فالنصارى صلوا عليه باعتباره مسيحياً ودفنوه في الكنيسة، والوثنيون اعتبروه وثنياً فألهوه وعبدوا تمثاله وأقاموا عليه طقوسهم[4].

10- آثار اعتناق الرومان على عقائد المسيحيين: الحقيقة التي لا يستطيع أحد إنكارها أن الدولة الرومانية عندما رفعت شعار الصليب، فإنها أعلنت أن الديانة الرسمية لها هي المسيحية، سواء أكان اعتناق الإمبراطور للمسيحية سياسياً أم إعتقادياً.

---

(1) النصرانية / د. محمد الحاج: 133.

(2) الروم / د. أسد رستم: 1: 57.

(3) المصدر السابق: 1: 72، 73.

(4) النصرانية / د. محمد الحاج: 134.

ولكن السؤال الذي يتبادر في مثل هذه الحالة: هل رضيت الوثنية الرومانية ذات الحضارة العريقة أن تتنازل عن معبوداتها، وتعلن استسلامها وإذعانها للمسيحية؟[1]

الروايات التاريخية تؤكد لنا أن ما حصل هو العكس تماماً، فالذي حدث هو أن المسيحية كانت من قبل موحدة تؤمن بالله الواحد، وما لبثت بعد هذا الامتزاج أن نشأت فيها أفكار فلسفية غريبة، نادت بالتثليث والأقانيم والتجسد وغير ذلك من هذه الأفكار التي بدأت تنتشر، مستمدة قوتها من وثنية الرومان، وسلطان دولتهم التي باتت ترفع شعار الصليب. إن المسيحية التي أراد الله لها أن تكون دعوة مخصوصة لبني إسرائيل لم تستطع مواجهة الوثنية الرومانية الحافلة بشتى الفلسفات والأفكار، فما لبثت أن تسربت تلك الأفكار إلى أصولها، وعندها بدأ الخلاف يدب بين رجال الدين من النصارى أنفسهم، فمنهم من تأثر بالفلسفات الوثنية المنتشرة، فراح يطبق تلك التفسيرات الفلسفية على مفهوم الألوهية وعلى بعض الاصطلاحات الدينية، فظهرت فكرة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام، وبقي آخرون منهم محافظين على تعاليم الرسل الأصيلة، وتصدوا للأفكار الواردة، وكان لابد للدولة أن تتدخل بحجة استتباب الأمن، لأن هذا الاختلاف يعكر صفو الأمن، واختارت أن تقف مع الأفكار المؤلهة[2].

فالنصرانية لم تنتصر في المعركة التي دارت بينها وبين الوثنية، وإن كان النصارى يعتبرون إعتناق الدولة الرومانية للنصرانية إنتصاراً، وهذا ما يؤكده شارل جنيبر إذ يقول: أن هذا الانتصار لم يكن إلا ظاهرياً، حيث أن الدين الجديد لم يطوع العالم اليوناني الروماني لعقيدته وروحه، بل على العكس ترى هذا العالم قد تشربه وطوعه لتطلعاته، والكنيسة هي المسؤولة عن تلك النتيجة لأنها هي التي كانت القوة المتحكمة في أمور المسيحية، وهي التي وافقت على الحلول الوسط وعلى ألوان مختلفة من التنازلات، وأصبحت الكنيسة جانباً من جوانب الدول الرومانية[3].

---

(1) المصدر السابق: 134.

(2) المصدر السابق: 135.

(3) المسيحية / شارل جنيبر: 182.

لقد كـانت للوثنيـة الرومانيـة وفلسـفتها اليونانيـة الأثـر البـارز علـى انحـراف النصرانية عن عقيدتها التوحيدية مـن أول الطريـق، ورغـم أن معظـم المسـيحيين في الشرق رفضوا هذا الإنحراف عن العقيدة الأصلية (عقيدة التوحيد) فإن هذا الإنحراف وجد من قوة الدولة وسلطانها ما مكن له على معارضيه.

ويمكن القول أن الصراع بين بولس وأتباعه من جهة، وبين المسيحيين الحقيقيـين من جهة أخرى، إمتد قروناً بعد وفاة بولس، ولما انتصرت فكرة الرومان المعددة علـى فكرة المسيحيين الموحدين، قضي على كل كتابات الموحدين، وقبرت وأعدمت نـهائياً، ثم أصبح لهؤلاء الطابع الرسمي المقرر، بينمـا قضـوا علـى كـل مـا عـداه بالفنـاء ممـا يعارض رأيهم، وكان ذلك مقدمة لسيطرة الكنيسة على أوروبا بعـد سـقوط الرومـان سنة 476م[1].



(1) الإسلام والفلسفات القديمة / أنور الجندي: 192.

الفصل الثاني

مصادر المسيحية

المبحث الأول: العهد القديم

المبحث الثاني: العهد الجديد

تعريف وتمهيد

أقسام العهد الجديد

أ- الأناجيل الأربعة:

كيف أعتمدت الأناجيل الأربعة؟

محتويات الأناجيل الأربعة والإنتقادات الموجهة لها.

بـ- الرسائل:

1- رسالة أعمال الرسل

2- الرسائل التعليمية

أ- رسائل بولس

ب- الرسائل الكاثوليكية

جـ- رسالة رؤيا يوحنا

المبحث الثالث: المجامع



المبحث الأول

العهد القديم

تعتمد المسيحية على ثلاثة مصادر هي:

العهد القديم: ويحتوي العهد القديم عندهم على الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، كما يحوي أسفار الأنبياء الأولين والآخرين المتضمنة تاريخ بني إسرائيل، بالإضافة إلى الأسفار التاريخية التي تتحدث عن حقب مهمة في تاريخ بني إسرائيل، كما يحوي أيضاً الأسفار الشعرية، وتضيف الكنيسة إلى هذه الأسفار التسعة والثلاثين سبعة أسفار أخرى لتصبح أسفار العهد القديم عندهم ستة وأربعين سفراً، وذلك لأنهم اعتمدوا الترجمة اللاتينية للترجمة السبعينية والتي زادت على العهد القديم سبعة أسفار، بينما الترجمة السبعينية زادت أربعة عشر سفراً.

ومن العهد القديم يعرف المسيحيون أخبار العالم في عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية تعين على أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود.[1]

---

(1) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 40

المبحث الثاني

العهد الجديد

العهد الجديد: وهذا المصدر سُمي باسم (العهد الجديد) حتى يميز عن العهد القديم، وذلك لأن العهدين قد نزلا على بني إسرائيل، فالأول كان في زمن موسى عليه السلام، والثاني في زمن عيسى عليه السلام.

فالكتاب المقدس عند النصارى ليس كتاباً واحداً، وإنما هو كتابان اثنان، أحدهما هو (العهد القديم) أو (التوراة)، والثاني هو (العهد الجديد)، والذي يتكون من سبع وعشرين رسالة، وهي الأناجيل الأربعة وتسمى بالأسفار التاريخية، والرسائل التي تسمى بالأسفار التعليمية.

وقد صدر (العهد الجديد) في الطبعة العربية بهذه العبارة: (كتاب العهد الجديد، لربنا ومخلصنا، يسوع المسيح)، وقد ترجم من اللغة اليونانية، بينما كتب على الكتاب المقدس كله، أنه ترجم من اللغات الأصلية، وهي اللغات: العبرانية والكلدانية واليونانية. كما صدر (العهد الجديد) بنفس العبارة، في أشهر الطبعات الإنجليزية للكتاب المقدس، وهي الطبعة الموافقة للنص المعتمد سنة (1611م)، والمعروف بنسخة الملك جيمس. وقد كانت آخر هذه الطبعات للكتاب المقدس، هي (الطبيعة اليهودية) له، وقد صدرت في القدس سنة (1970م)، بعد أربع سنوات فقط، من تبرئة اليهود من دم المسيح، والتي يمكن وصفها بأنها (العهد الجديد خالياً من معاداة السامية)، حيث حذفت من نسخة الملك جيمس، كل العبارات التي تشير ما ارتكبه اليهود في حق المسيح والمسيحية، فتمّ محو كلمة (اليهود) من أسفار العهد الجديد، ليحل محلها أهل اليهودية، أو الرعاع، أو المنعزلين، أو العامة، أو الوثنيين[1].

وتصنف رسائل العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات ورسالتين، فالمجموعات هي:

---

(1) المسيح والمسيحية والإسلام/ د. عبد الغني عبود: 114، 115.

(مجموعة الأناجيل وعددها أربعة، ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشر رسالة، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل، وأما الرسالتين فهما: رسالة أعمال الرسل، ورسالة رؤيا يوحنا).

وينقسم العهد الجديد من حيث محتوياته إلى قسمين:

الأول: الرسائل التاريخية

الثاني: الرسائل التعليمية

أما الرسائل التاريخية فتشمل: الأناجيل الأربعة، بالإضافة إلى رسالة أعمال الرسل. وأما الأسفار التعليمية فتشمل اثنتين وعشرين رسالة وقد قام بتأليف أكثرها بولس.[1]

أ- الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم هي: إنجيل متّى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه بوحي أوحي إليه، ولكنها كتبت من بعده، وتشتمل على أخبار المسيح، وما كان منه، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، وما كان يحدث له من أحداث، وما كان يجري بينه وبين اليهود، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ، ثم أخبار المؤامرة عليه، وإتهامه والقبض عليه، ومحاكمته.[2]

إذاً فإن هذه الأناجيل المعتمدة، ليست التي أنزلت على قلب المسيح من ربه، وإنما هي كلام التلاميذ وغير التلاميذ، عن المسيح، لا كلام المسيح ذاته، وإن كان كلام المسيح ذاته، أحياناً يذكر، حسبما تذكره ذاكرة راويه، أو حسبما يريد راويه أن يقوله.[3]

والإنجيل كلمة يونانية، بمعنى الخبر السعيد، أو البشارة[4]، وهذا المعنى أي البشارة، ورد في بعض نصوص الأناجيل الحالية، ففي إنجيل مرقص: "وبعد ما أسلم

(1) مقارنة أديان/ جامعة القدس المفتوحة: 248

(2) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 42

(3) المسيح والمسيحية والإسلام/ د.عبد الغني عبود: 116

(4) حياة المسيح/ عباس العقاد: 198

يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: لقد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"[1].

ورغم أن هذا التعريف لمعنى الإنجيل هو المتداول بين الباحثين، إلا أنه ليس التعريف الوحيد، ذلك أن علماء المسيحية يحاولون حتى الآن تحديد ماهية الإنجيل، باعتبارها شيئاً لا يزال في حاجة إلى تحديد، وفي واحدة من هذه المحاولات نجد (جون فنتون) يقول في مقدمة تفسيره لإنجيل متّى: إن أحد التعاريف الشائعة لكلمة الإنجيل: أنه الشيء الذي يمكن تصديقه. فهي تعني ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم نفسه بها. وهذا ما دعا نفراً من العلماء إلى تقرير أن: الأناجيل لم تكن سيرة للمسيح، أو مذكرات عن حياته، أو حتى حوادث تستحق التدوين سطرها أشخاص لتحكي تعاليمه، إنما الأناجيل عبارة عن تجميع لموضوعات متواترة تناقلتها الكنيسة شفاهاً في أول الأمر، ثم كتبت فيما بعد وصنفت لتحقيق مطالب الكنيسة في التهذيب والعبادة والدفاع عن معتقداتها.[2]

ويرى بعض الباحثين: إن إسم المؤلف أو الإنجيل إما أنه قد أبقي عليه بمحض الصدفة، أو أنه أضيف فيما بعد، كما حدث في القرن الثاني عندما جمعت الأناجيل معاً ثم أريد التمييز بينها بإضافة أسماء منفصلة لكل منها.[3]

ويقول النصارى بأنه كان يوجد بعد رفع المسيح مباشرة، كتاب يحتوي على أقوال المسيح، وكتاب يحتوي على سيرته، وأن الأناجيل الأربعة قد جمعت الأقوال والسيرة معاً، ثم إن الأقوال قد فقدت، والسيرة أيضاً.[4]

ومما يذكر أن المسيحيين قبل طباعة العهد الجديد سنة (1516م)، كانوا يحفظون نصوصه في مخطوطات، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات (4700) ما بين قصاصات

---

(1) إنجيل مرقص: 1:14، 15

(2) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ أحمد عبد الوهاب: 43، 44

(3) المصدر السابق: 44

(4) حقيقة النصرانية/ علي الجوهري: 234

من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش ونصوص هذه المخطوطات تختلف اختلافاً كبيراً، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أياً منها قد نجا من الخطأ، ومهما كان الناسخ حي الضمير، فإنه ارتكب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نقلت عن نسخته الأصلية، كما أن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً إعادة القراءة الصحيحة.[1]

كيف اعتمدت الأناجيل الأربعة؟

تمّ اعتماد الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية الذي عقده الإمبراطور الروماني عام (325م) بسبب الخلاف بين الموحدين الذين كانوا يقولون ببشرية عيسى، وبين المثلثين، الذين قالوا بالثالوث وألوهية المسيح، وقد اعتمدها آباء الكنيسة بالاقتراع، أي بكثرة الأصوات.[2]

وقر قرر المجمع إلغاء كل إنجيل أو رسالة لا تتفق مع عقيدة ألوهية المسيح، والاعتراف بقانونية الأناجيل الأربعة فقط، وإعدام ما سواها من الأناجيل[3].

وهذا يعني أن الأناجيل التي اعتمدت لم تكن إلا جزءاً بسيطاً من قوائم طويلة، تذكرها المصادر المسيحية لأناجيل كثيرة كانت معروفة، بل ومعتمدة لدى فرق مسيحية معروفة في التاريخ، فقد كان لأصحاب (مرقيون)، وأصحاب (ديصان)، إنجيل يخالف هذه الأناجيل، ولأصحاب (ماني) إنجيل يخالف هذه الأربعة، وهناك إنجيل يقال له إنجيل (السبعين) ينسب إلى (تلامس)، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة.[4]

ومن أشهر الكتب التي رفضها مجمع نيقية كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية:[5]

1- إنجيل توما

(1) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ أحمد عبد الوهاب: 41

(2) المسيح والمسيحية والإسلام/ د.عبد الغني عبود: 117

(3) دراسة في الأناجيل الأربعة/ محمد السعدي: 34

(4) المسيح والمسيحية والإسلام/ د.عبد الغني عبود: 116

(5) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ أحمد عبد الوهاب: 37، 38

2- إنجيل متى الثاني

3- الأناجيل اليهودية المسيحية وهي:

إنجيل العبريين، إنجيل الناصريين، إنجيل الإثني عشر، إنجيل الأبيونيين.

4- إنجيل المصريين

5- إنجيل بطرس

6- إنجيل باسيليوس

7- إنجيل ماركيون

8- إنجيل أبللس

9- إنجيل ناسينس

10- إنجيل فيليب

11- إنجيل ماتياس

12- إنجيل مريم

13- إنجيل برثولماوس

14- إنجيل نيقوديموس

15- إنجيل غمالائيل

16- إنجيل الكمال

17- إنجيل برنابا

18- إنجيل الإنكراثيين

19- إنجيل هيثيوس

20- إنجيل يهوذا

وبناء على أحد المصادر المسيحية فقد كان هناك (270) إنجيلاً عند عقد مجمع نيقية، بل أن مصدراً آخر يقول كان هناك حوالي (4000) من الأناجيل المختلفة.[1]

---

(1) عيسى يبشر بالإسلام/ م.عطاء الرحيم: 160

ورغم أن الرواية المسيحية المتداولة تقول إن إختيار الأناجيل الأربعة تمت عن طريق التصويت، إلا أن مصادر أخرى تقول أن طريقة اعتماد هذه الأناجيل تم بصورة غريبة عجيبة، فقد تقرر -وبسبب كثرة الأناجيل- أن توضع جميعها تحت طاولة في قاعة المجمع، ثم غادر كل شخص الغرفة وأقفل بابها، وطلب إلى الأساقفة أن يصلوا طيلة الليل من أجل أن ترتفع النسخة الصحيحة من الإنجيل إلى أعلى الطاولة، وفي الصباح وجدت الأناجيل المقبولة مرتبة بنظام على الطاولة، وعندئذٍ تقرر إتلاف جميع الأناجيل حرقاً بالنار وهي ما تبقى تحت الطاولة، ولا يوجد ما يشير إلى الشخص الذي احتفظ بالمفاتيح في تلك الليلة؟! وأصبح اقتناء إنجيل غير مرخص جريمة كبرى، ونتيجة لذلك فقد قُتل أكثر من مليون مسيحي في السنوات التي تلت قرارات المجمع.[1]

وأخيراً فإن عيسى كما يعرفه التاريخ قد أزيح جانباً في الأناجيل الأربعة، فقد تمّ فيها (تمسيح) عيسى، فالكثير مما نجده في الأناجيل مرتكز على القيل والسماع، وليست هي كتابات رجال شهدوا تلك الأحداث.

إن المخطوطات الأصلية بالعهد الجديد كانت قد أهملت، مفضلاً عليها نسخة أكثر حداثة، وبسبب رثاثة النسخ القديمة من كثرة الاستعمال، وهذه النسخ الأجد، بدورها، استخدمت كأساس لنسخ أكثر حداثة وهكذا؟!

وكل نسخة تصنع، على أية حال، كانت تعني أن هناك فرصة للتعديلات (إن كان ذلك سهوا أو حتى تعمدا) يمكن أن تزحف إلى النص.

وكما في العهد القديم، فإن النص في العهد الجديد عانى أيضاً من محررين ذوي خيال، وعانى من تعديلات غير مقصودة، وتحريف متعمد للنص من جانب الناسخين.

إن أقدم النسخ الموجودة تعود إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي، عندما أخرج نص (قياسي) من جميع المخطوطات المختلفة (وهي بنفسها نسخ من نسخ)[2].

---

(1) المصدر السابق: 160، 161

(2) نظرة عن قرب في المسيحية/ بربارا براون: 67، 68

لقد بقيت لغة الكتاب المقدس حتى القرن السادس عشر(اللاتينية)، عندما قام رجال الإصلاح بترجمة الكتاب المقدس إلى لغات الشعوب، وقد ظهرت ترجمات أخرى بسرعة بعد ذلك، مما دعا الملك جيمس الأول في إنجلترا لأن يعين لجنة من أربعة وخمسين عالماً لإصدار ترجمة رسمية، وفي عام (1611) أصدروا (ترجمة الملك جيمس للكتاب المقدس) والتي أصبحت المقياس بين المسيحيين لمئات السنين.

ولكن في القرن التاسع عشر قرر المسيحيون أن يُحدثوا لغة ترجمة الملك جيمس، وسموه (الترجمة الأمريكية القياسية)، وقد نشر عام (1901)، والمسيحيون الذين اشتغلوا في هذه الترجمة، لم يحدّثوا اللغة فحسب، وإنما أدخلوا تغييرات على النص نفسه.

وبعد عدد من السنين، فإن رجال الكنيسة اجتمعوا مرة أخرى وقرروا أن يحدّثوا الترجمة الأمريكية القياسية، ونتيجة لجهودهم نشرت (الترجمة القياسية المنقحة) في عام 1952.

وفي عام (1989) تمّ إصدار الترجمة المنقحة القياسية (الجديدة)، وهي تحديث آخر للترجمة المنقحة القياسية الصادرة في عام 1952.

والنتيجة: أنه من خلال الاستنساخ على مدى السنين، والتراجم الجديدة المتنوعة، فإن ما يعرف بالكتاب المقدس هو الآن كتابات أشخاص عاديين أكثر مما هي وحياً من عند الله[1]

محتويات الأناجيل الأربعة والانتقادات الموجهة لها

1- **إنجيل متّى**: أحد الحواريين الإثنى عشر، ويسميهم المسيحيون (رسلاً)، وكان عمله قبل اتصاله بالمسيح عشاراً -أي جامعاً للضرائب- لحساب الدولة الرومانية في فلسطين، وهي وظيفة يمقتها اليهود، وينظرون إلى صاحبها على أنه ظالم[2].

وإنجيل متّى -عند المسيحيين- هو أقدم الأناجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى

(1) المصدر السابق: 70-73

(2) أضوء على المسيحية/ د. رؤوف شلبي: 39

حوالي سنة (60) ميلادية على أحد الأقوال، بينما اختلفت الروايات الأخرى في سنة تأليفه، فقيل سنة (37) أو (38) أو (41) أو (43) أو (48) أو (61) أو (62) أو (63) أو (64).[1]

ويقول الكثير من مؤرخي المسيحية، أن متّى كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية[2]، ولكن الدكتور علي عبد الواحد وافي يؤكد أن هذا الإنجيل قد كتب باللغة الآرامية، والتي كانت مستخدمة في المحادثة والكتابة في هذا العصر في فلسطين، ويؤكد أيضاً أن المؤرخ المسيحي (إبن البطريق) قد أخطأ في قوله أن متّى قد كتب إنجيله هذا باللغة العبرية[3]

ولكن هذا الأصل العبري، أو الآرامي، لم يصل إلينا، وإنما وصلت إلينا ترجمته إلى اللغة اليونانية، ولا يعرف مترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية، ويقال أن متّى نفسه هو الذي قام بترجمته، ويروي إبن البطريق أن مترجمه هو يوحنا مؤلف الإنجيل الرابع[4]. ولكن الكثير من مؤرخي المسيحية يقولون: إنه لم يعرف المترجم[5].

إذاً فإنجيل متّى يلاحظ فيه أثناء الدراسة ما يلي[6]:

1- أنه مجهول التاريخ الذي تمّ التدوين فيه.

2- أنه مجهول في اللغة التي تمّ تدوينه بها.

3- أن النسخة الأصلية التي دونت فيها محتويات الإنجيل (العبرية، أو السريانية، أو الآرامية) ضاعت.

4- أن مترجم هذا الإنجيل مجهول.

---

(1) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 45

(2) المصدر السابق: 43

(3) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام/ د. علي وافي: 86

(4) المصدر السابق: 86، 87

(5) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 45

(6) أضواء على المسيحية/ د. رؤوف شلبي: 41

ولا شك أن جهل تاريخ التدوين، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم، وحاله من صلاح أو غيره، والعلم باللغة التي ترجم عنها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي، فلو عرفنا الأصل، لعرفنا أكانت الترجمة طبق الأصل، أم فيها انحراف، ولنعرف أفهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها[1].

2- إنجيل مرقص: مؤلفه هو القديس (مرقص) أحد التلاميذ السبعين، ويقول المؤرخون أن إسمه (يوحنا) ويلقب ببطرس، ولم يكن تلميذاً مع الحواريين، (إتبع المسيح في بدء ظهوره فاختاره من السبعين الذي نزل عليهم الروح القدس -كما يقولون في كتبهم- وكان له نشاط في نشر المسيحية بأنطاكيا، ذهب إليها مع بولس، وخاله هو برنابا، ثم عاد إلى أورشليم، والتقى خاله برنابا وسافرا معاً إلى قبرص، ثم افترقا فذهب مرقص إلى شمال أفريقيا، فوجد في مصر أرضاً خصبة لدعوته فاتخذها مركزاً للتبشير، ثم انطلق منها إلى روما وأفريقيا لنشر ديانته، وظل بمصر حتى قبض عليه الرومان، وقتلوه عام 62م[2].

وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار، أن مرقص كان ينكر الوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري[3].

غير أن إبن البطريق، يقول كلاماً متناقضاً في قضية من ألف كتاب مرقص، فيروى أن بطرس رئيس الحواريين كتب إنجيل مرقص عن مرقص، ثم نسبه إلى مرقص[4].

ونجد مؤرخاً مسيحياً آخر يقول: إن إنجيل مرقص كتب بتدبير من بطرس عام (61) من أجل أن يستخدمه بطرس في تبشيره بدينه، ولكن أربينيوس يقول: إن مرقص كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس[5].

---

(1) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 45

(2) اضواء على المسيحية/ د.رؤوف شلبي: 42

(3) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 46

(4) أضواء على المسيحية/ د. رؤوف شلبي: 43

(5) المصدر السابق: 43

ويتساءل الباحث وهو يقرأ مثل هذه التناقضات: من الذي كتب هذا الإنجيل؟ أهو بطرس أم مرقص؟ وهل يقبل العقل أن بطرس روى عن مرقص؟ مع أن الأول رئيس الحواريين، والثاني من تلاميذه[1].

فمن الكاتب إذاً؟ إنه أمر محير ومجهول، وإذا تجاوزنا هذا إلى تاريخ كتابة ذلك الإنجيل، فنجد المؤرخين قد اختلفوا في زمان تأليفه هل هو في: 56، أو 60، أو 61[2].

أما اللغة التي كتب فيها هذا الإنجيل فهي اليونانية كما يقول الدكتور بوست في قاموسه[3]، ومن كل هذه الحقائق تظهر للباحث نقطتان جديرتان بالاهتمام وهما: من هو كاتب إنجيل مرقص؟ ومتى كان تدوينه؟ لأن ضياع أو اختفاء شخصية الكاتب، وسنة التدوين، يسقطان قيمة الكتاب من ناحية علمية وموضوعية[4].

3- **إنجيل لوقا:** ليس لوقا من الحواريين، ولا من تلاميذهم، وإنما هو تلميذ بولس، وقد تكرر ذكر هذا في رسائل بولس[5] والباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمن قائل أنه أنطاكي ولد بأنطاكيا، ومن قائل أنه روماني ولد بإيطاليا، ومن قائل أنه كان طبيباً، ومن قائل أنه كان مصوراً، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حوارييه[6].

ويتفق المؤرخون على أن لغة التدوين لهذا الإنجيل هي اللغة اليونانية، أما عن تاريخ تدوينه، فهي نقطة خلاف حادّة بين المؤرخين فمنهم من يقول: أنه كتب سنة 53، أو 58، أو 60، أو 63، أو 64[7]. فإنجيل لوقا قد اختلف الباحثون في شخصية كاتبه وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه.

---

(1) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 47

(2) المصدر السابق: 47

(3) مقارنة أديان/ جامعة القدس المفتوحة: 252

(4) أضواء على المسيحية/ د. رؤوف شلبي: 44

(5) المسيحية/ د.أحمد شلبي: 178

(6) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 46

(7) أضواء على المسيحية/ د. رؤوف شلبي: 45

4- إنجيل يوحنا: الشائع أن هذا الإنجيل كتبه يوحنا الحواري، الذي كان يحبه المسيح ويصطفيه، ولكن هذا الشائع لا أساس له من البراهين، وكثير من كتاب المسيحية يؤكدون أن هذا الإنجيل لا بدّ أن يكون من كتابة يوحنا آخر لا علاقة له بيوحنا الحواري[1].

فإنجيل يوحنا مختلف تماماً عن الأناجيل الثلاثة السابقة في حجمه ونسقه وأسلوبه وموضوعاته، يقول الدكتور بوكاي: يختلف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، إلى درجة أن الأب (روجي) قال عنه في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل)، إنه عالم آخر[2].

وسبب أهمية هذا الإنجيل يعود إلى أن فقراته تضمنت ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، بل وجعل ذلك في اول نص من نصوصه: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله"[3].

ويستفاد مما كتبه كتاب النصارى أنهم يجمعون أو يكادون على أن إنجيل يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها، لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة، وهنا لا يسع القارئ لتلك النصوص إلا أن يستنبط أمرين:

أحدهما: صريح، وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، وأن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص ألوهية المسيح.

وثانيهما: أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرح بها، وهذا ينبئ على أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب، وإلا ما اضطروا اضطراراً إلى إنجيل جديد طلبوه فافتقدوه فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه[4].

واختلف المؤرخون المسيحيون كذلك في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً، فالدكتور بوست يرجح أنه كتب سنة 95 أو 98، وقيل سنة 96، ويقول هورن في

(1) المسيحية/ د.أحمد شلبي: 179

(2) القرآن والتوراة والإنجيل/ موريس بوكاي: 90

(3) إنجيل يوحنا: 1:1

(4) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة: 53، 54

تاريخ تدوين هذا الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة 68 أو 69 أو 70 أو 89 أو 98 من الميلاد[1].

إذاً فكتاب المسيحية يعترفون أن كتابة هذا الإنجيل كانت متأخرة عن الأناجيل الثلاثة، ولكن الحقيقة أنها متأخرة أكثر من ذلك بكثير، وأن بعض ما ورد فيه من نصوص لا يمكن أن يكون مما عرفه يوحنا الحواري أو أي أحد في القرن الأول الميلادي، فكل شيء يوحي بأنه كان للنص كتاب عديدون، وأن من المرجح أن هذا الإنجيل نشره تلاميذ الكاتب المجهول، الذين أضافوا بعض الفصول والحواشي والأخبار[2].

وقد قال أحد مؤرخي المسيحية واسمه (ستادلين): إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية، بل أن فرقة مسيحية اسمها (الوجين) كانت تنكر في القرن الثاني هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا[3].

ويرتاب كذلك كثير من الباحثين المحدثين في صحة نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا، بل إن عدداً كبيراً من ثقاتهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه، ومن هؤلاء جماعة العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل المسيحية في دائرة المعارف البريطانية، فقد ذكروا في ترجمتهم للأناجيل: "أنه لا مرية في أن مؤلف إنجيل يوحنا شخص آخر غير يوحنا بن زبدي الحواري المشهور. وقد ادعى مؤلفه في متنه أنه هو يوحنا الحبيب إلى المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، وإن الذين يحاولون أن يربطوا ولو برابطة واهية بين ذلك الفيلسوف الذي ألف هذا الكتاب في القرن الثاني الميلادي، وبين الحواري يوحنا الصياد الجليل، لن يجدوا لمحاولتهم هذه أي سند، وستذهب جهودهم أدراج الرياح".

ومن هؤلاء كذلك مؤلفو دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم (لاروس القرن

---

(1) المصدر السابق: 52، 53

(2) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 254

(3) محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة:

العشرين)، فقد ذكروا أنه ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة[1].

الأناجيل غير المعتمدة عند المسيحيين:[2]

كان لدى المسيحيين -كما مرّ سابقاً- في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلهم الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها.

فكان ثمَّ إنجيل ينسب لمتّى غير إنجيله السابق، وإنجيل ينسب لبرنابا، وإنجيل ينسب للحواري يعقوب، وإنجيل ينسب للحواري توماس، ويقص هذان الإنجيلان أموراً أغفلتها الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح، وإنجيل ينسب للقديس نيكوديم أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح، وقد لقي المسيح وجرت له مناقشات في الشؤون الدينية، فآمن برسالته، وأظهر إيمانه بعد رفع المسيح، وقد كتب إنجيله باليونانية، ويقص فيه بعض التفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأربعة عن موت المسيح ونزوله إلى المطهر أو البرزخ، وهو عند المسيحيين مقر الأرواح الطيبة التي مات أصحابها قبل بعث المسيح، ومقر أرواح الأطفال الذي ماتوا من قبل أن يعمدوا، ومقر مرتكبي الخطايا من المسيحيين.

وإنجيل يقال له (إنجيل السبعين) وينسب إلى (تلامس)، وإنجيل يقال له (إنجيل الإثنى عشر)، وإنجيل اشتهر باسم (التذكرة)، وإنجيل كان يسمى (إنجيل العبريين أو الناصريين)، وإنجيل كان يسمى (إنجيل المصريين)، وكان لكل من أتباع ديصان، وأتباع ماني، وأتباع مرقيون أو مرسيون، وأتباع إبيون، إنجيل خاص يختلف عن إنجيل من عداهم.

ثم رأت الكنيسة المسيحية، أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم ببطلانها، فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التي

---

(1) الأسفار المقدسة/ د. علي عبد الواحد وافي: 89

(2) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام/ د.علي عبد الواحد وافي: 106-113

كانت رائجة حينئذٍ، وقررت أنها هي وحدها الأناجيل الصادقة في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى أصحابها، وأن ما عداها من الأناجيل أناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة في حقائقها، وأرادت من المسيحيين قبولها ورفض ما عداها، وتمّ لها ما أرادت، فصارت هذه الأناجيل الأربعة هي المعتمدة دون سواها، مع أن هذه الأناجيل كانت قبل ذلك العهد أقل ذيوعاً و شهرة من بعض الأناجيل الأخرى، بل كانت مجهولة كثير من المسيحيين، وأول من ذكر هذه الأناجيل القديس (أرينيه) إذ قرر سنة (209) أن هذه الأناجيل هي مجرد صور لإنجيل واحد، ثم جاء من بعده القديس (كليمان الأسكندري) حيث قرر أن من واجب المسيحي التسليم بصحة هذه الأناجيل الأربعة.

هذا، وسنلقي فيما يلي نظرة على ثلاثة أناجيل غير معتمدة، وهي (إنجيل متّى الثاني وغير المعتمد)، وإنجيل الأبيونيين، وإنجيل برنابا، لاختلافها اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة في بعض نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه وتاريخ مريم، ولاتفاقها في بعض الأمور مع ما قرره القرآن.

1- إنجيل متّى الثاني، وغير المعتمد عند المسيحيين:

ومن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه في تاريخ مريم أو المسيح، وذلك أن الأناجيل الأربعة، تذكر أن مريم كانت مخطوبة أو زوجة ليوسف النجار، وأنها جاءت بالمسيح بدون أن يمسها يوسف.

أما إنجيل متى غير المعتمد عندهم فقرر أنها لم تكن زوجة ولا مخطوبة، وإنما كانت من العذارى اللائي نذرن أنفسهن ونذرهن أهلهن لخدمة المعبد، أي كانت من الراهبات اللائي كن يقمن على العبادة وخدمة المعابد التي يعتكفن فيها.

وهذه الطائفة كان يحرم على أفرادها الزواج والاتصال بالرجال، كشأن الراهبات المسيحيات في الوقت الحاضر، ويتفق هذا في بعض نواحيه مع ما ورد في القرآن الكريم في هذا الصدد إذ يقول: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا

نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]

2- **إنجيل الأبونيين:** وهو إنجيل مدون باللغة الآرامية، كانت تتمسك به فرقة مسيحية تسمى فرقة الأبيونيين نسبة إلى زعيمها (أبيون)، وقد ظل لهذه الفرقة أتباع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي ثم انقرضت بعد ذلك، ويقر هذا الإنجيل جميع شرائع موسى، ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم وينكر ألوهيته، ويعتبره مجرد بشر رسول، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية.

3- **إنجيل برنابا:** وهو منسوب للقديس (برنابا)، وكان معروفاً لدى المسيحيين منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا إنجيلاً، وورد ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامي رجال الكنيسة من بحوث وقرارات، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا (جلاسيوس الأول)[2]، وعدّد فيه الكتب المنهي عن قراءتها، وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا، وهذا يدل على أن إنجيل برنابا كان معروفاً في القرن الخامس الميلادي، أي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بنحو قرنين.

غير أنه يظهر أنه قد اختفت من بعد ذلك جميع نسخ هذا الإنجيل ولم يعد الناس يعرفون شيئاً عن محتوياته، ولعل تحريم قراءته هو الذي انتهى به إلى ذلك، وظل هذا الأمر على هذه الحال حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، ففي سنة (1709) عثر (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة باللغة الإيطالية، وعلى هامشها تعليقات باللغة العربية، وانتقلت هذه النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة (1738) إلى البلاط الملكي بفينا.

وغني عن البيان أن هذه النسخة مترجمة عن اللغة التي كتب بها في الأصل هذا الإنجيل، فإذا صح أن مؤلفه برنابا، فإن من الراجح أن يكون قد كتبه بإحدى اللغات

---

(1) آل عمران: 35 – 37

(2) تولى البابوية من سنة 492– 496م

الثلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في عصره وفي بيئته، وهي اللغات العبرية والآرامية واليونانية، ولا يمكن أن يكون قد كتب في الأصل باللغة الإيطالية، لأن اللغة الإيطالية لغة حديثة لم يتم تكونها وانشعابها عن أمها اللاتينية إلا حوالي القرن السادس عشر الميلادي.

هذا، ويختلف هذا الإنجيل اختلافاً جوهرياً عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين في كثير من نواحي العقيدة وشخصية المسيح وتاريخه، ويتفق كل الاتفاق فيما يقرره في هذه المواضيع مع العقيدة الإسلامية المستمدة من القرآن، ومن أهم هذه الاختلافات ما يلي:

أ- يقرر أن المسيح ليس إلا بشراً رسولاً، وأنه ليس إلهاً، ولا ابناً لله، فهو يقول في مقدمة إنجيله: "أيها الأعزاء إن الله العظيم قد اختصنا بنبيه يسوع المسيح رحمة عظيمة للعالمين، وخصه بمعجزات إتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين، فأخذوا يبشرون بتعاليم ممعنة في الكفر، داعين أن المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به، ومجوزين كل لحم نجس، وقد ضلّ مع هؤلاء بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسف والأسى، وهذا هو ما دعاني لأن أسطر الحق في هذه الشؤون".

ويروي في آخر الفصل الثالث والتسعين أنه قد: "قدم على المسيح كبير الكهنة مع الوالي الروماني (هيرودوس) ملك اليهود، فذكر له كبير الكهنة أن فريقاً من الناس يقولون إنه إله، وأن فريقاً آخر يقولون إنه ابن الله، وطلب إليه أن يعمل على إزالة هذه الفتنة التي ثارت من أجله، فقال له يسوع: وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد هذه الفتنة؟! وهل جننت أنت أيضاً؟! وهل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً؟! ثم قال: إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض إني بريء من كل ما قاله الناس عني من أني أعظم من البشر، لأني بشر مولود من امرأة، وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر".

ب- يقرر أن المسيح لم يصلب ولكنه شبه لهم، ويتفق هذا مع ما يقرره القرآن الكريم، فيقرر هذا الإنجيل أن الله ألقى شبه المسيح على يهوذا الإسخريوطي فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح، وفي هذا يقول ما نصه: "ولما دنت الجنود مع يهوذا من

المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير، فانسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفرائه جبريل وميخائيل ورفائيل وأدريل (أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل) أن يأخذوا يسوع من العالم، فأخذوه من النافذة المشرفة على الجنوب، ووضعوه في السماء الثالثة مع الملائكة الذي يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون...ودخل يهوذا بعنف إلى الحجرة التي عرج منها المسيح، وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه، وأصبح شبيهاً بيسوع في كل شيء، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين هو المعلم (يقصد المسيح)، لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا، أنسيتنا الآن؟!"

ويذكر في موطن آخر: "الحق أقول: إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع، لذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع، معتقدين أنه كان نبياً كاذباً، وأن الخوارق التي ظهرت على يديه إنما ظهرت بصناعة السحر، لأن يسوع قال إنه لا يموت ..." ثم يذكر: "أن يسوع طلب إلى الله أن ينزل إلى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه، وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره، ومن اعتقاد بأنه هو الذي صلب، وأنه نزل بعد ثلاثة ايام... ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا أنه مات، وقال لهم: إن الله قد وهبني أن أعيش، أتحسبونني أنا والله كاذبين... الحق أقول لكم أنني لم أمت، بل الذي صلب هو يهوذا الخائن، احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم، وكونوا شهودي على كل إسرائيل، وفي العالم أجمع، على جميع الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها".

ج- يقرر أن (مسيا) أو (المسيح المنتظر)، الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس يسوع بل محمداً صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر (محمداً)، أي لفظاً يفيد مدلوله شخصاً كثر حمد الناس له وثناؤهم عليه، وفي كثير من فصوله ذكر لفظ (فارقليط) وهو تعريب لكلمة (بركلتوس) اليونانية، ومعناها الذي يحمد حمداً كثيراً، وقال إنه رسول الله، وإن آدم لما نزل من الجنة رأى سطوراً فوق بابها بأحرف من نور: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويروى عن المسيح أنه قال: "إن الآيات التي يظهرها الله على يدي تدل على أني أتكلم بما يوحى إلي به، ولست أحسب نفسي نظير الذي

تقولون عنه (يقصد المسيح المنتظر الذي يتحدث عنه العهد القديم)، لأنني لست أهلاً لأن أحل رباطات أو سبور حذاء رسول الله، الذي تسمونه (مسيا)".

ويذكر في الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلاماً وافياً في تبشير المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يصرح لهم به، فصرح بما يعلن حقيقته ويبين ما له من شأن.

د- يخالف هذا الإنجيل كذلك العقيدتين اليهودية والمسيحية، فيما ينقله عن المسيح بشأن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للفداء، فيقرر أن المسيح قد بين أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق، كما هو مذكور في توراة اليهود: "الحق أقول لكم، إنكم إذا أمعنتم النظر في كلام الملك جبريل تعلمون خبث كتابنا وفقهائنا، لأن الملاك قال يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله، فأجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله، فكلم الله حينئذٍ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك وبكرك واصعد إلى الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون اسحق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل إبن سبع سنين".

ب- الرسائل

تمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة المجموعة الأولى من رسائل العهد الجديد، أما بقية الرسائل فعددها ثلاث وعشرون رسالة، منها رسالتان منفردتان، وهما: (رسالة أعمال الرسل) للوقا، ورسالة (رؤيا يوحنا)، ومجموعتان من الرسائل: تضم إحداهما أربعة عشر سفراً وهي رسائل بولس، وتضم الأخرى سبع رسائل وهي الرسائل الكاثوليكية.

1- رسالة أعمال الرسل[1]: وتنسب هذه الرسالة للوقا صاحب الإنجيل الثالث، وموضوع هذه الرسالة تاريخ حياة الحواريين، وتاريخ طائفة ممن كان لها أثر كبير في المسيحية من التلاميذ وغيرهم، وكلمة (أعمال)، معناها: تاريخ حياتهم أو ما عملوه وما أثر عنهم، أما الكلمة الثانية من عنوان هذه الرسالة (الرسل)، ومعناها

(1) انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام/ د.علي وافي: 113 - 115

في مصطلح المسيحيين (الحواريون)، لأنهم يعتقدون أن هؤلاء قد أرسلهم الرب وهو (عيسى) -كما يزعمون- إلى مختلف شعوب العالم لنشر المسيحية بين الناس وهدايتهم، وعددهم إثنا عشر حوارياً، استبعد منهم (يهوذا الإسخريوطي) بسبب خيانته للمسيح، وقد ضم إليهم فيما بعد (بولس) الذي ظهر له المسيح بعد رفعه - على حسب ما يعتقده النصاري-، وأرسله إلى الأمم الضالة.

غير أن هذه الرسالة لا تقتصر على تاريخ الحواريين وتاريخ بولس، بل يعرض كذلك، لتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ والتابعين كبرنابا ومرقص. وقد اعتنى لوقا بوجه خاص في رسالته هذه بتاريخ حياة بولس وما عمله لنشر المسيحية، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه.

ولما كانت هذه الرسالة تتفق مع الأناجيل الأربعة في أن موضوعها الرئيسي موضوع تاريخي، فالموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ المسيح، والموضوع الأساسي لهذه الرسالة هو تاريخ أنصاره من بعده، لذلك تطلق كلمة (الأسفار التاريخية) على الأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرسل.

هذا ويذكر التاريخ المسيحي رسائل أخرى قديمة عرضت للموضوع نفسه وهو تاريخ الحواريين، حتى أنها سميت باسمه، ومن أشهرها رسالة (أعمال الرسل) لبرنابا، ولكن الكنيسة المسيحية اعتمدت رسالة لوقا، ورفضت ما عداه من الرسائل الأخرى التي تحدثت عن الموضوع نفسه وحكمت بزيفها وعدم صحة نسبتها إلى من تنسب إليهم من الحواريين والتلاميذ، وحكمت عليها كما حكمت الحكم نفسه على ما عدا الأناجيل الأربعة من الأناجيل التي كانت معروفة لدى المسيحيين في عهودهم الأولى. ومن أجل ذلك بقيت رسالة أعمال الرسل للوقا وانقرض ما عداها من الرسائل القديمة التي عرضت لما تحدثت له رسالة لوقا، فلا يحدثنا التاريخ المسيحي إلا عن أسمائها، ولا نكاد نعلم شيئاً يعتد به عن مبلغ الخلاف بينها وبين رسالة لوقا، وإن كان من الممكن أن نستنتج في ضوء ما ذكر عن إنجيل برنابا ومبلغ الخلاف بينه وبين الأناجيل الأربعة، أن رسالة أعمال الرسل الذي ينسب إلى برنابا، لا بد أن يكون كذلك مختلفاً في قصصه التاريخي اختلافاً كبيراً عن رسالة أعمال الرسل للوقا.

2- الرسائل التعليمية:

أ- رسائل بولس[1]: وعددها أربع عشرة رسالة كتبها كلها بولس باللغة اليونانية، منها عشر رسائل إلى بعض البلاد وبعض الشعوب، وأربع رسائل إلى بعض تلاميذه.

أما الرسائل العشر التي أرسلها إلى بعض البلاد وبعض الشعوب فهي: رسالة إلى الرومان، ورسالتان إلى أهل قورنتوس، ورسالة إلى أهل غلاطيا، ورسالة إلى أهل أفسوس، ورسالة إلى أهل فيلبي، ورسالة إلى أهل كولوس، ورسالتان إلى أهل تسالونيكي، ورسالة إلى العبريين.

وأما الرسائل الأربع التي أرسلها إلى بعض تلاميذه فهي: رسالتان إلى تلميذه تيموثاوس، ورسالة إلى تلميذه تيطس، ورسالة إلى تلميذه فبليمون.

وتستأثر هذه الرسائل بأكبر حيز من العهد الجديد، حتى إنها لتستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته، وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقريراً لألوهية المسيح وبنوته لله ومبدأ التثليث.

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد، وتنسب هذه المسيحية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه، حتى إن كلمة (الرسول) إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده -أي بولس-.

صحيح أن الأناجيل نفسها ورسالة أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق، ولكنها تحدثت عن هذه الأمور في صورة مجملة وفي ثنايا قصصها التاريخي عن المسيح وأنصاره، وبعض ما ذكرته عن هذه الأمور قد أوردته في عبارات غامضة يعوزها الشرح والتوضيح، على حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل، وعالجتها في صورة مفصلة واضحة، وكانت صريحة كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته لله وعقيدة التثليث.

(1) المصدر السابق: 116، 117

هذا ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة (364م)، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى بولس، حتى إن مجمع نيقية المنعقد سنة (325م) لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه.

ب- الرسائل الكاثوليكية: وهي سبع رسائل كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، وكتبت في عهود مختلفة، منها رسالة للحواري يعقوب الصغير، ورسالتان لبطرس كبير الحواريين، وثلاث رسائل للحواري يوحنا صاحب الإنجيل الرابع، ورسالة للحواري يهوذا أخي يعقوب الصغير.

ولا تستأثر هذه الرسائل كلها في العهد الجديد إلا بحيز يسير لا تزيد نسبته كثيراً على نسبة خمسة في المائة. والرسائل الثلاث الأخيرة من هذه الرسائل وهي الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا، لا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة.

وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتعنى بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة، فهي تتفق إذن في موضوعها مع رسائل بولس، وإن كانت تقل عنها كثيراً في مبلغ استيعابها لهذا الموضوع، ومن أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية إسم (الرسائل التعليمية).

ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة (364م)، أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك في صحة نسبتها إلى أصحابها.

3- رسالة (رؤيا يوحنا) أو (السفر النبوي)[1]: وتنسب إلى صاحب الإنجيل الرابع، وهي رؤيا منامية رآها يوحنا وأوحي إليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية وأحداث المستقبل، ومن أهم الأمور التي تشتمل عليها هذه الرؤيا ما يلي:

1- تقرير ألوهية المسيح، فهي تصوره في علياته تارة في صورة شيخ أشيب متمنطق عند ثدييه بمنطقة من ذهب، وتقدح عيناه بالشرر، ويحمل في يديه سبعة كواكب، ويخرج من فمه سيف ماض ذو حدين، وتارة تصوره في صورة خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين.

---

(1) المصدر السابق: 118، 119.

2- تقرر سلطان المسيح في السماء وإشرافه في عليائه على شؤون الكنيسة وعلمه بجميع أحوالها والقوامين عليها، وتبين أعمال الملائكة في السماء وخضوعهم للمسيح.

3- تقرر أن الناس سيبعثون يوم القيادة ويعرضون على المسيح، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

4- تذكر طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني، وتذكر هذه الأحداث في صور رمزية مبهمة، ومن ذلك خبر الدابتين الغريبتين اللتين ستخرجان قبيل قيام الساعة، تخرج إحداهما من الأرض والأخرى من الماء، وتكلمان الناس.

ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة إلى في سنة (363م)، أما قبل ذلك فكانت موضع شك كبير في حقائقها، وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري.



المبحث الثالث

المجامع

المجامع المسيحية تعد من أهم مصادر المسيحية، لأن جملة كبيرة من العقائد والشرائع المسيحية ليست لها مستند عند المسيحين من العهد القديم أو الجديد، وإنما اعتمدوا في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع.

والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم -كما يقولون-، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، وقرر ذلك المجمع، عدم التمسك بمسألة الختان، وعدم التمسك بشرائع التوراة وغيرها من شرائع التوراة، إلا بتحريم الزنا، وأكل المنخنقة، وأكل الدم، وأكل ذبائح الأوثان، وبذلك سنَّ الرسل بهذا المجمع سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة[1]، وقد ذكر هذا المجمع لوقا في رسالة أعمال الرسل[2].

إذن فالمجمع هو التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالقضايا العقائدية والتشريعية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن مؤسسة الكنيسة وسلطة المجامع لم تكون موجودة في زمن المسيح، "وإذا قلنا أن المسيح صرح للحواريين بسلطة ما، -وهذا محل جدل حتى اليوم- فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي من سلطان في التبشير بالتوبة، ولم يصنع منهم قساوسة، وعندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال، لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي، وداوموا بكل دقة على شعائره"[3].

(1) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: 120.

(2) انظر رسالة أعمال الرسل / الإصحاح الخامش عشر.

(3) المسيحية / شارل جنيبير: 120، 121.

وإذا استعرضنا هذه المجامع والموضوعات التي انعقدت من أجلها، فإن كل مجمع منها ما عقد إلا لمعالجة مشكلة، أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم الصراع بين رجال الكنيسة أنفسهم، ثم ينتهي هذا المجمع إلى قرارات يرضى عنها من يرضى، ويغضب من يغضب، ثم سرعان ما تفرض هذه القرارات بقوة سلطان الكنيسة الديني، أو بقوة سلطان الدولة في بعض الأحيان. وأخطر ما في هذه المجامع، أنها لم تقتصر على معالجة القضايا الشكلية أو الإجرائية لتنظيم الكنيسة وأعمالها، وإنما عالجت في كثير من الأحيان قضايا جوهرية ذات علاقة بأصول المعتقدات المسيحية كالتثليث وطبيعة المسيح[1].

وتنقسم المجامع المسيحية إلى قسمين[2]:

القسم الأول: المجامع العامة، الشاملة لكل الكنائس والطوائف والمذاهب، وتسمى بالمجامع المسكونية -نسبة إلى الأرض المسكونة-.

القسم الثاني: المجامع الخاصة، وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- المجامع الملية: الخاصة بملة واحدة.

ب- المجامع الإقليمية: التي تجمع مذاهب وملل مكان محدد.

وأخطر هذه المجامع، هي المجامع المسكونية، لأنها تختص بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة، ولها سلطان التشريع، ويقول المؤرخون: أن عدد المجامع العامة المسكونية التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي إلى عام 1869، تساوي عشرين مجمعاً، وأخطر المجامع، وأبعدها أثرا، وأكبرها شأناً، أربعة، وهي التي عقدت في القرون الأولى للمسيحية، فحددت حدود العقيدة، ورسمت مظاهر التشريع عند اتباع المسيحية:

1- مجمع نيقية المنعقد في 325م.

---

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 259.

(2) أنظر أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 94، 95، ومحاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 120.

2- مجمع القسطنطينية الأول المنعقد في 381م.

3- مجمع أفسس المنعقد في 431م.

4- مجمع خليكدونية سنة 451م.

الأول: مجمع نيقية: وقد عقد هذا المجمع في مدينة نيقية قرب القسطنطينية تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين، بناءً على اقتراح تقدم به أسقف إسبانيا، الذي أرسله الإمبراطور لحل قضية خلافية عمت أرجاء الدولة الرومانية بين (آريوس) وبطريرك الأسكندرية، وكان آريوس يتبنى رأي الموحدين، بينما يتبنى بطريرك الأسكندرية رأي المؤلهين لعيسى عليه السلام[1].

وقد ظهر هذا الاختلاف، بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الروما، واليونان، والمصريين، الدين المسيحي، فتكون فيه مزيج غير تام التكوين، غير تام الاتحاد والإمتزاج، وكل قد بقي عنده من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره في دينه الجديد، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم، وممن دخل في ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه على ضوئها. ولقد كانت هذه الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية، فلما أحسوا بالأمان بعد إعلان قسطنطين العفو والسماح عنهم، ظهرت الخلافات الكامنة، وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلق باسم المسيح، وكان الخلاف يدور حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن؟[2]

وأراد قسطنطين أن يحسم النزاع بين المسيحيين، فدعا إلى عقد مجمع نيقية سنة 325م، وأرسل بذاته رسائل إلى الفرق المتخاصمة، وفي هذا يقول مؤرخ المسيحية إبن البطريق: بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة (2048)، وكانوا مختلفين في الآراء

---

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 260.

(2) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: 122.

والأديان، فمنهم من كان يقول: أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مرَّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن كلمة الله دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد. ومنهم من قال: أن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول(1).

اجتمع أولئك المختلفون، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من؟! وأخيراً جنح إلى رأي بولس، وعقد مجلساً خاصاً للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي، وكانت عدتهم (318). وهؤلاء هم الذين أخذوا خاتم قسطنطين، وسيفه، وقضيبه، وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين(2).

وبينما خرجت الأغلبية من هذا المجتمع محتجة على طريقة سير أعماله، والإرهاب الفكري الذي مورس فيه، فإن الأقلية المتمثلة بـ الثلاثمائة والثماني عشر، قد مُكنت من أن تصدر قرارات المؤتمر، والتي غيرت مسار المسيحية، وأهمها:

1- تحريم القول بأن الزمن قد خلا من إبن الله بتاتاً.

2- القول بالتثليث، وبألوهية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشرية.

3- عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى.

4- إختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة.

5- طرد كل من يخرج على هذه العقيدة(3).

وهكذا فإن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من

---

(1) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 97، 98.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 125.

(3) انظر أبو زهرة: 126، ورؤوف شلبي، 99، وأحمد شلبي: 165.

كتب المسيحية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه رجال الكهنوت، وأن أقوالهم في ذاتها حجة، سواء أخالفت النصوص أم وافقت؟!

وبناء على هذا فإن المجمع أمر بتحريف الكتب التي تخالف رأيه، وتتبعها في كل مكان، وحث الناس على تحريم قراءتها[1].

وقد وجه الباحثون والمؤرخون الكثير من الانتقادات الموضوعية لهذا المجمع، ومن أهم هذه الانتقادات[2]:

1- أن المجمع اتخذ قراراته بأقلية مغلوبة على أمرها.

2- كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب بولس الذي انتهى إليه المجمع.

3- كيف يؤخذ برأي قسطنطين في ترجيح مسألة في العقيدة، مع ملاحظة أنه ليس قديساً، ولا قسيساً، ولا مسيحياً، فمازال حتى انعقاد المجمع محايداً يعطف فقط على المسيحيين؟!

4- ما هي سلطة المجمع الدينية في الأناجيل لتحل أو تحرم من غير الرجوع إلى النصوص في الأناجيل؟!

5- كيف يمكن تفسير موقف أحد الأساقفة الذين إتبعوا الملك في القول بألوهية عيسى ثم عندما سنحت له الفرصة عارضها وندد بها، وراح يدعو إلى مذهب آريوس؟ ذلكم هو الأسقف (أوسابيوس)، الذي تقرب إلى قسطنطين حتى عينه بطريركاً للقسطنطينية، فانقلب وراح يدعو إلى مذهب آريوس، واظهر ذلك في مجمع (صور) الذي انتهت المناقشات فيه إلى ملاكمات بالأيدي، وضربوا بطريرك الأسكندرية على رأسه ليخرج منه الوثنية لأنه كان مخالفاً لرأي أوسابيوس؟ كيف يمكن تفسير هذا الموقف، مع أن الرجل كان واحداً من الموافقين على ألوهية المسيح؟ ألا يعطينا هذا الحدث دليلاً على أن مجمع نيقية قد قرر القرارات رغم أنف الحاضرين؟!

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 127.

(2) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 99.

ويقول المؤرخون: أن مقالـة آريـوس في التوحيـد، غلبـت علـى القسـطنطينية، وأنطاكيا وبابل، والأسكندرية، وأسيوط. وقد كان علـى كثـير مـن الكنـائس رؤسـاء موحدون يستمسكون بالتوحيد ويحثون على الاستمساك به.

وهكذا نجد صراعاً قوياً بين التوحيد وألوهية المسيح، فالتوحيد كان قوياً بالكثرة وقوة الإيمان، وألوهية المسـيح بقـوة السـلطان، وبقايـا الوثنيـة. ولكـن قـوة السـلطان طمست نور المذهب الأول، حتى اختفى المذهـب الحـق، ولم يظـهر علـى السـطح إلا ألوهية المسيح[1].

الثاني: مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م.

وهذا المجمع من المجامع المهمة عند المسيحيين، لأنه كان استكمالاً لما بـدأه مجمـع نيقية الذي أقر ألوهية المسيح وأنه إبن الله، لكنه لم يذكر شيئاً عن الأقنوم الثـالث مـن الثالوث، حيث أقر هذا المجمع ألوهية الروح القدس ليتم الثالوث المسيحي.

ويبدو أن هناك أفكاراً قد ظهرت في مسألة التأليه للـروح القـدس، حيـث قـال (مكدونيوس) أن الروح القدس ليس بإله وإنما هو مخلوق، وشاعت هذه المقالة فتقبلها الموحدون وخالفها المؤلهون، فانعقد هذا المؤتمر من أجل ذلك، وكان عدد المجتمعين فيه لا يزيد عن مائة وخمسين أسقفاً[2].

وكان أهم قرارات هذا المجمع:

1- إثبات أن الروح القدس هي روح الله وهي حياته، فهي من اللاهوت الإلهي.

2- لعنة مكدونيوس وأشياعه، وكل من يخالف هذا القرار[3].

يقول ابن البطريق مؤرخ المسيحية في بيان قرارهـم: زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بـروح القـدس الـرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب والإبن مسجود له، وممجد، وثبتوا أن الأب

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 131.

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس: 261.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 101.

والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص، وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة، وهكذا تقرر التثليث، وتمت أقانيمه[1].

الثالث: مجمع أفسس الأول سنة 431م

والغرض من عقد هذا المجمع محاكمة أصحاب البدع، التي ظهرت في ذلك الحين، ومنهم (بيلاجيوس) و (نسطور)، أما الأول فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء، فناقشه المجمع ثم حرمه وأسقطه من رتبته.

وأما نسطور فقد كان أسقفاً على القسطنطينية ما لبث أن نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسونية. ونسطور وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر، إلا أنه أنكر ألوهيته[2].

ومذهب نسطور يقرر أن هناك أقنوماً وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الأب، ونسبة الألوهية تكون إلى الأب، وطبيعة الإنسان وهو مولود من مريم، وإذن فمريم أم الإنسان وليست بأم الله، والمسيح الذي ظهر بين الناس متحد بالمحبة مع الابن، والعلاقة بين الله وبين ابنه المحبة، والمسيح الظاهر ليس إلهاً ولكنه مبارك بما وهبه الله من الآيات والتقديس[3].

إذن فإن مقالة نسطور في المسيح، كانت جوهرية تختص بأعظم مواضيع الإيمان في الدين المسيحي، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة[4].

وانعقد المجمع وحضره نحو مائتين من الأساقفة، وغاب عنه نسطور، وكان أهم قراراته:

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 134.

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس: 262.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 102.

(4) محاضرات في النصرانية / أبو زهرة: 135.

1- أن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق، وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد في الأقنوم. وكان نص القرار: أن مريم القديسة العذراء ولدت إلهنا يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت والطبيعة.

2- أقروا بطبيعتين للمسيح: واحدة لاهوتية، والأخرى ناسونية بشرية.

3- لعن نسطور ونفيه إلى مصر[1].

ورغم نفي نسطور وطرده، إلا أن مذهبه انتشر في بقاع كثيرة في المشرق، فلقد وجد أرضاً صالحة له في هذه المنطقة، وتكاثر أتباعه في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة[2].

الرابع: مجمع خلقيدونية سنة 451م

من نتائج المجمع السابق، إعتبار أن للمسيح طبيعتين: لاهوتية، وناسونية، وهذا القرار لم يحسم النزاع بين الطوائف المسيحية المتخاصمة، لاسيما والفريق المعارض أخذ ينشر مذهبه، وعلى الجهة المقابلة يخرج بطريرك الأسكندرية بمذهب جديد في تفسير طبيعة المسيح، فيقول: إنهما طبيعتان في طبيعة واحدة، إنهما اللاهوت والناسوت إلتقيا في المسيح، ولهذا عقد بطريرك الأسكندرية مجمع أفسس الثاني، وقرر فيه مذهبه: أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت. فغضبت الكنيسة الغربية، وسمت هذا المجمع بمجمع اللصوص، وبرزت بسبب ذلك أفكار دينية حول: صحة انعقاد مجمع أفسس الثاني، وكذلك مدى سلطانه التشريعي. لكل هذا عم البيئة المسيحية نزاع وفوضى فكرية ودينية، فأرادت ملكة الرومان إنهاء ذلك الشغب، فدعت إلى عقد مجمع في مدينة خلقيدونية في عام 451م[3].

وقد عقد هذا المجمع في جو عنيف متعصب، وانتهى المجمع إلى أن قرر: أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها، والناسوت طبيعة

---

(1) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 103.

(2) محاضرات في النصرانية / أبو زهرة: 136.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 104، 105.

وحدها، التقتا في المسيح، وقد قال ابن البطريق في بيان قرار المجمع: قالوا أن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد[1].

ويقول المؤرخون المسيحيون، أن مجمع خلقيدونية حضره (520) أسقفاً، تحت إشراف زوج الملكة، وقد أدى هذا المجمع إلى إنشقاق في المسيحية المثلثة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فالمصريون عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع، مما أدى إلى انقسام في الكنائس، أو بعبارة أدق هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية في مصر عن الكنيسة المصرية فقال: كنيستنا ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية، والسريانية الأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني -أي أقنوم الابن- تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط، والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة[2].

لقد قررت المجامع الأربعة السابقة العقيدة المسيحية الحاضرة، فأولها قرر ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، لا الإنسان فقط، وأن مريم ولدت الاثنين، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة، والمجامع الثلاثة الأولى اتفق المسيحيون على أنها مجامع عامة التزم بأحكامها جميع المسيحيين، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر كل المسيحيين، فالكنيسة المصرية لم تعترف به، وانشقت بسببه عن كنيسة روما. والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون قاطبة بأنه (مجمع مسكوني)، فكل هذه

(1) محاضرات في النصرانية / أبو زهرة: 138.

(2) المصدر السابق: 141.

المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة روما[1].

ملاحظات على المجامع الأربعة السابقة:[2]

1- أن المجامع المسيحية، لم تجتمع إلا تحت ظروف الخلاف والشقاق في أمور خاصة بالعقائد المسيحية.

2- أن المجامع لم تنه الخلافات حول العقيدة المسيحية، ولكنها ولدت خلافات جديدة، وعمقتها بقرارات الحرمان والطرد.

3- أن المناقشات والقرارات لم تعتمد على نصوص من الأناجيل، ولا من رسائل الرسل.

ومن أهم المجامع التي عقدت بعد هذه المجامع الأربعة:

الخامس: مجمع القسطنطينية الثاني عام 553م

وسبب عقد هذا المجمع، أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح، حتى لقد قالوا: إنه ليس هناك قيامة. وكذلك في قول بعض الأساقفة أن شخص المسيح لم يكن حقيقة، بل كان خيالاً، فاجتمع لذلك هذا المجمع، وكانت عدة الحاضرين فيه (140) أسقفاً، وقرروا حرمان هؤلاء الأساقفة الذين قالوا بتناسخ الأرواح وإنكار القيامة، وكذلك الذين قالوا بأن المسيح كان خيالاً، بل لعنهم وطردهم من زمرة المسيحيين، ولم يكتفوا بذلك، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة، ومنها قرار مجمع خلقيدونية[3].

السادس: مجمع القسطنطينية الثالث عام 680م

وسبب انعقاده، ظهور رجل اسمه (يوحنا مارون) في القرن السابع الميلادي سنة (667)، كان يقول أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو مشيئة واحدة لإلتقاء الطبيعتين في

---

(1) المصدر السابق: 142.

(2) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 108.

(3) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 142، 143.

أقنوم واحد، ولكن هذه المقالة رفضـها بقيـة القساوسـة، فـأوعزوا إلى الإمـبراطور أن يعقد مجمعاً عاماً، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين، وذو مشيئتين[1].

وقد أدى هذا المجمع إلى هرب يوحنا مارون إلى لبنان، وانتشار دعوته في تلك المنطقـة، مما أدى في نهاية المطاف إلى إنشقاق أتباعه الذين سموا بـ (الموارنة) عن كنيسة روما.

وقد انعقد هذا المجمع بحضور (289) أسقف، وكان نـص المجمـع مـا يلـي: إننـا نؤمن بأن الواحد الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المسـتوى مـع الأب الإله في أقنوم واحد، ووجه واحد، يعرف تماماً بناسوته، تماماً بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد[2].

السابع: مجمع نيقية الثاني عام 787م

وسبب انعقاده، أن الإمبراطور قسطنطين الخامس عقد مجمعاً عام 754م، وقـرر هذا المجمع[3].

1- تحريم إتخاذ الصور والتماثيل في العبادة.

2- تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء.

ولأجل هذا المجمع انعقد مجمع نيقيـة الثـاني سـنة 787م، وكـان عـدد الحضـور (377) أسقفاً وأصدروا القرارات التالية:

1- تقديس صور المسيح والقديسين.

2- وضعها في الكنائس، والأبنية المقدسة، والبيوت، والطرقـات، لأن النظـر إلى ربنـا يسوع المسيح ووالدته، والقديسين يشعره بالميل إلى التفكير فيهم[4].

---

(1) المصدر السابق: 143.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 143.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 111.

(4) المصدر السابق: 112.

الثامن: مجمع القسطنطينية الرابع 869م

كان أساس الخلاف في المجامع السابقة (طبيعة المسيح)، ولم يتعرض أحد للروح القدس، ومن أي شيء إنبثق، حتى أثار بطريرك القسطنطينية، هذا الموضوع، فحكم بأن انبثاق الروح القدس كان من الأب وحده، فعارضه في ذلك بطريرك روما قائلاً: إن إنبثاق الروح القدس كان من الأب والإبن معاً، ولم يكن من أحدهما[1].

وقامت المعركة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وعزل بسبب ذلك بطريرك القسطنطينية، وجاء خلفه بطريرك آخر فعقد مجمعاً في القسطنطينية عام 869م، ويسميه المؤرخون (المجمع الغربي اللاتيني) للنظر في قضية إنبثاق الروح القدس من الأب والإبن. وكان من أهم قراراته:

1- إنبثاق الروح القدس من الأب والإبن معاً.

2- كل ما يتعلق بالديانة المسيحية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة بروما.

3- كل المسيحيين في العالم يخضعون لكل المراسيم والطقوس التي يقول بها رئيس كنيسة روما.

4- لعن وطرد بطريرك القسطنطينية وحرمانه هو وأتباعه[2].

الثامن (مرة أخرى): مجمع القسطنطينية الخامس 879م

وسبب انعقاده أن بطريرك القسطنطينية المعزول استطاع أن يعود إلى مركزه، فعمد إلى ما كان قرره مجمع القسطنطينية الرابع عام 869م ليبطله، وليقرر مذهبه، فلذلك عقد مجمعاً تاريخياً سمي بـ (المجمع الشرقي اليوناني).

وكان من أهم قراراته:

1- رفض كل ما قرره المجمع القسطنطيني الرابع المنعقد عام 869م.

2- إنبثاق الروح القدس عن الأب فقط.

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 145.

(2) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 113.

وهنا يلاحظ الباحث أن الصراع الفكري والقومي في الكنيسة قد ظهر، فلم تعد المسألة مسألة دين، ولكنها مسألة سلطة وقومية:

1- فمن المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية انفصلت الكنيسة المصرية إنتصاراً لبطريركها وانتصاراً لشعورها الوطني الذي تراه قد أهين بما نسب إلى بطريركها، وما حكم عليه به من الحرمان، فتعصبت لمذهبه ورأته أنه هو الصحيح.

2- ومن المجمعين الشرقي اليوناني، والغربي اللاتيني، المنعقدين في مدينة القسطنطينية انقسمت الكنيسة اليونانية على كنيسة روما، وصارتا كنيستين: إحداهما تسمى (الكنيسة الغربية البطرسية)، وذلك لأن أتباعها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو (بطرس الحواري، أو حسب زعمهم (الرسول)، والبابوات خلفاؤه من بعده. وتسمى (الغربية) لكون سلطانها في بلاد الغرب، وهذه الكنيسة تدعي أنها صاحبة السلطان الديني، وأن سلطانها يمتد إلى: بلجيكيا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسان، والبرتغال.

والأخرى تسمى (الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية): فلا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجامع القسطنطينية التي حدث فيها الخلاف والإفتراق، كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة، أو الرئاسة، وسلطانها في بلاد روسيا، واليونان، والصرب، وجانب من جزر البحر الأبيض المتوسط.

وإلى هنا فقد تقرر تاريخياً الانفصال بين الكنائس التالية:

1- الكنيسة المصرية، ومقرر رئاستها القاهرة.

2- الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية، ومقر رئاستها (القسطنطينية).

3- الكنيسة الغربية البطرسية البابوية، ومقر رئاستها (روما)[1].

التاسع: مجمع روما عام 1123م

وأهم قراراته: أن تعيين الأساقفة من شأن البابا لا من شأن الحكام[2].

---

(1) أنظر المصدر السابق: 113، 114.

(2) المصدر السابق: 115.

العاشر: مجمع روما عام 1139م

وقد انعقد هذا المجمع من أجل إزالة الفرقة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقد حضره ألف أسقف، ولكنه فشل في التوصل إلى إزالة الخلافات بين الكنيستين.

الحادي عشر: مجمع روما 1179م

وانعقد لوضع نظام التأديب الكنسي، وفيه تقرر ما يلي:

1- انتخاب البابوات بثلثي عدد الكرادلة.

2- السكوت عما شاع عن: إستحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني، إلى جسد ودم المسيح[1].

الثاني عشر: مجمع روما 1215م

وقد بحث هذا المجمع ما شاع عن إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح، ولذلك قرر ما يلي:

1- إقرار ما شاع سابقاً من أن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح، وجعله مبدأ دينياً.

2- الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[2].

وتتوالى بعد ذلك المجامع الكاثوليكية، وأهم هذه المجامع وأعظمها أثراً، وأقواها عملاً المجمع التاسع عشر:

التاسع عشر: مجمع (تريدنتو) من عام 1542 إلى عام 1563

وقد انعقد هذا المجمع المتواصل لأكثر من عشرين عاماً، للرد على الأفكار التقدمية التي ظهرت بين الجماهير المسيحية، والتي أدت إلى ظهور فرقة (البروتستانت)، وكانت كل قراراته قائمة للرد على أفكار الفرقة البروتستانتية[3].

---

(1) المصدرين السابقين.

(2) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 115.

(3) المصدر السابق: 116.

العشرون: مجمع روما عام 1869م

وكان أهم قراراته: إقرار أن البابا معصوم[1]. وبذلك انتقل حق التشريع إلى البابا كرأس للكنيسة، وعن طريقه أصبحت الكنيسة تملك حق التشريع، وقد نسب المسيحيون عصمة الكنيسة ومن ثم (البابا) إلى المسيح حيث يقول الأب بولس إلياس: لقد خوّل السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه: 'كما أرسلني الأب، هكذا أنا أرسلكم'. ويقول عبد الأحد داود: إن المسيحيين عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة في إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إلى حبر روما، وأصبح حكمه قطعياً'[2].



---

(1) المصدر السابق 116.

(2) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 150.

الفصل الثالث

عقائد المسيحية

المبحث الأول: تمهيد

المبحث الثاني: عقيدة التثليث

1) حقيقة التثليث وأصوله

2) الانتقادات الموجهة لعقيدة التثليث

المبحث الثالث: ألوهية المسيح وعقيدة الصلّب

1- الوهية المسيح كما هي عند المسيحيين.

2- الانتقادات الموجهة لفكرة ألوهية المسيح.

3- حقيقة قصة الصلب.

4- الانتقادات الموجهة لعقيدة الصلب.

5- المسيح يحاسب الناس.

المبحث الرابع: يوم القيامة عند المسيحيين

أ- الموت وعلاقته بالخطيئة في المسيحية

ب- مستقر الأرواح بعد الموت

جـ- يوم القيامة وأحداثه



المبحث الأول

تمهيد

نزلت المسيحية في عهد الإمبراطور الروماني (أغسطس) سنة 14م، عقب فراغ طويل المدى، من الجدب الديني لبني إسرائيل، حيث تحجرت فيه الديانة اليهودية، واستحالت طقوساً جامدة، لا حياة فيها، ومظاهر خاوية، لا روح فيها.

وكانت رسالة المسيحية، التي من أجلها نزلت، في وسط هذه المادية الغليظة، هو إعادة الروح إلى هذا الركام المادي الضخم.

ومن أجل ذلك، لم تنزل المسيحية بإطار محدد، لأن الإطار كان محدداً بالفعل في اليهودية، التي أتت المسيحية متممة لها، مصححة مسارها، كما لم تنزل بشرائع وقوانين، لأن هذه القوانين كان موجودة بالفعل في التوراة.

ومن ثمَّ فإن الإطار العقائدي للمسيحية لا يبدأ بفكرة الألوهية، بل هو يبدأ بالإنسان، وجذور هذا الإطار موجودة في التوراة، حيث نجد (الخطيئة الأولى) لهذا الإنسان، وحول هذه (الخطيئة الأولى) لآدم، يدور الفكر الديني المسيحي كله، بينما هو يدور في اليهودية، حول (إختيار) بني إسرائيل، من بين بني آدم، ليكونوا (شعب الله المختار)[1].

وبناء على ذلك فإن العقيدة المسيحية إجتازت مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة 425م، والمرحلة الثانية من مجمع نيقية إلى الوقت الحاضر.

---

(1) المسيح والمسيحية والإسلام / د. عبد الغني عبود: 100، 101.

وقد كانت المسيحية في فاتحة هذه المرحلة، ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد، وتقرر أن المسيح إنسان من البشر أرسله الله تعالى بدين جديد، ولكن لم تمضِ بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية، وافدة إليها أحياناً من فلسفات قديمة، وأحياناً من رواسب وديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتشرت فيها المسيحية. فانقسم حينئذ المسيحيون إلى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها إلى الشرك بالله، وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضم كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقاً كثيرة[1].

ولكن الطائفة الأولى هي التي سيطرت على الموقف من خلال قرارات مجمع نيقية، فأصبحت عقائدها هي المسيطرة باعتبار أن أصحابها صاروا يستمدون قوتهم من السلطة والإمبراطور، وبذلك بدأت تسود في الأوساط المسيحية عقيدة التثليث وألوهية المسيح، وهي التي استمرت إلى وقتنا الحاضر بعد أن إنقرضت عقيدة التوحيد وبشرية المسيح.

ويمكننا القول أن أسس العقيدة المسيحية في الوقت الحاضر هي:

1- التثليث.

2- تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها آدم.

3- أن الإله الأب، ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم، فالإله الابن لأنه ظهر بمظهر الإنسان، أقرب لفهم بني الإنسان[2].

وتقوم العقيدة المسيحية في الوقت الحاضر على ما عرف باسم (دستور الإيمان النيقاوي) والذي قُرر في مجمع نيقية، وتمت الزيادة عليه في مجمع القسطنطينية الأول

(1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام / د. علي عبد الواحد وافي: 120، 121.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 105.

بألوهية الروح القدس، وصيغة هذا الدستور هو: نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، إبن الله الوحيد، المولود من الأب قبل الدهور: إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنساناً، وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم وقبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السماء، جلس عن يمين الرب، وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه، ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الأب والابن، الذي هو مع الأب والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنية واحدة مقدسة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي[1].



(1) البيان في مقارنة الأديان / د. أسعد السحمراني: 77.

المبحث الثاني
عقيدة التثليث

1- حقيقة التثليث وأصوله:

موضوع تعدد الآلهة، موضوع قديم إعتقدت به ثقافات قديمة، إذ قال به المصريون القدماء، وقال به الأشوريون والبابليون والهنود والصين واليونان، على إختلافٍ في عدد الآلهة ومكانتهم.

ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثاً، أي جعلوها مجموعات، كل مجموعة ثلاثة.

وبينما كان البابليون يقولون بالتثليث، كان المصريون والإسرائيليون يقولون بالتوحيد. ووقفت حضارات أخرى بين بين، أي بين التعدد الذي قال به البابليون، وبين التوحيد الذي قال به المصريون والإسرائيليون، فظهرت بدعة التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد، فقد قال بها الهنود قبل المسيح بأكثر من ألف عام، فقد كان عندهم (براهما) و (فشنو) و(سيفا) وكانوا يعدونها ثلاثة جوانب لإله واحد، أو كانوا يعدون (براهما) واحداً له ثلاثة أقانيم، فهو (براهما) من حيث هو موجود، وهو (فشنو) من حيث هو حافظ، وهو (سيفا) من حيث هو مهلك.

واتجهت مدرسة الأسكندرية نفس الاتجاه، فأقام بطليموس معبداً عظيماً كان يعبد فيه نوع من ثالوث الأرباب، ولم يكن الناس يعدونها أرباباً منفصلة، بل هيئات ثلاثاً لإله واحد[1].

وقد استمرت هذه المدرسة حتى ميلاد المسيح وبعد ميلاد المسيح، ويظهر أن العقيدة المسيحية المثلثة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وذلك أن أفلوطين زعيم مدرسة الأسكندرية، وهي المدرسة التي تنسب إليها الفلسفة الأفلاطونية الحديثة (وهو من رجال القرن الثالث الميلادي)، كان يرى فيما يتعلق

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 109، 110.

بالكون ومنشأة، أن الله هو منشئ الأشياء لا يتصف بوصف من أوصاف الحوادث، فليس بجوهر ولا عرض، وليس فكراً كفكرنا، ولا إرادة كإرادتنا، يتصف بكل كمال يليق به، ويفيض على كل الأشياء نعمة الوجود، ولا يحتاج إلى موجد، وأن أول شيء عن هذا المنشئ هو (العقل)، وقد صدر عنه كأنه يتولد منه، ولهذا العقل قوة الإنتاج، ولكن ليس كمن يولد عنه، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء[1].

فخلاصة مذهب أفلوطين: أن في قمة الوجود، يوجد (الواحد) أو (الأول) وهو جوهر كامل فياض، وفيضه يُحدث شيئاً غيره هو (العقل)، وهو شبيه به، وهو كذلك مبدأ الوجود، وهو يفيض بدوره فيحدث صورة منه هي (النفس)، وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر. أو بعبارة سهلة موجزة: ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة: (الأول-العقل-النفس)[2].

فوجه الشبه واضح كل الوضوح في هذا المذهب من جهة وعقيدة التثليث التي استقرت عليها المسيحية من جهة أخرى، وإذا لاحظنا أن هذا المذهب كان منتشراً ومعروفاً قبل مجمع نيقية بأمد طويل، وأنه كان المذهب الفلسفي لمدرسة الأسكندرية، وأن بطريرك الأسكندرية الذي نشأ في البيئة التي ساد فيها هذا المذهب، كان من أكبر المدافعين عن عقيدة التثليث في مجمع نيقية وفي مجمع القسطنطينية الأول، إذا لاحظنا هذا كله، ترجح الاحتمال الذي ذكرناه وهو أنه يظهر أن العقيدة المسيحية المثلثة قد نشأت عن تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة[3].

والتثليث عند المسيحيين يقوم على أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، ونجد الكتاب المسيحيين يحاولون في دفاعهم عن التثليث إثبات أمور ثلاثة هي:

---

(1) الأسفار المقدسة / د. علي واحد عبد الواحد: 129.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 111.

(3) الأسفار المقدسة / د. علي واحد عبد الواحد: 129.

1- إثبات أن التوراة وجد فيها أصل التثليث، لوحت به ولم تصرح، وأشارت إليه، ولم توضح.
2- أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم، وهي في شعبها متغايرة، وإن كانت في جوهرها غير متغايرة.
3- أن العلاقة بين الأب والابن ليست ولادة بشرية، بل هي علاقة المحبة والإتحاد في الجوهر[1].

والأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها (أقنوم) وهو الشخص الكائن المستقل، ويحدد اللاهوتيون معناه بقولهم: الإله الواحد في ثلاثة أقانيم متميزين (أب وابن وروح القدس)، كل أقنوم قائم بذاته، طبيعتهم واحدة وجوهرهم واحد، وهم أزليون على حد سواء، ولكن باختلاف المنشأ، فالأب موجود بنفسه لم يأخذ الوجود من سواه، والإبن متولد من الأب، والروح القدس منبثق من كليهما، ويمثل المسيحيون الأب بشيخ هرم قد جلله الشيب عابس الوجه على وشك الانتقام، والابن بشاب وديع يقدم نفسه ضحية للأب، والروح القدس بحمامة بيضاء مستقرة على كليهما.

ويرى فلاسفة المسيحية أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء: الذات، والنطق، والحياة، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته حي بروحه، وكل خاصية من هذه الخواص تعطيه وصفاً معيناً، فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي (الأب)، وإذا نطق فهو (الإبن)، وإذا ظهر كحياة فهو (الروح القدس). ويرى هؤلاء أن الإنسان خلق على صورة الله، فكما أن الله مثلث الأقانيم، كذلك فإن الإنسان مكون من ثلاثة عناصر، فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله، وناطق على صورة الله ومثاله، وحيٌّ على صورة الله ومثاله[2].

ولتقريب هذا المفهوم كثرت التمثيلات والتشبيهات عند المسيحيين، فقد مثله بعضهم بالتفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هي: الذات والطعم والرائحة، ويمكن التمييز بين هذه العناصر، ولو أنها تفاحة واحدة، فالرائحة مثلاً غير الذات والطعم، والذات هي علة الطعم والرائحة. وكذلك شبه آخرون الثالوث بالشمس، فالشمس أيضاً كالله تماماً تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء هي: جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 101.
(2) النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 209-211.

والجرم، والكل شمس واحدة، وكذلك مثلّ بعض آخر الثالوث بالشجرة، فهي ذات أصل وساق وثمر، والشجرة واحدة[1].

ويذهب بعضهم إلى تفسير آخر، يحاولون به حل لغز الثالوث، فقالوا: الله محبة، وحتى لحقق هذه المحبة والسعادة، لابد أن تكون بين اثنين على الأقل، فلابد من آخر يهبه الله هذه المحبة ليجد السعادة، فكان الابن الذي ولده من الأزل نتيجة لحبه إياه، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والإبن كانت الروح القدس[2].

ورغم كل هذه التفسيرات والتعليلات لمعنى الثالوث، إلا أن النصارى تنوعت معتقداتهم في حقيقة الثالوث واختلفت، وتساءلوا: هل هذه الأقانيم هي نفس الذات؟ أو هي صفات لذات الله تعالى؟ وهل هي منفصلة متميزة؟ أو أنها ممتزجة متحدة؟

ومع أن القس (إسكندر جديد) يشير إلى اتحاد هذه الأقانيم، واشتراكها في ألقاب وصفات إلهية واحدة، إلا أنه يقول: حين نتأمل بعمق في المسيحية نجد أن لكل من الأقانيم الثلاثة (الأب والإبن والروح القدس) ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية والمحبة والإكرام والثقة، إلا أنه يعود ليقول: إن أسماء الثالوث المقدس ليست كنايات عن نسب مختلفة بين الله وخلائقه كما زعم البعض، كلفظة خالق وحافظ ومنعم، الذي تنفيه الإعلانات التالية:

1- إن كلاً من الأب والإبن والروح القدس، يقول عن ذاته (أنا).

2- إن كلاً منهم يقول للآخر في الخطاب (أنت)، وفي الغيبة (هو).

3- إن الأب يحب الإبن، والإبن يحب الأب، والروح القدس يشهد للإبن، فيظهر من ذلك أن بين كل من الأب والإبن والروح القدس من النسب ما يدل على تميز الأقنومية وأنه يوجد إله واحد في ثلاثة أقانيم.

وقوله هذا يدل على التمييز بين الأقانيم، وأن كل أقنوم قائم بنفسه منفصل عن الآخر غير متحد به، فكيف كان الاشتراك التام في الألقاب والصفات الإلهية بينها مع هذا التمييز والانفصال؟

---

(1) المصدر السابق: 111، 112.

(2) المصدر السابق: 212.

هذا فإن الكنائس كلها تعتقد التثليث، فهو موضع اتفاق، ولكن موضع الخلاف هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء، الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة؟ أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان؟[1]

ويحاول الأب زكي شنودة توضيح مفهوم الأقانيم فيقول: وقد فهمنا من كلام السيد المسيح الذي دفعنا بمعجزاته إلى الإيمان بألوهيته، أن الأقانيم الثلاثة الذي في الله، وإن اتحدوا جوهراً وطبعاً وذاتاً، وصاروا واحداً إلا أنهم ثلاثة لا واحد من حيث الأقنومية، فالأب ليس هو الإبن، والروح القدس ليس هو الأب ولا الإبن، غير أن لكل ما للآخرين من الألقاب والصفات الإلهية، وكل ما ينسب إلى أحدهم من صفات اللاهوت الكاملة ينسب إلى الآخر بمعنى واحد، ذلك أن الطبيعة واحدة، ولأن الأقانيم الثلاثة هم واحد دون تعدد أو تركيب أو تأليف، وإلا كان في الذات العلية ثلاثة آلهة[2].

ويفهم من هذا أن المسيحيين يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يعبدون، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون وإن اتحدوا في الجوهر والقدم، والصفات، والتشابه بينهم كامل، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعاً أقانيم لشيء واحد، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية، ولكن عند هذه المحاولة تستغلق فكرة التثليث، وتصير بعيدة عن التصور، كما هي ذاتها مستحيلة التصديق، حتى إن كتابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث[3]؟!

لذلك فإن المسيحيين كثيراً ما يعبرون عن هذا المفهوم بقولهم: ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، وهم يدركون أن هذا منافٍ للعقل، إذ كيف يمكن للواحد أن يكون ثلاثة، وهو في نفس الوقت واحد، لا شك أن العدد (واحد) يختلف عن العدد (ثلاثة)، وهو جزء منه ولا يمكن المساواة بين العددين[4].

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: .

(2) تاريخ الأقباط / زكي شنودة: 241.

(3) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 103.

(4) النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 217.

2- الانتقادات الموجهة لعقيدة التثليث:

أ- الإنتقاد العقلي لعقيدة التثليث: المسيحيون يعتقدون أن التثليث حقيقي والتوحيد حقيقي، ولكن إذا وجد التثليث الحقيقي وجدت الكثرة الحقيقية أيضاً، وإذا ثبت التثليث والكثرة الحقيقيان انتفى التوحيد الحقيقي ولا يمكن ثبوته، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين، وهما محال، ويلزم تعدد واجبي الوجود، وهو محال أيضاً، فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحداً لله توحيداً حقيقياً، لأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، وليس هو مجموع آحاد[1].

ب- أقوال المسيح تتناقض مع عقيدة التثليث: فهناك الكثير من النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، تؤكد عقيدة التوحيد، وتنفي ألوهية المسيح.

ومن ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام مخاطباً الله تعالى: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك، أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته[2]. وجاء في إنجيل مرقص: فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم: حسناً أية وحية هي أول الكل، فأجابه يسوع إن أول كل الوصايا هي: إسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد[3].

وفي إنجيل متى ورد النص التالي: ولحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني[4]. أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟

كما ورد في إنجيل يوحنا أن عيسى عليه السلام قال لمريم الجدلية: ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم[5].

---

(1) مختصر كتاب إظهار الحق / د. محمد ملكاوي: 129.

(2) يوحنا: 17: 3.

(3) مرقص: 12: 28-30.

94(متى: 27: 46، 50.

(5) يوحنا: 20: 17.

المبحث الثالث
ألوهية المسيح وعقيدة الصلب

1- ألوهية المسيح كما هي عند المسيحيين:

مع أن النصارى يؤمنون بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم يعظمون الأقنوم الثاني (أقنوم الإبن) أكثر من غيره، وحوله معظم معتقداتهم، وفكرة تأليه الإبن هي التي بنيت عليها فكرة الأقانيم الثلاثة[1].

ويعتقد المسيحيون أن المسيح: هي كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت إبناً للذات، وصارت الذات أباً للكلمة، وصارت كل من الذات والكلمة أقنوماً قائماً بذاته يدعى الأول (الله الأب)، ويدعى الثاني (الله الإبن)[2].

ولا يبدأ الإطار العقائدي للمسيحية، كما يبدأ لغيرها، بفكرة الألوهية، بل هو يبدأ بالإنسان، وجذور هذا الإطار موجود في التوراة، حيث نجد (الخطيئة الأولى) لهذا الإنسان، وحول هذه (الخطيئة الأولى) لآدم، يدور الفكر الديني المسيحي كله، بينما هو يدور في اليهودية حول (انتقاء) بني إسرائيل من بين بني آدم، ليكونوا (شعب الله المختار)[3].

إذن فالسبب الرئيسي لألوهية (الإبن) هو فكرة الخطيئة الموروثة، فأبو البشر إرتكب الخطيئة فبقي الذنب على ذريته من بعده، ومحبة الله لهذا الإنسان شاءت أن تخلصه من أرجاس هذه الخطيئة فأرسل إبنه الوحيد ليتحمل عناء الألم والصلب، وبذلك يكون قد فداهم بنفسه[4].

---

(1) النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 227.
(2) الله واحد أم ثالوث / محمد مجدي مرجان: 104.
(3) المسيح والمسيحية والإسلام / د. عبد الغني عبود: 101.
(4) النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 227.

وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين: أن من صفات الله (العدل) و (الرحمة)، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم فطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط إبن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر[1].

فالمسيحية لا تؤله إنساناً، ولا تنادي بإنسان إسمه (يسوع) صار إلهاً، لكنها تنادي بأن الله في حبه للإنسان تنازل فأخذ صورة إنسان لكي يفدي الإنسان من قبضة ودينونة إبليس[2].

ففي المسيحية ينسب الكمال لله، أما الإنسان فهو غير كامل، وهو مستحق لوم على ما يرتكبه مما يبعده عن الكمال، والصلة بين الله والناس تتعرض للوهن أو الإنفصام بسبب سيئات الإنسان، ولابد للإنسان -لكي يعيد رفقته لله- أن يفتدي، ولا يملك الإنسان ما يفتدي به نفسه، وليس إلا عيسى إبن الله ليتقدم شفيعاً بين الله والإنسان، فهو الإبن الذي يعرف الله كأب، ويعلن عنه لهم أن أب محب للرحمة يعفو عن سيئاتهم ويرحب بهم داعياً لهم أن يعودوا إليه وإن كانوا قد أذنبوا[3].

كما يرى مفكرو المسيحية أن الله الإبن، وسر بأن يصير إنساناً، ويولد من مريم العذراء، لكي يكون إلهاً وإنساناً معاً، فهو إله (منذ الأزل)، وإنسان (من وقت التجسد)، وهو بذلك إله كامل، وإنسان كامل، فهو إبن الله وابن الإنسان، كما لقب نفسه[4].

ويستدل المسيحيون على فكرة ألوهية المسيح بنصوص من العهد الجديد منها[5]:

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 131.

(2) هل الله موجود / رمسيس وينس: 20.

(3) المسيحية / د. أحمد شلبي: 132.

(4) المسيح والمسيحية والإسلام / د. عبد الغني عبود: 106.

(5) أنظر النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 228: 229.

1- **إطلاق ألقاب الله على المسيح**: ففي إنجيل متى (ويدعون إسمه عمانوئيل الـذي تفسـيره الله معنا)[1]. وهو الكلمة، ومن ذلك ما ورد في مستهل إنجيـل يوحنـا: (وفي البـدء كـان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله)[2].

2- **المسيح له نفس أوصاف الله**: فهو الأزلي كما في رسالة بولس إلى العبرانيين: (يسوع المسيح هو أمسا، واليوم إلى الأبد)[3].

وهو الحاضر في كل مكان: (وليس أحد صعـد إلى السـماء إلا الـذي نـزل مـن السماء إبن الإنسان الذي هو في السماء)[4].

وهو العليم بكل شيء: (الآن نعلم أنـك عـالم بكـل شـيء، ولسـت تحتـاج أن يسألك أحد، ولهذا نؤمن أنك من الله خرجت)[5].

وهو القدوس: (قدوس بلا شر ولا دنس قد إنفصل عن الخطـاة وصـار أعلـى من السماوات)[6].

3- **المسيح يعمل أعمال الله**: فهو الخالق: (كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان)[7].

وهو الذي يغفر الخطايا: (فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: يا بني مغفورة خطاياك)[8].

وهو الذي يقيم الموتى روحياً وجسدياً: (الحق الحق أقول لكم: أنه تأتي سـاعة، وهي الآن حين يسمع الأموات صوت إبن الله والسامعون يحيون)[9].

---

(1) متى: 1: 21.
(2) يوحنا: 1: 1-5.
(3) العبرانيين: 13: 8.
(4) يوحنا: 3: 13.
(5) يوحنا: 16: 3.
(6) العبرانيين: 7: 26.
(7) يوحنا: 1: 3.
(8) مرقص: 2: 5.
(9) يوحنا: 5: 25.

ويختص المسيح دون الأب بالدينونة، فهو الذي يدين العباد يوم الحساب، (لأن الأب لا يدين أحداً، بل أعطى كل الدينونة للإبن)[1].

والعهد الجديد يحوي نصوصاً كثيرة تدور حول هذه المعاني، يستدل بها المسيحيون على ألوهية المسيح، ولكن النصوص الصريحة منها تجدها في الإنجيل الرابع (يوحنا)، والرسائل وبخاصة رسائل بولس، أما الأناجيل الثلاثة الأولى، فإنها تخلو من نص صريح دال على ألوهية المسيح.

ويمكن القول أن بذرة فكرة ألوهية المسيح كان من وضع بولس، وقد صادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والإتجاهات التي سبقت المسيحية، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة، تلك الاضطهادات التي إلتهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين[2].

ومن الواضح أن هنالك فكرتان مهدتا للاعتقاد بألوهية المسيح وهما[3]: بنوة المسيح وأنه الكلمة، وكلاهما استعملها العهد الجديد. فمسألة ألوهية المسيح سبقتها فكرة بنوته، والأناجيل التي أطلقت على المسيح لقب (إبن الله) ورد فيها هذا اللقب أيضاً على غيره، وأطلقت البنوة على المؤمنين لتمييزهم، وقد ورد هذا المعنى في رسالة لبولس: (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله)[4]. ولكن إنجيل يوحنا الذي انفرد ببيان ألوهية المسيح بصريح اللفظ والعبارة، ميز بين بنوة المسيح والبنوة التي وردت بمعناها العام، فأطلق على المسيح (ابن الله الوحيد)، وإن تفرد هذا الإنجيل بإطلاق كلمة (الإبن) على المسيح وحده واضح، ولم تستعمل هذه الكلمة للدلالة على المؤمنين، وقد جاء في إنجيل يوحنا: (لأنه هكذا أحب الله هذا العالم كثيراً حتى بذل إبنه الوحيد)[5].

---

(1) يوحنا: 5: 22.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 120.

(3) أنظر النصرانية من التوحيد إلى التثليث / د. محمد الحاج: 231.

(4) رومية: 8: 14.

(5) يوحنا: 3: 16.

وهذه الكلمة (إبنه الوحيد)، هي القاعدة التي اعتمد عليها مجمع نيقية فأطلق على المسيح (الإبن الوحيد المولود من الأب)، إضافة لوصف المسيح في نفس الإنجيل بأنه (كلمة الله)، وهذا النص بلا شك تظهر من خلاله الصيغة الفلسفية التي استخدمها مؤلف إنجيل يوحنا، والتي لم تكن معروفة إلا عند الذين تأثروا بالثقافة اليونانية.

2- الانتقادات الموجهة لفكرة ألوهية المسيح:

يستدل المسيحيون على فكرة ألوهية المسيح -كما سبق- بنصوص وردت في الأناجيل، وبالأخص في إنجيل يوحنا، وقد وجهت إلى هذه العقيدة الكثير من الانتقادات، وكان من أهمها:

أ- إن إطلاق لفظ إبن الله على المسيح معارض بإطلاق لفظ (إبن الإنسان) عليه، ولفظ (إبن داود) أيضاً، وكذلك سلسلة نسب المسيح التي تنسبه إلى داود عليه السلام، ثم إلى يعقوب عليه السلام، فإذا كان المسيح يرجع نسبه إلى الأنبياء المذكورين، الذين هم من نسل الإنسان، فلا شك إذن في أنه إبن إنسان، وظاهر أن إبن الإنسان لا يكون إلا إنساناً وليس إبن الله.

ب- أن لفظ الإبن في قولهم (إبن الله) لا يصح أن يكون بمعناه الحقيقي، لأن المعنى الحقيقي للفظ (الإبن) باتفاق جميع لغات أهل العالم هو المتولَد من نطفة الأبوين، وهو محال ههنا، فلابد من الحمل على المعنى المجازي لشأن المسيح، أي بمعنى الإنسان الصالح البار.

والدليل على ذلك المعنى المجازي قول قائد المئة الوارد في إنجيل مرقص ولوقا، ففي إنجيل مرقص (15: 39): (قال حقاً كان هذا الإنسان إبن الله)، وفي إنجيل لوقا (23: 47): (فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلاً بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً). فوقع لفظ (البار) عند لوقا مكان لفظ (إبن الله) عند مرقص، وفي هذا دليل على جواز إطلاق لفظ إبن الله على الإنسان الصالح البار.

وقد ورد في الأناجيل إطلاق لفظ (إبن الله) على غير المسيح من الصالحين، ففي إنجيل متى (5: 44): (طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون)، وفي رسالة

يوحنا الأولى (5: 1-2): (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً. بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله).

ولا شك أن جميع المذكورين في الفقرات السابقة ليسوا أولاداً لله على الحقيقة، فوجب الحمل على المعنى المجازي. ويضاف إلى ذلك أن إطلاق لفظ (إبن الله) على كثير من الأنبياء في العهدين القديم والجديد، ففي إنجيل لوقا أطلق على آدم (إبن الله) (3: 38)، وفي سفر الخروج (4: 22) أطلق على إسرائيل لفظ (الإبن البكر لله)، وفي مزمور (89: 26، 27) أطلق على داود لفظ (البكر)، وأطلق على الله لفظ (الأب له).

فلو كان إطلاق لفظ (الإبن) على المسيح موجباً للألوهية، لكان آدم وإسرائيل وداود أحق بالألوهية من المسيح، لأنهم من آباء المسيح.

جـ- ما ورد في بعض نصوص إنجيل يوحنا في أن المسيح والأب واحد، فقد جاء في إنجيل يوحنا (10: 30) قول المسيح: (أنا والأب واحد)، فهذا القول عند المسيحيين يدل على اتحاد المسيح بالله، فهو إله مثله.

وهذا التفسير غير صحيح، لأن مثل هذا القول وقع في حق الحواريين، ففي إنجيل يوحنا (17: 21-23): (ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد).

فمن الواضح أن اتحاده بالله، واتحاد المسيح بهم ليس حقيقياً، فالمعنى الصحيح للاتحاد هو طاعة أوامر الله والعمل بالأعمال الصالحات.

د- ورد في الأناجيل الأربعة عبارات كثيرة تقرر توحيد الله، وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول، ففي إنجيل متى (21: 11): (هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)، ويروي متى عن المسيح قوله (23: 8): (إن أباكم واحد الذي في السماوات)، كما جاء في مرقص قول المسيح (12: 30، 31): (الرب إلهنا إله واحد، وليس آخر سواه)، وفي لوقا (7: 16): (قد خرج فينا نبي عظيم)، وينقل يوحنا عن المسيح قوله (10: 18): (إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)[1].

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 125، 126.

هـ- ورد في دائرة المعارف البريطانية ما يلي: ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة، ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر، وكان قانعاً بنسبه العادي إبناً لمريم منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار[1].

3- حقيقة قصة الصلب:

إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية في شيء، ويبدو أنها وردت إلى المسيحية من عقائد أخرى وبخاصة عقيدة الهنود، إذ أننا نجدها معتقداً سائداً عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين، فهم يعتقدون أن (كرشنا) المولود البكر الذي هو نفس الإله (فشنو) الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، تحرك حُنُوّاً كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الإنسان، ويصورونه مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين، ويصفون (كرشنا) لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً، لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر.

ورغم أهمية هذه العقيدة عند النصارى، إلا أن الأناجيل الأربعة المعتمدة اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد قصة الصلب، والعجيب أن تختلف الأناجيل في أساس هام من أسس المسيحية، فلو صحَّ هذا الأساس، وأن المسيح أنبأ به، لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً[2].

ويعتقد المسيحيون أن المسيح قام من القبر بعد ثلاثة أيام كما ذكرت أناجيلهم، ولكنها اختلفت في تفصيل قيامته، فإنجيل متى ذكر أنه ظهر في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً، ومرقص بيّن أن ظهوره كان بين تلاميذه[3].

وقد علل بعض الكتاب المسيحيين سبب هذا الاختلاف، بأن كلاً منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة، فمتى كتب عن ظهور المسيح في الجليل، لأنه كتب عن (المسيح الملك)، ولوقا كتب عن ظهوره في أورشليم،

---

(1) المصدر السابق: 127.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 139.

(3) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 107.

لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئاً من أورشليم، ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل، لأنه كتب عن المسيح إبن الله الأبدي صخر الدهور، ومرقص كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ، لأنه كتب عن المسيح الذي جاء ليخدم البشرية، ويرفعها إلى مستوى الكمال[1].

ويعلق الشيخ محمد أبو زهرة على هذا التعليل فيقول: إنه هذا التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق، لأن هذه الأناجيل ذكرت أمكنة مختلفة في حادثة معينة، وإذا اختلف الشهود في مكان حادثة معينة، كان اختلافهم سبباً للمظنة في الشهادة واتهام الشهود فيها[2].

4- الانتقادات الموجهة لعقيدة الصلب[3]:

1- أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، كما يعتقد المسيحيون، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه؟ قد يقولون إنه هو الذي قبل ذلك، ونقول لهم: إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر، مذنب ولو كان يريد ذلك.

2- إذا كان المسيح إبن الله، فأين كانت عاطفة الأبوة؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الإبن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه؟!

3- من هذا الذي قيد الله (جل جلاله) وجعل عليه أن يلزم العدل، وأن يلزم الرحمة، وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟

4- يقول المسيحيون: أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد، وخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل[4].

---

(1) المصدر السابق: 107، 108.

(2) المصدر السابق: 108، 109.

(3) المسيحية / د. أحمد شلبي: 134-137.

(4) التثنية: 24: 16.

5- إذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلياً، فلماذا يكره المسيحيون اليهود، ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح؟!

6- هل كان نزول إبن الله وصلبه (جل وعلا) للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً؟ ألم تكن هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟!

7- إذا كان يسوع قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي تجد بعد ذلك؟

8- أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم وحتى صلب المسيح؟ ومعنى هذا أن الله ظل (تعالى عن ذلك) حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين حتى قبل يسوع أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم.

9- جميع الشرائع تقرر مناسبة العقوبة للذنب، فهل هناك توازن بين صلب المسيح على هذا النحو، وبين الخطيئة التي ارتكبها آدم؟ فخطيئة آدم لم ترد عن أن تكون أكلاً من شجرة نهي عنه، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة، ولا شك أنه عقاب كاف، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب اختاره الله بنفسه، وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك، فكيف يستساغ أن يظل مضمراً السوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت صلب المسيح؟

10- لقد مرت بالبشرية من عهد آدم إلى عهد المسيح أحداث وأحداث، وهلك كثيرون من الطغاة وخاصة في عهد نوح، حيث لم ينج إلا من آمن بنوح بعد الطوفان، فهؤلاء هم الذي رضي الله عنهم، فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة وكراهية تحتاجان لأن يضحي عيسى بنفسه لفداء البشرية؟

11- هل يعقل أن خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، بقي مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب؟

12- يرى المسيحيون أن الشفيع في تكفير الخطيئة لابد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ولذلك ولد عيسى من غير أن ينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه، وهنا نسأل سؤالاً مهماً: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه مريم؟

ويجيب المسيحيون: بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يُدخل الله الإبن رحمها، وهنا نطرح سؤالاً آخر: إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة وذلك اليسر؟ بدون إنزال إبنه، وبدون تمثيلية الولادة والصلب؟!

13- ويبقى في هذا الموضوع أن نسأل سؤالاً أخيراً هو: هل كان الأنبياء جميعاً مدنسين خطاة بسبب خطيئة أبيهم آدم؟ وهل كان غاضباً عليهم أيضاً؟ وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر؟

5- المسيح يحاسب الناس: وهذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية، ويرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للإبن، وذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته- إبن الإنسان أيضاً، فهو أولى بمحاسبة الإنسان. ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا[1].

ويستدلون عل ذلك بأدلة منها ما قاله بولس: لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع، خيراً كان أو شراً[2]. كما جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس قوله: أقام الله المسيح من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماوات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وأخضع كل شيء تحت قدميه[3]. وفي رسالته لأهل روما يقول: إننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح[4].

وجاء في إنجيل يوحنا: الأب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للإبن[5].



(1) المصدر السابق: 140.
(2) كورنثوس الثانية: 5: 10.
(3) أفسس: 1: 22.
(4) رسالة روما: 14: 10.
(5) يوحنا: 5: 22.

المبحث الرابع

يوم القيامة عند المسيحيين

أ- الموت وعلاقته بالخطيئة في المسيحية: يقسم النصارى الموت إلى قسمين: الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي، وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله[1].

والموت الجسدي عندهم مترتب على خطيئة آدم، فهو عقوبة حاقت بالإنسان إزاء عصيانه الله وتعديه على الوصية، فالإنسان قد خلقه الله أصلاً على غير فساد[2].

ومما يذكر أن الخطيئة الأولى التي ترتكز عليها عقيدة المسيحية، أخذتها من قصة التوراة في موضوع خطيئة آدم عليه السلام وخروجه على إثرها من الجنة.

وبناء على هذه القصة اليهودية، تبني المسيحية عقيدتها في الموت والخطيئة فهم يرون: أن الموت دخل بدخول الخطيئة، والخطيئة ملكت على الإنسان، فأعطي الموت فرصة أن يملك هو الآخر على الإنسان[3].

وهكذا تعتقد المسيحية: فقد آدم طبيعته الطاهرة المنفتحة على الله، وأقبل على طبيعة جديدة هي الانفتاح على الشيطان، وبهذا فقد طهارة طبيعته التي كان يستمدها من الله بالسمع والطاعة، وفقد بالتالي مسيرته نحو الخلود، ووقع تحت الحكم وأخذ عقاب اللعنة، وهي الحرمان من نعمة الله، والموت هو التوقف عن مسيرة الخلود[4].

وهذا العقاب الواقع على آدم -وهو وقوع الموت عليه وعدم خلوده- كان سبباً في تسليم ذريته هذه الطبيعة -أو هذه الخطيئة-، طبيعة غير منفتحة على الله، بل منفتحة

---

(1) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 71.

(2) الرسالة إلى العبرانيين -شرح ودراسة- / الأب متى المسكين: 257.

(3) المصدر السابق: 257.

(4) شرح رسالة بولس إلى أهل رومية / الأب متى المسكين: 90.

على الشيطان، طبيعة تحب اللعنة، بمعنى أنها خالية من نعمة الله، قابلة للموت[1].

وفي ضوء ذلك -كما تقول المسيحية- بقيت البشرية تحت لعنة الخطيئة التي حملتها من أبيها آدم، وأراد الله أن يخلصها مما حاق بها بسبب هذه الخطيئة، فكان لابد من مخلص تكون فيه (طبيعة الألوهية، وطبيعة البشرية)، فاختار الله يسوع المسيح -إبنه الوحيد- ليكون مخلصاً للبشرية من خطيئة أبيها.

وإذا كانت الخطيئة الأولى، هي نتيجة من نتائج ما ركب في الجسد الإنساني، من غرائز وشهوات، فقد صار منطقياً أن يكون المثل الأعلى للمسيحي هو: توجيه الحراب، إلى هذا الجسد الإنساني بكل ما ركب فيه من غرائز وشهوات، يقول متى في إنجيله على لسان المسيح: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعني، فإن أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها[2].

وفي ضوء هذا المثل الأعلى عند المسيحيين، حددت أهداف التربية المسيحية طوال العصور الوسطى الأوروبية، حيث كان هدف هذه التربية هو إماتة الشهوات، وإهمال الجسد، حتى تنتقي الروح، وتنجو من عذاب جهنم[3].

وهكذا فالمسيحية تعتقد أن الموت الجسدي عقوبة للجسد، ومن مات وهو مخطئ بالأعمال، يعاقب بعقوبتين: ظاهرياً بالموت الجسدي ثمناً لخطاياه التي عملها، يتبعه موت روحي غير منظور وهو العقوبة الحقيقية[4].

ب- مستقر الأرواح عند المسيحيين: يقول المسيحيون: بأن أرواح المؤمنين تكون في حالة سعادة في الفردوس مع المسيح في انتظار القيامة للمجد والحياة، أما أرواح الأشرار فتكون في مكان عذاب، بانتظار قيامة الدينونة والهلاك[5].

ويستدلون على هذا من أقوال المسيح وبولس وبطرس، فقد جاء في إنجيل لوقا

(1) المصدر السابق: 91.

(2) متى: 16: 24، 25.

(3) المسيح والمسيحية / د. عبد الغني عبود: 112.

(4) شرح رسالة بولس إلى أهل رومية / الأب متى المسكين: 105.

(5) نزول المسيح في آخر الزمان: 34.

على لسان المسيح للص التائب: الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس[1]، كما جاء في أحد رسائل بولس: لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح[2]، وجاء أيضاً في رسالة بطرس الثانية: يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين، ولاسيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة[3].

وهذه النصوص تدل على أن الروح الصالحة عندهم في سعادة في القبر، وبالمقابل تكون الروح الشريرة في عذاب دائم إلى قيام القيامة[4].

ولكن تفسير النصوص السابقة محل اختلاف بين فرق المسيحيين، فالكاثوليك يعتقدون: أن هناك محكمة خاصة للأفراد النصارى بعد الموت يؤدي الأفراد أمامها حساباً عما قدمت في الحياة... وبعد مثولها أمام المحكمة يتحدد مصيرها إن كانت صالحة صعدت إلى السماء، وإن كانت طالحة نزلت إلى المطهر، وفي المطهر نوعين من العذاب، الأول: الحرمان المؤقت من التمتع بمشاهدة وجه الله الكريم، وهو عذاب أليم شديد، والثاني: هو عذاب النار، تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج إلى السماء، والعذاب في المطهر يخفف عنه بالصلوات والأدعية الكنسية[5].

بينما الأرثوذكس والبروتستانت لا يعترفون بوجود هذه المحكمة، فهم يقولون أن النصوص السابقة، تمثل مصير أرواح الأبرار بعد الموت، فالأرواح الطيبة تصعد إلى الفردوس مع المسيح، والأرواح الشريرة تتعذب يوم القيامة في اجتماعها مع أجسادها[6].

جـ- يوم القيامة وأحداثه في المسيحية: تدل نصوص العهد الجديد على إعتقاد النصارى بوجود قيامتين، أطلقت عليهما القيامتين (الأولى والثانية)، بين الواحدة والأخرى الف سنة.

---

(1) إنجيل لوقا: 23: 42.

(2) رسالة بولس إلى أهل فيليبي: 1: 23.

(3) رسالة بطرس الثانية: 2: 9، 10.

(4) اليوم الآخر في الأديان السماوية / يسرمبيض: 67.

(5) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 94.

(6) المصدر السابق: 93.

والقيامة الأولى تقع عند رجوع المسيح ليأخذ الأبرار والقديسين إليه في السماء، بعد أن يشاركوه في حكم الأرض، والقيامة الثانية ستكون بعد حكم المسيح للأرض -أي في نهاية الألف سنة-.

وقد بينت نصوص العهد الجديد أيضاً أن هناك علامات وشروط للقيامة الثانية قبل أن يبعث الناس من القبور، وهذه العلامات مقدمات ليوم القيامة الكبرى، ومن أهمها رجوع المسيح من جديد للأرض.

وهذا يعني أن القيامة الثانية -في المسيحية- لن تقوم قبل أن يعود المسيح، ولهذا كانت هناك علامات لرجوعه، ولكن لا أحد يعرف متى يعود، فالله قد أبقى ميعاد رجوعه مخفياً ليدرب الإنسان على حياة الإيمان والانتظار[1].

فالصلة واضحة -في الدين المسيحي- بين رجوع المسيح وموعد القيامة الثانية، وذلك لأن المسيح الذي قام أولاً من الأموات سيكون هو وسيط القيامة ومنجزها[2].

وتعتقد المسيحية أنه لولا صلب المسيح وموته ثم رجوعه الثاني، لكانت البشرية جميعاً إلى دينونة أبدية مرعبة[3].

ومع أن المسيحية لم تحدد بشكل نهائي موعد رجوع المسيح، إلا أنها تعتقد أن المسيح قد أعطى إشارات وعلامات تدل على قرب رجوعه، وهي أشبه ما تكون بعلامات يوم القيامة في الإسلام.

1- علامات قرب رجوع المسيح:

أ- الإرتداد: وذلك لأن من علامات رجوعه ومجيئه الثاني (الإرتداد)، ولهذا فإنهم يرون قربها في عالمنا الحالي الذي نعيشه، يقول بولس: لا يخدعنكم أحد من طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الإرتداد أولاً[4].

---

(1) اليوم الآخر في الأديان السماوية / يسرمبيض: 63.

(2) المصدر السابق: 65.

(3) قضية الغفران في السيحية / عوض سمعان: 143.

(4) رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي: 2: 3.

ويبين الأب متى المسكين في شرح رسالة بولس إلى العبرانيين، أن هذه الرسالة من الرسائل التي تشير إلى المجيء الثاني للمسيح لن يكون إلا بعد أيام الإرتداد[1].

ب- **الفساد الخلقي**: فالنصارى يعتقدون أن علامات آخر الزمان قد صارت ملموسة بتوغله في ظلام الفساد والخطيئة، ويستدل على ذلك بقول بطرس في أحد رسائله: عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئين سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باق... لا يتباطأ الرب عن وعده[2].

جـ- **الحروب والكوارث**: وهذا ما يبينه إنجيل متى على لسان المسيح بقوله: وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب، أنظروا لا ترتاعوا، لأنه لا بد أن تكون هذه كلها، ولكن ليس المنتهى بعد، لأنه تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع[3].

د- **ظهور المسيح الدجال**: من العلامات الهامة الدالة على قرب المجيء الثاني للمسيح، ظهور المسيح الدجال، يقول يوحنا عن ظهوره بقوله: أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة[4].

والنص السابق يشر إلى مجيء ضد المسيح، أي ضد شخصه، وضد دعوته، ويقصد يوحنا بذلك الإشارة إلى مجيئ المسيح الدجال[5].

وقد وردت صفات الدجال في العديد من نصوص رؤيا يوحنا كان أهمها:

1- أنه يخرج ناراً من فمه تأكل أعداءه[6].

---

(1) شرح رسالة العبرانيين / الأب متى المسكين: 52.

(2) رسالة بطرس الثانية: 3: 3، 4، 9.

(3) إنجيل متى: 24: 6-8.

(4) رسالة يوحنا الأولى: 2: 18.

(5) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 110.

(6) رؤيا يوحنا: 11: 5.

2- أنه يعطى سلطاناً عظيماً بسبب كذبه وتدجيله، ويسجد له الناس لهذا السبب[1].

3- أنه يمنع المطر عن الناس[2].

4- أن مدة حكمه اثنين وأربعين شهراً[3].

5- أن الدجال يقاتل المسيح يسوع وجنده من القديسين[4].

6- أن الدجال يقتل على يد المسيح[5].

2- رجوع المسيح:

وكما سبق ذكره، فإن القيامة الأولى ستكون بعد رجوع المسيح إلى العالم، ومن الواضح أن النصارى يعتقدون بأن الأبرار سيرجعون مع المسيح، وأنه بعد انتصاره على المسيح الدجال وقتله سيميت الله الأشرار أيضاً حتى لا يبقى أحد منهم على وجه الأرض، ويستدلون على ذلك بما أورده يوحنا في رؤياه: ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً... فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة، مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة[6].

وبذلك تتحقق أمنية المسيح الوارد في صلاته إلى الأب: أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينتظروا مجدي[7]. أما الأشرار فإنهم لا يعيشون ليروا هذا المجد كما جاء في رؤيا يوحنا: أما بقية الأشرار فلم تعش حتى تتم الألف سنة، هذه هي القيامة الأولى[8].

---

(1) رؤيا يوحنا: 13: 2-5.

(2) رؤيا يوحنا: 11: 6.

(3) رؤيا يوحنا: 13: 5.

(4) رؤيا يوحنا: 13: 8، 19: 19.

(5) رؤيا يوحنا: 19: 20، 21.

(6) رؤيا يوحنا: 2: 4-6.

(7) إنجيل يوحنا: 17: 24.

(8) رؤيا يوحنا: 20: 5.

ويموت الأشرار تضعف قوة الشيطان، ومن أجل ذلك يتم تقييده حتى لا يبقى الشر على الأرض[1].

وبعد مرور ألف سنة على مجيء المسيح الثاني وحكمه للأرض، يخرج الشيطان من قيده مرة أخرى ليضل الأمم وعلى رأسهم يأجوج ومأجوج، كما جاء في رؤيا يوحنا[2].

وعندئذ يأخذ المسيح جميع القديسين معه إلى السماء تحقيقاً لوعده: آتي أيضاً وآخذكم إلي حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً[3].

3- القيامة الثانية وخروج الأموات من القبور:

وردت العديد من النصوص في الأناجيل الأربعة، ورسائل العهد الجديد التي تدل على إعتقاد النصارى بقيامة الأموات من القبور بأجسادهم من أجل الحساب والجزاء، لا فرق في ذلك بين قديس وآثم.

وقد بينت هذه النصوص أن البعث من القبور سيكون بعد النفخ في البوق، وأن أجسادنا السابقة ستتغير إلى أجساد لا يدخلها الفساد، يقول بولس في أحد رسائله: هو ذا سر أقوله لكم، لا نرقد كلنا، ولكننا نتغير، في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير، لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد[4].

وستكون الأجساد الخارجة من القبور مشابهة للأجساد التي ماتت، ولكنها تخلق حسب صاحبها إن كان باراً أم شقياً، فإن كانت لأحد الأبرار فهي أجساد ممجدة، وإن كانت للأشرار فهي أجساد غير قابلة للفناء[5].

---

(1) رؤيا يوحنا: 30: 1-3.

(2) رؤيا يوحنا: 20: 7-10.

(3) إنجيل يوحنا: 14: 3.

(4) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: 15: 51-53.

(5) نزول المسيح: 33.

وعند اقتراب البعث تظهر الكثير من العلامات والإشارات في الكون تدل على قرب الساعة، وقد ورد في إنجيل متى عن البعث ومقدماته: وللوقت ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السماء تتزعزع[1].

وبعد أن ينفخ في البوق ويتم البعث يحشرالناس أمام يسوع المسيح، وذلك من أجل أن يحاسبوا ويدانوا.

4- الحساب والجزاء في المسيحية:

يسمى يوم الحساب عند المسيحيين بـ (يوم الدينونة) ومن أبرز صوره محاسبة المسيح للناس، إذ يعتقدون أن المسيح بعد أن صلب ثم قام من قبره، إرتفع بعد ذلك إلى السماء وجلس بجوار الأب، وعن يمينه على كرسي، إستعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوه في حياتهم الدنيا.

ويمكن تلخيص أبرز أحداث الدينونة كما بينتها نصوص العهد الجديد بما يلي:

أ- أن المسيح يجمع أمامه جميع الشعوب ليميز بين الأبرار والأشرار وقد جاء في إنجيل متى: ومتى جاء إبن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض، كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته[2].

ب- نشر الصحف أو سجلات الأعمال، وقد أورد يوحنا في رؤياه ذكراً للسجلات التي كتبت فيها أعمال الناس في الحياة الدنيا: ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء، ولم يوجد لهما موضع،

---

(1) إنجيل متى: 24: س29.

(2) إنجيل متى: 25: 31-46.

ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتحت أسفاره، وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم[1].

ومن هذا المشهد الذي صوره يوحنا في رؤياه نستنتج: أن لكل إنسان في عقيدتهم سفر يحتوي على سجل كامل بأعماله يواجه الرب به الإنسان الذي ينكر سيئاته، وأنه يوجد سفر آخر هو سفر الحياة وهو يحتوي على أسماء الذين تابوا عن خطاياهم وآمنوا بالمسيح، وأن المدانين الذين لم توجد أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة سيطرحون في بحيرة النار[2].

جـ- أن الحساب سيكون لجميع الناس فرداً فرداً، وسيكون أيضاً دقيقاً فيحاسب الإنسان عن كل صغيرة وكبيرة، كما جاء في إنجيل متى: ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين، لأنك بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان[3].

د- أن الحساب سيكون على أرض جديدة بعد تغيير معالم الكون، فقد جاء في رؤيا يوحنا: ثم رأيت سماء جديدة، وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا، والبحر لا يوجد فيما بعد[4].

ويقسّم النصارى البشر طبقات أثناء الحساب، فالبشر في القيامة على أربعة أقسام، وتدعى هذه الأقسام: (طبقات القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار).

فالطبقة الأولى: هم كبار القديسين كالرسل، وهؤلاء يدينون ولا يدانون.

والطبقة الثانية: هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم الصالحة، ولاسيما أعمال الرحمة، فظفروا برحمة الديان، وهؤلاء يدانون ويخلصون.

---

(1) رؤيا يوحنا: 20: 11-15.

(2) اليوم الآخر في الأديان السماوية / يسرمبيض: 69.

(3) إنجيل متى: 12: 36، 37.

(4) رؤيا يوحنا: 21: 1.

والطبقة الثالثة: هم المؤمنون الخطاة، الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم، أولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى أعمالهم به كافرون، وهؤلاء الذين يدانون ويُهلكون.

والطبقة الرابعة: هم الذين لم يؤمنوا كالوثنيين، فهؤلاء يحتاجون إلى دينونة وحساب، وهؤلاء الذين لا يدانون ويهلكون[1].

5- الجنة والنار في المسيحية:

علماء المسيحية اختلفوا في كيفية الحياة في الدار الآخرة، وهل سيكون نعيم الجنة حسي أم معنوي؟ وكذلك عذاب النار، هل هو عذاب مادي أم معنوي؟

أما عن الجنة فقد انقسموا إلى فريقين:

فريق يرى أنها ستكون بلا أكل ولا شرب ولا نكاح، مستدلين بما ورد في إنجيل مرقص على لسان المسيح في معرض رده على الصدوقيين الذين كانوا ينكرون البعث: فأجاب يسوع: وقال لهم أليس لهذا تضلون، إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم متى قاموا من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون، بل يكونون كالملائكة في السماوات، وعليه فلن يكون هناك نبات ولا حيوان، إذ خلقهما الله في الدنيا، لسداد احتياج الإنسان، فلما انتفت الحاجة، لزم عدم إعادة خلقهما[2].

وهذا الفريق يتصورون النعيم في الجنة، بأنه عبارة عن الاتصال بالله ورؤية جلاله، ويعتبرون أن رؤية الله هي الخير الأعظم الفائق كل خير، الذي يملأ رغبة كل إنسان ويشبع شهوات نفسه، لذلك فهم يعتقدون أن الطعام والشراب والنكاح لا يليق بالجنة وما فيها[3].

أما الفريق الآخر فيرى: أن الحياة الأخرى ستكون مثل الحياة الدنيا، فيها أكل وشرب ونكاح[4].

---

(1) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 194.
(2) تعليق الدكتور محمد شامة في كتاب أبي عبيدة الخزرجي: 138.
(3) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 377.
(4) تعليق الدكتور محمد شامة على كتاب أبي عبيدة الخزرجي: 138.

وقد استدلوا على ذلك بالعديد من النصوص في العهد الجديد، منها قول المسيح في إنجيل متى: وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمةهذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي[1].

وكذلك ما ورد على لسانه في إنجيل يوحنا: إعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم إبن الإنسان، لأن هذا الله الأب قد ختمه[2].

أما عن عذاب النار هل هو حسي أم معنوي؟ فقد اختلف النصارى في نصوص العهد الجديد، رغم أن هذه النصوص تجمع بين العذاب الحسي والمعنوي.

فالكاثوليك والأرثوذكس يرون: أن في جهنم ناراً حقيقية، والدليل على ذلك من ذكر الكتب المقدسة لها، لأن كل النصوص الإلهية المتضمنة ذكر العقوبات الجهنمية تعلن وجود النار حقاً... وهذا الفريق من النصارى يرى أن عذاب جهنم يكون حسياً بحرق أجسادهم، ويكون معنوياً بالخزي والذي والإزدراء الأبدي[3].

وأدلتهم على ذلك ما ورد في الأناجيل ورؤيا يوحنا، فقد أورد عن يسوع قوله لحوارييه: يرسل إبن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم، ويطرحونهم في أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان[4]. كما جاء في رؤيا يوحنا: وأما الخائفون، وغير المؤمنين، والرجسون، والقاتلون، والزناة، والسحرة، وعبدة الأوثان، وجميع الكذبة، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت[5].

أما البروتستانت فهم يرون: أن النار المذكورة في الكتاب المقدس ليست حسية ولكنها معنوية، ودليلهم على ذلك أن إبليس وأعوانه يتعذبون في النار مع أنهم ليست لهم أجساد حسية، وأضافوا قائلين: أن القول بأن النار المذكورة في الكتاب هي مادية ليس له

---

(1) إنيجل متى: 26: 39.

(2) إنجيل يوحنا: 6: 27.

(3) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د. فرج أبو عطا الله: 388.

(4) إنجيل متى: 13: 41، 42.

(5) رؤيا يوحنا: 21: 8.

سند كاف، كما أنه لا محل للزعم أن الدود الذي لا يموت هو دود حقيقي، لأن إبليس وأعوانه الذين يعذبون بنيران أبدية ويشاركهم في عذابهم الخطاة، وليس لهم أجساد مادية لتفعل فيها النار المادية، فالأولى والأنسب أن تكون النار في الآخرة مجازية[1].

وقد ردَّ الكاثوليك والأرثوذكس على هذه الحجة بقولهم: أن الله يوسع القوة المؤثرة في النفس لتقبل التأثير.... فيشدد قوتها حتى تؤثر في غير الأجساد المادية[2].

6- يوم القيامة بين اليهودية والمسيحية:

رغم أن المسيحية تعد إمتداداً لليهودية، باعتبار أنها نزلت على اليهود، إلا أن الباحث يجد الكثير من أوجه الخلاف بين الديانتين: مع أن العهد القديم كتابٌ مقدس عند المسيحيين.

ومن أوجه الخلاف المهمة بين الديانتين: عقيدة اليوم الآخر، فمن الملاحظ أن اليهودية تجاهلت كثيراً عقيدة اليوم الآخر وأغفلتها في الكثير من نصوصها، ولكن المسيحية فصلت فيها كثيراً وأوردت نصوص العهد الجديد الكثير من تفاصيلها.

ويعزو الدكتور أحمد شلبي سبب إغفال اليهودية لذكر اليوم الآخر، وتفصيل المسيحية له إلى أمرين اثنين[3]:

الأول: أن اليهودية تهتم بالأعمال، ولا تعنى بالإيمان، وهي في جوهرها أسلوب حياة لا عقيدة تعتقد، وهي في هذا تختلف عن المسيحية التي تعنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح، فالإتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الاعتقاد السليم.

الثاني: أن مجال تفكير اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم، ذلك الذي لن يقدر الإنسان العائش هنا على الأرض أن يدركه، وإنما مجالها الأوحد هو هذا العالم الحاضر.

---

(1) اليوم الآخر / د. فرج أبو عطا الله: 389.

(2) المصدر السابق: 389.

(3) اليهودية / د. أحمد شلبي: 202.

وهذا قلما يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت إلا بشكل مضطرب أقرب منه للخرافة أكثر من الحقيقة، حتى أننا لا نجد بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام، ففرقة الصدوقيين تنكر قيام الأموات وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان، لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعاً في ديانة موسى، أي أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا(1).

أما العهد الجديد، فقد اشتمل على نصوص عديدة، تشير إلى الجزاء الأخروي، لم توجد في العهد القديم، فيجد فكرة دينية تدعو إلى أن صلاتنا بالعالم الراهن بكل ما فيها من غنى وعظمة سوف تنقطع، فهي بالنسبة إلينا قيود، وينبغي أن نتحرر منها... وهكذا نجد أن الإنجيل يجعل أمل المؤمنين دائماً هو الجزاء في الآخرة، في حياة ما بعد الموت، على عكس العهد القديم الذي ركز على تحقيق ما يعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب في الحياة الدنيا(2).



(1) الأسفار المقدسة / د. علي عبد ا لواحد وافي: 38.

(2) تعليقات الدكتور محمد شامة على كتاب أبي عبيدة الخزرجي: 128-136.

الفصل الرابع

شعائر وتشريعات المسيحية

المبحث الأول: التشريع في المسيحية ومراحله

المبحث الثاني: شعائر المسيحية

1- التعميد

2- العشاء الرباني

3- الإعتراف

4- تقديس الصليب وحمله

5- المسح بالميرون المقدس

6- المسح على المريض

7- حضور القسيس عند الموت

8- حضور القسيس عند الزواج

9- سر الكهنوت

المبحث الثالث: العبادات المسيحية

1- الصلاة

2- الصيام

3- الحج

المبحث الرابع: صور من تشريعات المسيحيين

1- الزواج 2- الطلاق

3- الميراث 4- تحليل لحم الخنزير 5- الرهبنة



المبحث الأول

التشريع في المسيحية ومراحله

مرَّ التشريع في المسيحية بعدة مراحل هي:

1- **إتباع التشريع اليهودي**: فالمسيحية تعتبر التوراة كتاباً مقدساً، وبناء على ذلك فقد كانوا يتبعون شريعة اليهود، وهذا ما أكده المسيح عليه السلام عندما قال: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس (الشريعة) أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل"[1].

ومن أجل هذا لم يأت عيسى عليه السلام بتشريع جديد، وكل ما اهتم به الوعظ والوصية والتسامح.

2- **بعد رفع المسيح عليه السلام**: تقول المسيحية أن الرسل عقدوا أول مجمع في أورشليم بحضور برنابا وبولس، وتمَّ فيه حصرالمحرمات في: الزنا، وأكل المنخنقة، وأكل الدم، وأكل ما ذبح للأوثان، وأباحوا الخمر، ولحم الخنزير، والربا. وكذلك أباحوا عدم الختان للذكور.

ومن الواضح أن بولس قد لعب دوراً خطيراً في هذه المرحلة، فرسائله مليئة بالشروح والتفسيرات الخاصة به عن تعاليم المسيح، لهذا فإن رسائل بولس تعد من أهم مصادر التشريع المسيحي.

(1) إنجيل متى: 5: 17.

3- **المجامع**: وعندما تسلم الرؤساء الروحانيون تراث التشريع من الرسل ومن بولس، ظلوا يباشرونه حتى تمّ الاعتراف بالمسيحية من قبل الدولة الرومانية، فانتقل حق التشريع إلى المجامع، والذي كان أولها مجمع نيقية[1].

4- **سلطة الباب وعصمته**: وفي سنة 1869 قرر مجمع روما عصمة البابا، وبهذا انتقل حق التشريع إليه، وانتقلت كل السلطة في إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إلى بابا روما، وأصبح حكمه قطعياً[2].



(1) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 150.

(2) المصدر السابق: 150.

المبحث الثاني

شعائر المسيحية

للمسيحية شعائر يجب القيام بها، لا يصح التخلي عنها، ويقولون فيها أنها فرائض مقدسة وضعها المسيح، وهي أعمال حسية تشير إلى بركات روحية غير منظورة عندهم[1].

والشعائر المسيحية لا تسمو إلى مكانة العقائد المسيحية، فالعقائد أساس لدخول المسيحية، وبدون الإيمان بها لا يكون الإنسان مسيحياً، أما الشعائر فإنها لازمة، وعلى المسيحي أن يقوم بها، ولكن الشخص على كل حال يعتبر مسيحياً قبل أن يقوم بها مادام قد اعتنق العقائد السابقة[2].

وهذه الشعائر مصدرها الكنيسة، فهي ما تقوم به من طقوس وإجراءات، لأن الكنيسة في مفهوم المسيحيين هي المسيح نفسه، إنها جسده ولحمه ودمه إستناداً إلى ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح: الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه[3].

فالمسيحيون بهذا النص هم من جسد المسيح، الذي في اعتقادهم هو إبن الله، ومادامت عملية الفداء من قبله قد تمت لحساب الكنيسة، فهي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه.

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 114.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 142.

(3) إنجيل يوحنا: 6: 53.

ومن أهم شعائر المسيحية:

1- التعميد: وقد اتفقت جميع الفرق المسيحية على ضرورته[1]، وكان التعميد موجوداً عند اليهود، ولكنه كان بمفهوم آخر هو غسل الجسد، وكان النبي يحيى عليه السلام يعمد الناس في نهر الأردن، أي يغسل أجسادهم، ولذلك يسمى (يوحنا المعمدان (أي يحيى المغسل)[2].

والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والإبن والروح القدس، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله[3].

وقد إستدل النصارى على وجوب التعميد بنص منسوب إلى المسيح في إنجيل متى: فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به[4]. وهذه الوصية جاءت منه بعد حادثة الصلب.

ومقصود التعميد في المسيحية يغاير مفهومه في اليهودية، ويعتقدون أنها ختم عهد النعمة وسرها كما كان الختان في الشريعة الموسوية، وأنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس وتلدها ثانية، وتعطي صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير[5].

وقت التعميد[6]:

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد:

أ- فبعضهم يعمد الشخص في طفولته، حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأ من الذنوب، وهذا هو الغالب.

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 142.

(2) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 62.

(3) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 115.

(4) إنجيل متى: 28: 18-20.

(5) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 63.

(6) المصدر السابق: 63.

ب- وبعضهم يعمده في أي وقت من حياته.

جـ- والبعض الآخر يرى أن التعميد يجري والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب، وهذا ما حدث بالنسبة إلى قسطنطين إمبراطور الرومان، فقد عُمد وهو على فراش الموت.

طريقة التعميد:

وتكون برش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، والغالب أن يغمس الشخص كله في الماء، وكل ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص المسيحي باسم الأب والإبن والروح القدس، أما في حالات الضرورة فيجوز أن يقوم بالتعميد غير الكهنة ويسمى (تعميد الضرورة).

وكنيسة الأقباط بمصر تلزم أن يكون التعميد بالتغطيس ثلاث مرات: المرة الأولى باسم الأب، والثانية باسم الإبن، والثالثة باسم الروح القدس، ولا تجيز التعميد بالرش إلا للضرورة.

وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يوحنا، صنعوا بئراً أو بركة صغيرة في كل كنيسة على غرار نهر الأردن، الذي كان يعمد يوحنا الناس فيه، وملأوا البركة بالماء، فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره، سواء كان طفلاً حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلاً أو امرأة اعتنقا المسيحية حديثاً، فإنه يخلع ملابسه ويصير عارياً كما ولدته أمه، ثم يأتي الكاهن ومساعده ويحملونه ويضعونه داخل البركة ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً[1].

2- العشاء الرباني أو (التناول) أو (الإستحالة): ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً.

(1) المصدر السابق: 64.

وفي العشاء الرباني يستعمل قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما جرى بالمسيح ليلة القبض عليه وموته، حتى يكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين، تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل الخبز وشرب هذه الخمر إستحال الخبز إلى لحم المسيح، والخمر إلى دمه، فيحدث الإمتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه[1].

والأساس الذي تستند إليه المسيحية في العشاء الرباني إلى ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح: والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه، فمن يأكلني فهو يحيا بي، والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم..... فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد إبن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكل حق، ودمي مشرب حق[2].

وكذلك ما جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور، إصنعوا هذا لذكري، كذلك أعطاهم قليلاً من الخمر وقال: كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي إصنعوا هذا كلما شربتم لذكري، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء[3].

ويحاول أحد الكتاب المسيحيين أن يبين العلاقة بين الخبز وجسد المسيح فيقول: إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيستين: فالخبز قوام الحياة الجسدية، والمسيح قوام الحياة الروحية، والخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعامنا الجسدي والمسيح إحتمل نار دينونة الخطيئة عوضاً عنا، لكي يكون طعامنا الروحي الذي يهبنا حياة إلى الأبد. أما الخمر فعلاقته بدم المسيح: فإنه أقرب مثال للدم من ناحيتين: فكلاهما أحمر اللون، وكلاهما حياة الجسد الذي يجري فيه، فالخمر هي حياة الكرمة، والدم هو حياة الجسد[4].

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 144.
(2) إنجيل يوحنا: 6: 51-58.
(3) رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى: 11: 23-26.
(4) مقارنة أديان / جامعة القدس: 285.

ولم تكن الخمر التي تستعمل في العشاء الرباني من النوع الذي يسكر، لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمر في هذا العيد، إذ أنها كما يقول المؤرخون: كانت عصير العنب الطازج، ومع ذلك فإن النصارى اليوم خالفوا ذلك ويشربون الخمر المسكر بحجة أن بولس أباح لهم أن يشربوا أي شيء، فكل ما يدخل الفم فليس بنجس[1]. ومما يذكر أن البروتستانت تنكر موضوع الاستحالة،

3- **الإعتراف الذي يتبعه غفران الذنب والتوبة**: وهو أن المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب، فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك، وكان الإعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكنه منذ سنة (1215)م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل، ويستندون في ذلك إلى ما ورد في إنجيل يوحنا منسوباً إلى المسيح بعد قتله وصلبه، ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله: إقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت[2].

ويعد الإعتراف من أخطر الطقوس التي تجريها الكنيسة، ويتحكم من خلالها رجالها ورهبانها بالناس، ويطلعون من خلالها على أسرارهم، وعن هذا السر نشأ في العصور الوسطى ما يسمى بـ (صكوك الغفران)، وهذا من الطقوس التي لا يعترف بها البروتستانت أيضاً[3].

4- **تقديس الصليب وحمله**: إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه، فقد ورد عن المسيح قوله: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني[4].

ومعنى حمل الصليب هو الإستهانة بالحياة والإستعداد للموت في أبشع صورة، أي صلباً على خشبة كما يُفعل بالمجرمين والآثمين. وقويت فكرة تقديس الصليب بعد

---

(1) المصدر السابق: 286.

(2) إنجيل يوحنا: 20: 22.

(3) مقارنة أديان / جامعة القدس: 283.

(4) إنجيل لوقا: 9: 23.

حادثة الصلب، فأصبح أداة تذكر المسيحيين بالتضحية الضخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر[1].

ومن الواضح أن هناك علاقة بين تقديس الصليب عند المسيحيين وبين النظم الرومانية التي كانت تجعل حمل الصليب دليلاً على صدور الحكم بالإعدام صلباً، فحمل المسيحيون الصليب إستعداداً لهذه الحالة، ومن العجيب أن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام هي بذاتها تقدس صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب وتوصي بتقديسه[2].

5- المسح بالميرون المقدس: يرى المسيحيون أن روح القدس تحل على المسيحي الذي نال نعمة المعمودية المقدسة، وهذه النعمة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بعد التعميد، إذ يمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس، تشبهاً بالحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه، وقد اقتسمها الرسل بعد قيامة المسيح وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل[3]. حيث أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ثم أذابوه في زيت الزيتون وقدسوه في عليّة صهيون، وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً للمعمودية، وهذا الدهن في نظرهم يعني حلول الروح القدس في الإنسان الذي نال المعمودية[4].

6- المسح على المريض: وهو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس، ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً.

ومصدره ما ورد في إنجيل مرقص: أن الرسل قد خرجوا وصاروا يكرزون (يبشرون) الناس أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرة، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم[5].

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 145.

(2) المصدر السابق: 145.

(3) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 67.

(4) مقارنة أديان / جامعة القدس: 284.

(5) إنجيل مرقص: 6: 13-21.

فأخذ رجال الكنيسة هذه المقولة وصنعوا منها سراً يقومون بـه ويشـعوذون بـه على الناس لابتزازهم وأخذ أموالهم[1].

7- **حضور القسيس عند الموت:** حيث يقوم الكاهن بتلاوة صلاة القنديل، ثـم يدهـن المريض بالزيت المقدس، خاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام[2].

8- **حضور القسيس عند الزواج:** لا يتـم الـزواج إلا بمعرفـة الكنيسـة أي بحضـور القسيس، لذلك يسمى الربـاط المقـدس، الـذي لا ينفصـم[3]، والكنيسـة جعلـت الزواج فوق كونه ناموساً طبيعياً، سراً من أسرارها، ويعتمـدون في ذلـك علـى مـا ورد في إنجيل متى: الذي جمعه الله لا يفرقـه إنسـان[4]، وفي مراسـيم الـزواج تتلـى تراتيل معينة، وبذلك يصبح زواجاً مقدساً.

9- **سر الكهنوت:** معناه السر الذي يحصل الإنسان به على النعمـة الـتي تؤهلـه لأداء رسالة المسيح بين البشر، فيعين بـين الكهنـة، فـهو خلافـة رسـولية أخذهـا الآبـاء الأولون عن الرسل أنفسهم، ويسلمونها لمن بعدهم، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح[5].

لذا فإن هذا السر يستخدم عند التنصيب لأي منصب ديـني في الكنيسـة، وهـذا السر عمل مقدس، به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخـب ويطلـب مـن أجله، فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى درجات الكهنوت من أسـقفية أو قسيسـية أو شماسية أو أي منصب ديني آخر.

ومصدر هذا السر أن السيد المسيح كما يقولون قد وضع أسـاس الكـهنوت إذ اختار إثني عشر رسولاً، ثم اختـار السـبعين الآخريـن وأعطـاهم سـلطان الكـهنوت،

---

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 284.

(2) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 66.

(3) المصدر السابق: 66.

(4) إنجيل متى: 19: 6.

(5) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 67.

ومنها التعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا، وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم[1]. وقد ورد في إنجيل متى على لسان المسيح: الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء[2].



(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 284.

(2) إنجيل متى: 18: 18.

المبحث الثالث

العبادات المسيحية

توجد عند المسيحيين عبادتان هما الصلاة والصوم، لكنهما عبادتان اختياريتان طبقاً لما يراه أكثر المسيحيين وليستا إجباريتين[1].

1- الصلاة: والصلاة عندهم ركن من أركان الدين، وهي تقربهم إلى الله عن طريق المسيح[2]. وبالرغم من أن الصلاة ركن من أركان الدين، فإن الأمر بالصلاة محل خلاف عندهم، لأنهم يرون الصلاة أمراً تلقائياً ينبع من ذات الفرد وإرادته[3].

وبناء على ذلك فلا يترتب على ترك الصلاة أي حكم ديني، لأن الصلاة يعدونها من خصائص الإنسان ومن مشمولاته الشخصية[4].

ولا يمكن فهم التقاليد التي جاء بها المسيح عليه السلام بمعزل عن تشريعات الديانة اليهودية، فرسالته كانت مكملة ومجددة لرسالة موسى عليه السلام، ففي بداية حياته أقام المسيح عليه السلام صلاته في هيكل أورشليم مع بني إسرائيل ومشاركتهم سائر الطقوس التعبدية الأخرى، فصلى عليه السلام الساعتين الشرعيتين اللتين أمرت بهما الشريعة الموسوية في وقتي الصباح والمساء لأهميتهما، ولأنهما توافقان سياق الحياة اليومية للناس، أي ساعة نهوضهم من النوم صباحاً وساعة عودتهم من العمل وخلودهم للراحة. فعيسى عليه السلام في نظر المسيحيين حرر الإنسان من قيود الشكليات التي فرضتها الشريعة اليهودية، مثل تكرار الكلام وشكليات الصلاة على

(1) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 85.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 111.

(3) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموحى: 158.

(4) المصدر السابق: 162.

رتيبة واحدة[1]، يقول متى في إنجيله: وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كـالأمم فإنهم يظنون أن بكثرة كلامهم يستجاب لهم، فلا تتشبهوا بـهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه[2].

فمرحلة التشريع اليهودي بالنسبة للمسيحيين فترة مرحلية مؤقته تمّ الإلتزام ببعض أحكامها لفترة قصيرة متمثلة بالعهد المسيحي الأول، ويشبهونها بمرحلة الطفولة في التشريع الذي نما واكتمل فيما بعد في ظل التعاليم المسيحية.

ومع أن المسيح عليه السلام قد صلى صلاتين فقط، إلا أنه عليه السلام دعا إلى الصلاة كل حين[3]، واتخذ المسيحيون من هذا النص (قاعدة ذهبية)، فعمدوا إلى أن يحددوا للصلاة محطات قوة تجعلهم على الدوام في إتصال دائم مع خالقهم، فاعتمدوا في تنظيم صلواتهم على التقسيم المدني للنهار الذي يقسم إلى (12) ساعة ونصفها السادسة، ومنتصف النهار بين الساعة (1-6) ويسمونها الساعة الثالثة، والنصف الثاني الساعة التاسعة[4].

عدد الصلوات ومواقيتها: زاد المسيحيون عدد الصلوات إلى سبع صلوات، وبمعنى آخر قسموا النهار بين العمل والصلاة، فبعد أن تقام صلاة الصباح تقام صلاة الساعة الثالثة (التاسعة صباحاً)، ومن ثم صلاة الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً)، وصلاة الساعة التاسعة (الثالثة عصراً)، وصلاة المساء، وأضافوا إليها صلاة قبل النوم، التي تقابل صلاة العشاء الإسلامية، وصلاة منتصف الليل. ويجب التمييز بين صلاة المسيحي المتفرغ للعمل والراهب المتفرغ للعبادة، فالأول يشتغل طوال النهار فيتمسك بصلاتي الصباح والمساء فقط، أما الرهبان الذين يعيشون في الأديرة فيقيمون الصلوات السبع وربما يزيدون عليها، ويؤدونها بعمق كالمتصوفة[5].

---

(1) المصدر السابق، 152.

(2) إنجيل متى: 6: 7، 8.

(3) إنجيل لوقا: 18: 1.

(4) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموحى: 154.

(5) المصدر السابق: 154.

وبالإضافة إلى هذه الصلوات يقيم النصارى قداس الأحد صباح يوم الأحد من كل أسبوع في كنائسهم، وهي عبارة عن تراتيل وأدعية ومواعظ يقرؤها القسيس على مسامعهم ثم يؤمنون على ما يسمعون، وكانت قبل ثورة الإصلاح تتلى بلغات قديمة لا يفهمها العامة[1].

ويسمي المسيحيون قداس يوم الأحد (يوم الرب)، لذا يعتبر القداس لديهم طقساً مهماً، وهو واجب محتم في الآحاد والأعياد، والمسيحيون يرجعون أصله إلى المسيح عليه السلام، الذي وضع سره في الكنيسة ليلة الأحد حينما أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه، وأوصى تلاميذه أن يفعلوا ذلك[2].

وتتميز الصلاة الأسبوعية في يوم الأحد بخطبة يقدمها القس في موضع يقتضيه الحال، وعندها يخر الحاضرون على ركبهم ويجثون[3].

ويستخدمون دق (الأجراس) والنواقيس عند مناداتهم إعلاماً ببدء الصلاة[4].

طقوس الصلاة:

ويعقب الصلاة العشاء الرباني، وهو تذكار للعشاء الأخير الذي تناوله المسيح في حياته، وهو مكون من الخبز ويمثل جسد المسيح، والخمر (عصير العنب) دمه، أما الآن فيقوم مقامها النقود التي يقدمها الحاضرون إلى القس.

ومادة القداس تتكون عادة من الخبز والخمر، ولقبول الخبز فيه شروط هي[5]:

1- يمثل الجسد الطبيعي للمسيح: ويكون مصنوعاً من دقيق البر الخالص، إشارة إلى عنصر التراب معجوناً بالماء الطبيعي، مذاباً به شيء من الزيت إشارة إلى عنصر الهواء، والملح إشارة إلى عنصر النار.

---

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 290.

(2) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموصى: 165.

(3) المصدر السابق: 164.

(4) المصدر السابق: 162.

(5) المصدر السابق: 166.

2- أن يكون مختمراً لقول المسيح: إني مطعمكم خميراً فتعودوا كلكم من ذلك الفطير تأكلون الآن فصاعداً، الخبز المختمر معجوناً ومخبوزاً.

3- يصنع الخبز على شكل قرص مستدير مطبوع في وسط ختم مدور مقسم إلى إثني عشر جزءاً، يسمى الجزء (الواحد) منه (الجوهرة) و (الجمرة) يثقب بخمسة ثقوب وقت خبزه إشارة إلى المسامير الخمسة التي سمر بها جسد المسيح.

أما الخمر فيحضرونها من العنب ويمزجونها مع كمية معادلة لها من الماء توضع في الكأس، إشارة إلى الدم والماء اللذين جريا من جبين المسيح عندما طعنوه بالحربة على الصليب، والمسيحيون يحبذون إقامته يومياً، ولكنهم يعدون يوم الأحد يوماً مقدساً لأن المسيح قام بين الأموات فيه.

والطهارة ليست عندهم شرطاً لصحة الصلاة، فالطهارة يجب أن تكون روحية لنقاء النفس، دون شرط الطهارة الجسدية[1]، ومع ذلك فإن من آداب الصلاة وحضور القداس لديهم طهارة النفس ونظافة الجسم والإمتناع عن الأكل لفترة بسيطة[2].

أما قبلتهم فإلى جهة شروق الشمس، وهي غير قبلة المسيح، لأن قبلته كانت لبيت المقدس، وقد حولها (بولس)من تلقاء نفسه[3].

وتتميز الصلاة في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية بجملة أمور

1- صياغة الأدعية في أناشيد وترنيمات تغنى بألحان مرسومة ومقررة.

2- تتميز بصمت يسود الكنيسة عند ذكر (الله).

3- التأمل والسكون عند بعض الأدعية.

4- يجلس المصلون أثناء الصلاة على الركبتين مع وضع كفي اليدين مشتبكين عمودياً بمستوى الصدر.

5- ولا يوجد ركوع أو سجود في صلاتهم، فيما عدا الصلاة التي تقع في الكنيسة فإنه أحياناً فيها سجود من طرف الكاهن.

---

(1) المصدر السابق: 161.

(2) المصدر السابق: 166.

(3) المصدر السابق: 162.

أما أتباع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، فيقفون عند الصلاة مقدمين أيديهم إلى الأمام[1].

أركان الصلاة عند المسيحيين: للصلاة عند المسيحيين شرطان أساسيان لا تكون صلاة بدونهما[2]:

الشرط الأول: أن تقدم باسم المسيح طبقاً لما جاء في إنجيل يوحنا: "الحق أقول لكم إن ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، أطلبوا تأخذوا وليكون فرحكم كاملاً"[3].

الشرط الثاني: أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطلبون، كما جاء في إنجيل مرقص نقلاً عن المسيح عليه السلام: "لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم"[4].

الموسيقى في صلاة المسيحيين[5]: إرتبط أداء الصلاة المسيحية بالموسيقى، وقد ورد في العهد القديم ذكر للموسيقى مرتبط بالشعائر والطقوس التقليدية، ونظراً لشدة إهتمام المسيحيين بالموسيقى من الوجهة الدينية، لذا فقد عدوها العامل الوحيد الذي يوحد بين سائر الطوائف المسيحية، والمشاعر التي ينقلها المسيحي لربه يمكن أن تؤدي بأفضل صورة عن طريق الموسيقى.

وقد أصدر مجمع نيقية الثاني قراراً رسمياً جاء فيه: إن مادة المشاهد الدينية لا ينبغي أن تترك تحت تصرف إبداع الفنانين، بل ينبغي أن تستمد من المبادئ التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية والتقليد الديني.

ولا يزال المسيحيون إلى يومنا هذا يستخدمون الموسيقى في طقوسهم التعبدية

---

(1) المصدر السابق: 164، 165.

(2) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 85.

(3) إنجيل يوحنا: 16: 26.

(4) إنجيل مرقص: 11: 24.

(5) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموحى: 168-175.

لإعتقادهم أنها تشكل مع قراءتهم لنصوص من الكتاب المقدس وحدة متجانسة، وتعد المزامير كتاب صلاة عند اليهود والمسيحيين.

وجرت العادة عند المسيحيين الأوائل أن يتلوا ويرنموا المزامير، كما تشير إلى ذلك رسالة بولس إلى أهل أفسس، وكذلك رسالته إلى أهل كولوسي.

وقسم العلماء المسيحيون المزامير إلى ثلاثة أقسام:

1- التسابيح: واستخدمت للخدمة الطقسية، وتتميز بطابعها الجماعي، إذ يشارك جموع من الشعب في الموكب الإحتفالي بالمناسبة الدينية أعياداً كانت، أو تتويجاً لملك ما، أو شروعاً في الحرب.

2- **صلوات الإستغاثة والثقة والحمد**: وتتناول هذه الصلوات تسبيح الرب المقدس والعادل والمحسن ويجمعها حالة الضيق والشدة.

3- مزامير التعليم: وهي موجهة للدرس والوعظ على طريقة الأنبياء.

كيفية التعبير في الصلاة:

ترك للمسيحيين أن يتلوا من العبادات ما يختارونه بشرط الا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم إياها المسيح، لكي يصلوا على منوالها، وهي المسماة بالصلاة الربانية كما جاء في إنجيل لوقا: وإذ كان يصلي في موضع، لما فرغ قال واحد من تلاميذه: يا رب علمنا أن نصلي، كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم: متى صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس إسمك ليأت ملكوتك، لتكن ميشئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا لأننا نحن نغفر لكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير[1].

2- ويختارون أدعية أخرى في صلواتهم من سفر المزامير، الذي يقولون عنه أنه خزانة ذهبية لصلوات داود عليه السلام وغيره من الأنبياء[2].

---

(1) إنجيل لوقا: 11: 1.

(2) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 85، 86.

2- **الصيام**: ليس في العهد الجديد وصية تطلب الصيام من المسيحي، إنما يفهم على أنه أمر اختياري يلجأ إليه المسيحي عند الحاجة، ويقترن بالصلاة والتذلل، ولذلك لم يفرض في الأناجيل كفرض واجب، بل ذكر مدحه فيها مع النهي عن الرياء وعدم العبوس في الصوم.

والمتصفح لما روي عن المسيح عليه السلام في الأناجيل عن الصيام يبدو له أنه أراد للصائمين عدم إظهار صومهم للآخرين لكيلا يصبحوا مرائين به كما يفعل اليهود آنذاك، وبناء على ذلك فإن الصيام كما تدل عليه الأناجيل كان طوعياً أيام المسيح عليه السلام، وأصبح بعد رفعه كذلك.

وبعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء إستمر تلاميذه من بعده تطبيق ما جاء في التشريع اليهودي بخصوص الصوم، باعتبار أن ما جاء به المسيح لا يناقض ما فرضه موسى عليه السلام.

ومع ظهور البواكير الأولى للتشريع الكنسي في القرن الرابع الميلادي بدأ رجال الكنيسة يحددون بعض معالم الصيام وما يجب تناوله من طعام، وما لا يجب، وهذا تمّ عندما عُرف الصيام عندهم بأنه (شريعة كنسية تكيفها الكنيسة حسب مقتضيات الزمان والمكان). وبدأت الكنائس المسيحية بفرض أيام للصوم تختلف مددها بين كنيسة وأخرى، ومن الواضح أن الصيام لدى المسيحين تطور بسبب إحتكاكهم بالشعوب الوثنية فاقتبسوا منها بعض الشعائر، وكأن المسيحية، حافظت على الإسم ولم تحافظ على الكيفية، فلم يعد إمتناعاً عن الطعام والشراب في وقت معين، بل أصبح امتناعاً عن بعض أنواع الطعام[1].

وفيما يلي رأي الطوائف المسيحية بالصوم وأوقاته وكيفيته:

أ- **الصيام عند الكاثوليك**[2]: الكنيسة الكاثوليكية تلتزم بصيام الأربعين يوماً التي تسبق عيد الفصح ما عدا (الأحد)، وهو صوم قديم وتسميه صوم (الينبوع).

---

(1) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموحى: 181-185.

(2) المصدر السابق: 185-188.

ويعتبر يوم تأسيس الكنيسة المسيحية يوم عيد وتذكار سعيد، فيصومه الكاثوليك ويعرف بيوم (الأحد الأبيض)، واختلف في إشتقاق اسم (الأحد الأبيض)، فقيل إنه في بداية الكنيسة المسيحية الأولى كانوا يمارسون التعميد خلاله ويلبسون الملابس البيضاء، لذلك سمي يوم الأحد الأبيض، ويقع هذا اليوم في اليوم الخامس عشر بعد ثاني يوم عيد الفصح.

وهناك صوم يوم (جميع القديسين)، إحياء لذكرى الشهداء الذين سقطوا في سبيل الدفاع عن الدين، ويقع في أول تشرين الثاني.

وفي عام (1966) أتى البابا (بولس السادس) بقوانين جديدة للصيام شملت:

1) أيام الينبوع.

2) الأحد الأبيض.

3) عيد ميلاد المسيح.

4) أيام (الإمبر)، وهي يومي (14) أيلول، و(13) كانون الأول، وهي مأخوذه من معنى (الرماد) الذي يضعه الممارسون له على رؤوسهم كدليل على خضوعهم لله تعالى، وفي هذين اليومين يأكلون اللحم مع وجبة كاملة.

وقد أعطت الكنيسة الكاثوليكية السلطة لرجال كنيستها بإعفاء من رغب من أتباعها من الواجبات الدينية ومنها الصيام.

ب- الصيام عند الأرثوذكس[1]: تتفق الكنيسة الأرثوذكسية مع الكاثوليكية في الصوم الكبير باعتباره أهم وأعم أنواع الصيام ومدته خمسون يوماً أو خمسة وخمسون يوماً.

ولهم أيام صوم أخرى أهمها:

1- صوم الأربعين يوماً: وهي أيام صامها المسيح، ويصومون قبلها أسبوعاً سموه أسبوع الاستعداد، وبعده أسبوعاً سموه أسبوع الآلام، فيصبح مجموعه خمساً وخمسين يوماً.

(1) المصدر السابق: 188، 189، والنصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 87.

2- صوم الميلاد: ومدته ثلاث وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد حسب التوقيت الشرقي، فتبدأ من (25) تشرين الثاني وتنتهي في 6 كانون ثاني.

3- صوم العنصرة (الرسل) وتمارسه الكنيسة منذ عصر الرسل، ليس له عدد محدد من الأيام، ويترك أمره بيوم (أحد العنصرة)، فإذا تقدم هذا الأحد زادت أيام الصوم، وإذا تأخر انقضت، وتنتهي في (11) أيلول.

4- صوم العذراء: ومدته خمسة عشر يوماً، تبدأ من أول شهر مسرى.

5- صوم نينوى: ومدته ثلاثة أيام، كالتي قضاها يونس عليه السلام ببطن الحوت.

وهكذا نرى كثرة أيام الصيام عند الأرثوذكس، حتى يصل عددها (266) يوماً في السنة.

جـ- الصيام عند الأقباط والأرمن الأرثوذكس: تفرض الكنيسة القبطية أياماً شعبية للصوم وشبيهة بما عند الكنيسة الكاثوليكية ومنها:

1- الصوم الكبير.

2- صوم الميلاد: وعدد أيامه ثلاث وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد.

3- صوم الرسل: ويبدأ يوم الإثنين، وهو مختلف في مدته بين (15-49) يوماً.

4- صوم العذراء: ومدته (15) يوماً.

5- صوم نينوى: ومدته ثلاثة أيام.

ولذلك فإن أشد أنواع الصيام عند المسيحيين هو عند الأرمن والأقباط، إذ يصومون (الأربعاء والجمعة) من كل أسبوع، إلا ما وقع منها بين الفصح والصعود، فهم يصومون عشرة أسابيع من كل سنة وهي:

1- بعد الأحد الأول من عيد الثالوث.

2- بعد عيد التجلي.

3- بعد عيد انتقال العذراء.

4- صيام عيد الصليب في أيلول.

5- بعد الأحد الثالث عشر من عيد الثالوث.

6- بعد الأحد الواحد والشعرين من عيد الثالوث.

7- الصوم السابق لعيد الميلاد.

8- صوم الميلاد.

9- صوم الفصح.

د- الصيام عند البروتستانت[1]: تترك الكنيسة البروتستانتية مسألة (الصوم الشخصي) إلى الصائم في أن يصوم، وكيف يصوم، فإذا ما صام وأفطر، يحل له أكل ما يشتهيه من المأكولات، فهو عندهم مستحب وليس بواجب.

وتشهر الكنيسة البروتستانتية بالداعين إلى الانقطاع والمانعين الناس من أكل ما أحل الله.

وأخيراً فإن الكنائس الشرقية والغربية تحرم عقد الزواج في أيام الصوم الكبير، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك، فيرخصه الأسقف، وعندها يعقد الزواج سراً لا علناً. أما الكنيسة البروتستانتية فإنها لا تعقد الزواج في يوم الرب (يوم الأحد)، وكل الكنائس لا تر بأساً بالاتصال الجنسي بين الزوجين، فهذا لا شأن له بالصيام ولا يفسده[2].

والكنائس الشرقية والغربية فيما عدا البروتستانت، ترى أن الصوم يعني عندها الإمتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار، ثم تناول طعام خال من الدسم[3].

والملاحظ على الصوم المسيحي إرتباطه بالأعياد والأحداث التاريخية التي مرت عليهم حزناً أو فرحاً، وهم بذلك متأثرون ومقتبسون من سابقيهم من الهنود والبابليين والفرس واليونانيين والرومان، فمن الواضح أن صيامهم قد تأثر بما أخذوه من تلك الأمم، لأن تحريم أكل اللحوم، كانت عادة جرت عند الوثنيين، وكذلك عند الصابئة الحرانيين[4].

---

(1) المصدر السابق: 190، 191.

(2) المصدر السابق: 190، 192.

(3) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 153.

(4) العبادات في الأديان السماوية / عبد الرزاق الموصى: 192، 193.

3- الحج[1]: التاريخ المسيحي الأول لم يشر من قريب أو بعيد إلى ضرورة زيارة الأماكن التي إرتادها وعاش فيها المسيح عليه السلام.

ومع ذلك فقد عرف الحج: بأنه رحلة إلى مرقد القديس أو زيارة إلى مكان مقدس آخر، ويتم ممارسة هذا الطقس لدوافع مختلفة، فهي لأجل الحصول على المساعدة الروحية، أو لأجل القيام بصيام التشكر، أو القيام بفعل تكفيري.

وهي عقوبة ذاتية ينزلها الأثم بنفسه وبتوجيه من الكاهن، والمسيحيون ينظرون إلى جسد المسيح على أنه الهيكل البديل لهيكل اليهود، فاقتصروا في أول الأمر الزيارة إلى ما يمثل رمزه وهو (المذبح) الموجود في كل كنائسهم، والذي يمثل مكان صلب المسيح.

وهكذا أصبح الحج عندهم بمعنى القصد إلى مكان تقدس بظهور رباني تجلت فيه القدرة الإلهية متمثلاً بكنيسة أو قبرأو مشاهد لقديسيهم، وهم يرجون من الحج التكفير من الذنوب أو للشفاء من المرض أو للحصول على فضائل خاصة.

ومن أهم الأماكن التي كانوا يرتادونها جبل صهيون وجبل الزيتون وبيت لحم وغير ذلك من الأماكن في فلسطين، باعتبارها مهبط المسيح عليه السلام ومكان صلبه ورفعه – حسب اعتقاداتهم-، بالإضافة إلى زيارة روما، التي تحوي قبر القديس (بطرس) والقديس (بولس)، وهي كذلك مثوى شهداء المسيحية الأولى، ومركز رئيس الكنيسة.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن النصارى إتخذوا من قبور أوليائهم مزاراً يشد إليه الرحال، وأصبح مفهوم الحج لديهم يأخذ طابع الزيارة إلى مكان تقدس بظهور رباني حسب مصطلحاتهم، أو إلى مردق قديس لأجل الحصول على الغفران وتقوية الروح المعنوية، وشدها أكثر نحو ذلك المكان.

---

(1) المصدر السابق: 195-200.

المبحث الرابع

صور من تشريعات المسيحيين

لقد كان مفهوماً عند المسيحيين، أن المسيحية تعتبر التوراة وأسفار النبيين السابقين كتباً مقدسة تسميها (العهد القديم)، وأن تأخذ بكل الشرائع التي نصت عليها التوراة، إلا ما خالفه المسيح بنص قد أثر عنه، ويظهر أن المسيحيين إستمروا على ذلك نحواً من اثنتين وعشرين سنة من بعد المسيح.

ولكن التلاميذ كما يقول كاتب رسالة أعمال الرسل اجتمعوا بعد ذلك، وخطب يعقوب فيهم، مقترحاً عليهم أن يحصروا المحرم على الأمم في أربعة وهي: الزنا، وأكل المخنوق، والدم، وما ذبح للأوثان، وكان ذلك -كما جاء في الرواية نفسها- لأنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى المسيحية.

وبهذا أصبح التلاميذ يحللون للناس كل ما حرمته التوراة، ولا يجعلون محرماً عليهم إلا أربعة أمور، وبذلك حلٌ لهم كل شيء حرمته التوراة، فَحلٌ لهم الخمر والخنزير، وكل ما كانت التوراة قد حرمته.

وقد زعم كاتب رسالة أعمال الرسل، أن القدرة على التحليل والتحريم إنما صارت للتلاميذ، بسبب نزول الروح القدس عليهم[1].

ومن صور التشريع في المسيحية:

1- الزواج: الأصل في المسيحية أن يترهب الناس رجالاً ونساء، فلا يتزوجون، ولما كان ذلك غير ممكن، أبيح الزواج إستثناء، خوف الزنا، وهذا ما جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس: أنه تجوز العزوبة إذا استطاع الرجل أو المرأة أن يضبط

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 117، 118.

نفسه، ويتوقى الزنا، ولكنني أقول لغير المتزوجين، وللأرامل: إنه يحسن بهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا[1].

وقد أجمعت جميع الطوائف المسيحية على قصر الزواج على زوجة واحدة، ولابدَّ من اتحاد الدين في الزواج، أما المذهب، فالأرثوذكس هم الأكثر تشدداً في هذا الموضوع، فهم يبطلون الزواج إذا تم من مذهب آخر. وخالفهم الكاثوليك في ذلك، فلا يبطلون الزواج إلا عند اختلاف الدين فقط، وهي وإن كانت تحرم ذلك دينياً، إلا أنها تبيحه قانونياً[2].

وكان تعدد الزوجات معمولاً به في مطلع المسيحية، تبعاً للتعدد الذي قالت به اليهودية، ولكن للجمع بين اتجاه المسيحية للرهبنة وبين ضرورة الزواج خوف الزنا، أصبح الزواج مباحاً من واحدة فقط[3].

2- الطلاق: لا تجيز المسيحية الطلاق إلا في حالتين اثنتين هما: الزنا أو تغيير الدين، فإذا تمَّ الطلاق بسبب الزنا لا يجوز لأي من هذين الزوجين أن يتزوج مرة أخرى، أما إذا كان الفراق بالموت فإن الحي يجوز له أن يتزوج.

يقول متى في إنجيله: جاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين: هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلصق بامرأته، ويكون الإثنان جسداً واحداً، إذ ليس بعد اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان. قالوا: فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق، فنطلق. قال لهم: إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم، ولكن في البدء لم يكن هذا وأقول لكم أن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا، وتزوج بأخرى يزني، والذي يتزوج بمطلقة يزني[4].

---

(1) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: 7: 8، 9.
(2) الأديان المعاصرة / راشد الفرحان: 64.
(3) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 154.
(4) إنجيل متى: 19: 3-10.

ولا يزال تحريم الطلاق عند طائفة الكاثوليك أمراً شاقاً، فهم يمنعون الطلاق مهما طرأ على حياة الزوجين من مصاعب ومتاعب، حتى لو زنت الزوجة في بيت الزوجية، والحل الذي يلجأون إليه في هذه الحالة، هو أن يفترق الزوجان جسدياً، ويعيش كل منهما منفرداً عن الآخر.

وأدركت بعض الدول قسوة تحريم الطلاق فيسرت الحصول عليه، وشرعت القوانين في ذلك، فقد وافق مجلس العموم البريطاني على قانون يبيح للزوجين الطلاق بعد أن ينفصل أحدهما عن الآخر لمدة عامين. وقد جعل القانون الفرنسي للطلاق أربعة أسباب سببان رئيسيان أساسيان، فإذا تحقق القاضي من وجودهما حكم بالطلاق هما: الزنا، والحكم بعقوبة جناية تمس الجسم وتخل بالشرف والاعتبار، أما السببان الآخران جوازيان، وللقاضي سلطة تقديرية من حيث الحكم بالطلاق من عدمه، وهما: القسوة وسوء المعاملة من ناحية، والإهانة الجسمية من ناحية أخرى. وقد أدى توسع القضاء الفرنسي في تفسير القسوة وسوء المعاملة، والإهانة الجسمية، إلى تمكين الزوجين من الناحية العملية إلى الوصول إلى الطلاق، لمجرد إتفاقهما على إيقاعه، ومادام أمر هذا الاتفاق لا يصل إلى علم القاضي، فما عليهما إلا أن يظهر أحدهما أو كلاهما بمظهر إهانته للآخر. وهكذا وصل القضاء الفرنسي من الناحية العملية إلى إجازة الطلاق الواقع برضا الزوجين مجرداً عن أي سبب.

وكانت آخر الدول المسيحية في إباحة الطلاق، إيطاليا، فقد أباحته كبقية الدول المسيحية الأخرى، وبمجرد ما أقر الطلاق في إيطاليا حتى قدم إلى المحاكم أكثر من مليون طلب طلاق[1].

3- الميراث: ليس في المسيحية أحكام للمواريث، ويأخذ أكثرهم بالوصية، وعادة ما تكون لأكبر الأولاد، وتأخذ كثير من فرق المسيحيين بأحكام المواريث في الشريعة الإسلامية[2].

---

(1) الأديان المعاصرة / راشد الفرحان: 66، 67.

(2) المصدر السابق: 65.

4- تحليل لحم الخنزير: أحل المسيحيون فيما أحلوا من محرمات التوراة لحم الخنزير، فقد روى مؤرخ المسيحية (إبن البطريق) في هذا المقام: أن اليهود لما دخلوا في المسيحية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد اعتناقه للمسيحية، شك المسيحيون في إيمانهم، فأشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين أن يختبرهم بحملهم على أكل لحم الخنزير وقال له: إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلونه، فتأمر أن تذبح الخنازير، وتطبخ لحومها، ويطعمون منها، فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على اليهودية، عندئذ آمن قسطنطين بتحريم الخنزير، إذ نصت على التحريم التوراة المقدسة... وقال: إن الخنزير في التوراة محرماً، فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه، ونطعمه للناس، ولكن البطريرك مازال حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال، وقال له: إن المسيح قد أبطل سائر ما في التوراة، وجاء بتوراة جديدة هي الإنجيل، وقال في إنجيله المقدس: إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان، إنما ينجس الإنسان كل ما يخرجه من فيه[1]. يعني ما يخرج من فم الإنسان من الكفر والسفه وغير ذلك مما يجري مجراه[2].

5- الرهبنة: الرهبنة عند المسيحيين تعني الإبتعاد عن ضجيج الحياة، والحرمان من لذيذ العيش، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثياب والتبتل، والإمتناع عن الزواج والعكوف على العبادة تمثلاً بالمسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر[3]. والمسيحية ترجع هذه الرهبنة إلى مصادرهم الدينية، ويعدون أساس الرهبنة إلى القول المنسوب للمسيح عليه السلام: لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل[4].

---

(1) إنجيل مرقص: 7: 15.

(2) أبحاث في الشرائع / د. فؤاد عبد المنعم: 156.

(3) مقارنة أديان / جامعة القدس: 290.

(4) إنجيل متى: 19: 12.

ومن الواضح تاريخياً أن الرهبنة جاءت للمسيحية بعد اعتناق قسطنطين للمسيحية، وبدء عهد الحرية على المسيحيين، فتحسر المسيحيون الذين فاتهم أن يضحوا بدمائهم، فقرروا أن يضحوا بمتعم إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم، ولجأوا إلى الجبال ليعيشوا فيها ويبتعدوا عن حياة المدن، كما لجأوا إلى تعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب، والتبتل وعدم الزواج، والعكوف على العبادة والطاعة[1].

ومن الأدلة التي إستدل بها المسيحيون على الرهبنة، أن المسيح سئل عن العمل الصالح الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية فأجاب: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال واتبعني[2]. أما اللجوء إلى البراري والجبال فمقتبسة أيضاً من المسيح عليه السلام، فقد كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع، ومن يوحنا المعمدان الذي كان يعيش في البرية، ويكرز (يبشر) فيها[3].

وقد مرت الرهبنة في المسيحية بمرحلتين، أما الأولى: فكانت هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس، وانطلاقاً في الصحارى والبراري، ولجوءاً إلى الكهوف والمغارات في الجبال بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع الوحدة. وبدأت المرحلة الثانية لما كثر عدد الراغبين في الترهب اجتمعوا وبنوا لهم صوامع متجاورة، ثم أحاطوها بأسوار عالية حيث تسمى بالأديرة، وقد فعلوا ذلك حماية لأنفسهم من اللصوص. ويرى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبنة أول ما نشأ في مصر، ثم نقله الرهبان الأقباط إلى إيطاليا وفرنسا وغيرها من الدول[4].

والإلتحاق بالرهبنة ليس شيئاً يسيراً، فطالب الإلتحاق بها يختبر، ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق لها، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل، ويصلي

---

(1) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 70.

(2) إنجيل متى: 19: 18-22.

(3) المسيحية / أحمد شلبي: 206.

(4) النصرانية والإسلام / محمد عزت الطهطاوي: 70، 72.

الرهبان عليه صلاة خاصة، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم[1].

والباحث في مقارنة الأديان، يجد أن المسيحيين في الدعوة إلى الرهبنة، كانوا مقلدين للمنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم، هي منهج أساسي في الهندوسية والبوذية[2].

وقد كان رجال الدين قبل بداية القرن الرابع الميلادي يتزوجون، دون أي إعتراض، ولكن مجمع (ألفيرا) في إسبانيا، الذي عقد في أوائل القرن الرابع الميلادي، أصدر قراراً بتحريم الزواج والإبتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة فقط.

ولكن البابا (جريجوري) السابع، أصدر أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم، حتى لا تدنس صفاتهم الكهنوتية بالإتصال الجنسي، ولم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان ذلك القرار نظاماً مقرراً في الكنيسة الكاثوليكية، ومطبقاً على جميع القساوسة والرهبان من الرجال، والراهبات من النساء[3].

ومما يذكر في هذا المجال، أن البروتستانت لا ترى ضرورة للرهبنة، فلم تعترف بهذا النظام، وأباحوا الزواج لرجال الدين[4]. أما الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) فهي تبيح لرجل الدين الزواج، ويشترطون لمن يصل إلى رتبة (الأسقف) أن لا يكون متزوجاً من قبل.

---

(1) المصدر السابق: 72.

(2) المسيحية / د. أحمد شلبي: 207.

(3) النصرانية والإسلام / د. محمد عزت الطهطاوي: 74.

(4) المسيحية د. أحمد شلبي: 214.

6- الختان: كان الختان على الذكور فريضة على كل يهودي، وهو كذلك على أتباع المسيح، على أساس أن التوراة تفرض ذلك، وهي جزء من الكتاب المقدس عند المسيحيين.

ولكن يعقوب أحد تلاميذ المسيحيين -كما يروي كاتب رسالة أعمال الرسل-، قال لبقية التلاميذ في أول مجمع لهم بعد المسيح، بعد أن تثاقل الناس عن دخول المسيحية بسبب هذه الفريضة، واشتكى من ذلك بولس: لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا من نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم(1).

ومن ذلك يتبين أن التلاميذ -كما يقول كاتب الرسالة- حللوا للناس ما حرمته التوراة، وبمقتضى ذلك أبطلوا حكم الختان الذي كان عهداً من الله منذ إبراهيم عليه السلام، فضلاً عن أن المسيح نفسه ختن طبقاً لما حكاه إنجيل لوقا(2).



(1) رسالة أعمال الرسل: 15: 19.

(2) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 76.

الفصل الخامس

طوائف المسيحية

1- الكنيسة القبطية
2- الكنيسة المارونية
3- الكنيسة الكاثوليكية
4- الكنيسة الأرثوذكسية
5- الكنيسة النسطورية
6- الكنيسة السريانية
7- الكنيسة الأرمنية
8- الكنيسة البروتسنتية
9- طوائف البروتستانت
أ- جماعة الأصدقاء
ب- المورمونية
جـ- طائفة كريستيان سانيس
10- الإنجيليون أو (المسيحيون الصهيونيون)
1- السفارة المسيحية الدولية
2- منظمة الأغلبية الأخلاقية
3- هيئة المائدة المستديرة الدينية
4- حملة الحرم الجامعي من أجل المسيح
5- مؤسسة جبل الهيكل
6- مؤسسة بات روبرتسون
7- المنظمة المسيحية للقدس
8- كنائس مايك إيفانز
9- منظمة الإنجيليين المتحدين من أجل صهيون
10- جماعة تاف 11- جماعة جسور السلام



الفصل الخامس

طوائف المسيحية

تمهيد[1]:

من خلال ما تقدم من كلام حول (المجامع) وأثرها في مصادر المسيحية، يتبين لنا أن المسيحية قد أتى عليها فترة من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها، وهذا التوحيد كان واضحاً في دعوة آريوس عندما ظهر مقاوماً فكرة ألوهية المسيح، التي كانت تنادي بها كنيسة الأسكندرية، مما أدى إلى عقد مجمع نيقية، والذي كانت الأغلبية فيها تعتنق عقيدة التوحيد.

لذلك يمكننا أن تقسم عصور المسيحية إلى قسمين:

عصر التوحيد: ونهايته الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية، وبقيت عقيدة التوحيد تصارع فكرة ألوهية المسيح زمناً ليس قصيراً بعد مجمع نيقية.

عصر تأليه المسيح: وذلك العصر الذي يبتدئ بعد مجمع نيقية، حتى إستطاع قياصرة الروم أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين، ويمنعوا الموحدين من نشر عقيدتهم.

وقد ظهرت عدة فرق كانت تحاول أن تخرج من بطش الدولة التي كانت تحمي التثليث وتأليه المسيح، وقد حاولت هذه الفرق أن تظهر عقيدة التوحيد بطرق ملتوية ومن أشهر هؤلاء:

1- مقدونيوس وجماعته: أنكر أن يكون الروح القدس إلهاً، وقال إنه مصنوع لله مخلوق له.

(1) أنظر محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 149.

2- النسطوريون: أصحاب نسطور (بطريرك القسطنطينية) الذي عارض القول بأن مريم ولدت الله، وقال أن مريم لم تلد إلا الإنسان، فهي أم الإنسان وليست أماً لله.

3- اليعقوبيون: نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي إنتحل مذهب بطريرك الإسكندرية القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة، وهي إلتقاء اللاهوت والناسوت في المسيح، وهي الفكرة التي رفضها مجمع خليقدونية عام (451م)، وتسبب عنها تمسك (الكنيسة المصرية برأي بطريركها، والإنفصال عن الكنيسة الرومانية[1].

وقد تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم مشابه لما حدث لهم قبل اعتناق الرومان للمسيحية، وكان ذلك إلتجاء الجانب القوي -الذي اعتنق ألوهية المسيح -إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات والتعذيب والتنكيل والحرق والإفناء يسلطها على الجانب الذي أنكر ألوهية المسيح، والعجيب أن المسيحيين اضطهدوا من اليهود والرومان، ونزلت بهم الويلات في القرون الثلاثة الأولى، فلما بدأ جانب المؤلهين يشتد رأيناهم ينزلون نفس الويلات بمخالفيهم من أبناء دينهم، والذين أنكروا ألوهية المسيح.

الطوائف المسيحية

بعد مجمع نيقية، بدأ الخلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح عليه السلام، ونشأت بسبب هذه المسألة فرق وطوائف كثيرة إتخذت كل فرقة منها مذهباً خاصاً، وتشكلت هذه الآراء بداية على شكل آراء فردية لبعض رجال الكنيسة سرعان ما تحولت إلى مذاهب واتجاهات.

ومن الملاحظ أن مجمع خلقدونية كان بداية الانقسام بين المسيحيين، وأول الطوائف ظهوراً كانت فرقة (الأقباط) في مصر، والتي صارت تسمى بـ:

1) الكنيسة القبطية[2]: وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه

---

(1) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 123.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 159، 160.

عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الإتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، وقد أعلن ذلك بطريرك الأسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي.

وبسبب ذلك الإعلان إنعقد مجمع خلقدونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية.

والذين يقولون أن المسيح ذو طبيعة واحدة، ينقسمون إلى آسيويين وأفريقيين، ولكل قسم رئاسة دينية خاصة به.

فرئيس الآسيويين هو بطريرك السريان، ومن هؤلاء الآسيويين من اعترفوا برئاسة الكنيسة الكاثوليكية، فقبلهم وإن استمروا على رأيهم.

ورئيس الأفريقيين هو بطريرك القبط المقيم في القاهرة، ويتبعه في هذه الرئاسة سكان الحبشة (أثيوبيا) المسيحيون، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية.

2- الكنيسة المارونية[1]: هم أتباع يوحنا مارون، وقد اشتهر يوحنا هذا برأيه سنة 667م، ودعا إليه وشايعه بعض القسيسين فيه، ومعهم بعض من مسيحي آسيا، وهو أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة، ومن أجل ذلك إجتمع مجمع القسطنطينية سنة 680م، وقرر حرمان مارون، ولعنه وتكفيره وكل من يذهب مذهبه.

ويظهر أن دعاة هذا المذهب لم يكونوا ذوي شوكة وقوة، ولذلك نزلت بهم إضطهادات شديدة، فلم يجدوا لهم مأمناً يعتصمون به إلا بعض المناطق في جبل لبنان، فاعتصموا بها، واستمروا على عقائدهم، حتى قربتهم إليها كنيسة روما، وأعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والإتحاد معها، على أن يبقوا على رأيهم، وقد كان إتحادها مع كنيسة روما سنة (1182م)، ومازالت هذه الطائفة في جبل لبنان، ولها بطريرك خاص بها، وتقر بالرئاسة لبابا روما.

انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية:

وسبب هذا الإنقسام يتعلق بكنيسة القسطنطينية، التي إعتقدت أن الروح

---

(1) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 160.

القدس من الأب وحده، لا من الأب والإبن، بينما كان رأي كنيسة روما أن الروح القدس منبثق من الأب والإبن معاً.

ومن أجل هذا عقد بابا روما مجمعاً سنة 869م أعلن فيها طرد ولعن بطريرك القسطنطينية لمقالته في أن الروح القدس إنبثق من الأب وحده، ورداً على هذا المجمع عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعاً آخر سنة (879م) تمّ فيه إعتناق رأي البطريرك في أن الروح القدس إنبثق من الأب فقط، وبذلك إنقسمت الكنيسة إلى قسمين: أولاهما: كنيسة روما، أو الكنيسة الغربية اللاتينية، وثانيهما، كنيسة القسطنطينية، أو الكنيسة الشرقية اليونانية، فالأولى سميت بالكاثوليك، والثانية سميت بالأرثوذكس.

ويبدو أن الموضوع الإعتقادي كان السبب الرئيسي للانقسام، ولكن لا يعني ذلك عدم وجود أسباب أخرى، وهو ما يتعلق بالرئاسة الدينية أو الكهنوتية، فقد كان هناك تنافس بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حتى قبل إنقسامها بشكل رسمي، ولهذا فإن هذا التنافس قد زاد بعد الانقسام، وأصبح الصراع علنياً بين الطرفين حول الرئاسة الدينية، أهي لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة روما؟ وبناء على ذلك عقد بابا روما مجمعاً قرر فيه أن الرئيس العام للكنائس هو بابا روما، بينما قامت كنيسة القسطنطينية برفض هذا القرار عن طريق مجمع عقدته، وقررت أن رئيس كنيسة القسطنطينية هو الرئيس العام للكنائس.

3- **الكنيسة الكاثوليكية:** الكاثوليكية كلمة لاتينية تعني (العامة)، لأنها تدعي أنها (أم الكنائس) ومعلمتها.

وقد أطلقت على الكنيسة الكاثوليكية أسماء مختلفة مثل (الكنيسة الرومانية الغربية)، و (الكنيسة البطرسية أو الرسولية)، أو (الكنيسة اللاتينية)، ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما.

وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين، وبخاصة إلى بلاد: إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان.

وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية، لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو (بطرس) كبير الحواريين، ورئيسهم، والبابوات في روما خلفاؤه.

وقد لعبت الكنيسة الكاثوليكية طوال القرون الماضية دوراً هاماً في حياة أوروبا، ففي حركة التاريخ الكنسي كانت الكاثوليكية تناهض حكومات أوروبا وأحياناً تتغلب قوى الكنيسة، وأحياناً تتغلب قوة الدولة، وكان الصراع بين القوتين بين مد وجزر محل نزاع بين الأوربيين حول من هو صاحب السلطة الأعلى؟ هل الدولة يجب أن تخضع للكنيسة، أو أنه لابد من الفصل بينهما؟

نظام الكنيسة الكاثوليكية: والنظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام البابوي، والذي يرأسه البابا والكرادلة (جمع كاردينال)، وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجتمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، فهو يمثل الله، ويلهمه الروح القدس، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدال أو المناقشة(1).

وعندما يموت البابا ينتخب واحداً خلفاً له عن طريق الكرادلة، وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في إبرام قوانين لها صفة الإلزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي، وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة وعظيمة إلى درجة أنه يحدد الكتاب الذي يجوز أن يقرأ، والكتاب الذي لا يجوز لأحد أن يقرأه، ومارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد الديني ضد معارضيها، ومحاكم التفتيش جزء من هذه الحملة الكاثوليكية الشرسة على معارضهم سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين(2).

عقائد الكاثوليك: يعتقد الكاثوليك بأن الأقانيم الثلاثة متميزة ومنفصلة، فالأب غير الإبن، والإبن غير الأب، والروح القدس غيرهما.

والعقيدة التي يتمسك بها الكاثوليك هو القانون الذي نادى به (أثناسيوس)، وهو الذي تصدى لأريوس في مجمع نيقية،وصورة هذا القانون كما يلي:

1- إن كل من ابتغى الخلاص، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي، أي الإيمان الجامع العام للمسيحية.

---

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 200، 201.

(2) مقارنة أديان / جامعة القدس: 299.

2- الإيمان الكاثوليكي، هو أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث، وثالثاً في توحيد.
3- لا تمزج الأقانيم، ولا تفصل الجوهر.
4- إن الأب أقنوم على حدة، والإبن أقنوم على حدة، وللروح القدس أقنوماً آخر.
5- ولكن الأب والإبن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو، وجلال أبدي معاً.
6- الأب غير مخلوق، والإبن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.
7- الأب غير محدد، والإبن غير محدد، والروح القدس غير محدد.
8- الأب سرمد، والإبن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.
9- وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محددين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدد.
10- وكذلك الأب ضابط الكل، والإبن ضابط الكل، والروح القدس ضابط الكل، ولكن ليسوا ضابطي الكل، بل واحد ضابط الكل.
11- وهكذا الأب إله، والإبن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.
12- وكما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب، فإن الدين الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب.
13- فالأب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق ولا مولود، وكذلك الإبن وحده، وروح القدس وحده.
14- أب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس.
15- يجب أن نعبد الواحدنية في ثالوث، والثالوث في وحدانية.
16- من أراد أن يلزم له الخلاص، فعليه أن يؤمن بهذا الثالوث وبتجسد يسوع المسيح.
17- الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن يسوع المسيح إبن الله هو إله إنسان، وأنه إله من جوهر الأب ومولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر، إله تام، وإنسان تام، كائن بنفس ناطقة وجسد بشري.

18- والإبن مساو للأب بحسب لاهوته، ودونه الأب بحسب ناسوته، وهو وإن يكن إلهاً وإنساناً، فإنما هو مسيح واحد لا إثنان.

19- المسيح تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم (أي عالم الأموات) وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات، ثم صعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الرب.

20- ومن هنا يأتي ليدين الأموات والأحياء، الذي عند مجيئه يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم ويؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة، فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية.

21- هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين[1].

22- يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر، تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة، فهي نادرة ومطهرة يتخلص منها الخاطئ بمقدار ذنوبه[2].

شرائع الكاثوليك:

1- إستعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز.

2- أكل الدم والمخنوق.

3- أكل الرهبان دهن الخنزير.

4- لبس الأساقفة الخواتم في أصابعهم، وحلق الكهنة لحاهم[3].

5- المغفرة من حقوق الكنيسة ورجالها.

6- تحريم الزواج على رجال الكنيسة.

7- تحريم الطلاق على جميع المسيحيين، حتى عند الخيانة الزوجية[4].

---

(1) أقانيم النصارى / د. أحمد حجازي السقا: 69-72.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 162.

(3) المصدر السابق: 162.

(4) مقارنة أديان / جامعة القدس: 302.

4- الكنيسة الأرثوذكسية: الأرثوذكسية (كلمة لاتينية) تعني: المتشددون أو المتعصبون، وتسمى كنيستهم (كنيسة الروم الأرثوذكس) أو (الكنيسة الشرقية أو اليونانية)، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، ومقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية في القرن التاسع الميلادي، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس[1]. ولهذه الكنائس (بطاركة): أولهم بطريرك القسطنطينية، وهو كبيرهم، ويلقبونه بـ (البطريرك المسكوني)، ويليه في المرتبة والمكانة الدينية (بطريرك الأسكندرية) للروم الأرثوذكس، ثم بطريرك (أنطاكيا)، ثم بطريرك (أورشليم)، ثم (المجمع الروسي)، ثم عدة مجامع لأسقفيات مستقلة أخرى كأسقفية (أثينا)، وأسقفية (قبرص)[2].

ولا يعترف الأرثوذكس بالبابا في روما، وليس للأرثوذكسية مقر رئيس مثل (الكاثوليكية)، وإن كانت القسطنطينية المركز الأول لهم، وتعد الآن أثينا والأسكندرية وروسيا، مراكز رئيسية لها.

عقائد الأرثوذكس: يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ويقولون: إن الله عز وجل نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها (نطفة) ثم (علقة) ثم (مضغة) ثم أصبح جنيناً كاملاً، ثم خرج طفلاً كاملاً اسمه (عيسى) أو (يسوع)، ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة، وبعد سنتين وأشهراً قتله اليهود وصلبوه، ثم دفن في القبر ثلاثة أيام، ثم نزل إلى الجحيم وهو في القبر، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات. ويسمى (الأب) قبل التجسد، ثم (الإبن) بعد التجسد، ويسمى الروح القدس، الإسم الذي كان عليه قبل إنشاء العالم، أي أن عيسى هو (الله) خالق السماء والأرض، والله هو عيسى[3]، ويستدلون على مذهبهم هذا بقول بولس: الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى للملائكة،

(1) المسيحية / د. أحمد شلبي: 201.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 164.

(3) مقارنة أديان / جامعة القدس: 303.

كرز به بين الأمم، أؤمن به في العالم، رفع في المجد[1].

ولتوضيح ذلك يقول الأرثوذكس: إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقياً، بنفس عاقلة ناطقة، ثم الحبل به في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء.

وقد مثل آباء الكنيسة إتحاد اللاهوت بالناسوت، بأن الإنسان مركب من جزأين أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التراب، وثانيهما النفس العاقلة الناطقة، ومع وجود هذين الشيئين واتحادهما دون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة، فاللاهوت هو الجزء البسيط، والناسوت هو الجزء الكثيف من النفس الناطقة، وباتحادهما معاً دون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة جوهراً واحداً، وطبيعة واحدة[2].

ويمكن أن نوجز أهم الأصول الإعتقادية للأرثوذكس بما يلي:

1- المسيح له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة في أقانيمه الثلاثة، فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة الإلهية.

2- روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط.

3- أفضلية الإله الأب عن الإله الإبن.

4- عدم جواز أكل الدم والمخنوق، وأكل دهن الخنزير للرهبان[3].

5- نظام الكنيسة الأرثوذكسية يبدأ من (البطريرك) ويليه في الرتبة (المطارنة)، ثم (الأساقفة)، ثم (القسس) أصحاب الامتياز، ويسمون (القمامصة)، ثم القسس العاديون، ويسمون (القساوسة)[4].

6- المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة[5].

---

(1) رسالة تيماثاوس الأولى: 3: 16.

(2) أقانيم النصارى / د. أحمد حجازي السقا: 68.

(3) مقارنة أديان / جامعة القدس: 304.

(4) المسيحية / د. أحمد شلبي: 202، 203.

(5) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 140.

7- أجازت الكنيسة الأرثوذكسية لرجال الدين الزواج بشرط أن لا يصل إلى رتبة (الأسقف).

5- الكنيسة النسطورية[1]: تنسب إلى (نسطور) الذي كان بطريركاً للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر.

وكان نسطور يرى أن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم إتحد ذلك الإنسان بعد ولادته، بالأقنوم الثاني وهو الإبن، وليس ذلك الإتحاد بالمزج، أو هو إتحاد حقيقي، بل كان إتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الإبن.

ولما قال نسطور تلك المقالة في المسيح، كاتبه (كيرلس) بطريرك الأسكندرية (ويوحنا) بطريرك أنطاكيا ليعدل عن رأيه، لكنه لم يستجب فانعقد مجمع أقسس سنة (431)م وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله.

ويبدو أن السبب في لعنه وطرده هو أن مقالته هذه معناها إنكار ألوهية المسيح.

وقد إندثرت مقالة نسطور، فأحياها من بعده بزمان (برصوما) مطران نصيبين، وثبتها في الشرق، ولذلك تكاثرت النسطورية في العراق والموصل والجزيرة.

وفي هذا العصر أصبح النسطوريون يسمون (الكلدان) أو (الأشوريين)، ويسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما.

وقد تطور إعتقاد النسطوريين في المسيح فأصبح إعتقادهم فيه أن فيه (أقنومين) كما أن فيه طبيعتين، وقد إلتصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار منهما رؤية واحدة، وقد أدخلتهم كنيسة روما في سلطانهم، رغم الاختلاف العقائدي بين الكنيستين.

وهذا يدل على أمرين كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة[2]:

أحدهما: أن الكنيسة الرومانية التي كانت تتشدد في القرون الخالية في طرد كل من يخالف معتقدها، قد تساهلت في هذا الزمان، فوسعت صدرها للمخالفين لها، وتأولت لهم، لتدخلهم في حظيرتها.

---

(1) المصدر السابق: 138، 139.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 158، 159.

ثانيهما: أن النسطوريين قد إنحرفوا عن مبادئ نسطور، لأن نسطور لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة، لا بالحقيقة، كما أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الإلهي خلواً تاماً، وكان يقول بأن مريم ولدت الإنسان فقط، بينما أتباعه قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت، وبذلك إنحرفوا عن مقالة لسطور.

ومن تقاليدهم أن أساقفتهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وذلك منذ سنة 1830م.

6- الكنيسة السريانية: وهم طوائف من المسيحيين الآسيويين يقولون: أن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصر) لكنهم يعترفون برئاسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم، وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم، وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسية لهم[1].

7- الكنيسة الأرمنية: وهم طائفة مسيحية موطنهم الأصلي (أرمينيا)، وإن كانوا ينتشرون كأقليات صغيرة متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان، ويعتقدون في المسيح إعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة، كما أنِ لهم بطاركة مستقلين بهم، لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى[2].

8- الكنيسة البروتستنتية أو حركة الإصلاح الديني:

تمهيد[3]:

حالة المسيحية في الغرب لم تقنع العقل الإنساني بصدق تعاليمها، فشعر الشباب الواعي ببعد تعاليم الكنيسة عن طبيعة الإنسانية، فقامت عدة دعوات للإصلاح تريد أن تعدل تعاليم الكنيسة حتى تكون مقنعة للعقل الإنساني.

---

(1) النصرانية والإسلام / محمد عزت طهطاوي: 140.

(2) المصدر السابق: 142.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 127-136..

وقد قامت حركة الإصلاح هذه من خلال إتجاهين: الأول جاء من رجال الكنيسة نفسها، والثاني من خارج رجال الكنيسة.

والحديث عن حالة الكنيسة يستلزم توضيح النقاط التالية:

1- علاقة الكنيسة بالمجتمع وتشمل:

أ- علاقة الكنيسة بالرعية والعلماء: بالغت الكنيسة في فرض تعاليمها على الشعب والعلماء، فلم تسلك لذلك طريق الوعظ والإرشاد، بل سلكت سبيل القهر والعنف والتسلط، فحرمت كل رأي يخالف رأيها، واستتبع ذلك تحريم الأبحاث الطبيعية العلمية، وأصدرت فتاوى التكفير لكل عالم يبحث في مسائل الطبيعة والمعرفة، بل تجاوزت ذلك إلى الحكم بإحراق من يأتي فعلاً من الأفعال التي حرمتها.

فالمجمع الثاني عشر المنعقد عام 1215م يقرر: إستئصال كل من يرى رأياً يخالف رأي الكنيسة ولو كان في العلوم الطبيعية، بل إن الكنيسة راحت تفتش عن العلماء الذين يبحثون في هذه المسائل وتتجسس عليهم، وشكلت لذلك نظام محاكمة عرف في التاريخ بـ (محاكم التفتيش)، ومن الذين قدموا لهذه المحاكم واضطهدتهم: (جاليلو) الفلكي الإيطالي، و(إتين دوليه) الكاتب والناشر الفرنسي، وغيرهما كثير ممن ذهبوا ضحية تعاليم الكنيسة.

ب- علاقة الكنيسة بالحكام والملوك: فرضت الكنيسة أوامرها على الملوك والأمراء -كما فرضتها على سائر الناس- فأصدرت قرارات الحرمان واللعن والطرد لهم.

2- سلوك الكنيسة ذاتها:

أ- الإتاوات: فرضت الكنيسة إتاوات على كل فرد مسيحي طيب السلوك أو سيئ السلوك، وقد استخدموا أساليب غير مهذبة في جمع هذا المال، وقد كان في روما ستة عشر ألفاً من النساء العاهرات اللاتي يستخدمن أعراضهن في الحصول على المال، وقد اعتبرتهن الكنيسة مورداً مالياً لخزانة الكنيسة، ففرضت عليهن الضرائب.

ب- التحكم في تفسير الإنجيل: إستحوذت الكنيسة على أحقية تفسير الأناجيل، وإصدار الفتاوى، ومنعت العقل وحجرت عليه من التفكير، بل طالبت بإلغائه

إن عنَّت له قضية لم يفهمها، ودعت العوام والمثقفين إلى ترويض عقولهم قبول كل شيء غير معقول.

جـ- **مسألة العشاء الرباني**: وهي المسألة التي تقول بها الكنيسة بأن من تناول الخمر والخبز في عيد الفصح يستحيل إلى جسد ودم المسيح، وهذه المسألة أو الإستحالة لم تجد لها زاوية في عقول الشباب الغربي فثار عليها.

د- **سلوك رجال الكنيسة أنفسهم**: قرر المجمع الثاني عشر أن المسيح أعطى كنيسة روما حق منح الغفران لمن تشاء، وتطور هذا القرار إلى وثائق تباع تسمى بـ (صكوك الغفران) والمكتوب فيها: أنا بالسلطان الرسولي المعطى لي، أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة.... وأمحو جميع أقذار المذنب..... أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة.

أما عن السلوك الأخلاقي، فقد حدث أن رجال الكنيسة الذين يزعمون أنهم بلغوا الغاية في الطهارة الروحية، قد انغمسوا في الشهوات وارتكبوا الموبقات واستغلوا سلطانهم الديني.

ظهور المصلحين: وبسبب كل هذه المفاسد الأخلاقية والعقائدية والمالية في الكنيسة الغربية، ظهر الكثير من المصلحين من داخل الكنيسة وخارجها يطالبون بالإصلاح، وكان من أوائل هؤلاء:

يوحنا هوس وتلميذه (جيروم): وكان من أهم أفكارهما بأن الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب، وأن التوبة مع رحمة الله فقط هي الطريق الطبيعي لمحو الآثام وتطهير النفوس من الخطايا، وأن ما يسمى بسر الاعتراف خرافة، وكذلك صكوك الغفران، لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح.

ولكن الكنيسة رأت أن ذلك هدم لكيانها، فانعقد (مجموع كونستانس) مدة

أربعة أعوام (1414-1418) للنظرة في ثورة يوحنا هوس وتلميذه جيروم، وقرر المجمع قتل العالمين الثائرين حرقاً بالنار لما يقولانه من هرطقة.

ثم ظهر (آرزم) الذي دعا إلى قراءة الكتب المقدسة من مصادرها، ثم كان (توماس مور) وهو إنجليزي ثار على طقوس الكنيسة، وأعلن أن سيادة البابا واجبة مع وجوب إصلاح الكنيسة.

وكان آخر المعارضين (مارتن لوثر) الذي يعد أول من أدخل حركة الإصلاح إلى مرحلة الثورة والتمرد على نظام الكنيسة، فكان ينادي بأعلى صوته: أن صكوك الغفران دجل، وأن الذنب لا يغفر إلا بالندم والإقلاع عن المعاصي، وطالب الكنيسة بإلغاء صكوك الغفران، وأعلن أن البابا ليس خليفة المسيح، وأن زواج القساوسة أمر ضروري لإصلاح نفسية رجال الدين، وأن كل مسيحي له الحق في فهم الكتاب المقدس، بل وطالب بإنكار مبدأ الاستحالة في العشاء الرباني[1].

وقد سميت ثورة (مارتن لوثر) بثورة الإصلاح الديني، ورغم أنها كانت ثورة شاملة زلزلت أركان الكنيسة الغربية وخرجت على نظامها، وحدّت من طغيانها وطاعة الناس العمياء لها، إلا أنها لم تكن إصلاحاً عقائدياً دخل في عمق جوهر الفساد العقائدي الذي طرأ على المسيحية، فلم يبطل البروتستانت أصلاً من أصول المسيحية، ولم تتطرق للموضوعات العقائدية المهمة كالتثليث وقرارات المجامع المتلاحقة المتناقضة التي كان يلعن بعضها بعضاً، ولم تتعرض لمسألة طبيعة المسيح عليه السلام وما دار حولها من جدل طويل وخلاف حاد وانقسام بين الكنائس، ولم تتعرض إلى مسألة الصلب التي اعتقدها النصارى وما لحقها من عقائد الفداء والتكفير والتضحية[2].

لقد اقتصرت حركة الإصلاح على الشكليات والممارسات الخاطئة لرجال الكنيسة، ونستطيع أن نقول: أن حركة الإصلاح لم تكن إصلاحاً للمسيحية، وإنما كانت إصلاحاً للكنيسة.

---

(1) مقارنة أديان / جامعة القدس: 307.

(2) المصدر السابق: 307.

إذن فقد كانت حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر بداية الطريق للثورة على الكنيسة وأنظمتها، وقد سمي أتباعها بالبروتستانت وهي كلمة لاتينية تعني (المحتجون)، وبسبب ملاحقة الكنيسة لأتباع هذه الحركة أنشأوا كنيسة خاصة بهم، لها أصولها وطقوسها الخاصة، سميت بالكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية، إشارة منهم إلى أن الإنجيل هو المصدر الوحيد لفهم المسيحية بعيداً عن تفسيرات رجال الدين.

وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.

وقبل أن نبين أفكار وتعاليم البروتستانت، لابد من ذكر أهم مراحل حياة مارتن لوثر وتلميذه كلفن، لأنها تعطي تصوراً واضحاً عن أسباب ظهور هذه الحركة، فمن هو مارتن لوثر[1]:

1- ولد عام 1482 من أسرة فقيرة، ومع ذلك فقد أجهد والده نفسه ليواصل لوثر دراساته العليا في القانون فأرسله إلى الجامعة.

2- كانت ميول لوثر دينية أكثر منها قانونية، فعكف على دراسة اللاهوت.

3- كانت له مشاعر دينية مرهفة جعلته محل عناية من الكنيسة فأوصوا به خيراً فعين مدرساً للفلسفة.

4- ظل يعكف على دراسة الفلسفة حتى شكَّ في صلاحيتها، وكان يرى أن أرسطو واحد من عبدة الأوثان.

5- دفعته عواطفه الدينية إلى أن يحج إلى روما لتحل عليه بركات من البابا، وما أن وطئت قدماه روما حتى اصطدمت مشاعره وآماله بخيبة كبرى، فقد كان قبل ذلك يحلم بأنه سوف يقابل خشوعاً وورعاً وتنسكاً وطهراً ووقاراً، فإذا به يجد مدينة ماجنة خليعة، ونفوساً مدنسة، واستهانة بالدين، وجرأة على ارتكاب الخطايا، ووجد رجال الدين قد انغمسوا في شهواتهم، فانفعلت مشاعره والتهب وجدانه مما رأى.

6- فلما رجع إلى ألمانيا أخذ يدعو إلى الإصلاح، وفي أثناء ذلك أعلنت الكنيسة ما

(1) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلبي: 133-135.

يسمى بصكوك الغفران، فأعلن لوثر أنه لا يغفر الذنب إلا بالإقلاع والندم ورجاء رحمة الله الغفار، وكتب منشورات يلعن فيها بيع صكوك الغفران، وعلقها على أبواب الكنيسة، فتهيج الرأي العام وتنبه، فغضب البابا.

7- قدم لمحاكم التفتيش بعد ذلك، فلم يذهب، فأصدر البابا قراراً بحرمان لوثر، فثارت ثائرته، واشتد في عدائه، وأعلن الإمبراطور حرمانه من الحقوق المدنية بناء على قرار البابا بالحرمان، ولكن أمير سكسونية إستطاع حماية لوثر، ولما حاول الإمبراطور أن ينفذ قراره منعته القوة الشعبية لأفكار لوثر، واحتجوا فسموا بعدها بالبروتستانت، حتى مات لوثر.

8- وبعد موته، أنزل الإمبراطور بالبروتستانت أشد أنواع العذاب.

أما كلفن فمن أهم ملامح حياته[1]:

1- ولد عام 1509 في فرنسا.

2- تشابه حياته الثقافية حياة لوثر، فقد التحق بالدراسات القانونية، ثم تركها لدراسة اللاهوت.

3- عندما شاعت تعاليم لوثر أخذ كلفن الفرنسي في مساعدتها والدعوة إليها.

4- سافر إلى جنيف بسويسرا للتأليف ونصرة مبادئ لوثر.

5- كتاباته الأصل الأساسي في تنظيمات الكنيسة البروتستانتية.

6- يرى أن المسيح لا يحضر العشاء الرباني، لا بشخصه، ولا بروحه، وتناول العشاء رمز إلى مجيء المسيح، لا أنه يجيء حقيقة أو مجازاً؟

أهم مبادئ حركة الإصلاح الديني أو الكنيسة البروتستانتية[2]:

1- جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية، ورد كل الأحكام التي لم ترد فيه، وجعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس

---

(1) المصدر السابق: 136.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 184-188، والمسيحية / د.أحمد شلبي: 214. ومقارنة أديان / جامعة القدس: 308.

وحدها، وقياس كل أوامر الكنيسة وقرارات المجامع على ما نص عليه في ذلك الكتاب فما وافقه قبل، وما خالفه رفض، ولو كان قد صدر عن البابا.

2- ليس لكنائس البروتستانت رئاسة عامة، فلكل كنيسة رئاستها، والكنيسة ليس لها سلطان إلا الوعظ والإرشاد، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية، وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه.

3- ليس للكنيسة حق غفران السيئات، فإذا كان لها سلطان الوعظ والإرشاد لمن لا يستطيع معرفة أوامر الدين من تلقاء نفسه، فليس لها سلطان في محو الذنب، أو ستره، أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها، سواء أكانت تلك هي المسحة الأخيرة عند الاحتضار، أم كانت قبل ذلك، فكل ذلك ليس لها فيه سلطان، لأنه من عمل الديان.

وباختصار فإنهم اعتبروا غفران الذنوب يرجع إلى عمل الشخص وعفو الإله، وتوبة العاصي وندمه على ما فات ولومه نفسه على ما كان.

4- من حق كل مسيحي قادر أن يقرأ الكتاب وأن يفسره، فحق التفسير والفهم للكتاب المقدس، لم يعد مقصوراً على رجال الدين، وبهذا فقد أزال البروتستانت ذلك الحجاب الذي أقيم بين المسيحي وكتابه، إذ أقامه رجال الدين ليحتجزوا حق تفسير الكتاب المقدس لأنفسهم.

5- عدم الصلاة بلغة غير مفهومة، وترجمة الكتاب المقدس للغات مختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم، وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها، لأن الصلاة دعاء من العبد للمعبود وانصراف القلب إليه، فوجب أن يكون بألفاظ يفهمها العابد ليردد معانيها ويقصد مراميها.

6- لا علاقة للعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه، وليس هو إلا تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم، وتحملت الخليقة من بعد وزرها، وتذكار لمجيئه ليدين الناس، فهو تذكار للماضي والمستقبل، وهم ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه.

7- إنكار الرهبنة، وعدم الاعتراف بضرورة الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الدين، واعتبروا أن ذلك الحظر قد أدى لكبت الجسد الإنساني وتعذيبه من غير ضرورة، وأنه لا يوجد نص في الكتب القديمة يفيد ذلك.

8- عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وعدم السجود لها، فذلك للوثنية أقرب، وهو منهي عنه في التوراة.

9- لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور في الهيكل.

10- لا تؤمن بالأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية.

11- لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

9- **طوائف البروتستانت**(1): البروتستانت الذين انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، اختلفوا فيما بعد، وتعددت طوائفهم بعد ذلك، وكان من طلائع الانقسامات في داخل هذه الطائفة:

أ- **جماعة الأصدقاء**: الذين ظهروا في إنجلترا قبيل نهاية القرن السابع عشر، وكانوا يؤمنون بأن الدين الصحيح الذين يسمونه النور الباطن، هو في داخل المرء، وأنه حيثما يجتمع المؤمنون الحقيقيون كان مكان الاجتماع أرضاً مقدسة، وقد كانوا يجتمعون في بيوت خاصة وفي الحظائر وفي الهواء الطلق وفي الأسواق، وكانت اجتماعاتهم تشبه اجتماعات الأصدقاء، وقد اضطهدوا في إنجلترا، وهاجر الكثيرون منهم إلى أمريكا، ولكن معاملتهم في أمريكا لم تكن أحسن حالاً من معاملتهم في إنجلترا، حتى اتخذ آخر أتباع هذه الطائفة مستعمرة لهم في بنسلفانيا ونيوجرسي.

ب- **المورمونيه**(2): وقد أنشئت المورمونية منذ قرن من الزمان، أنشأها (جوزيف سميث) بولاية نيورك، وادعى أنه وجد كتاباً مكتوباً على أوراق من الذهب كشفها له ملك من السماء اسمه (موروني)، وقد نظم مع بعض الأصدقاء كنيسة جديدة أسموها (كنيسة يسوع لقديسي اليوم الأخير).

وقد أنشئت هذه الكنيسة في وسط ديني أمريكي يستعمل قصص الأساطير المقدسة النبوئية، ويتصف تطورها المبكر بالغموض وباضطهاد الكنائس السائدة آنذاك، والسلطات المحلية لها، لكن ما إن حلّ عام (1877) حتى ازداد عدد أتباعها، حتى أصبح هذا المذهب حسب إحصاءات أخيرة هو من أكثر المذاهب إزدياداً في أمريكا اليوم.

---

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر: 460-463.

(2) من أجل صهيون / د. فؤاد شعبان: 97-99.

ومؤسس هذا المذهب (سميث)، أثار قلقه الجدال والحماس الدينيين الكبيرين اللذين كانا سائدين في فترة شبابه، حيث لم يجد إجابات عن أسئلة كثيرة كانت تراوده عن الدين، إدعى بعد ذلك أنه جاءه في الحلم (الأب والإبن) ونصحاه ألا يأبه بهذه المذاهب، وبشراه بأنه سيكون له شأن كبير في مستقبل المسيحية، ثم أتاه في حلم آخر ملاك اسمه (موروني) ونبأه أن الله اختاره نبياً لحمل الرسالة المقدسة إلى العالم. وأخبره أن ألواح الدين الصحيح التي حملتها القبيلة الإسرائيلية التائهة (المفقودة) مخبأة تحت صخرة معينة في ولاية نيورك، ذهب سميث إلى ذلك المكان، حيث وجد الألواح ومعها (نظارة ترجمة) خاصة بها، إستعملها ليترجم بواسطتها نصوص تلك الألواح إلى اللغة الإنجليزية، وأصبح هذا الكتاب هو الكتاب المقدس لدى مذهب المورمون، ويسمى (كتاب المورمون)، وقد إدعى سميث بعد ذلك أن الألواح فقدت، وقبل فقدها عرضها على ثمانية من أتباعه المخلصين، ووقع هؤلاء الأشخاص على وثيقة بذلك، وهي تتصدر كل طبعات كتاب المورمون، وهذا الكتاب هو خليط غريب من نصوص العهد القديم والأساطير الشعبية والمعتقدات المعاصرة الرائجة.

يقول الكتاب: إن القبيلة الإسرائيلية الثانية عشرة استقرت في القارة الأمريكية الشمالية، وأتت معها بهذه الألواح، وإن سكان أمريكا الأصليين هم بقايا هذه القبيلة، وهكذا نقل هذا المذهب فكرة أرض الميعاد إلى أمريكا في بيئة دينية شهدت ظهور عدد من الحركات والمذاهب الدينية تؤمن بإعادة إنشاء مملكة الله على تلة صهيون، وتأسيس إسرائيل الجديدة، والتي تشمل إعادة بناء الهيكل في قدس جديدة في أمريكا.

وفي هذا الكتاب تتحدث (إستير) عن: قدس جديدة ستنشأ في أمريكا، وتصف هذه المدينة مراراً على أنها: الموقع المعد للقدس الجديدة التي ستهبط من السماء، وتكون موئل الرب وحرمه.

وقد تعرض أتباع مذهب المورمون للسخرية والإضطهاد حيثما حلَّ بهم المقام، حتى إن سميث وأخوه قتلا في سجن مدينة (كارتج)، مما أدى إلى ظهور قائد جديد (بريغام يونغ) قادهم إلى حيث يستطيعون العثور على (صهيون الجديدة في القفار)، وانتهى بهم المطاف في منطقة (سوت ليك سيتي) بولاية (يوتا)، حيث استقروا وشيدوا (هيكل القدس الجديدة)، الذي مازال المركز الرئيسي لأتباع هذا المذهب، وكان

إستقرارهم في هذه المنطقة بالنسبة لهم تحقيق معجزة سماوية دعمت (رؤيا صهيون) في تفكيرهم الديني، وجعلتهم يكرسون أنفسهم لتحقيق نبودة إعادة تشييد الهيكل، حيث بني هيكل كنيسة المورمون في سولت ليك سيتي.

ومع أن أتباع كنيسة المورمون لا يعتبرون أنفسهم من البروتستانت ويؤرخون لبدايتهم في العهد القديم، إلا أن (قدسهم الجديدة) ليست في نظرهم بديلاً (للقدس القديمة) و (لمملكة صهيون)، التي وردت في النبوءات، بل إن مذهب المورمون يصر على جمع شتات اليهود في فلسطين سيحدث لا محالة تحقيقاً لنبوءات النصوص المقدسة، وفي كتاب المورمون تقول استير: لكن القدس القديمة أيضاً ستأتي وسيبارك الله سكانها لأنهم شركاء في العهد الذي قطعه الرب على نفسه لأبيهم إبراهيم.

جـ- طائفة (كريستيان ساينس): ومؤسستها هي (مسز ماري بتلر إيدي)، وقد أنشأتها قبل خمسين عاماً، ووضعت كتاباً إسمه (العلم والصحة) كدليل إلى الإنجيل، وحاولت فيه أن تفسر كيف يمكن شفاء المريض بالإيمان، ونظمت كنيسة خاصة بها، وأسمتها الكنيسة الأولى للمسيح في العالم، وسرعان ما وجدت مسز إيدي عدة أتباع في أمريكا وفي غيرها من البلاد.

ومن الملاحظ أن هذه الطوائف يختلف بعضها عن الآخر، إلى حد أنهم لا يكادون يبدون فروعاً لدين واحد.

10- الإنجيليون أو (المسيحيون الصهيونيون)[1]:

فقد استهدفت منظمات يهودية في أمريكا الكنيسة بوصفها ميداناً ومجالاً لتوليد المشاعر والآراء المناصرة لدولة إسرائيل، فالكنائس تمارس النفوذ من خلال برامج الدراسة وما تذيعه عبر الإذاعة والتلفاز والنشرات الإخبارية والصحف والدوريات التي تصل إلى الملايين من الناس.

كما أن الكنائس تدير مئات الجامعات والندوات والصحف وعدداً ضخماً من المدارس الإبتدائية والثانوية، وعلى الرغم من العلمانية الظاهرة في الحياة الغربية، فإن الكنائس تظل مصدراً مهماً للمؤثرات الخلقية والثقافية والعقائدية في تلك المجتمعات.

---

(1) قبل الكارثة نذير ونفير / عبد العزيز بن مصطفى كامل: 238-241.

وبمرور الوقت إستطاع اليهود من خلال منظماتهم المعنية بالعلاقات مع الطوائف أن يكيفوا الأوضاع معها على نحو يستفيدون منه في تحقيق أهدافهم البعيدة المدى.

والمنظمات اليهودية تركز على التعاون مع كنائس البروتستانت، لأن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين البروتستانت واليهود من النواحي الاعتقادية، فاليهود إستطاعوا إستغلال إعتقاد البروتستانت بنصوص الكتاب المقدس كما هي اليهود، وعدم الإلتزام بالنصوص الجديدة التي أضافها المسيحيون لأسفار العهد القديم.

فالإنجيليون هم أتباع (الكنيسة الإنكليكانية) أو الإنجيلية، ويسمون إعلامياً بالمسيحيين الأصوليين، ويمثلون تياراً قوياً جديداً في أمريكا.

والإنجيليون يتبعون المذهب البروتستانتي، ولهم أنشطة واسعة الانتشار، وهم الذين جعلوا الرئيس الأمريكي الراحل (ريغان) يوافق على أن العام (1984)م هو عام الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ويمثلون أقوى الفئات المسيحية في أمريكا، ويرون أن بناء الهيكل في القدس يقرب إلى يوم (مجدو)، وبالتالي يسرع في قدوم المسيح حسب تنبؤات (الكتاب المقدس)، لذلك فهم يدعمون التوجه الإسرائيلي نحو هدم المسجد الأقصى، بالرغم من اقتناعهم بأن هذا الحدث ينتج عنه اشتعال الحرب العالمية الثالثة.

وتقيم الكنيسة الإنجيلية تحالفاً معلناً وصريحاً ليس فقط مع إسرائيل الدولة، بل مع الحركات والمنظمات الدينية اليهودية المعنية بإعادة بناء الهيكل، وقد أنشئت (مؤسسة الهيكل المقدس اليهودية) بأموال ودعم من تلك الكنيسة.

وأتباع الكنيسة الإنجيلية كما تمَّ تقدير عددهم في الثمانينيات يبلغون خمسة وثمانين مليون شخص. والأنشطة التي يقوم بها الإنجيليون واسعة النطاق، فكتبهم تزيد على ثلث مجموع الكتب التي يشتريها الجمهور، ويملكون ويديرون (1300) محطة إذاعة، أي محطة بين كل سبع محطات في الولايات المتحدة، وفي أواخر السبعينيات كانت تفتح محطة تلفزيونية إنجيلية جديدة كل ثلاثين يوماً، وتجتذب المدارس الإنجيلية أكبر عدد من طلاب المدارس الخاصة.

وتنظم الكنيسة رحلات دورية سياحية دينية للقدس لزيارة الأماكن اليهودية والمسيحية المقدسة لديهم، وهناك نحو مائتين وخمسين منظمة تحمل أفكار الإنجيليين

بدأت حرباً مكشوفة ضد المسلمين في الولايات المتحدة، إلى جانب عونها المتزايد لليهود، ويقوم فريق من أبرز نجوم السينما والتلفزيون في أمريكا بتأييد إسرائيل في برامجهم بصورة منتظمة، وتقوم هذه المنظمات بجهود لجمع التبرعات من المسيحيين الأمريكيين بشكل عام لصالح إسرائيل، وقامت بعض المنظمات بإنشاء فروع لها في الأرض المحتلة للمشاركة المباشرة في مشروع إنشاء المعبد الثالث (الهيكل).

ومن أهم المنظمات المسيحية المتصهينة، والتي تدعم مشروعات إسرائيل انطلاقاً من تعاليم الكنيسة الإنجيلية[1]:

1- السفارة المسيحية الدولية في القدس: أنشأها الإنجيليون في 1980م، وتعمدوا أن يكون مقرها في القدس لمغزى واضح، وأصدرت تلك السفارة فور إنشائها نشرة استهلتها بعبارة: (ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامية)، ثم قالت: (إن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي، وعن كثير من العداء للسامية في أنحاء العالم، وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط وأمم أخرى في العالم أغلبيتها من المسلمين، ومسؤولة عن فكرة الابتزاز النفطي ضد أمم العالم التي تساند إسرائيل، والإسلام مسؤول عن السخرية الكبيرة من الله؟! إذ إن هناك مسجداً إسلامياً في أقدس بقعة في جبل موريا، وهذا وصمة عار للموقع المقدس للهيكل).

وللسفارة المسيحية خمس عشرة قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بأنواع متباينة من الأنشطة الفعالة لصالح (إسرائيل)، عبرت عنها جريدة (الجيروز لم بوست) بأنه يشمل: تشجيع كل نوع من الدعاية للقضية اليهودية في الصحافة والإذاعة والأفلام والمساجلات والاجتماعات وما يسمى بـ (ليالي حب إسرائيل).

2- منظمة الأغلبية الأخلاقية: وهي التي أسسها القس (جيري فالويل) سنة 1979م، وهي ذات توجه سياسي ديني، لها برنامج إذاعي وتلفزيوني يومي يستمر ساعة كاملة، واسمه (ساعة الإنجيل)، تبثه ستمائة محطة في أنحاء أمريكا، وكان فالويل يقود (صلاة الأحد) التي تذاع من خلال أربعمائة محطة تلفزيونية لمدة ساعة.

---

(1) المصدر السابق: 242-250.

أما زعيم هذه المنظمة فهو من أكثر الداعين إلى دعم إسرائيل في اليمين الديني، وهو أحد كهنة كنيسة (توماس رود) المعمدانية بفرجينيا، وتوضح أقواله عن الشرق الأوسط الجمع بين الأفكار الاستراتيجية واللاهوتية لدعم إسرائيل، فهو يقول: إن إسرائيل قلعة الديمقراطية في جزء من العالم يتصف بما يشبه الجنون.....ويقول أيضا: لا خيار للولايات المتحدة، فإذا أرادت هذه الأمة لحقولها أن تبقى بيضاء بالقمح، ولمنجزاتها العلمية أن تبقى، ولحريتها أن تظل مصونة، فينبغي لها أن تقف إلى جانب إسرائيل.

وينظم فالويل من خلال منظمته رحلات إلى الأرض المقدسة، ويضم أبرز جوانب الرحلة زيارات لوادي (مجدو)، ومواقع توارتية أخرى.

3- **هيئة المائدة المستديرة الدينية**: تأسست سنة (1979م) لتنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي، وتضم عدداً كبيراً من أضخم المنظمات ومن أنجح العاملين لليمين الديني، ومن هذه المنظمات (مترجمو الكتاب المقدس)، و (عصبة الكنيسة في أمريكا)، وهي منظمة أبحاث تعمل في غاية السرية ولديها ملفات عن آلاف الشخصيات في العالم، ويتبع الهيئة أيضاً الكنيسة الميثودية المتحدة وكنائس أخرى.

4- **حملة الحرم الجامعي من أجل المسيح**: يرأسها (بل برايت)، ولها برنامج واسع الانتشار بين الطلاب في الجامعة، وهي تحمل نفس مفاهيم الطائفة الإنجيلية، وتشارك فيما يسمى (دعاء الفطور القومي من أجل إسرائيل)، وتنفق على برامجها (90) مليون دولار سنوياً.

5- **مؤسسة جبل الهيكل**: أسسها (تيري ريزنهوفر) من أجل العمل على تحقيق النبوءة التوراتية بشأن بناء الهيكل الثالث، وقد جمعت هذه المؤسسة عشرة ملايين دولار لتستخدمها في تقديم المعونة لبناء المستوطنات وشراء الأراضي من الأوقاف الدينية الإسلامية، والمساعدة في مشروع إعادة بناء هيكل سليمان، وشارك (ريزنهوفر) في تنظيم حملة في 1983م للاحتجاج على القبض على المستوطنين الإسرائيليين المتورطين في مؤامرة ضد المسجد الأقصى، وتبرع بتكاليف الدفاع عنهم، ولثرائه الكبير تبرع بمبالغ ضخمة لمنظمة (الهيكل المقدس).

6- **مؤسسة (بات روبرتسون)**: أسسها هذا القس باسمه لتغطي الخدمات الإعلامية التي تخص الكنيسة، وهي تضم شبكة إذاعية وتلفزيونية سماها (شبكة البث المسيحي)، وهي تستخدم الأقمار الصناعية في بث برامجها وتغطي أكثر من (22) دولة.

وقد تطورت مؤسسة (بات روبرتسون) بعد أن انضمت إليها منظمات ومجموعات أخرى، فيما سمي بـ (التحالف المسيحي الصهيوني)، وقد كانت أصوات أعضاء هذا التحالف القوي وراء انتخاب أغلبية جمهورية في الكونجرس الأمريكي لعام 1994م، لضمان وقوف الحزب وراء تنفيذ سياستهم ذات التوجه الديني، ووقف التحالف أيضاً مرة أخرى مع الحزب الجمهوري في انتخابات عام 1998م، حيث فاز الحزب الجمهوري بأغلبية ساحقة، مكنت التحالف المسيحي من دفع الكونجرس إلى قرار ملزم للرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وكما جاء فوز الرئيس (بوش)، نتيجة وقوف الاتجاهات المسيحية الصهيونية بقوة إلى جانبه في الانتخابات، فقد أعد (بات روبتسون) من خلال التحالف الذي يقوده لإيصال رئيس أصولي إنجيلي لرئاسة الولايات المتحدة في انتخابات عام (2000م)، وقد تعهد هذا القس بإطلاق حملة ميزانيتها (21) مليون دولار لتوجيه الناخبين الأصوليين إلى مراكز الاقتراع لصالح المرشح الذي يختارونه، وقفت خطته بتجنيد مليون و (500) ألف حركي لضمان حب (15) مليون صوت في خانة المرشح المتوافق مع مطالبه.

7- **المنظمة المسيحية للقدس**: أنشئت من أجل الدعاية للقدس بين الدول المسيحية، على اعتبار أنها أصبحت عاصمة لإسرائيل، وأنشأت فروعاً لها في سبع وثلاثين دولة أوروبية وأمريكية.

8- **كنائس مايك إيفانز.**

9- **منظمة الإنجيليين المتحدين من أجل صهيون.**

10- **جماعة (تاف)، وهو الاسم الأخير من الأبجدية العبرية.**

11- **جماعة جسور السلام.**

وفي الفترة الواقعة ما بين 27 إلى 29 آب من عام (1985) عقد في مدينة بال بسويسرا ما يسمى بـ المؤتمر الدولي للقيادات المسيحية الصهيونية المؤيدة لإسرائيل).

وقد أصدر المؤتمرون بياناً من مقدمة ومبادئ وقرارات، وقد طالب البيان المسيحيين أن يصلوا من أجل (مملكة الرب القادمة)؟!، وقد نظمت المؤتمر (السفارة المسيحية الدولية في القدس)، وبلغ عدد أعضاء المؤتمر (589) شخصاً قدموا من سبع وعشرين دولة في العالم، وناقش المؤتمر الأسس اللاهوتية للالتزام المسيحي مع إسرائيل بوعود الرجوع إلى أرض الميعاد.

الباب الثالث

الأديان الوضعية الحية


www.al-maktabeh.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الأول

الديانة الهندوسية

المبحث الأول: الأصول التاريخية ونشأة الهندوسية

المبحث الثاني: عقائد الهندوس

1- الألوهية

2- الثواب والعقاب عند الهندوس:

أ- الكارما ب- تناسخ الأرواح

ج- الإنطلاق د- وحدة الوجود

المبحث الثالث: شعائر وعبادات الهندوس:

1- الطهارة 2- الصلاة

3- إحراق الموتى 4- الدخول إلى الديانة

المبحث الرابع: تشريعات الهندوس ونظامهم الأخلاقي:

1- المرأة في التشريع الهندوسي 2- الزواج والطلاق

3- نماذج من تشريعات الهندوس وأخلاقهم

المبحث الخامس: نظام الطبقات عند الهندوس:

1- البراهمة 2- الكشترية

3- الويشية 4- الشودر

المبحث السادس: كتب الهندوسية المقدسة



المبحث الأول

الأصول التاريخية ونشأة الهندوسية

الهندوسية ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، قامت على أنقاض الويدية، وتشربت أفكارها، وتسلمت عن طريقها الملامح الهندية القديمة والأساطير الروحانية المختلفة التي نمت في شبه الجزيرة قبل دخول الآريين.

وتسمى الهندوسية أو الهندوكية، إذ تمثلت فيها تقاليد الهند وعاداتهم وأخلاقهم وصور حياتهم، وأطلق عليها (البرهمية) ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى (براهما)، ومنه اشتقت الكلمة (البراهمة)[1].

الأصول التاريخية[2]: يرجع سكان الهند بأصولهم إلى ثلاثة عناصر أساسية: (العنصر التوراني)، و(العنصر الدرافيدي)، و(العنصر الآري).

أما التورانيون فهم سكان البلاد الأصليون، ولم يعرف متى كانت وفادتهم إليها، فقد امتازوا بقصر القامة والألوان القاتمة، وكان لهم شيء من الرقي في الفن المعماري والشؤون الزراعية.

والدرافيديون حلوا في شبه الجزيرة الهندية قبل الميلاد بحوالي ثلاثة آلاف سنة. أما العنصر الأخير فهو العنصر الآري الأبيض الذي وفد إلى البلاد من شمال أوروبا، فقد امتازوا بطول القامة وبياض البشرة، والمعروف أن قسماً من القبائل الآرية إستقر

(1) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 39

(2) الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى/ د.محمد العربي: 9-11

في بلاد فارس وأعطاها اسم (إيران)، أما القسم الآخر فاتجه إلى الشرق الأقصى عبر سفوح جبال الهملايا واقتحموا الهند من بابها الغربي.

كان الآريون، في بداية أمرهم يهتمون برعاية الماشية، إلا أنهم تحولوا إلى الزراعة وأحكموا سيطرتهم على التورانيين، وأبقوا على شعورهم المتعالي والمتفوق على العنصر التوراني، وهو شعور سوف يتكرس فيما بعد دينياً لقيام العقيدة على أساس التميز الطبقي.

وقد أشار غوستاف لوبون إلى مدى نفوذ كل من العرقين (الأصفر والأبيض) في بلاد الهند، فيقول: التورانيون هم اشد الغزاة تأثيراً على سكان البلاد الهندية من الناحية الجسمانية، والآريون تركوا أقوى الأثر في عروق الهند من الناحية المدنية، وهكذا فإن سكان الهند أخذوا عن التورانيين نسب أجسامهم وأشكال وجوههم، وعن الآريين أخذوا اللغة والدين والقوانين والسجايا والطباع.

إن التمازج بين الآريين والتورانيين لم يحصل دفعة واحدة، إذ احتاج إلى فترة زمنية طويلة، وأتت العقيدة الدينية لترسيخ التمايز الطبقي لتبقى الأفضلية للعنصر الآري، فتشكلت من الآريين طبقة رجال الدين (البراهمة وطبقة المحاربين)، ومن التورانيين تكونت طبقة الصناع والتجار وطبقة المحاربين، أما الطبقة الرابعة وهي طبقة الخدم أو العبيد، فتكونت من بقايا السكان الأصليين من الهنود (ويسمون أيضاً بالمنبوذين).

وقد أثرّ إختلاف السكان في الهند على عدد اللغات المتداولة، وقد أحصى غوستاف لوبون (240) لغة، وحوالي (300) لهجة، إذا أن كل قبيلة من القبائل الوافدة إلى الهند إعتزلت في منطقة واستقلت بها يساعدها في ذلك حواجز طبيعية من جبال وأنهار وغابات.

نشأة الهندوسية: ليس هناك مؤسس للهندوسية يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، فالهندوسية دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلاً بعد جيل بعدما وفدوا على الهند، وتغلبوا على سكانها الأصليين واستأثروا بتنظيم المجتمع.

ويمكن القول أن أساس الهندوسية هو عقائد الآريين بعد أن تطورت بسبب اختلاط الآريين وهم في طريقهم إلى الهند بشعوب كثيرة، ثم تأثرت هذه العقائد بعد احتلال الآريين للهند بأفكار السكان الأصليين، وبفلسفات وأفكار نشأت في الهند في مراحل متباعدة من التاريخ.

فالهندوسية أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد والمعتقدات، وتاريخها يوضح استيعابها لشتى المعتقدات والفرائض والسنن، ولذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة[1]

لذا فإن الهندوسية لا تعد ديناً بحتاً، بل هي أوسع من ذلك إذ تشمل المبادئ الدينية والحضارة والعادات والتقاليد والسلوكيات الخاصة بالشعب الهندي، فهي أسلوب في الحياة أكثر مما هو مجموعة من العقائد.

وإذ كان الأمر كذلك، فإننا لا يمكن أن نتكهن بحصرها في شخص بعينه، ولا يمكن إرجاع نشأتها إلى مؤسس واحد أو مجموعة مؤسسين، فهي دين متطور ومجموعة من الأعراف والعادات والتقاليد والأوضاع التي كان عليها الشعب الهندي في مراحل حياته المختلفة، ومرت بإصلاحات وتغييرات كبيرة على مراحل متباعدة من التاريخ.

أما إذا أخذنا الناحية الدينية في المبادئ الهندوسية فإننا نراها ديانة متطورة لم تستمر على نسق معين، بل إن بدايتها كان طوطمية حيث عبد الهنود أرواحاً تسكن الحيوانات والنباتات والكواكب، وقدسوا الأفاعي والثعابين، ومن هذه الآلهة ما استمرت عبادته، ومنها ما لم يستمر[2].

وتشير بعض المصادر إلى أن نشأة الهندوسية كانت نتيجة لاضطرار رجال الدين البراهمة الذين أرادوا محاربة البوذية، فنظروا في دينهم القديم وحاولوا تقريبه إلى العامة بشكل مبسط ومفهوم، فكانت الديانة الهندوسية[3]

---

1 أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 40

(2) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 80، 81

(3) المصدر السابق: 81

المبحث الثاني

عقائد الهندوس

1- **الألوهية عند الهندوس**: يوجد في الفكر الهندوسي فيما يختص بالألوهية نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، وهما نزعة الوحدانية ونزعة التعدد، وإن كانت نزعة التعدد أقوى وأكثر انتشاراً.

وقد بلغ التعدد عند الهنود مبلغاً كبيراً، فقد كان عندهم لكل قوة طبيعية تنفعهم أو تضرهم (إله) يعدونه ويستنصرون به في الشدائد، كالماء والنار والأنهار والجبال وغيرها.

ولم يصل الهندوس إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، وعلى هذا كثرت الآلهة عندهم كثرة زائدة، ولكنهم في وسط هذا التعدد كانوا يميلون أحياناً للتوحيد أو إتجاه قريب منه[1].

إذن فإن الهندوس كانوا في بداية أمرهم ينظرون بإجلال إلى مظاهر الطبيعة وقواها، والتفتوا إلى ضعفهم كبشر حيالها فقدسوها، وجعلوا لكل ظاهرة (الإله) الذي يحركها أو يسكنها، وقدسوا بعض الحيوانات وخاصة البقرة، وفي أسفار الفيدا إشارات حول المرحلة البدائية الأولى للديانات الهندوسية، حيث انتشار عبادة قوى الطبيعة، وهي مرحلة تبدأ من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى مرحلة تدوين الفيدا في القرن الثامن قبل الميلاد[2].

وقد تضمنت الفيدا أناشيد وابتهالات لعدد كبير من الآلهة في تلك المرحلة، وكان من أهمها:

1- **الإله (فارونا)**: إله التدبير والتنظيم للقوى الطبيعية.

2- **الإله (ياما)**: إله الموت، أو الديان الذي يحاكم الموتى على أفعالهم في حياتهم.

3- **الإله (أندرا)**: وهو إله العواصف والحرب.

---

(1) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 47

(2) الديانات الوضعية الحية/ د.محمد العربي:11

وكان للشمس والنار أناشيد كثيرة تعظمها، فقد نظر الهنود الأوائل إلى الظواهر والقوى الطبيعية نظرة إجلال وتقديس وشكر، واعتقدوا أن لهذه الظواهر أرواحاً ونفوساً كامنة فيها تحركها وتسيرها، لذلك تقربوا من مظاهر الطبيعة وعبدوها وقدموا إليها القرابين، واعتبروها آلهة يمكن استرضاؤها ودعوتها لمساعدتهم في حل مشكلاتهم ورفع الأسى والشقاء عنهم[1].

ومع امتداد الزمن بدأ يتكون عندهم الشعور بأن الآلهة تتفاوت في الرتبة والقوة والعظمة، وتنقسم إلى رؤساء ومرؤوسين حتى انتهوا إلى الاعتقاد بوجود الإله الأعظم والأقوى، الذي لا يماثله غيره من الآلهة أو الموجودات.

لقد جمع الكهنة الهنود آلهتهم في إله واحد أعطوه أعظم الصفات وأجلها وأقواها وحصروا فيه القدرة على إخراج العالم إلى الوجود من ذاته ونفسه، وجعلوا قدرته تهيمن على العالم وتحفظه أو تهلكه، لذلك اهتم الكهنة بثلاث صفات هي: الإيجاد والحفظ والتدمير، وأطلقوا على إلههم ثلاثة أسماء: فهو براهما من حيث هو موجد وخالق للعالم، وهو (فشنو) من حيث هو حافظ للعالم وموجوداته، وهو أيضاً شيفا المهلك والمدمر للعالم وما فيه، ومن هذه التعددية في الوحدة ظهر التثليث في الهندوسية[2].

وبراهما اسم (الله) في اللغة السنسكريتية، وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته، لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها لا حد لها، وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالم وجوده[3].

فرأس الثالوث المقدس عند الهندوس هو (براهما)، فهو خالق العالم ابتداء، وبدأت منه الآلهة، وإليه تعود لأنه منشؤها، والروح الإنسانية شعلة من نيرانه المقدسة. ويذهبون إلى أن براهما كان بدء الخليقة وجد من بيضة ذهبية كانت طافية على الماء[4].

---

(1) المصدر السابق: 12، 13

(2) المصدر السابق: 14

(3) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 50

(4) الديانات والعقائد/ أحمد عبد الغفور عطاء: 1/ 95

أما (فشنو) فهو إله الحب الذي ما أكثر ما ينقلب إنساناً ليتقدم بالعون إلى البشر، وأعظم ما يتجسد في فشنو هو شخصية (كرشنا)، وهو في صورته الكرشنية مولود في السجن، يأتي بكثير من أعاجيب البطولة، ويشفي الصم والعمي، ويعاون المصابين بداء البرص، ويذود عن الفقراء، ويبعث الموتى من القبور. لذا فإنهم يقدسونه على أنه هو الذي خلق الكون كله، وأنه هو الذي خلق الأرض، ثم اتخذ له مكاناً في السماء، وهناك يجلس على العرش بجانب زوجته والإلهتين (لاكشمي) و(سري) إلهتي الحظ السعيد والبركة الطيبة[1].

وأما شيفا فعبادته من أقدم وأعمق وأبشع العناصر التي تتألف منها عقيدة الهندوس في الألوهية، وكلمة (شيفا) لفظ أريد به التخفيف من بشاعة هذا الإله، ومعناها الحرفي (العطوف)، مع أنه في الحقيقة إله القسوة والتدمير قبل كل شيء آخر، وهو تجسيد لتلك القوة الكونية التي تعمل واحدة بعد أخرى على تخريب جميع الصور التي تبتدئ فيها حقيقة الكون.

وشيفا لا يظهر عادة إلا في ميادين القتال والمعارك الضخمة والمنازعات الطاحنة، وفي كل هذه الميادين تحل بركته، وهي دائماً بركة قاتلة، لذلك فإن تماثيله المنحوتة في الصخر فهي تمثله وهو يضع فوق رأسه عدداً من الجماجم وتحيط به أرواح الشر حيث يمارس رقصة العبوس والضراوة، تلك الرقصة التي تنتهي بتحطيم العالم، وهكذا يمكن القول بأنه يمثل الدمار ويضع نهاية لكل شيء.

وإلى جانب كل ذلك فإن شيفا يعتبر الدفعة الجارفة نحو التناسل الذي يتغلب على موت الفرد باستمرار الجنس، وهذه الحيوية الخلاقة الناسلة تمثلها الإلهة (شاكتي) زوجة شيفا، ويقول أتباعها أن قوة الآلهة تحولت لكي تتجسد في جسدها، فأصبح لها قوة منفردة، وعندما تكون (شاكتي) غاضبة فإنها ترقص في وحشية وترتعش فوق شيطان. أما عندما تكون راضية، فهي في هذه الحالة تبدو سيدة جميلة شابة، تمنح الحب والتسامح والكرم، وشاكتي تمثل شبح أسود بفم فاغر ولسان متدل، تزدان بالأفاعي،

(1) قصة الديانات/ سليمان مظهر: 95

وترقص على جثة ميتة، وأقراطها رجال موتى، وعقدها سلسلة من جماجم، ووجهها وثدياها تلطخها الدماء، ومن أيديها الأربعة يدان تحملان سيفاً ورأساً مبتوراً. وأما اليدان الأخريان فممدودتان رحمة وحماية، ذلك أنها أيضاً إلهة الأمومة إلى جانب أنها رمز الدمار والموت[1].

هذا هو الثالوث الرئيسي عند الهندوس، فمن يعبد أحد الآلهة الثلاثة فقد عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى، فلا يوجد أي فارق بينها[2].

وإلى جانب هذا الثالوث، هناك أيضاً بضعة آلاف من الآلهة الصغيرة، هناك مثلاً إله آخر هو ابن (شيفا) واسمه (جانيش)، هذا الإله هو الفيل الذي تتجسد فيه الطبيعة الحيوانية للإنسان. كما أن الهندوس يؤلهون (القردة والأفاعي)، وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الآلهة، ولعل أخطر هذه الأفاعي المقدسة أفعى تسمى (ناجا)، لها عند الهندوس منزلة خاصة، فهم يقيمون لها حفلاً دينياً كل عام تقدم لها فيها هي وزملائها من الأفاعي قرابين من اللبن والموز توضع عند مداخل جحورها، وأكبر مراكز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور، فهناك معابد في هذا الإقليم تسكن فيها جموع زاخرة من الأفاعي، حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها، وإذا كانت القردة والأفاعي لها هذه القدسية عند الهندوس، فهناك من الحيوانات الأخرى ما يتمتع هو الآخر بمثل هذه القدسية مثل التماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل والفئران أيضاً! فالهندوسي لا يرى فارقاً بين الحيوان والإنسان، لأن كلاً منها روح، فالأرواح تمضي متنقلة دائماً بين الحيوان والإنسان [3].

وتتمتع البقرة من كل هذه الحيوانات جميعاً بقداسة تعلو على أي قداسة، ولها تماثيل في المعابد والمنازل والميادين، ولها حق الانتقال إلى أي مكان، ولا يجوز للهندوسي أن يمسها بأذى أو يذبحها، وإذا ماتت دفنت بطقوس دينية[4].

---

(1) المصدر السابق: 95-97

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب/ الندوة العالمية للشباب الإسلامي: 2/ 726

(3) قصة الديانات/ سليمان مظهر: 97، 98

(4) الموسوعة الميسرة في الأديان: 2/ 726

أما رأي المهاتما غاندي في عبادة البقر فيقول: إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم، فالفكر الهندي يعتقد أن البقرة أمٌ للإنسان... عندما أرى البقرة لا أرى حيواناً، لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع.. فأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً، ولا تتطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي، وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، ولكن أمنا البقرة تمرض فلا نخسر لها شيئاً ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية[1].

2- **الثواب والعقاب عند الهندوس**: يرتبط موضوع الثواب والعقاب عند الهندوس إرتباطاً وثيقاً بمسألة السلوك البشري، فالثواب والعقاب أو الجزاء على الأفعال لارتباطها ارتباطاً مباشراً بنظرية التناسخ، أو ما يسمى بـ (التقمص)، وقانون الجزاء عندهم له صلة وثيقة بالسلوك البشري، أو الأفعال التي يقوم بها الفرد، ويؤثر على الآخرين، وينعكس على حياتهم خيراً أو شراً.

والثواب والعقاب في الهندوسية يرتبط بعدة عقائد لها صلة وثيقة بموضوع الثواب والعقاب وهي:

أ- **الكارما**: أو قانون الجزاء، وهو قانون ملخصه أن ليس في الكون مكان يفر المرء إليه من جزاء أعماله، ويجب أن يحاسب عليها بالثواب والعقاب طبقاً لناموس العدالة الصارم، وحيث لا يتم دائماً جزاء الإنسان في الحياة الحاضرة فقد قالوا بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء على الروح في الحياة القادمة، وبذلك يتم العدل الإلهي[2].

فقانون الجزاء أو (كارما) هو قانون العلة والمعلول، أو السبب والمسبب عنه، فالإندماج في الكل إنما هو سبب عن العمل الصالح الذي هو سبب ذلك الاندماج،

---

(1) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 32

(2) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 89

فكارما لا يظلم، وقانونه لا يرحم الإنسان بعمله، إن شراً فشر، وإن خيراً فخير، هو نفسه يكتب بيده شقاءه أو سعادته[1].

فالعدل يقضي بالجزاء على كل عمل يقوم به الإنسان، وهذا يحتم إحصاء الحسنات والسيئات في أعمال البشر لينال كال واحد جزاءه، لكن واقع الحياة يكشف أن الجزاء قد لا يحصل، ويموت الظالم دون أن ينال العقاب الذي يستحقه، والمحسن يقضي دون أن ينال الثواب المناسب على أعماله، الحل هو عندهم القول بتناسخ الأرواح، والقول بعودة الروح في جسد جديد وحياة جديدة في رتبة أعلى أو أدنى من التي كان فيها في الحياة السابقة[2].

ب- تناسخ الأرواح: ويطلق عليه أيضاً (تجوال الروح) أو (تكرار المولد)، وهو يعني رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر[3].

وتناسخ الأرواح لا يعني عودة الروح بعد موت صاحبها إلى جسد إنساني مثلها، فليس حتماً أن تنتقل روحه إلى إنسان، بل يجوز أن تحل في كلب أو شجرة، وما يزال تكرار الوفاة فالولادة إلا أبد الآبدين إذا لم تستطع أن تتجرد من الشهوات تجرداً تاماً يصعد بها إلى حيث يمكنها الاتحاد في الكل[4].

والهندوسية تطلق على عودة الروح إلى جسد إنساني (النسخ)، أما إذا جاءت إلى جسد حيواني فيطلقون عليه (المسخ)، ويطلقون على مجيء الروح إلى نبات أو شجر (الفسخ)، ولكن إن عادت الروح إلى جماد فيطلقون عليه (الرسخ).

وسبب تناسخ الروح أو تكرار المولد عند الهندوس يعود إلى أمرين اثنين هما:

أولاً: أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد.

---

(1) الديانات والعقائد/ أحمد عبد الغفور عطار: 1/ 103

(2) الديانات الوضعية الحية/ د.محمد العربي: 63، 64

(3) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 63

(4) الديانات والعقائد/ أحمد عبد الغفور عطار: 1/ 102

ثانياً: أن الروح خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا بدّ من أدائها، فلا مناص إذاً من أن تستوفي شهواتها في حيوات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

فالميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل في هذا الجسد، وإن لم يصلح هذا ففي جسد غيره، فقد خلقت الميول لتستوفى، وإذا لم تستوف لم ينج الإنسان من تكرار المولد، وإذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثماً ولم يقم بحسنة تستوجب المثوبة، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت ببراهما[1].

فتناسخ الأرواح تبطن فكرة الإرتقاء والانعتاق من عالم المادة والشقاء إلى عالم الآلهة، واتحاد الروح (أتمان)[2] الفردية، مع براهما الموجود المطلق الذي لا يقاس به أي شيء من موجودات العالم[3].

والهندوس يرون أن جسد الإنسان المادي هو الذي يولد من جسدي الوالدين، وأما الذي يحركه وينشطه ويسيطر عليه فجسد لطيف يتركب من القوى الأساسية والحواس والقوى الآلية المحركة، والعناصر اللطيفة، والعقل، فإذا حدث ما نسميه الموت، مات الجسد المادي وتوقف وبلى، أما الجسد اللطيف فلا يموت بل يخرج ويعمل مدة من الزمن في آفاق الكون اللطيفة التي تشبه حالة أحلامنا، ثم يعود مسوقاً بالميول والأعمال الماضية- كرة أخرى إلى هذه الحياة متقمصاً جسداً جديداً، وتبدأ بذلك دورة جديدة لهذه الروح، وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية، فتوجد الروح في إنسان أو حيوان أو ثعبان، ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدم من عمل في حياته السابقة[4].

ج- الإنطلاق: وهو له علاقة وثيقة بما سبق ذكره عن اكتمال الميول، فمن أجل أن تتحرر النفس من تكرار المولد وتنقلها من جسم إلى جسم آخر فلا بد لها من طرق

---

(1) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 63

(2) كلمة سنسكريتية تعني في تراث الهندوسية روح العالم، أو مبدأ الحياة، أو الروح المطلقة

(3) الأديان الوضعية الحية/ د.محمد العريبي: 64

(4) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 64

تقود إلى التحرر وتندمج بالروح الأسمى (براهما)[1].

وهذا لن يتم إلا إذا توقفت النفس الإنسانية عن شهواتها في الحياة، وتكون قانعة بما حصلت عليه ولا تطلب مزيداً، فإذا تمّ ذلك نجت الروح من تكرار المولد، وامتزج ببراهما، وهذه الحالة هي التي يعبرون عنها بالإنطلاق، فالإنطلاق هو الإمتزاج ببراهما كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم، لأن هدف الحياة الأسمى هو الإنطلاق من دورات الوجود المتوالية والإندماج في الكائن الأسمى[2].

ويعني هذا أن الزهد والنسك هو طريق الإنطلاق، فالنسك هو أعلى المراتب الدينية في العقيدة الهندوسية، وغاية الناسك الزاهد هي الإنعتاق والخلاص من شرك الرغبات والشهوات والحاجات المادية الرخيصة والدنيئة. فالبؤس، والقضاء على الشهوات والرغبات، ولبس الثياب البالية، وتعذيب النفس، والتسول، هي العناوين الرئيسية لسلوك الراهب الهندوسي المنصرف إلى العبادة، وبها يتحدد نظامهم الحياتي، وقد حددت أربع مراحل لا بد للناسك الهندوسي من المرور بها ومدة كل واحدة خمس وعشرون سنة، على أساس أنه متوسط العمر عندهم هو مئة سنة.

أما الدور الأول: فهو دور التربية والتنشئة الروحية والعقلية والجسدية.

والدور الثاني: يتم فيه بناء أسرة متكاملة فيكون للمريد زوجة وأبناء.

وفي الدور الثالث: ينتقل الزوج والزوجة من العلائق العائلية للانصراف إلى الخدمة الإجتماعية والإهتمامات العامة.

ويتوج الدور الرابع المراحل السابقة، إذ يتحول الهندوسي من الأمور الشخصية والأسرية والإجتماعية إلى ترك أمور الدنيا ومشاغلها، وينصرف إلى الرياضة الروحية وإعداد نفسه للذوبان بالروح المطلقة[3].

فالهندوسية قسمت الحياة إلى مراحل، ويتعين عندهم إجتياز هذه المراحل بنجاح

(1) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 90

(2) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 66

(3) الديانات الوضعية/ د.محمد العربي: 65

حتى يتحرر الفرد نهائياً من الديون والإستحقاقات، فهي فرصة النفس لتحرر ذاتها من دائرة الميلاد والموت، وعدد هذه الديون ثلاثة، يمكن الوفاء بها بالدراسة ليوفي دين الحكماء والمعلمين، وبإنجاب الأطفال ليوفي دين الآباء والأسلاف، وبتقديم القرابين ليوفي دين الآلهة، وعند الوفاء بهذه الالتزامات للمجتمع والآلهة يمكن للشخص أن يركز بصورة خاصة على التأمل والتركيز المطلوبين للتحرير الكامل للنفس. وبعد هذه المراحل الثلاثة تتسم المرحلة الرابعة والأخيرة بالتخلي الكامل عن الأشياء والرغبات الدنيوية[1].

ومن أجل أن تتحرر النفس من تكرار المولد هناك طريقة يتم بواسطتها التحرر والانطلاق وهي (اليوجا)، والتي تقوم على توقيف إرادي لنشاطات العقل وتوقيف الانطباعات القادمة من العالم الحسي الخارجي، وتوقيف الانطباعات القادمة من العالم الداخلي للإنسان من تخيل ورغبات وعواطف وانفعالات.

وبهذه الطريقة يتطهر الإنسان من آثامه، ويتخلص من مشاغل الحياة الدنيا، ومن كل الآلام والبلايا والمصائب، ويندفع إلى أعلى[2].

ومن الجدير بالذكر أن (اليوجا)[3] يعد جانبها العملي أهم من النظري، إذ يتضمن: ضبط التنفس، والجلوس في وضع معين، والإمتناع عن ممارسة الجنس[4].

فغاية اليوجا إذاً: تطهير النفس تطهيراً شاملاً من الخيال والوهم، وذلك استعداداً للإتحاد مع الله[5].

د- وحدة الوجود: وهذا المبدأ وثيق الصلة بالمبادئ السابقة، بل يمكن القول إن هذه المبادئ كلها وثيقة الصلة بعضها ببعض، ويصور الهندوس هذا المبدأ بقولهم: خلقت الحياة من هذه الروح المسماة (آتما)، فالإنسان هو الروح الموجودة فيه، وهي سرمدية أزلية مستمرة غير مخلوقة. وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية تبدأ

---

(1) الفكر الشرقي القديم/ جون كولر: 81-83

(2) مقارنة أديان/ جامعة القدس: 90

(3) كلمة سنسكريتية معناها الاتحاد أو النير

(4) الفكر الشرقي القديم/ جون كولر: 43

(5) التفكير الديني في العالم/ د.رؤوف شلبي: 184

رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر، ولذلك يسمى تخلصها من الجسم (طريق العودة) إلى أصلها. فالكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، فالشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، لأن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصيلة، حتى الجبال والأنهار والبحار تفجر من تلك الروح الأصلية التي تستقر في سائر الأشياء([1]).

ولهذا فإن هذه العقيدة تعني أن الله هو كل شيء، وأن كل شيء هو الله، وهذا معنى (وحدة الوجود)[2].

فأغلى ما يطمع فيه الهندوسي هو الإنطلاق والإندماج في براهما، وللوصول إلى هذه الغاية كان دائم الزهد المفرط عن طريق الصوم وتعذيب النفس، وتحميلها جميع ألوان البلاء، ولهذا فالهندوسي دائم الهم والخوف والتشاؤم، فهو لا يتمنى الموت، لأن الموت ينقله إلى دورة جديدة من دورات حياته، بل يرجو لنفسه الفناء في براهما[3].

والهندوس يقدسون نهر (الغانج) حيث يحجون إليه سنوياً بقصد التطهر بمائه، وكذلك يلقون فيه رماد موتاهم بعد أن يتم إحراق أجسادهم، فالدفن للأبدان ليس معتمداً عندهم[4]. فالأجساد تحرق عندهم بعد الموت، لأن ذلك يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى وبشكل عامودي لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الإحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.[5]

---

(1) أديان الهند الكبرى/ د. أحمد شلبي: 67، 68.

(2)التفكير الديني في العالم/ د. رؤوف شلبي: 179

(3) أديان الهند الكبرى/ د.أحمد شلبي: 69

(4) الهندوسية، البوذية، السيخية/ د.أسعد الحمراني: 21

(5) الموسوعة الميسرة في الأديان: 2/ 728

المبحث الثالث

شعائر وعبادات الهندوس

1- الطهارة: تتوزع في الهند أماكن عديدة لها صفة القداسة عند الهندوس، وهذه الكثرة العددية حصلت بالتراكم عبر السنين، ويلاحظ أن هذه المواقع التي يحجون إليها تتوزع على ضفاف الأنهار، وإن كان نهر الغانج من بينها الأكثر قداسة، وفيه يلقون رماد موتاهم بعد حرق جثثهم، ونهر الغانج يزعمون أنه ينبع من تحت قدمي الإله الحافظ (فشنو)(1).

وقد إعتمد الهندوس الماء في الطهارة، وطقوسهم في الطهارة تتم بواسطة الماء، فالجنابة عندهم يتم التطهر منها بالاغتسال بالماء، وبالنسبة للمرأة كذلك تغتسل بعد الحيض، وأما بعد الإجهاض وإسقاط الحمل قبل أوانه، فالواجب عندهم معرفة كم من الأشهر مضى على حملها، بحيث تقوم بالتطهر عدة أيام، هي عدد الأشهر التي مضت على الحمل، وهم كذلك يوجبون الاغتسال بعد مس جثمان ميت، أو مس إمرأة حائض أو نفساء، أو من يمس أحداً من فئة المنبوذين(2).

والطهارة عند الهندوس منها ما هو حسي وهو بالاغتسال بالماء، ومنها ما هو معنوي كطهارة الروح بالعلوم المقدسة، والقلب بالعبادات، ويستنتج من نصوصهم أنهم يعتبرون بول البقر مادة للتطهر، ولذلك فإن كهنتهم في معابدهم وبعد إنتهاء طقوسهم، يرشون على الناس بول بقر، لظنهم أنها تعطي البركة(3).

2- الصلاة: للصلاة عندهم أركاناً لا تتم بها، هي الاستحمام، وارتداء الثياب النظيفة ذات اللون الأصفر أو الأبيض، هذا مع غسل الأيدي والأفواه بالماء المعطر، وأثناء

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية/ د. السحمراني: 38

(2) المصدر السابق: 39

(3) المصدر السابق: 40

أداء الصلاة هناك هيئة تخص كلاً من الرجل والمرأة، فالرجل يجلس متربعاً، والمرأة تجثو على ركبتيها.

أما بالنسبة لعدد الصلوات فهي مرتان في اليوم، الأولى صباحاً والثانية مساء، وتفسيرهم أن كل صلاة تسقط ما حصل من هفوات وأخطاء وذنوب حصلت من الإنسان ما بين هاتين الصلاتين، ومن لا يؤدي هاتين الصلاتين، يجب أن يطرد (كالشودر)، ويمنع من أداء الواجبات الدينية، ويحرم من حقوق المولودين ثانية.

3- إحراق الموتى: الروح هي الأساس في المفهوم الهندوسي، والبدن ليس له اعتبار كبير، وضمن نظام التناسخ فإن الروح عندهم تنتقل في دورة الحياة من بدن إلى آخر طلباً للتزكية والتطهر، حتى إذا ما تمَّ لها ذلك توقف حلولها في الأبدان واتحدت بالروح الكلية. لذلك إعتمدوا نظاماً قاسياً على البدن في الحياة، وإذا ما مات المرء فيكون في طقوسهم إحراق جثمانه، ومن ثمَّ وضع الرماد في أنبوب وإلقاء هذا الرماد في نهر الغانج[1].

والغريب عندهم أنهم يدفنون البقرة إذا ماتت ضمن مراسيم معينة، بينما الإنسان يحرقونه، والأكثر غرابة ما كان سائداً عندهم بشأن النساء، حيث كان من طقوسهم إحراق المرأة حية مع جثمان زوجها المتوفى، وبقيت هذه العادة حتى أواسط القرن التاسع عشر[2].

4- الدخول إلى الديانة[3]: إن الدخول إلى الديانة الهندوسية يتم عبر مراسيم إحتفالية خاصة، والشروط الواجبة لهذه العملية ليست واحدة للجنسين، فعملية ترسيم الذكر وإعلان انضمامه إلى الدين يكون بمنحه الخيط المقدس.

وطقس ترسيم الذكر يسمى (سمسكارا)، وهو من المراحل الحاسمة في حياة الهندوسي، وتتم عندما يكون الطفل بين سن الثامنة والثانية عشرة، ويركز الاحتفال

(1) المصدر السابق: 43، 44.

(2) المصدر السابق: 44، 45.

(3) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 41، 42.

على وضع خيط مقدس على كتف الصبي، ويرتدي الصبي زياً خاصاً لهذه المناسبة ويحمل صولجاناً، ويقوم كاهن رسمي بوضع الخيط المقدس على كتف الصبي.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض طقوس سن الترسيم تبدأ قبل الولادة وفي أثناء فترة الحمل، إذ على الأم الحامل أن تمارس نوعاً من الطقوس لمدة عشرة أيام تسمى طقوس التطهر من النجاسة، وبعد الولادة هناك احتفالات خاصة لخرم أذن الصبي، ومراسيم لخروجه إلى الشمس للمرة الأولى، وإطعامه طعاماً جافاً، وحلق شعر رأسه مع إبقاء خصلة من الشعر تترك مدى الحياة ولا يلحقها الحلق أبداً.

وبعد مراسيم (السمسكارا) يوضع الولد تحت رعاية وصاية (برهمي)، حيث يعكف على تعليم الصبي وإرشاده، وقد تمتد هذه الفترة إثنتي عشرة سنة، وعلى الطفل أن يظهر الطاعة العمياء لمرشده ويبدي له إحتراماً يفوق احترامه لوالديه، إذ أن الوالدين يقدمان للطفل وجوده، وأما البرهمي فيهبه الخلود، وتنتهي هذه الفترة بالزواج.



المبحث الرابع

تشريعات الهندوس ونظامهم الأخلاقي

1- المرأة في التشريع الهندوسي: المرأة عند الهندوس خاضعة في شتى مراحل عمرها للرجل، فالمرأة تعيش وليس لها خيار، سواء كانت بنتاً صغيرة أو شابة أو عجوزاً، فالبنت خاضعة لأبيها، والمتزوجة خاضعة لزوجها، والأرملة خاضعة لأبنائها، وليس لها أن تستقل أبداً، وعلى المرأة أن ترضى بمن ارتضاه لها والدها زوجاً، فتخدمه طوال حياته ولا تفكر في رجل آخر بعد وفاته، بل عليها حينئذ أن تهجر ما تشتهيه من الأكل اللذيذ، واللبس الحسن والزينة كلها، وتعيش أرملة إلى آخر عمرها. وإن وجدت زوجها لا يعتني بها ويحب امرأة أخرى، فلا تحقد عليه، ولا تقصر في خدمته ونيل مرضاته[1].

2- الزواج والطلاق[2]: الزواج في الهندوسية هبة إلهية ورباط مقدس، وهو إلزامي للجميع، وضرورة لذاته، حتى إن الرجل عندما يصبح أرملاً يتخلى عن رئاسة الأسرة لتنتقل إلى ابنه المتزوج، أما السبب في ذلك فيرجع إلى الإعتقاد بأن الأعزب لا يستطيع أن يقوم بطقس تقديم القرابين للأسلاف.

ومسألة اختيار الزوجة المناسبة ليست سهلة، ويجب أن تكون الفتاة المختارة مكافئة للشاب لجهة العمر والأسرة.

وتمنع الهندوسية زواج الأقارب، فالفتاة التي يختارها الشاب لتكون زوجة له يجب أن تكون غريبة كلياً عن العائلة، وعليها بعد مراسيم الزواج أن تتخلى عن علاقتها بعائلتها وتنسب إلى عائلة زوجها.

والأب في الأسرة هو كاهن العائلة وممثل الديانة فيها والقائم بأهم طقوسها، أي عبادة الأسلاف، ويلي الأب في هذه المهمة أكبر أبنائه من المتزوجين القادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت.

وتدعو الهندوسية إلى عدم مواقعة الزوجة وهي في حالة الحيض، وكذلك

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 73، 74.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 42، 43.

الإبتعاد عن المرأة أثناء الحيض وعدم النوم في فراشها أو إستخدام ما تمسه من أدوات طول هذه المدة[1].

والهندوسية تعطي للرجل حق تطليق زوجته، وهذا الحق غير معطى لها، أما الأمور التي تبرر للرجل الطلاق، فهي بحسب شريعتهم: إذا ما ظهر له فيها عيب، أو مرض، أو أنها غير بكر، أو أنها أعطيت له بخدعة[2].

3- نماذج من تشريعات الهندوس وأخلاقهم: إن المتتبع لنصوص شريعة (مانو) تظهر أن الهندوس حريصون على نظام أخلاقي دقيق، فالهندوسية لا تجيز أكل الربا الفاحش، ولصاحب المال أن يأخذ (روبية أو ربع روبية) عن مائة روبية في كل شهر، وإذا حاول عم اليتيم أن يستولي على أملاكه، فيمنعه الملك من ذلك، ويحول الأملاك إلى إدارته حتى يبلغ سن الرشد. والولد الأكبر هو الذي يرث والديه، وأما إخوته وأخوانه فكلهم يعيشون تحت أمره، لأن الأخ الأكبر بمنزلة الأب، والذي ليس له إبن يجوز أن يقول لزوج ابنته إن ولد لها ولد: هو الذي يرثني ويقوم مقام ابني[3].

ومن أهم أسس نظامهم الأخلاقي الاحترام الشديد لكبير السن، وما يطلبونه من الصغير من آداب يتعاطى من خلالها من هم أكبر منه، وقبل ذلك، فالتكريم الأكبر والإحترام الأعم هو للوالدين، فهما أصحاب الفضل الأساسي على الإنسان، فالوالدان والأستاذ الذي يعلمه الدين هم أكثر من يحسن للإنسان ويسهم في تشكيل شخصيته.

وتحرم الهندوسية القمار، وتطالب الحاكم أن يمنع القمار وكل أشكال الرهانات، ويعتبرونه كسباً غير مشروع، وهو من جملة أنواع السرقة.

ومن القضايا التي تحرمها الهندوسية الرشوة والنفاق والتدليس، وكذلك التنجيم والسرقة، بل وتنزل أشد العقوبات بالسارق، وهي كذلك تحرم الغش والخمر لأنه نجس ومصدر للخبث[4].

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 50، 51.

(2) المصدر السابق: 54.

(3) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 74، 75.

(4) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 54-59.

المبحث الخامس
نظام الطبقات عند الهندوس

نظام الطبقات في الهند نشأ من إلتقاء الآريين والتورنايين والسكان الأصليين، ومعنى هذا أنه نشأ أول ما نشأ على أساس الجنس[1].

ومما يذكر إلى أن كلمة (فارنا) الدالة على الطبقة تعني اللون أيضاً، مما يدل على أن التقسيم الطبقي للمجتمع الهندي له بعده العرقي، وأن الجنس الآري أبقى نفسه متميزاً عن عرق السكان الأصليين، فالتقسيم الطبقي لم يكن نتيجة الإرادة والمؤهلات البشرية في دورتها الحياتية الواحدة، بل هو في اعتقادهم يرتد إلى إرادة إلهية، وفسروا تكون الطبقات تفسيراً دينياً لا يقبل الجدل ويحتم الخضوع. وعن كيفية حدوث الطبقات تقول النصوص أنه من رأس براهما جاء أعظم الناس وأكثرهم قداسة وهم (البراهمة)، ومن ذراعيه جاء المحاربون والملوك، ومن فخذيه جاء التجار والصناع وأرباب المهن، ومن قدميه جاء (المنبوذون)، وتبعثرت الطبقات وانتشرت في الأرض، وقد تحددت لكل طبقة وظيفتها ومهمتها[2].

وبناء على هذا التفكير الذي يرى أن الطبقات خلقها الله على هذا الوضع يصبح هذا التقسيم أبدياً، فهو من صنع (براهما) ولا طريق لإزالته، وعلى هذا لا يرتفع أي شخص من أي قسم إلى قسم أعلى، ولا يجوز لرجل أن يتزوج امرأة من طبقة أعلى من طبقته، ولكن يجوز للرجل أن يتزوج امرأة من طبقة أقل من طبقته على ألا تكون من الطبقة الرابعة (المنبوذون) التي ليست إلا للخدمة. ويتبع نظام الطبقات كذلك أن هناك أسماء خاصة للأطفال في كل طبقة، فيختار الإسم من الكلمات الدالة على البهجة إن كان برهمياً، وعلى الحول والقوة إن كان (كشترياً)،

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 54.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 44، 45.

وعلى الغنى والثروة إن كان (ويشياً)، وعلى الذل والمهانة إن كان (شودرا)[1].

والطبقات الأربع عند الهندوس هي:

1- البراهمة: وهم الذين خلقهم (براهما) من فمه، ومنهم المعلم والكاهن والقاضي، ولهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرتهم[2].

"ولا يخرج عن هذه القاعدة أحد، فأبناء هذه الطبقة هم من الكهنة والمعلمين الذين يعدون بصفة عامة حملة الثقافة، ومهماتهم هي الحفاظ على المعرفة والثقافة وإرضاء الآلهة، والحفاظ على العدالة والأخلاق.

لذلك فإن مهمة القيادة الدينية الموكلة للبراهمة تفرض أن يكون من ينتسب إلى هذه الطبقة وافر العقل، فالمجتمع الهندوسي يقر لأبناء هذه الفئة بأنهم الأكثر ثقافة.

وإذا كان البراهمة غير معنيين بالجانب السياسي الإداري للدولة فإن عملهم هو الذي يؤسس من أجل سلامة الأوضاع في الدولة والمجتمع، فهم المعلمون ناشرو الثقافة، وهم الذين يتولون تدريب أهل المجتمع على أداء العبادات والطقوس والتزام العادات والتقاليد المتوارثة في مجتمع الهند"[3].

وبناء على ما سبق فإن الشريعة الهندوسية تقرر عدة مبادئ تتضمن حقوق البرهمي ومنها[4]:

1- تدريس أسفار الفيدا، وتعليمها.

2- أن البرهمي محل الاحترام جميع الآلهة بسبب نسبه وحده.

3- أحكام البرهمي حجة في العالم.

4- كل ما في العالم ملك للبرهمي، وله حق في كل موجود.

5- والبرهمي إذا ما افتقر، حقٌّ له أن يمتلك مال الشودري (المنبوذ)، الذي هو عبد له، فالعبد وما يملك لسيده.

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 57.

(2) الموسوعة الميسرة: 2/ 726.

(3) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 32، 33.

(4) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 58.

6- لا يعتبر البرهمي مذنباً حتى لو قتل العوالم (الطبقات) الثلاثة.
7- لا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهمي، ولو مات الملك محتاجاً، ولا يجوز أن يصبر على جوع برهمي في ولايته.
8- لا يجوز للملك قتل برهمي حتى ولو اقترف جميع الجرائم.
9- على الملك ألا يقطع أمراً مهما كان دون استشارة.

2- الكشترية: وهم الذين خلقهم براهما من ذراعيه، وهذه الطبقة تتولى أمر القيادة السياسية وبيدها مقاليد أمن البلاد والحفاظ عليها، فأبناء هذه الطبقة يحملون السلاح للدفاع.

لذلك من الواجب أن يتميز أبناء هذه الطبقة بالكفاءة السياسية والعسكرية معاً بحيث يكون لهم في المجتمع الإقدام والمهابة. فمهمة الكشترية هي القيادة الفعلية للأمة، لذلك فإن ما يقومون به أكثر دقة وصعوبة من مهمة البراهمة التي تقتصر على التوجيه والتعليم إلى حد كبير[1].

وقد وضعت الشريعة الهندوسية الكثير من المبادئ المتعلقة بهذه الطبقة ومن أهمها[2]:

1- الذي يصلحون لأن يكونوا قواداً أو ملوكاً أو قضاة أو حكام للناس، هم من هذه الطبقة، وهم الذين تغذت عقولهم بالفيدا.
2- وبناء على ذلك فإن الملك ينصب من الكشترية.
3- الألوهية تتجسم في صورة الملك البشرية، لذا لا يجوز أن يستخف به.
4- الكشتري يبقى ويعيش جندياً حتى في وقت السلم.
5- على الكشترية أن يتجمعوا عند أول نداء، وعلى الملك أن يعد لهم عدة الحرب وأسلحته.

3- الويشية: وهم الذين خلقهم براهما من فخذه، ووظيفتهم: الزراعة والتجارة وإنفاق المال على المعاهد الدينية.

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 33، 34.
(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 59.

"وهذه الطبقة تؤمن الأمن الغذائي للمجتمع وبيدها الإنتاج الاقتصادي، وبذلك يكون الرخاء والاستقرار المعيشي، فوظيفتهم الرئيسية هي: إنتاج السلع الضرورية للحياة والتي يتطلبها المجتمع.

إن من واجبات رجل الويش الإنخراط في الزراعة وتربية الماشية والتجارة، وهذا ليس أمراً إختيارياً، وإنما ينبع من عملهم ومن طبيعتهم، فهي وظائف إلزامية وليست إختيارية.

هذه الطبقة إذن هي في موقع الخادمة للأمة وللشعب، لأنها تملك مصادر الثروة وعمليات الإنتاج، وبيدها تحقيق الرخاء".

ومن المبادئ التي وضعتها الهندوسية لهذه الطبقة[1]:

1- الويشي لا يتزوج إلا امرأة من طائفته.

2- أن يعتني جيداً بمهمته، ويربي الماشية على الدوام.

3- على التجار من الويشية معرفة قوانين التجارة ونظم الربا.

4- على الويشي أن يتعلم جيداً كيف يبذر الحبوب، ويعرف كيف يفرق بين الأرض الجيدة والأرض الرديئة، ويطلع على نظام الموازين والمكاييل.

5- أن يعرف أجر الخدم ولغات الناس، وما تحفظ به السلع، وكل ما يمت إلى البيع والشراء بصلة.

4- **الشودر**: وهم الذين خلقهم براهما من رجليه، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة، ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة[2]، ولذلك يسموا بـ (المنبوذين).

"والشودر أشبه ما يكونون بالعبيد، فواجبهم الخدمة والعمل وإنجاز كل ما يوكل لهم من الطبقات الأعلى.

فالمفهوم السائد عند الهندوس عن هذه الطبقة بأنها مجبولة على الخدمة والتقديم للآخرين، ولا نصيب لهم من متاع الحياة إلا القليل.

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. احمد شلبي: 59، 60.

(2) الموسوعة الميسرة: 2/ 727.

فهذه الطبقة إذن هي آخر طبقات المجتمع، فهي في (القاع) لا تملك شيئاً البتة، وتقدم نفسها قرباناً للآخرين[1].

وقد جاء في الشريعة الهندوسية تشريعات تتعلق بهذه الطبقة منها[2]:

1- لا يجوز للشودري أن يجمع ثروات زائدة ولو كان على ذلك من القادرين، فالشودري إذا جمع مالاً آذى البراهمة بوقاحته.

2- تقطع يد الشودري إذا علا من هو أعلى منه بيده أو بعصاه، وتقطع رجله إذا رفسه برجله.

3- إذا ما دعا الشودري من هو أعلى منه باسمه أو باسم طائفته بدون تقدير أدخل إلى فمه خنجر محمي متلوث النصل طوله عشرة قراريط.

4- الشودري أحط من البهائم وأذل من الكلاب.

5- إذا همَّ أحد من المنبوذين بمجالسة برهمي فعلى الملك أن يكوي (أسته) وينفيه من البلاد.

6- إذا ادعى أحد المنبوذين أنه يعلم برهمياً فإنه يسقى زيتاً فعلياً.

7- كفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل من طبقة الشودرا سواء.

وخلاصة القول: إن هذا النظام الطبقي الذي يقوم على أساس انقسام حاد في المجتمع يربطه الهندوس بأصل النشأة، ومعنى ذلك أنه يسد الطريق أمام الكفاءات والقدرات، ويمنع العدالة بين الناس، وبالتالي فهو نظام ظالم، ولا يقبله عقل أو منطق، لذلك ثارت عليه البوذية وأنكرته. وقد جرت محاولات عديدة للتخفيف من حدة النظام الطبقي الجائر، وكانت أبرز هذه المحاولات محاولة (المهاتما غاندي)، في أوائل القرن العشرين للميلاد، ولكن المحاولة لم تثمر الكثير، لأن هذا التمايز الطبقي متأصل في العقيدة وفي المجتمع الهندوسي[3].

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 36، 37.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 60، والموسوعة الميسرة: 2/ 727.

(3) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 37، 38.

المبحث السادس

كتب الهندوسية المقدسة

إمتزجت معتقدات الشعوب والقبائل الوافدة إلى الهند مع معتقدات قبائل البلاد الأصليين وتشكل من تداجها بعضها مع بعض مؤتلف من عقائد وطقوس دينية خاصة، وقد إتخذت العقائد الدينية، عبر العصور، قدسيتها وشرعيتها عند عموم سكان الهند[1].

ففي الديانات السماوية يكون مصدر تقديس الكتب أنها كلام الله أوحي به إلى أنبيائه، أما مصدر تقديس الكتب عند الهندوس فليس لأنها موحى بها من الله، فهي لم يوح بها، بل لا يعرف لأكثرها واضع معين، وإنما إشترك في تأليفها عدد كبير من الناس على مر القرون، وليس مصدر التقديس إبداعها في الفكرة أو الأسلوب، فكثيراً ما شملت هذه الكتب أفكاراً بدائية وأساليب ركيكة، بل إن مصدر تقديس هذه الكتب هو على العموم باتجاه الروحاني لدى الفكر الهندي، والموافقة على تأليه أي كائن، أو تقديس أي كتاب دون حاجة إلى إبداء الأسباب[2].

لهذا كان للهندوسية عدد هائل من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة، وقد ألفت كتب كثيرة لشرحها وأخرى لاختصار تلك الشروح، وكلها مقدسة[3]، وأهمها:

الكتاب الأول: الفيدا: وهي كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة، وتتفاوت مجموعاتها من حيث القدم، مما يجعل من تتبع مضامينها مناسبة لاكتشاف تطور العقيدة الهندوسية، ورقي تصوراتها عن الآلهة، والتغاير الذي طرأ على الطقوس والتقنيات والقيم والمفاهيم الأخلاقية والاجتماعية[4].

---

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 17.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 75، 76.

(3) الموسوعة الميسرة،: 2/ 724.

(4) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 18.

إذن فإن نصوص الفيدا نقلت لقرون طويلة على شكل تعاليم شفوية، ولم تعرف التدوين أو الإستقرار إلا في عصور لاحقة، منهم من يقول إن عصر الفيدا المكتوبة كان حوالي (2500 ق.م)، ومنهم من قال (1500 ق.م)، ومنهم من قال (800 ق.م)[1].

والفيدا عبارة عن أربعة كتب هي:

أ- الريج فيدا: وهو أقدم كتب الهندوس المقدسة على الإطلاق، وهو أشهر الأربعة وأهمها وأشملها، ويقال إن تأليفها يرجع إلى (3000 ق.م)، وينطوي هذا الكتاب على (1028) نشيداً وضعت ليتضرع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها عن الآلهة، ويقسم الريج فيدا إلى قسمين: الأول كتابة نثرية تشتمل على أدعية وصلوات وشرح لكيفية ممارسة بعض الطقوس، والثاني (براهمانا) وفيه تعاليم تتعلق بتنظيم العبادات والواجبات الدينية المفروضة على التابعين[2].

ب- ياجور فيدا: ومعناها الفيدا الهوائية، وتقسم هذه المجموعة إلى قسمين: يسمى الأول (ياجورفيدا البيضاء)، ويسمى الثاني (ياجورفيدا السوداء)، وفي هذا الكتاب توضيح لمختلف أنواع التضحية، كالتضحيات التي تقام عن أرواح الموتى، أو تضحيات النار، وتضحيات الهلال والبدر وسائر الكواكب[3]. وتشمل أيضاً العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين[4].

جـ- ساما فيدا: وقد كتبت أشعارها وعددها (585) أنشودة، بطريقة تصلح للإنشاد أو الترتيل، وساما فيدا تعني الفيدا الشمسية، والكتاب يقسم إلى قسمين: الأول: ويسمى (منترا)، ويتضمن أناشيد ومزامير تغنى في بعض المناسبات. والثاني: يسمى (برهمانا)، وفيه أشعار تشرح وتعدد العبادات والواجبات الدينية[5].

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 24.

(2) المصدر السابق: 25، والديانات الوضعية / د. محمد العربي: 18.

(3) الديانات الوضعية / د. العربي: 18.

(4) أديان الهند / د. شلبي: 42.

(5) الديانات الوضعية / د. العربي: 19.

د- آثار فيدا: والاسم يعزى إلى (الآثارفيين)، وهم كهنة أو ملوك كانوا يعبدون النار، وتقسم المجموعة إلى قسمين: الأول: ويدعى (تترا)، وفيه أدعية وصلوات للاستغفار والرجاء، وأرقية ضد السحر وتأثير الأرواح الشريرة المدمرة والخبيثة، والقسم الثاني، ويدعى (برهمانا)، ويتضمن طائفة من شرائع الديانة البرهمية[1].

وهذا الكتاب يصور الحياة الهندية مملوءة بالآثام، كما أن الكون مليء بالشياطين والأغوال، يخوفون الناس، وقد كفت الآلهة أيديها عن الخير، ولم تعد تدفع الشر، مما أدى إلى لجوء الناس للخرافات والرُّقي والسحر ليحموا أنفسهم[2].

وكل من هذه الفيدات الأربعة يشتمل على أربعة أجزاء هي:

1- البراهمانا: أو الهدايات التي يقدمها البراهمة للمقيمين في بلادهم وبين أهليهم، وتشمل بيان أنواع القرابين وتفاصيلها ومواسمها، وتعاليم وأوامر وطقوس تمَّ وضعها لتهدي الكهنة (البراهمة) في مهمتهم، وتبيان أن إرضاء البراهمة ضروري لقبول القرابين[3].

2- سمهتا: أو مجموعة المنظومات لكثرة المنظوم فيها، وهذه المنظومات يتغنى بها عند تقديم القرابين[4].

3- آرانياك: وتسمى (الغابيّات) أو (نصوص الغابة)، وهو كتاب يبين الهدايات والإرشادات التي تقدم للشيوخ المعمرين، الذين يتركون أهليهم ليقيموا في الكهوف والغابات، وفيه نصوص ترشد هؤلاء المسنين إلى طرائق بسيطة وسهلة لتقديم القرابين والأضحية، ولا تحتاج لجهود[5].

---

(1) المصدر السابق: 19.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 43.

(3) المصدر السابق: 43.

(4) المصدر السابق: 43.

(5) المصدر السابق: 43، والديانات الوضعية / د. العربي: 20.

4- **أبانيشادات**: ويعني (الجلوس بالقرب من المعلم)، ويتألف من مئة وثمان محاورات جرت بين المعلم وتلاميذه، واشترك في تأليفه مجموعة من الكهنة والقديسين، وهذه السلسلة غنية بجملة من التأملات الميتافيزيقية التي تجعل منها بوتقة فلسفية ترقى إلى الوحدانية والوحدة في الوجود[1].

فهي أسرار ومشاهدات للرهبان والمتنسكين الذين مالوا إلى باطن الحياة وتركوا ظاهرها، وتمثل الأبانيشادات مذهب الروح الذي هو المرتبة العليا في سلسلة الارتقاء الديني. وتعد خطوة جريئة في سبيل الحرية الدينية وتخليص الدين من الرسوم البرهمية، وبها قل الاهتمام بالآلهة، وندرت الأدعية والقرابين، وحل العلم والعرفان محل ذلك[2].

الكتاب الثاني: (سمرتي) أو (منوسمرتي) أي شرع مانو، أو قوانين مانو، وهي مجموعة التعاليم الهندوسية التي كانت تنتقل شفهياً لقرون عديدة، ومن ثم تمت كتابتها بالإستناد إلى ما في الذاكرة. وهو يمثل الحالة الأهم في تشريعهم، ويشمل مختلف الشؤون[3].

وقد وضعت هذه القوانين في العصر الفيدي الثاني، عصر إنتصار الهندوسية على الإلحاد الذي تمثل في (الجينية والبوذية)[4].

وقوانين مانو يتكون من قسمين هما:

أ- **ويدالجا**: ويحتوي على ست مسائل.

ب- **أوباويدا**: وفيه مسائل خمس.

وينقل الدكتور أسعد السحمراني عن الدكتور إحسان حقي في مقدمته للترجمة التي قام بها لقوانين مانو: وإذا شئنا أن نصف منوسمرتي قلنا إنها مجموعة متناقضات،

---

(1) الديانات الوضعية / د. محمد العربي: 20.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 44.

(3) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 27.

(4) الموسوعة الميسرة: 2/ 725.

إذ بينما نراه يرتفع بتشريعه إلى أعلى درجات العقل والإدراك وسلامة الذوق والتفكير، نراه ينحدر فجأة إلى درجة من السخافة والإسفاف المخجل...ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن هذا الكتاب كتب في أوقات متباعدة وبأيدي أناس مختلفين اختلافا كبيراً في العلم والعقل والإدراك[1].

والمتتبع لما تحتويه أقسام هذه القوانين، يجد أنها تتضمن أساليب الصلاة الباطنية، والقوانين المتعلقة بالزواج، وكذلك معاملة أرواح الذين ماتوا، وطريقة التكفير عن الذنوب، إضافة إلى مسائل خاصة بأعمال الإدارة وقواعد النظام الحكومي، ونصائح طبية وجراحية وعلاجية ونفسية وتربية الأطفال[2].

الكتب الأخرى[3]:

أ- مهابهارتا: وهو ملحمة هندية تشبه (الإلياذة) و (الأوديسة) عند اليونان، وهي تصف حرباً بين أمراء الأسرّ المالكة، وقد اشتركت الآلهة في هذه الحرب.

ب- كيتا: فيه نظرات فلسفية واجتماعية.

جـ- يوجاواسستها: وهي أربعة وستين ألف بيت شعر، وفيها أمور فلسفية لاهوتية.

د- رامايانا: ويعتني هذا الكتاب بالأفكار السياسية والدستورية.

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 27.

(2) المصدر السابق: 28.

(3) الموسوعة الميسرة: 2/ 725.

الفصل الثاني

البوذيـــة

المبحث الأول: بوذا ونشأة البوذية

المرحلة الأولى: ولادة بوذا

المرحلة الثانية: الأخذ بتعاليم النساك البراهمة

المرحلة الثالثة: إشراف المعرفة

المرحلة الرابعة: دوران عجلة الشريعة

المبحث الثاني: إنشاء البوذية

1- البوذية القديمة (العجلة الصغيرة)

2- البوذية الجديدة (العجلة الكبيرة)

المبحث الثالث: تعاليم ومعتقدات البوذية

1- هل البوذية دين أم فلسفة؟

2- نظرة البوذية إلى الألوهية.

3- الولادات المتكررة (التناسخ) 4- الترافانا

المبحث الرابع: النظام التشريعي والأخلاقي في البوذية

1- المال والثروة في البوذية

2- المرأة والبوذية

المبحث الخامس: تطور البوذية


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثاني

البوذيــة

التعريف بالبوذية[1]: هي فلسفة وضعية إنتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة الهندوسية في القرن السادس قبل الميلاد، وكـانت في البدايـة تنـاهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، فهي رد فعل لعسف البراهمة واستبدادهم.

والبوذية فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسـامح وفعل الخير، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقــد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألهوه.

وهي تعد نظاماً أخلاقياً، ومذهباً فكرياً مبنياً على نظريـات فلسـفية، وتعاليمـها ليست وحياً، وإنما آراء وعقائد في إطار ديـني. وتختلـف البوذيـة القديمـة عـن البوذيـة الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية، في حين البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطـة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة.



(1) الموسوعة الميسرة: 2/ 758.

المبحث الأول

بوذا ونشأة البوذية

إن المتتبع لحياة بوذا ونشأة البوذية يجد أنها مرت في مراحل أربعة مختلفة، وكل مرحلة من هذه المراحل تمثل تطوراً جديداً في أفكار بوذا تختلف اختلافا جوهرياً من حيث رؤية بوذا للحياة وكيفية التعامل معها، لذلك أطلق على كل مرحلة إسماً مختلفاً عن سابقه، لأنه يمثل شيئاً جديداً أضيف إلى فكر بوذا ورأيه في الحياة.

المرحلة الأولى[1]: (ولادة بوذا)، وفي هذه المرحلة كان إسم بوذا (سيدهارتا) ومعناه: (الشخص الذي يصل إلى هدفه).

ولد سيد هارتا في منطقة ضمن جمهورية (نيبال) الحالية، بين جبال الهملايا ومدينة (بنارس) شمال نهر الغانج، وكانت ولادته في مدينة (كابيلافستو) حوالي سنة (560) قبل الميلاد، وتوفي حوالي (480) قبل الميلاد، فيكون قد عاش ثمانين عاماً.

ووالد بوذا أو (سيدهارتا) ينتمي إلى قبيلة (غوتاما)، وكان ملك هذه القبيلة، وأمه (مايا ديفي) التي توفيت بعد الولاة بسبعة أيام، فقامت أختها (ماها) باحتضان المولود وتربيته.

وعائلة (سيدهارتا) تنتمي إلى طبقة (الكشترية) الهندوسية، والذين كانت بيدهم السلطة السياسية في منطقة وجودهم.

ويركز (إنجيل بوذا) في صفحاته الأولى، على الحديث عن الولادة العجائبية لبوذا، وعلى القداسة والطهارة التي كانت تحياها أمه (مايا) وعلاقة الود والاحترام

(1) أنظر أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 137، 138، والديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 72، 73 والهندوسية والبوذية والسيخية / د. أسعد السحمراني: 63، 64، والفكر الشرقي القديم / جون كولر: 205.

بينها وبين زوجها، وتدخل ملائكة الإلـه براهمـا لحمايـة الأم ورعايتـها أثنـاء وضـع مولودها الذي سيصبح بوذا (العظيم جداً).

وشب الطفل في هذا النعيم كما يشب أبناء الملوك، فوجد الدنيا كلها تحت أمره، وبلغ مطلع الشباب وهو يرفل في هذه النعمــة، فسـارع أبـوه وزوّجـه مـن إبنـة أحـد الأمراء، فولد له ابن سموه (راهولا).

عاش (سيدهارتا) الحياة المرفهة، المترعة بالملذات، التي يعيشها أمـير مـترف، إلى أن بلغ التاسعة والعشرين من العمر.

وكان من الممكن أن يبقى سيدهارتا في هذه الحياة المترفة، وتنسيه مفـاتن الحيـاة التي نعم بها تلك الآلام التي يعانيها البؤساء والأشقياء، وكـان مـن الممكـن أن يلهيـه شبابه عن هرم الشيوخ، وصحته عن آلام المرضى، وحياته المرحـة عـن صـور المـوت والفناء.

كان من الممكن أن يحصل هذا، ولكن سيدهارتا لم يستسلم للملاذ والشـهوات، ولم يفرغ لنفسه ويستغرق في شهواته، بل جذبه جانب الشـر والألم في الحيـاة أكـثر مما جذبه جانب النعيم والسرور.

وقد تألم سيدهارتا ما شاهده وراقبه من واقع الآلام التي تصيب النـاس مـن الفقـير الجائع إلى من ارتدى ثياباً رثة، إلى من غلبه المرض، إلى من أصبح في سن الشيخوخة وقـد أحنت السنين ظهره، إلى من مات وخرج الناس في جنازته، وكل هذه الوقائع جعلته ينفـر من حياته وقصر والده، ويذهب هائماً في البراري مع رهبان الهندوسية.

المرحلة الثانية[1]: (الأخذ بتعاليم النساك البراهمـة)، وقـد عـاش بعدهـا حيـاة قاسـية بغرض إماتة بدنه، واكتفى من الطعام ببعض حبيبات لسد رمقه، لذلـك يمكـن أن تسمى هذه المرحلة من حياته أن نسميه (غوتاما) أي الراهب.

(1) أنظر المصادر السابقة.

فلسفة (غوتاما) في هذه المرحلة إتجهت إلى الآلام والأشجان، بحيث أصبحت الحياة كلها في نظره جحيماً لا يطاق، ومن الواضح أن (غوتاما) كان في هذه الفترة أسير الفلسفة الهندوسية القائمة على العزلة والزهد والإنقطاع عن الناس.

وفي هذه المرحلة خلع (غوتاما) ثيابه، واكتفى برقاع أو أوراق من شجر يستر بها عورته، وزامله في هذه الفترة القاسية خمسة من النساك، وكانوا يرونه أكثرهم قسوة على نفسه وأصبرهم على الآلام، ولذلك وضعوه في موضع الزعامة بينهم.

وكما نجح في أن يكون الطفل المميز والشاب المميز والزوج المميز، كذلك نجح في اكتساب إعجاب الناس وهو يحمل في يده قصعة (وعاء) الشحاذ يتوسل إلى الناس وذلك من أجل أن يقهر ويعذب نفسه.

وأمضى (غوتاما) ست سنين في هذا الصراع العنيف مع النفس، لم يحس في أثنائها بأي أثر يسير به إلى غايته، وأدرك أن ما يفعله ما هو إلا جهاد لجسمه لا يغني شيئاً.

وأخيراً، وبينما هو على حافة الموت، توصل إلى أن الحقيقة الخاصة بهذه المعاناة، ووقفها لن يتم بالتزام أقصى درجات الزهد، ومن هنا فقد عقد العزم على سلوك الطريق الأوسط بين الانغماس في الملذات والتنسك، وسرعان ما حقق الاستنارة، التي كان ينشدها، وهنا تبدأ المرحلة الثالثة من حياة بوذا.

المرحلة الثالثة[1]: (إشراق المعرفة)، وهي المرحلة التي أصبح (غوتاما) يسمى بـ (بوذا)، وهي كلمة سنسكريتية ومعناها (الرجل المستنير أو المتنور).

فبعد أن ترك (غوتاما) زملائه الرهبان هام على وجهه، حتى بلغ شجرة في غاية (أوررويلا) ليتفيأ ظلالها ريثما يتناول طعامه، ولكن المقام طاب له في ظل هذه الشجرة، ويقال إنه أحس برغبة في البقاء تحتها بعض الوقت، وقال لعقله وجسده: لن تبرحا هذا المكان حتى أجد ذلك الحق.

وتمَّ له في هذه الجلسة الإشراقية التي كان يترقبها، ويراها بعض الباحثين الغربيين (وحياً)، ويصورها (بوذا) بأنها صوت حادثة. إذ بينما كان مستغرقاً في تأمله

---

(1) أنظر المصادر السابقة.

إذ أخذته نزعه، فغاب عن نفسه وعن كل ما حوله، ثم عاد شعوره يتجلى رويداً رويداً، فأشرق الكون لديه وأصبح العقل يتجرد عن شوائب المادية، فانشرح صدره، ورأى سبيلاً يهدي إلى تلاشي الأحزان، وذهاب الآلام، وهكذا تنورت بصيرته، واستوى على عرش البوذية وصار (بوذا).

وقد رأى بوذا، وهو في حالة التأمل، الحقائق النبيلة الأربعة التي تمهد الطريق إلى الخلاص من كل أنواع العذاب، وهذه الحقائق هي:

1- **وجود الألم**: نتألم عندما نولد، ونتألم عندما نهرم، ونتألم عندما نمرض، ونتألم لمجرد التفكير بالموت، ونتألم عندما نجتمع بمن لا نحب، ونتألم عندما نفترق عن الذين نحبهم، ونتألم عندما نرغب في ما لا نستطيع الحصول عليه.

2- **سبب الألم**: وهو ميل الإنسان إلى الشر وإلى الملذات الحسية، يولد وهم (الأنا) ويظهر من التعلق بالأشياء، وتسيرنا الرغبة في الحياة لإشباع الشهوة (اللذة)، واللذة هي الطعم، والنتيجة تكون الألم.

3- **توقيف الألم**: من يخضع أناه يتخلص من الميل إلى الشر والملذات الحسية، وهو لا يشعر أبداً بالتعلق، لأن لهيب الشهوة لا يجد طعاماً ليتغذى، وهكذا يتم إطفاء لهيب الشهوة.

4- **الطريق ذات الشعب الثمانية الذي يؤدي إلى توقيف الألم**، وذلك بأن يخضع إرادته للواجب، ويسلك الحكيم هذه الطريق ويضع حداً نهائياً للألم.

فالإشراقة التي أشرقت على بوذا زودته بأمرين أساسيين هما: أسباب الألم الإثنتا عشرة، والحقائق الأربعة الهادية إلى طريق الخلاص وإطفاء نار الأنا.

المرحلة الرابعة: وتسمى بمرحلة (دوران عجلة الشريعة) أو (النظام)، فبعد أن كشف عن بوذا الحجاب وأدرك الحقيقة، وقف متردداً بعض الوقت وساءل نفسه: أيقنع وحده بهذا النعيم الذي انغمس فيه، ويستمتع وحده بهذا السر الذي انكشف له؟ أم يبشر به ويذيع أمره بين الناس حتى ينعموا معه بتلك السعادة وذلك السرور؟

وعندما إستقر رأي بوذا على أن ينشر دعوته ترك الغابة إلى مدينة (بنارس) حيث كان يعيش رفاقه الخمسة الذين زاملوه في فترة تقشفه، ولما دعاهم لمذهبه لم يبدوا

أية مقاومة، فقد كان ماضيهم معه يدعوهم لقبول دعوته، ثم خطا بوذا خطوة أخرى فجمع حوله مجموعة من الشباب بلغ تعدادهم الستين، وعلمهم مبادئه ولقنهم دعوته، ووكل إليهم القيام بنشرها، وبدأت مظاهر النجاح تبدو له، فالتف حوله عدد كبير من الرجال والنساء والشيب والشباب، وكانوا جميعاً يتخذون من بوذا مثالاً لهم، وكان هو يحيطهم بعنايته ويشملهم جميعاً برعايته.

واشتهرت دعوته بتسميتها (النظام) أو (عجلة الشريعة)، وقد ظل بوذا يدفع عجلة الشريعة إلى الأمام أكثر من أربعين عاماً حتى وصلت سنه الثمانين، ولم يكن بوذا وحده هو الذي يدعو (للنظام)، وإنما إختار -كما سبق القول- نخبة من أتباعه ليقوموا بالدعوة لها، وتدلنا المراجع الرئيسية على أن بوذا كان يختبر الذين سيقومون بالدعوة اختباراً دقيقاً قبل أن يرسلهم لهذا الغرض.

على أن نجاح بوذا اشتركت فيه عوامل متعددة منها: دعوته لإلغاء الطبقات، وكان هذا داعياً إلى أن يتبعه كثيرون ممن انحطت طبقاتهم أو ممن كانوا يحسون بثورة ضد هذه الطبقات المتعددة.

ثم كان لصفات بوذا الشخصية أثر كبير فيما صادفه من نجاح، ومن أبرز صفاته عداؤه للتعصب الديني، واعتباره التعصب أعدى أعداء الدين، كذلك كان عدواً للغضب والطيش، فلم يعرف عنه أنه سبّ، أو سخط، أو نطق لسانه بكلمة جارحة أو قاسية، كل هذا جمع الأصدقاء حول بوذا، وسبّب لدعوته النجاح الذي حظيت به[1].

إن بوذا بالأساس لم ينطلق من تراث قومي بعينه، وإنما حفّزته معاناة الإنسان عموماً، وفي حالات مختلفة، أن يضع نظاماً يؤمن خلاص الإنسان، وقد توصل إلى صياغة نظام أخلاقي فيه ضبط للبدن يتميز بالقسوة، وفيه إمتناع عن استخدام القوة وإماتة للشهوة، ورهبانية لم تشاكلها أية رهبانية أخرى في أية عقيدة، هذا النظام العام أهّل البوذية للانتشار خارج بلد المنشأ، وهذا الأمر لم يتحقق للهندوسية[2].

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. احمد شلبي: 146-150.

(2) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 69، 70.

ومما لاشك فيه أن الطريق الوسطى الذي أشار بوذا إلى سلوكه، كان من أسباب نجاح بوذا كذلك، فقد حاول من خلال فكرة الطريق الوسطى أن يمنع أي مبالغة في التقشف.

إن أماتة الذات -في نظر بوذا- هي تطبيق مرهق ومضنٍ وبدون فائدة، فليس الإمتناع عن أكل السمك واللحم، أو العري، أو حلق الرأس، أو إرسال الشعر، أو لبس الثوب الخشن، يساعد على تطهير الإنسان الذي لم يتحرر من عيوبه وضلالاته. وكذلك قراءة كتب الفيدا، وتقديم التقديمات إلى الكهنة، وذبح الذبائح للآلهة، وإماتة الذات تحت وطأة الحرارة أو البرد...لا تطهر أبداً الذين لم يتحرروا من عيوبهم وضلالاتهم.

والطريق الوسطى التي يدعو إليها بوذا تزيح الطريقين المتطرفتين، وهذه الطريق تفتح الأعين وتعطي الفهم، وتؤدي إلى سلام الفكر والروح، وإلى الحكمة السامية، وإلى الاستنارة الكاملة وإلى النرفانا.

لذلك فقد سمح بوذا للرهبان بلبس الثياب، كما وسمح بتناول الأدوية والمعالجة، وقبل النساء في كنيسته بعد تردد، وأمر بوذا كذلك رهبان كنيسته بعدم صنع العجائب أو التبجح بالقدرة على صنع مالا يقدر عليه عامة الناس.

بل وانتقد بوذا ما يفعله البراهمة من إبتهالات وصلوات وتضرع للآلهة على أمل الوصول إلى حالة الاتحاد بالإله براهما، ويصفها بأنها فارغة[1].

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 96-98.

المبحث الثاني

انتشار البوذية

إنتشرت البوذية في عهد بوذا إنتشاراً واسعاً بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا، أما طبقة الملوك والجنود فقد دخلت البوذية تخلصاً من سلطان البراهمة، وأما الطبقات الدنيا فقد دفعت بنفسها إلى البوذية لتتخلص مما عانته في رحاب الهندوسية من إضطهاد واحتقار.

ولكن البوذية بدأت تنكمش بعد بوذا، ومن أهم أسباب إنكماشها أنها لم تعن بالكلام عن الإله، وبعبارة أخرى تركت فراغاً كبيراً في نفوس أتباعها، وبمرور الزمن ملأ أتباعها هذا الفراغ بآلهة الهندوس أو بعبادة بوذا نفسه واتخاذه إلهاً، ويتصل بهذا أيضاً أن بوذا لم يبن معابد، ولم يأمر أتباعه بممارسة أي لون من ألوان العبادة، وبسبب هذا لجأ أتباع بوذا إلى معابد الهندوس فوضعوا فيها تمثال بوذا، وأصبح كل ما زاد هو إله جديد أضيف إلى آلهة الهندوس المتعددة، والعقل الهندي يرحب بمزيد من الآلهة، وهكذا أخذت البوذية تتلاشى في الهندوسية، وأخذت الهندوسية تمتصها أو تمتص أتباعها يوماً بعد يوم.

وكان من أسباب ضعف البوذية في الهند بالإضافة إلى ما سبق، أن البوذية إهتمت بإصلاح الباطن، فحاربت الشهوة والغرور والكبرياء، ولكن الهندوسية قنعت بأشياء ظاهرية كالغسل في الأنهار المقدسة والأخذ بالطقوس والقرابين...ومعالجة الظاهر أيسر وأسهل من معالجة الأمور الباطنية، ولهذا تخلى البوذيون يوماً بعد يوم عن صراعهم مع نفوسهم، واكتفوا بقربان يقدمونه أو مظهر يظهرونه.

هذا ما آلت له حال البوذية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، حيث كانت البوذية تضعف وتنكمش في الهند، ولم تكن البوذية عرفت بعد طريقها إلى خارج الهند، وجاء الملك (آسوكا) والبوذية على وشك أن تنهار، فاعتنقها وبعث فيها الحياة مرة أخرى، ودفع بها إلى الخارج[1].

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 178، 179.

وكان لآسوكا الفضل الأساسي في نشر البوذية وتجديد شبابها، حتى بات يطلق عليه المؤسس الثاني للبوذية.

وقد بدأت حكاية أسوكا مع البوذية -كما ترويه الكتب البوذية-: أن قديساً بوذياً كان أحد مساجين أسوكا في سجنه، فقذفوا به في إناء كبير فيه ماء ساخن، فأبى الماء أن يغلي بما فيه، فأرسل السجان بالنبأ إلى أسوكا، وجاء أسوكا ورأى وأخذه العجب، ولما رجع إلى قصره، حدث له انقلاب نفسي عجيب، وأمر أن يهدم السجن.

وفي هذا الجو، أحس أسوكا باشمئزاز من هول الحروب وقسوتها، وزهدت نفسه، وتبنى البوذية، ثم أعلن أن فتوحه منذ ذلك الحين ستكون في ميادين الدين، واتجه أسوكا إلى خارج الهند، فأرسل البعوث الدينية إلى كشمير وسيلان والإمبراطورية اليونانية وجبال الهملايا، وهكذا انتقت البوذية من مذهب ضمن المذاهب الهندية إلى دين عالمي[1].

وإذا كان الفضل يعود لأسوكا في تحويل البوذية إلى دين عالمي، فإن الحقيقة تفرض الإشارة إلى أن البوذية القديمة التي صاغها بوذا لم تعد موجودة، بل تحولت مع إنتشارها من فلسفة أخلاقية إلى ديانة وضعية لها معابدها ومفهومها للألوهية ولها نظامها الطقسي.

ويمكن أن نقسم البوذية بعد بوذا إلى نوعين مختلفين، وكان خلافهما يتعلق بتفسير تعاليم بوذا:

1- **البوذية القديمة (هينايانا) أو (العجلة الصغيرة)**: وهي عميقة الصلة ببوذية بوذا، والتي يتجلى فيها الطابع الأخلاقي والتربوي، وتسمى (المذهب الجنوبي)، وهي تنتشر في بورما وتايلاند وسيريلانكا، وكتبها المقدسة مكتوبة باللغة البالية وهي لغة هندية قديمة[2].

ويرتدي كهنة هذا القسم ثوباً أصفر اللون، ويحلقون رؤوسهم، وعليهم الإلتزام بعدد من القواعد الكهنوتية شديدة التعقيد، فهم لا يتناولون الطعام إلا بعد منتصف النهار، ولا يسمح لهم بحمل أي نقود أو ملكية، وأتباعها يعتبرون أن بوذا ليس إلا مجرد رجل وضع بعض القواعد للسلوك، وهو ليس إلهاً يعبد[3].

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 71، 72.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 182.

(3) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 72.

ومن الواضح أن هذا القسم من البوذية له تشديد كبير على ضبط النفس، فالهدف هو الخلاص الفردي القائم على إطفاء نيران الشهوة، والتي لا تتحقق إلا من خلال جهود الفرد[1].

2- البوذية الجديدة (ماهايانا) أو (العجلة الكبيرة): وهي شكل منحرف للبوذية، وأتباعها يعتبرون بوذا إلهاً، ويعبدون الروح التي ألهمت بوذا[2]، وقد اختلطت بالآراء والنظريات الفلسفية، وتسمى (المذهب الشمالي)، وتنتشر في الصين واليابان والتبت ونيبال وأندونيسيا، وكتبها المقدسة مكتوبة باللغة السنسكريتية، وأتباعها أكثر من المذهب الآخر[3].

وبخلاف القسم الأول فإن الهدف في (المهايانا) هو أن يصبح المرء كائناً مناط إهتمامه الوحيد هو مساعدة الآخرين على القضاء على المعاناة، وكنتيجة لذلك حدث إعتماد أقل على الجهد الفردي، وضبط النفس، واعتماد أكبر على الإيمان ببوذا، فالخلاص ليس فردياً وإنما سيكون خلاصاً كلياً، والذي يمثله المثل الأعلى (بوذا)[4].

ومن الممكن على كل حال تقسيم البوذية إلى خمسة مراحل، وكل مرحلة خمسة قرون:

أما المرحلة الأولى، فهي التي تمتد من مطلع البوذية حتى القرن الأول الميلادي، وقد شهدت تحولاً كبيراً في العقيدة البوذية فيما يتصل ببوذا، فقد كان في أول هذه الفترة يعد معلماً ورجلاً عظيماً ورائداً عالمياً، ثم أصبح بمرور السنين رجلاً مقدساً فمعبوداً فإلهاً، ولم يكن هذا التطور العقائدي باتفاق الجميع، ولذلك عقدت مؤتمرات للتوفيق، ولكنها لم تستطع أن تقنع الجماهير بترك مكان الإله شاغراً كما أراده بوذا أن يكون، فظل الخلاف قائماً.

وفي خلال هذه الفترة ظهر الإمبراطور أوسكا، الذي دفع بالبوذية إلى خارج الهند.

وفي المرحلة الثانية، أي من القرن الأول حتى القرن الخامس الميلادي أخذت البوذية إتجاه الشرق، واتجاه الجنوب الشرقي إلى كمبوديا وفيتنام، وفي القرن الثالث إتخذت طريقها اتجاه الشرق إلى الصين وأواسط آسيا، ومن الصين إتجهت إلى الشمال الشرقي فدخلت كوريا.

(1) الفكر الشرقي القديم، جون كولر: 207.
(2) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 73.
(3) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 182.
(4) الفكر الشرقي القديم / جون كولر: 207، 208.

المبحث الثالث

تعاليم ومعتقدات البوذية

1- هل البوذية دين أو فلسفة؟

يصعب على الدارس أن يصنف بوذية بوذا بين الديانات الوضعية، لأن بوذا بالأساس لم يناقش الألوهية، وعالم الغيب، فتصنيف بوذا بين الفلاسفة أسهل[1].

"فبوذا لم يكن صاحب دين، فهو لم يتكلم عن الله بل ربما سخر ممن تكلموا عنه، غير أن أتباع بوذا بعده رفعوه إلى درج الآلهة، وقبلوا كلماته على أنها حقائق لا يتطرق إليها شك، وهم بهذا يرفعون فلسفة بوذا إلى مستوى الدين، ويرون أنه لم يتكلم عن الله لأنه هو الله، فالبوذية بناء على رأي بوذا فلسفة، ولكنها في رأي البوذية دين.

فأساس النظام الذي وضعه بوذا العمل لا العقيدة، فقد كان يحاول خلق عادة لا إقرار عقيدة، وعلى هذا ليس في تعاليمه إلا القليل الذي يصح أن يوصف بالعقيدة، كما أنه لم يأمر بعبادات ولا رياضات تقشفية، وكل إلحاحه كان على التدريب الأخلاقي"[2].

2- نظرة البوذية إلى الألوهية:

"إذن وكما سبق ذكره فإن بوذا لم يقرر عقائد، ولم يؤسس لدين، وإنما أعلن وبكل جلاء أنه كسب الحكمة بجهود جبارة فيما سبق له من الحياة على هذه الأرض دهوراً وأحقاباً بتعدد المواليد، وهو يرشد أتباعه إلى نظام يضمن الرقي الأخلاقي، ولا يدعوهم إلى دين كسائر الأديان، إنه يُري أتباعه سبيلاً ولا يقرر عقيدة. فبوذا يؤسس

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 75.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 170، 172.

على حصوله على المعرفة أو بعبارة أخرى على تجربته الروحية التي لا يمكن بيانها بالألفاظ، فدعوته حكاية عن تجربته وعن الطريق المؤدي لها.

وكانت البوذية في هذه البقاع تتعاون تعاوناً كاملاً مع النظام الملكي الذي كان مسيطراً خلال هذه القرون على هذه الأقطار، وبواسطة هذا الإرتباط بين الدين والسياسة انتشرت البوذية وكثر تابعوها.

وخلال الفترة الثالثة التي امتدت من القرن السادس إلى العاشر الميلادي إستمرت البوذية في التقدم والانتشار، وبخاصة من كوريا والصين إلى اليابان، ومن الهند إلى نيبال، ثم إلى التبت، ويلاحظ في هذه الفترة أن الإرتباط بين القصور الملكية الحاكمة وبين البوذية، لم يكن دائماً وطيداً، وكان إنتشار البوذية أو تقلصها يتوقف على قوة الإرتباط وضعفه.

وفي المدة الرابعة، أي من القرن الحادي عشر إلى الخامس عشر، ضعفت البوذية، واختفى كثير من آثارها، وذلك لعودة النشاط الهندوسي في الهند، ولظهور الإسلام في الهند وسواها من الأقطار، ولكن البوذية إتجهت في هذه الفترة فارة من الإسلام إتجاه (لاوس ومنغوليا وسيام وبورما).

أما الفترة الخامسة والأخيرة، أي من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين، فتعتبر فترة دقيقة من تاريخ البوذية، إذ وقفت وجهاً لوجه أمام تحدي الفكر الغربي الذي حمله الاستعمار.

وهذه الأحداث جعلت الجيل الجديد من البوذيين غير قانع بالبوذية، بل أن طبقة المثقفين تنظر إلى طقوس البوذية بشيء من السخرية، ويراها أكثر تاريخاً يصعب أن يعيش في الحاضر، وأن يجاري مقتضيات الحياة الحديثة، وقد نتج عن ذلك الشعور بالفراغ في نفوس المثقفين، لهذا تحاول المسيحية جاهدة أن تملأ هذا الفراغ، وفي سبيل ذلك تتبنى المسيحية بعض طقوس البوذية واحتفالاتها حتى تقترب من هؤلاء الشبان، وحتى لا تبدو لهم شديدة البعد عما ألفوه، ومما يساعد المسيحية على النجاح ما تغدقه دول الغرب على مراكز التبشير المسيحية من مال ومعدات ونفوذ[1].

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 183-186.

وعلى هذا لم يعن بوذا بالحديث عن الإله، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتاً أو إنكاراً، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية وما وراء الطبيعة، أو عن القضايا الدقيقة في الكون، إذ كان يرى أن خلاص الإنسان متوقف عليه هو لا على الإله، ويرى أن الإنسان صانع مصيره.

وكان بوذا ينهى أصحابه وزواره أن يخوضوا في هذه الأبحاث، ويوبخهم على سؤالهم عن قضايا دقيقة مجردة، ويأمرهم بالخوض في أعمالهم ودواعيها وميولهم وعواطفهم وعواملها.

ولكن بوذا إتجه أحياناً إلى جانب الإنكار أكثر من إتجاهه إلى جانب الإثبات، فقد وقف في أحد خطبه يسخر ممن يقولون بوجود الإله.

وبسبب إهمال الحديث عن الإله عند بوذا، أو الإتجاه إلى نكرانه أحياناً، إتجه براهمة عصره إلى أن يصموه بوصمة الإلحاد[1].

ورغم إستنكار بوذا للطقوس الهندوسية المتعلقة بتكريم الآلهة وعبادتها وإقامة التماثيل والمعابد لتعظيمها، إلا أن أتباع بوذا -فيما بعد- أقاموا المعابد والتماثيل والصور الأنيقة له وبالغوا في تكريم المعلم السيد، واعتبروه معلماً للآلهة -كما للبشرية- وسيداً خالداً ومحركاً للكون[2].

إن انسياق بوذا مع الاتجاه الخلقي والعملي دفعه إلى التقليل من قيمة الآلهة والخوض في أعمالها وصفاتها، حتى إننا نراه يعلن بوضوح: بأن طاعة قوانين العدالة أفضل بكثير من عبادة الآلهة.

ونجد بوذا يقرر أن الإنسان عن طريق العمل يصنع مصيره ويحدد نهايته، ولا تدخل للآلهة -إن وجدت- في مصيره، ثم إن الآلهة لا تختلف بطبيعتها عن الإنسان مادام هذا الأخير قادر على إكتساب صفة الخلود والإستمرار إذا امتلك الحكمة وبلغ الحقيقة، ففي يد الإنسان خلاصه ومصيره، وهو غير محتاج إلى سند أو مساعدة من الخارج[3].

---

(1) المصدر السابق: 166-168.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 105.

(3) المصدر السابق: 138-140.

ومما لاشك فيه، أن الإيمان بالإله، إتجاه قوي في النفس البشرية، وإهمال هذا الإتجاه يحدث إرتباكاً واضطراباً، ومن أجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خالياً، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الإعتقاد أن بوذا ليس إنساناً محضاً، بل إن روح الله قد حلّت به[1].

3- الولادات المتكررة (التناسخ):

تكرر الولادات مسألة إعتقادية أساسية في الديانة الهندوسية والديانات التي تفرعت عنها، ورغم تسليم بوذا بهذا العقيدة لكنه فهمها بطريقة مختلفة. فتكرار الولادات عند بوذا مظهر من مظاهر الألم والشقاء الذي يعاني منه الكائن الحي.

والفهم الجديد الذي أتى به بوذا، حول التناسخ كان منسجماً مع فكرته عن الإنسان والوجود الكائن، ومع الحقائق النبيلة التي توصل إليها، وهي تشكل العامود الفقري للدعوة أو الشريعة الحقيقية التي أدار عجلتها بنفسه، وقد قرر أن (الأثمان) أو (الكائن الميتافيزيقي الموجود داخل الإنسان) والمدرك لإحساسات الإنسان والفاعل لأعماله، غير مختلف بطبيعته وحقيقته عن سائر أعضاء البدن.

لقد استبدل بوذا فكرة (الأنا) التي جاءت بها الديانة البرهمية بفكرة الشخصية أو المركب من مجموعات من العناصر المادية (أعضاء الجسد)، وغير المادية (الفكر والعقل) المؤتلفة في كل واحد (الأثمان).

هذا الشخص يخضع لناموس الطبيعة الذي يسيطر على كل الموجودات وهو قانون السببية، إن الأعمال التي يقوم بها الشخص هي التي تحدد ما سوف يصير إليه الإنسان بعد الموت في ولادته الجديدة، والعناصر السابقة هي التي تتجسد من جديد، وهكذا إلى أن يرتقي الشخص، بأعماله الفاضلة وبإلغائه كل العلاقات الناتجة عن

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 168.

سيطرة (الأنا) الأنانية، ليبلغ الحقيقة ويتم له الخلاص النهائي فيدخل في حالة (النرفانا)، أي حالة السلام الدائم، وتتوقف عن الولادة من جديد[1].

4- النرفانا:

هي حالة السعادة الكاملة الخالدة، وقد إتخذت النرفانا أحد معنيين متلاحقين ومرتبطين مع بعضهما البعض هما:

أ- وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية، أو بعبارة أخرى فناء الأغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيئة أو ذليلة مروعة.

ب- إنقاذ الإنسان نفسه من ربقة (تكرار المولد)، بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

وبناء على المعنى الأول يصل الإنسان إلى النرفانا وهو حي، وبناء على المعنى الثاني ترتبط (النرفانا) بالموت وبالتخلص من هذه الحياة على ألا يعود لها[2].

فطريق النرفانا عند البوذيين يمر بالزهد والتغلب على الأهواء والشهوات، فالنرفانا تتحقق لمن سلك الطريق التالي: الزاهد هو الذي يتغلب على كل رغبة عالمية ولذة، محتقراً وجوده. إن من يتغلب على الشهوات ويتحرر من الكبرياء والعظمة، ويُذل رغباته، ويلين جانبه، يشعر بغبطة نفسية فيسلك حسناً في هذا العالم، فالذي يعرف طريق النرفانا، لا يحتد ولا يغضب، بل يكون طاهر القلب، صافي النية، حسن السيرة، مبتعداً عن الشر قولاً وعملاً[3].

فالنرفانا، حالة دخول إلى عالم لا تنطبق معاييره وقوانين العالم الذي نعيش فيه، إنه عالم تخلص من الأبعاد المكانية والزمانية، فلا عناصر فيه ولا شكل له، لا يحيط به شيء ولا يحيط هو بشيء، لا يضغط عليه شيء ولا يعود يتعرف الداخل في هذه

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 141-143.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 161.

(3) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 81.

الحالة، على نفسه أو أناه، أو علاقاته بالآخرين وبالأشياء الخارجة عنه، وربما هي حالة تلاشي أو فراغ، وبالجملة لا يمكن وصف هذه الحالة بالتعابير والأوصاف المعهودة لدى البشر، لكنها حالة ليس بعدها أو قبلها ولادة وهرم ومرض وموت، إذ لا بداية لها ولا نهاية، وبالتالي هي حالة ينتفي فيها الألم والعذابات الناتجة عن تكرار الولادات وعن العلائق والشهوات التي تدعو إليها الأنا أو الذات، لأن الأنا والذات لا يعود لها أي وجود عند الدخول في حالة النرفانا، إنها حالة التحرر الكامل والإنعتاق[1].

فالبوذي إذن يؤمن بدورة النفس تناسخاً في الأبدان في مسعى للتطهر حتى تصل إلى حالة الاستنارة والصفاء، وبذلك تستحق التسامي والرحيل من دورتها في الأبدان لتتحقق لها النرفانا، وهي الاندماج الكامل بالمخلص بوذا، وهذه الفكرة البوذية تقارب المفهوم المسيحي الذي يقول بالإتحاد بالمسيح عليه السلام، كما أن هذه الفكرة تسربت إلى بعض الطرق الصوفية عند المسلمين، فقال هؤلاء بالاتحاد والذي زعموا فيه الاتحاد بين المريد والمراد، أي بين الصوفي والله، مما قاد بعضهم إلى شطحات أدت بهم إلى الكفر كالحلاج والبسطامي وسواهما[2].

إن كل إنسان أراد الخلاص، عليه أن يسلك طريق الاستنارة كبوذا نفسه، وهذا يكون منطلقة لتوليد حالة وعي وشفافية بحقائق أربع تشكل القاعدة التي يرتكز إليها الإنسان، وهذه الحقائق تساعد الإنسان الذي ينشد الفضيلة والنبل على إخماد الشهوات وإماتة الذات وتلاشي البدن، فما هي هذه الحقائق:

الحقيقة الأولى: الولادة حزن، النمو شقاء، المرض آلام، والموت عذاب، وإنه لمن المضني المؤلم أن نجاور ما لا نحب ونرغب فيه، وإنه لمن الحزن العميق أن نفترق عمن نشغف به حباً، ونتحمل العذاب والقهر من أجله.

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 136.

(2) الهندوسية، البوذية، السينحية / د. أسعد السحمراني: 81.

الحقيقة الثانية: الألم وسببه الشهوة التي تكتنف العـالم، إحساساً واستجداء وعطشاً، وتتطلب الإرواء من الأشـياء الـتي تـتراءى للـذات، وهـذه كلـها تقـود إلى اللـذة المرغوب فيها وهي سبب الأوجاع.

الحقيقة الثالثة: الإحساس بالحزن، ومن يقهر شهواته ويتغلب عليها يُعد عظيماً، لأنـه يتحرر من القيود فلا يأخذه طمع أو بريق لذة.

الحقيقة الرابعة: هي الممر الثـامن إلى الإحسـاس بـالحزن، ولـلذات الـتي تسـعى وراء الحقيقة المجردة خلاص إذا سلكت سبيل الصلاح ورفضت كل لذة عالمية، فـالحكيم هو الذي يسلك الطريق المعبدة بإخلاص فينفلت من كل حزن وألم[1].

هذه الحقائق الأربع هي القاعدة، ولابـد مـن إسـتكمال المنـهج الخلاصـي مـن خلال السبل التي تؤدي إلى هذا الخلاص، وهي الطريق ذات الشعب الثمانية، وهي:

1- الآراء السليمة، ويؤدي إلى صحة الفهم واستقامته.

2- الشعور الصائب، والذي يؤدي إلى الطمأنينة.

3- القول الحق.

4- السلوك الحسن عن طريق الأعمال الصالحة.

5- الحياة الفضلى بسلوك الطريق السوي لكسب العيش.

6- السعي المشكور عن طريق الجهد الحسن في الخير.

7- الذكرى الصالحة.

8- التأمل الصحيح، بسلامة العقل والضمير[2].

مع العلم بأن هناك قيوداً عشرة تحول دون بلوغ الإنسان درجة النجاة والسلامة وتلك القيود[3]:

---

(1) المصدر السابق: 84، 85.

(2) أنظر المصدر السابق: 86، وأديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 163.

(3) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 164.

1- الوهم الخادع في وجود النفس.

2- الشك في بوذا وتعاليمه.

3- الإعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.

4- الشهوة.

5- الكراهية.

6- الغرور.

7- الرغبة في البقاء المادي.

8- الكبرياء.

9- الإعتداد بالبر الذاتي.

10- الجهل.

وهكذا ترى البوذية أن الكون أزلي مستمر ليس له مبدأ يبدأ منه، فهو منشأ الآلام التي تملأ حياة الفرد، وليس هذا المولد إلا نتيجة للشهوات والرغبات والعواطف والميول الفردية لفرد سبق هذا الفرد، فتجددت حياة هذه النفس لتلاقي جزاء ما خضعت له من شهوات ورغائب، فتتجدد مرة أخرى لنفس السبب، وهكذا إلى ما لا نهاية، ولا تنتهي هذه السلسلة حتى تعدم بذورها من الشهوات والرغبات والعواطف والميول، فينتهي الميلاد فالهرم والموت، وسائر أوجاع الحياة وحسراتها[1].

(1) المصدر السابق: 165.

المبحث الرابع

النظام التشريعي والأخلاقي في البوذية

1- المال والثروة في البوذية: لقد حثَّ بوذا على من يريد دخول (النظام) أن يتنازل عن أمواله وعقاره، ثم يحمل متاعه ويلتحق بالجماعة، وهذا هو رأي بوذا تجاه الثروه، ولكنه ميزَّ بين من يجذب المال نفسه فيصير هدفاً لذاته وهو المقصود عند بوذا، وبين ما لم تشغف نفسه بالثروة والمال، ولم يكن الإنسان عبداً لها، فإن الثروة حينئذ لا تصير نقمة ولا شراً بل تصبح نعمة وبركة للإنسان.

ومما يتصل بالثروة رأي بوذا في العمل والبطالة، فقد كان واضحاً في جوابه لسؤال أنه يتجه إلى البطالة، فقد دعا إلى هجر ما لا يجوز فعله للجسد واللسان والفكر، وترك كل عمل قبيح يجر إلى الشرور، وعلى كل فإن سلوك بوذا كان يناقض العمل[1]. ويبدو أن فكرة التخلص من الأموال قبل دخول البوذية قد تسربت إلى المسيحية[2].

2- إلغاء الطبقات: لعل من أهم المبادئ التي نادى بها بوذا هي إلغاء هذا النظام، فكل من دخل النظام عليه أن يبطل الطبقية، لأن الرهبنة التي نادى بها يتساوى فيها كل البشر، ولكن يؤخذ على بوذا أنه جعل إلغاء نظام الطبقات متوقفاً على دخول البوذية، فلم يدع للمساواة في حد ذاتها[3].

3- المرأة والبوذية: إن بوذا لم يختلف عن واقع المجتمع الهندي في نظرته للمرأة، فمجتمع الهند مجتمع ذكوري يتعامل مع المرأة على أنها في موقع دوني، ويسلبها الكثير من حقوقها الإنسانية. فبوذا الذي دعا إلى الرهبانية واعتزال المجتمع والعيش

---

(1) المصدر السابق: 174.

(2) المصدر السابق: 170.

(3) المصدر السابق: 174.

في الغابات يكون بذلك قد دعا إلى عدم الزواج وهجر الأسرة، وهذا ما مارسه هو شخصياً، فبوذا لم يكن يطمئن نفساً في حضرة النساء، وتردد كثيراً قبل أن يسمح لهن بالانضمام إلى الطائفة البوذية، فلقد سأله تلميذه المقرب (أناندا) ذات يوم:

- كيف ينبغي لنا يا مولاي أن نسلك إزاء النساء؟

- كما لو لم تكن قد رأيتهن يا أناندا.

- لكن ماذا نصنع لو تحتمت علينا رؤيتهن؟

- لا تتحدث إليهن يا أناندا.

- لكن إذا ما تحدثن إلينا يا مولاي، فماذا نصنع؟

- كن منهن على حذر تام يا أناندا[1].

ومازال أناندا يلح على بوذا حتى قبل ضم النساء إلى جماعته وأتباعه، على أنه وبالرغم من ذلك فقد كان يرى في هذا خطراً على المجتمع البوذي، وقد قال مرة (لأناندا): لو لم نضم المرأة لدام الدين الخالص طويلاً، أما الآن بعد دخول المرأة بيننا فلا أراه يدوم طويلاً[2].

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 94، 95.

(2) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 175، 176.

المبحث الخامس

تطور البوذية

لقد كانت بداية البوذية على يد بوذا قائمة على النظام الأخلاقي والتربوي، ولكنها أخذت تتطور من قرن إلى قرن، فدخلتها مسائل عن الإلاهيات والكون، كان بوذا قد نهى عنها وحذر منها مريديه، ولكنهم بعده بحثوا فيها وأدرجوها في التعليم نفسه.

وبذلك ظهرت البوذية الجديدة، وابتعدت عن البوذية القديمة.

فالبوذية القديمة صنعتها أخلاقية، وميزتها سذاجة المنطق وإثارة العاطفة، وطابعها الحض على الخضوع لقوانين النظام، والإهتمام بتعاليم بوذا:

أما البوذية الجديدة فهي عبارة عن تعاليم بوذا مختلطة بآراء دقيقة في الكون، وأفكار مجردة عن الحياة والنجاة، مؤسسة على نظريات فلسفية، وقياسات عقلية.

وقد إرتبط التغير الفلسفي البوذي بانتشار البوذية ودخولها أقطاراً كثيرة، وقد أكثر أتباعها من القياس والتأويل حسب عقولهم وثقافاتهم حتى إبتعدت عن أصلها.

ومن أهم إتجاهات البوذية الجديدة:

1- إتجاه تقول بوحدانية الله، وأنه أوجد أولاً عدداً محدوداً من الأرواح، ثم ترك الإنشاء والتعمير مكتفياً بما وضعه في العالم من قوانين وقوى كالبذور تسير سيرها الطبيعي بلا نهاية، وهذه الأرواح هي التي تخلق الخير والشر.

2- إتجاه يرى أن الله أودع هذه الأرواح التي أرسلها للعالم قوى تستطيع منها أن تعرف الخير من الشر، ومن أجل ذلك لا يرسل الله رسلاً إكتفاء بذلك.

3- إتجاه يرى أن الله يُفرغ الكمالات الإنسانية في كل زمن على إنسان يتجرد لعبادته، ويبتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية، وهذا الإنسان المختار يحل محل الإله في إظهار الرضا عن بعض الناس أو الغضب عليهم، تبعاً لما يأتونه من الأعمال، ويعرفه الناس يلتفون حوله.

4- ويبالغ إتجاه آخر في تصوير المعنى السابق، فتقول إن الله يحل في أية صورة يختارها من صور أفراد الإنسان حلول تطهير وتكميل لا حلول إستقرار (كاللاما في التبت).

وتتكلم كل الإتجاهات عن التناسخ، ولكن بعضهم يرى أن التناسخ لا يكون إلا بالنوع نفسه، فتناسخ الإنسان يبقى مقصوراً على نوعه، وكذلك تناسخ الحيوان، فلا تنتقل روح من إنسان إلى حيوان ولا العكس. وتزيد فرقة أخرى في تضييق دائرة التناسخ، فترى أن روح العالم تنتقل إلى عالم، وروح الملك تنتقل إلى ملك، وروح الصالح تنتقل إلى صالح وهكذا..."[1].



(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 176-178.

الفصل الثالث

الديانة الكونفوشية

المبحث الأول: كونفوشيوس ونشأة الكونفوشية

المبحث الثاني: الكونفوشية بعد كونفوشيوس

المبحث الثالث: هل الكونفوشية دين؟

المبحث الرابع: تعاليم ومعتقدات الكونفوشية

المبحث الخامس: آراء كونفوشيوس في الأخلاق

المبحث السادس: آراء كونفوشيوس السياسية


مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان

الفصل الثالث

الديانة الكونفوشية

الكونفوشية، ديانة أهل الصين، وهي ترجع إلى مؤسسها (كونفوشيوس) الـذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائـه في الأخـلاق والمعاملات والسلوك القويم، وهي تقوم على عبادة إله السـماء أو (الإلـه الأعظـم)، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد[1].

لذا فقد تأصلت الكونفوشية في الصين، وبات إسم الصـين ملازمـاً لهـا، حتـى صار أكثر سكان الصين يدينون بها، مما جعل تراث الصين وحضارتها يلتحم بها[2].

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان: 2/ 748.

(2) الشنتوية / الكونفوشية / د. أسعد السحمراني: 55.

المبحث الأول

كونفوشيوس ونشأة الكونفوشية

إتسم العصر الذي عاش فيه (كونفوشيوس) بالتفكك السياسي والإجتماعي الواسع النطاق للأخلاق، وقد عرف العمل الشاق، والمعاناة، والمسؤولية، في سن مبكرة، وأدرك من خلال التجربة الشخصية الفقر، وسوء استخدام السلطة، والشدة والضيق، والتي أثّرت في حياة الناس العاديين، ولاشك في أن هذه الخلفية قد ساعدته على فهم كل من الحكومة ومشكلات الناس العادمين[1].

لقد كان من الواضح بالنسبة لكونفوشيوس الذي ولد في عام (551 ق.م) أن مشكلات الشعب تنبع من السلطة الحاكمة، التي تمارس بغير مبدأ أخلاقي، ولمجرد تحقيق مصلحة الحاكم، ورفاهيته فحسب، فلا عجب إذن أن نجده يدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية، التي من شأنها أن تسمح بأن تدار الحكومة لمصلحة الناس جميعاً، وقد شدد على أن ذلك يمكن القيام به، إذا كان أعضاء الحكومة ممن يتميزون بأقصى قدر من الاستقامة الشخصية، ويتفهمون احتياجات الناس، ويهتمون بمصالحهم وسعادتهم قدر اهتمامهم بأنفسهم[2].

عاش كونفوشيوس من (551-479 ق.م)، ولكن بعض أفكار الكونفوشية مستمد من عصور سابقة، بينما لم يتم تطوير أفكار أخرى إلا في وقت لاحق، ووفقاً للتراث فإن كونفوشيوس إستمد إلهامه من الكتب الكلاسيكية (الصينية) الخمسة وهي الكتب التي قام كونفوشيوس ذاته بنقلها عن كتب الأقدمين وهي:

1- كتاب الشعر: وهو مجموعة من الأشعار.

(1) الفكر الشرقي القديم / جون كولر: 348.

(2) المصدر السابق: 333.

2- **كتاب التاريخ:** وهو مجموعة من السجلات والخطب والوثائق الرسمية.

3- **كتاب التغيرات:** وهو مجموعة من الصياغات لتفسير الطبيعة، تستخدم في أغراض العرافة.

4- **كتاب الطقوس:** وهو مجموعة من القواعد التي تنظم السلوك الاجتماعي والطقوس الدينية.

5- **حوليات الربيع والخريف:** وهو تاريخ للأحداث في الفترة من (722-464 ق.م).

ويضاف إلى ذلك الكتب الأربعة، وهي نصوص منسوبة لكونفوشيوس نفسه، ومنها ما قد يكون لبعض تلامذته، وقد تمَّ تدوينها بعده مضافاً إليها بعض التفسيرات أحياناً، وهذه الكتب هي:

1- مختارات كونفوشيوس، أو كتاب (الأخلاق والسياسة): وهي مجموعة آراء ونصائح ومواقف لكونفوشيوس، وقد قام تلامذته بجمعها وتنسيقها، وكلها تعاليم توجه إلى قيم توجه الإنسان باتجاه الكمال.

2- كتاب العلم العظيم: ويضم أبرز تعاليم كونفوشيوس حول نظام الحكم.

3- عقيدة الوسط: وهو تعاليم حول ضرورة مراعاة الإنسجام في الأمور كافة والبعد عن التطرف.

4- كتاب منشيوس: ويحوي حكماً وأمثالاً عائدة لكونفوشيوس أو لبعض تلامذته، مع شروح وحواشي وضعها (منشيوس) الذي يعد من الشراح الأوائل لفكر كونفوشيوس[1].

لم يذهب كونفوشيوس باتجاه الحديث عن أمور ما وراء الطبيعة، ولا بحث في نظام الكون وسننه، ولا إهتم في البحث بالماديات وظواهر الطبيعة ومظاهرها، وإنما تركز اهتمام كونفوشيوس على الإنسان. فالكونفوشيه هي الصياغة الإنشائية من قبل *كونفوشيوس وبعده إتباعه لمفردات ومفاهيم الثقافة الصينية، وهذا التوحد بين حضارة* الصينيين والكونفوشية دفع إلى إعتماد الكونفوشية مرتكزاً وأساساً للممارسة السياسية

(1) الشنتوية، الكونفوشية / د. أسعد السحمراني: 62.

والاجتماعية، فكانت بذلك في موقع باعثة الحياة في الفكر الصيني عبر المراحل كافة[1].

"وإذا رجعنا إلى نشأة وحياة كونفوشيوس، فإنها تعطينا دلالات وملامح توضح حقيقة هذه الشخصية، فقد ولد سنة (551 ق.م)، وهي إحدى مدة مقاطعة (لو)، وينتسب إلى أسرة عريقة، فجده كان والياً على تلك الولاية، ووالده كان ضابطاً حربياً ممتازاً، وكان هو ثمرة لزواج غير شرعي، وقد توفي والده وله من العمر ثلاث سنوات. لذا فقد عاش يتيماً، فعمل في الرعي، وتزوج في مقتبل العمر، ورزق بولد وبنت، لكنه فارق زوجته بعد سنتين من الزواج، لعدم استطاعتها تحمل دقته الشديدة في المأكل والملبس والمشرب.

وقد تلقى علومه الفلسفية على يدي أستاذه الفيلسوف (لوتس) صاحب الديانة (الطاوية)، إذ كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعياً إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقاً للعدل.

وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة، حتى تكاثر تلاميذه حتى بلغوا ثلاثة آلاف تلميذ.

وقد تنقل في عدد من الوظائف فقد عمل مستشاراً للأمراء والولاة، وعين قاضياً وحاكماً، ووزيراً للعمل، ووزيراً للعدل، ورئيساً للوزراء وأقدم حينها على إعدام بعض الوزراء السابقين، وعدد من رجال السياسة وأصحاب الشغب، حتى صارت مقاطعة (لو) نموذجية في تطبيق الآراء والمبادئ الفلسفية المثالية التي ينادي بها.

رحل بعد ذلك وتنقل بين كثير من البلدان ينصح الحكام ويرشدهم ويتصل بالناس يبث بينهم تعاليمه حاثاً لهم على الأخلاق القويمة. وأخيراً عاد إلى مقاطعة (لو) فتفرغ لتدريس أصدقائه ومحبيه منكباً على كتب الأقدمين يلخصها، ويرتبها، ويضمنها بعض أفكاره"[2].

---

(1) المصدر السابق: 64.

(2) الموسوعة الميسرة / الندوة العالمية: 2/ 748، 749.

توفي كونفوشيوس عام (479 ق.م) وهو في الثانية والسبعين من عمره، ولم يشأ أن يكون زعيماً لمذهب ديني، إلا أن تعاليمه سوف يكون لها أثرها في العقائد الصينية، لأن الأسس التي ارتكزت عليها تعاليمه الأخلاقية والسياسية هي دينية، وتناقل الصينيون هذه التعاليم، وبعد قرنين من وفاة كونفوشيوس قرر حاكم مملكة (هان) أن يتولى الكنفوشيون مقاليد السلطة، وأضحت الكونفشية دين الدولة[1].

وقد اتصف كونفوشيوس عند أتباعه ومريديه بأنه: دمث، مرح، مؤدب، يحب النكتة، يتأثر لبكاء الآخرين، يبدو قاسياً وغليظاً في بعض الأحيان، دقيق في المأكل والملبس والمشرب، مولع بالقراءة والبحث والتعليم والتعلم. كما كان مغرماً بالبحث عن منصب سياسي بغية تطبيق مبادئه السياسية والأخلاقية لتحقيق المدينة الفاضلة التي يدعو إليها. وكان لديه شعور ديني، يحترم الآلهة التي كانت معبودة في زمانه، ويداوم على تأدية الشعائر الدينية، يتوجه في عباداته إلى الإله الأعظم أو إله السماء، يصلي صامتاً، ويكره أن يرجو الإله للنعمة أو الغفران، إذ أن الصلاة لديه ليست إلا وسيلة لتنظيم سلوك الأفراد، والدين -في نظره- أداة لتحقيق التآلف بين الناس[2].



(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 228.

(2) الموسوعة الميسرة / الندوة العالمية: 2/ 749.

المبحث الثاني

الكونفوشية بعد كونفوشيوس

بعد موت كونفوشيوس تفرق تلاميذه وأسسوا مدارس كونفوشية، وكان (منشيوس) و(هسون تسو) من أهم الشخصيات التي عرفتها الصين بعد كونفوشيوس.

وقد ظهر (منشيوس) بعد إنقضاء مائة عام على وفاة كونفوشيوس، وافتتح مدرسة لتعليم الفلسفة، أحاط به فيها جمع من الطلاب آمنوا بآرائه وتعاليمه، وكانوا نواة للعدد الضخم من المريدين الذين أحاطوا به بعد، خاصة عندما انتشرت تعاليمه التي هاجم فيها الأمراء والوزراء وحكام الصين الظالمين، وكانت تعاليمه استمراراً لتعاليم كونفوشيوس[1].

وقد اهتم منشيوس كأستاذه كونفوشيوس بالأمور الدنيوية وأهمل مباحث المنطق وفلسفة المعرفة والميتافيزيقيا، وتناولت مباحثه مسائل سياسية تركزت حول تسليم السلطة ومقاليد الحكم إلى طبقة الأخيار الصالحين[2].

وأرسل إليه الأمراء من مختلف المقاطعات يدعونه ليناقشوه في نظرياته عن الحكم، وحيثما حلٍّ منشيوس كان يقابل باحترام عظيم لانتشار شهرته كفيلسوف، وكان الأمراء يسألونه: ما هو الحكم العادل الحكيم الذي تبشر به؟ وكان يجيب: ليس ما أعظ به الشيء الجديد فقد سبقني إليه أستاذي كونفوشيوس...ذلك أن الحاكم العادل يحكم شعبه طبقاً للفضائل الثابتة الخمس. ويسأله الأمراء: ما هي هذه الفضائل؟ فيجيب منشيوس: فعل الخير، وهو الرغبة في العمل لصالح الشعب. والإستقامة، وهي ألا تفعل للآخرين ما لا تحب أن يفعلوه لك. واللياقة، وهي أن

---

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر: 213، 214.

(2) الأديان الوضعية الحية / د. محمد العربي: 243.

تسلك مع الشعب الذي تحكمه سلوكاً يتسم بالحياء. والحكمة، وهي أن تسترشد بالمعرفة والفهم. والإخلاص، وهو أن تكون مخلصاً في كل ما تفعل، لأنه بدون الإخلاص لا يمكن للعالم أن يبقى كما يقول الأستاذ كونفوشيوس؟[1].

ولكن هل كانت هذه الآراء تلاقي قبولاً من الحكام؟ والجواب أن منشيوس وجد صعوبة كبيرة في ذلك...فقد كان الأمراء والحكام ينصتون إليه، ولكن أحداً منهم لم يأخذ بنصائحه، رغم السنوات العشرين التي قضاها متنقلاً من إقليم إلى إقليم، أما الذين أعجبوا به واتبعوه، فهم جماهير الشعب، الجماهير التي أعجبها اعتراف منشيوس بحق الشعوب في الثورة وتنديده بالحرب التي كان يراها جريمة، ونقده اللاذع لترف حاشية الملوك، وتوجيهه أشد اللوم للملك الذي يطعم كلابه وخنازيره ويترك الناس يموتون جوعاً. ومن هنا أحبته الجماهير وكرهه الحكام، وكان من أبرز ألوان تلك الكراهية أن الملك أمر أن يمحى اسم منشيوس من مكانه في هيكل كونفوشيوس، ولكن اللوحة أعيدت بعد ذلك إلى مكانها، فقد آمن الناس كلهم في الصين بأن منشيوس كان حكيماً عظيماً[2].

وكان منشيوس يرى أن الطبيعة البشرية قائمة على الخير الفعلي، فالخير جزء من طبيعة البشر، وكان يعلل وجود الشر في العالم إلى ثلاثة مصادر: أولها: الظروف الخارجية، وثانيها: التخلي عن النفس من خلال تخلي الناس عن خيرهم الفطري، وثالثها: عدم تغذية المشاعر والحواس[3].

ويعد (هسون تسو) أحد تلامذة كونفوشيوس المخلصين، ومن الذين عملوا على حمل رسالته وتفسيرها، وتعد وجهات نظر (هسون تسو) حول هذه النقطة معارضة تمام المعارضة لآراء منشيوس، حيث يقول (هسون تسو) إن الطبيعة الإنسانية شريرة أصلاً، ومن خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية يصبح الناس أخياراً، فالبشر يمتلكون فعلاً بدايات الشر في رغبتهم الكامنة في الربح والمتع، ومن ذلك فإنه من

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر: 265.

(2) المصدر السابق: 266، 267.

(3) الفكر الشرقي القديم / جون كولر: 369.

الممكن لكل شخص أن يصبح حكيماً، ذلك أن كل شخص يحظى بالعقل، ومن خلال إعمال العقل يظهر الخير[1].

وإذا قارنا بين منشيوس وهسون تسو، سنجد تفاوتاً واضحاً في نظرتهم للطبيعة البشرية، فمنشيوس قال: إن البشر يولدون أخياراً، ويقول هسون تسو: إنهم يولدون أشراراً. وقال منشيوس: إن المجتمع والثقافة يجلبان الشر، ويقول هسون تسو: إن المجتمع والثقافة يجلبان الخير، وبينما يقول منشيوس: إن أي شخص يمكن أن يصبح حكيماً بسبب عقله الأصلي وقابليته للتربية[2].

وما حدث تاريخياً هو أن أياً من هذين الفيلسوفين لم يتم رفضه في الكونفوشية تحبيذاً للآخر، وإنما أضيفت مثالية منشيوس وواقعية هسون تسو معاً إلى فلسفة كونفوشيوس، وعلى هذا النحو اكتملت الكونفوشية، حيث أخذ من منشيوس التأكيد على تجديد سلامة الفعل كوسيلة لتطوير الإنسانية، وأخذ من هسون تسو التأكيد على إتباع قواعد السلوك لتطوير الطبيعة البشرية. ومن خلال تبني وجهتي النظر كليتهما دعمت الكونفوشية احترام الضوابط الداخلية، مستخدمة المشاعر الداخلية كأدلة ترشيد للسلوك الصحيح، واحترام الضوابط الخارجية مستخدمة القواعد الاجتماعية كأدلة للسلوك[3].

وبعد مرور مائتين وخمسين عاماً من وفاة كونفوشيوس جلس على عرش الصين إمبراطور جديد، حاول أن يجعل من نفسه الإمبراطور الأول، ومن أجل أن يمنع الناس أن يذكروا غيره، أمر بحرق كتب العلماء والحكام، وخاصة كتب كونفوشيوس وتلميذه منشيوس، حتى ينسى الناس ذكرهم.

وبعد عدة سنوات مات الإمبراطور، ولم يكد يموت حتى أخرج الناس الكتب التي أخفوها من قبل وأقاموا عيداً كبيراً إحتفالاً بذكرى كونفوشيوس وأتباعه. ومنذ

(1) المصدر السابق: 369.

(2) المصدر السابق: 370.

(3) المصدر السابق: 371.

ذلك الوقت أصبح اسم كونفوشيوس أعز على الناس مما كان قبل، ومن جديد عاد مذهب كونفوشيوس إلى الازدهار[1].

وفي عام (72)م كرم الإمبراطور اثنين وسبعين من كبار أتباع الكونفوشية، وبعد ذلك بمائتي عام صدر مرسوم بوجوب تقديم القرابين العظيمة لكونفوشيوس أربع مرات كل عام، ثم قام أهل بلدة كونفوشيوس ببناء معبد تمجيداً لذكراه، وفي عام (555م) صدر مرسوم يقضي بإقامة معبد لكونفوشيوس في جميع المدن الكبرى من كل ولاية من ولايات الصين. وفي عام (665) خلع عليه لقب (أنبل الأساتذة)، ثم لقب (ملك) في عام (779)، ثم خلق (1013) لقب (أقدس القديسين)، ثم أطلق عليه (1657) اسم (أحكم الأساتذة الأقدمين)[2].

ومنذ ذلك الوقت صارت الكونفوشية عقيدة أهل الصين ويعتز بها أهل الصين، حتى أصبح النجاح في الامتحان الديني أمراً أساسياً للتعيين في الوظائف العامة.

ولكن في سنة (1905م) بدأ نجم الكونفوشية في الأفول، إذ ألغي الامتحان الديني الذي كان يعد ضرورياً للتعيين في الوظائف، وتحولت الصين في سنة (1912م) إلى النظام الجمهوري، مما أدى إلى إختفاء الكونفوشية من الحياة الدينية والسياسية، لكنها بقيت واضحة في الأخلاق والتقاليد الصينية، ورغم ذلك فقد صدر سنة (1928م) مرسوم بتحريم تقديم القرابين لكونفوشيوس، ومنع إقامة الطقوس الدينية له.

وعندما سيطرت الشيوعية على الصين عام (1949م)، بدأ نجم الكونفوشية في الاختفاء، ولكن بعد موت الزعيم الشيوعي (ماوتسي تونح) في بداية السبعينيات من القرن العشرين، عادت الكونفوشية من جديد للحياة الصينية، وهذا يدل على مدى السيطرة الروحية للكونفوشية على الشعب الصيني[3].

---

(1) قصة الديانات / سليمان مظهر 219-221.

(2) المصدر السابق: ص 221.

(3) الموسوعة الميسرة في الأديان: 2/ 751.

المبحث الثالث

هل الكونفوشية دين؟

لم يشأ كونفوشيوس أن يكون زعيماً لمذهب ديني، إلا أن تعاليمه سوف يكون لها أثرها على العقائد الصينية، لأن الأسس التي ارتكزت عليها تعاليمه الأخلاقية كانت تركز على أساس طبيعة الإنسان والمجتمع.

ولعل النقاش الذي دار ويدور حول ما إذا كانت الكونفوشية ديناً أم مجرد نظام أخلاقي يعود إلى كان يعتمده كونفوشيوس من أسلوب التركيز على كل ما يعني السلوك الإنساني، حيث كان يتجنب كل حديث عن الغيب وما بعد الموت، فقد كانت النزعة المسيطرة على كونفوشيوس تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك وعلى الحكم، لذا كان يتجنب البحث فيما وراء الطبيعة، ويحاول أن يصرف عقول أتباعه عن كل الأمور الغامضة، أو الأمور السماوية، وإذ وجه إليه سؤال في أمور الدين أجاب إجابة سلبية...ولما سأله تلميذه (كي لو) عن خدمة الأرواح أجابه: إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس فكيف نستطيع أن تخدم أرواحهم؟ ثم سأله: هل أجرؤ على أن أسألك عن الموت؟ فأجابه: إذا كنت لا تعرف الحياة فكيف يتسنى لك أن تعرف شيئاً عن الموت؟[1]

هذه الإجابات جعلت بعض الناس يعتقدون بأنه كان متشككاً أو حتى ملحداً، وأنه بسبب افتقاره إلى الشجاعة غلّف آراءه حول المسائل الإلهية وامتنع عن التصريح بها[2].

لذلك يمكن القول: عن الكونفوشية ليست نظاماً ذهنياً أو فكرياً عقدياً، أو ذا إتجاه قطعي في أطروحاته، لأنه كونفوشيوس سعى بسلوكه ذي الطابع الإنساني أن

---

(1) الشنتوية، الكونفوشية / د. أسعد السحمراني: 66، 67.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 231.

يثبت أن للحياة معنى، وأن السعادة تكون بالعيش في مناخ الفضيلة واحترام القيم والإعتراف بالآخر[1].

إذن كان كونفوشيوس يتهرب قدر المستطاع عن الإجابة على الأسئلة التي لها طابع ديني ما ورائي، ويبدو أنه اهتم بمسألة واحدة من مسائل ما بعد الطبيعة، وهي مسألة الوحدة والتناغم بين الموجودات، إذ يصرح بأنه جوهر الفلسفة يكمن في البحث عن الوحدة الشاملة، والذي يؤدي إلى توسيع دائرة معارف الباحث عن الحقيقة إلى أبعد حد مستطاع، وهذا التوسع في المعارف لا يكون إلا بالبحث عن حقائق الأشياء[2].

ولكن يلاحظ من خلال بعض المقتطفات التي تركها كونفوشيوس أنه لم ينكر (إله السماء)، وهو الإله الأساسي عند الصينيين، أو أنه بالأحرى كان يأمل بأن السماء لا ترضى بأن يخفق في تعاليمه، ويروى أنه صاح مرة وقد أعياه إفهام الناس بعض آرائه: لم يفهمني أحد من الناس ولكن السماء تفهمني، فهو لم يتخذ من المعتقد الديني، ولا من الأمل الديني منطلقاً وأساساً لفلسفته، بل إنطلق من الطبيعة البشرية والطبيعة، وبنى عليهما فلسفته[3].

ونخلص إلى نتيجة مفادها أن الكونفوشية بما شهدته من تطور وإضافات ومحطات من الإندفاع والامتداد أو الإنكفاء عبر قرون عديدة بلغت (25) قرناً، تبلورت على شكل ديانة لها معتقداتها وطقوسها ومعابدها، وإن كان الجانب الاجتماعي السياسي الأخلاقي هو الغالب فيها[4].

(1) الشنتوية، الكونفوشيوية / د. أسعد السحمراني: 68.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 231، 232.

(3) المصدر السابق: 233، 234.

(4) الشنتوية، الكونفوشية / د. أسعد السحراني: 69.

المبحث الرابع

تعاليم ومعتقدات الكونفوشية

تقوم فلسفة كونفوشيوس على أنها فلسفة إنسانية اجتماعية، وبناء على ذلك فإنها تدور حول البشر ومجتمعهم، فليس هناك شيء أسمى من البشر مصدراً للمبادئ الإنسانية، وهنا لا يتطلع الناس إلى الطبيعة بحثاً عن المبادئ، وإنما يتطلعون إلى إنسانيتهم ليجدوا المبادئ التي تتيح الخير والسعادة، وهكذا فإن وصف الكونفوشية بأنها نزعة إنسانية هو إشارة إلى أنها فلسفة ترد على هذا السؤال: كيف يمكن تحقيق الخير والسعادة؟ وما هي المبادئ التي تجعل من البشر مخلوقات إنسانية؟

1- جين (Jen)[1]: يقول كونفوشيوس: إن ما يجعل البشر إنسانيين على نحو فريد هو (جين)، وهذا هو السر في أن الطريق الكونفوشي في جوهره طريق (جين) أو طيبة القلب الإنسانية، وتكشف ترجمة كلمة (جين) بطيبة القلب الإنسانية، وبالتشديد على القلب، وليس على العقل، باعتباره السمة المحددة للطبيعة الإنسانية.

فالجين هي المبدأ المطلق للفعل الإنسائي، والكائن البشري الحق لا ينحرف عن طريق الجين قط، ومن ينحرف عن هذا الطريق لا يعبر عن كمال الإنسانية، لذا فقد فهم أتباع كونفوشيوس أن العيش وفقاً (للجين) يقتضي تطوير طيبة قلب المرء الإنسانية، ومد نطاق الطيبة المطورة إلى الآخرين.

2- لي (Li)[2]: على الرغم من أن الجين هو أساس الإنسانية، وبالتالي الدليل المطلق للفعل الإنساني، فقد أدرك كونفوشيوس أن الحاجة ماسة في الحياة اليومية إلى أدلة متعينة في قواعد اللياقة أو آداب المجتمع، التي تحكم العادات والمراسم والعلاقات

---

(1) الفكر الشرقي القديم / جون كولر: 350، 351.

(2) المصدر السابق: 352-354.

التي تمَّ الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور، ويعكس أفضل هذه الممارسات التجسيد المتعين لـ (الجين) وتجسيدها في الماضي، وبالتالي فهي تشكل دليلاً لتحقيق الجين في الحاضر.

ويتعين علينا لفهم الأهمية التي يعلقها كونفوشيوس على (لي) أن نفحص معاني هذا المفهوم، وتعنى كلمة (لي) العديد من الأشياء، فهي تعني الدين، وتعني المبدأ العام للنظام الاجتماعي، وتعني كيان الممارسات الاجتماعية والأخلاقية بأسره، كما أنها تعني الطقوس والاحتفالات، وتعني نظاماً من العلاقات الاجتماعية المحددة بوضوح، وهي تعني الإنضباط الأخلاقي في السلوك الاجتماعي، وتعني الآداب العامة في كل شيء.

3- هيساو (Hsiao) ولاء الأبناء[1]: أكد كونفوشيوس أهمية العائلة في تطور (جين)، لأن العائلة تشكل البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل، ففي العائلة يتعلم الطفل إحترام الآخرين وحبهم، حيث يأتي الآباء أولاً، فالأخوة والأخوات والأقارب، ثم باتساع النطاق التدريجي، الإنسانية كافة، وقد قال أحد تلاميذ كونفوشيوس: إن الولاء البنوي والاحترام الأخوي هما جذر الإنسانية.

ومن أجل إظهار التوقير للوالدين، فالكونفوشية ترى أنه من المهم حماية الجسم من أن يلحق به أذى، حيث إن الجسم من الأبوين، ومن هنا فإن حماية الجسم هي تكريم للأبوين، بل أكثر من ذلك فإن التوقير ينبغي إظهاره للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة، وجعل اسهامهما معروفاً ومبجلاً، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف إسم أبويه فعليه ألا يجلب لهما الخزي والعار على الأقل.

ولكن (هسياو) عند الكونفوشين ليس فضيلة عائلية فقط، فهذه الفضيلة التي تنشأ في العائلة تؤثر في الأفعال خارج المحيط العائلي، وتصبح من خلال إتساع نطاقها فضيلة أخلاقية واجتماعية.

(1) المصدر السابق: 355، 356.

4- **الحكم عن طريق الفضيلة**[1]: مفهوم كونفوشيوس عن الحكم هو مفهوم عن نظام أخلاقي، فعندما يتصرف كل الأفراد على نحو أخلاقي في علاقاتهم كافة مع الأشخاص الآخرين، لن تكون هناك مشكلات اجتماعية، فلتحقيق السلام العالمي فإن من الضروري، إعادة النشاط إلى قلب المرء ورعاية حياته الشخصية، وتنظيم حياته العائلية على نحو سليم، وعندما يتم القيام بهذه الأمور الثلاثة فإن (جين) سيتم تطويرها وسيسود الخير والأخلاق.

وفكر كونفوشيوس جدير بالتفصيل في هذه القضية فهو يقول: لنفترض أن أطفالاً قد ولدوا في عائلة يسودها الحب والخير، فلسوف يكبر هؤلاء الأطفال وهم يرون أبويهم كل منهما يحب الآخر ويحترمه، وسيتوافر لديهم نموذج يطورون على أساسه شعورهم بالحب والإحترام. هناك يرى الأطفال والديهم وهما يحترمان الكبار الآخرين، والمناصب، والمسؤولين الحكوميين، والأخلاق، والقانون.

فالأمة في جوهرها -عند كونفوشيوس- عائلة واحدة، حيث يرتبط خير الفرد، على نحو لا سبيل إلى فصم عراه، بخير المجتمع بأسره، وفي الإطار نفسه فإن خير المجتمع هو خير الكثير من الأفراد. ولما كانت الحكومة تستهدف في نهاية المطاف مصلحة الفرد، ولما كان الفرد هو الذي يستفيد أو يعاني منها، فإنه يبدو من الطبيعي أن تتم دراسة وسائل وسبل الحكم من منظور الأفراد المعنيين، وبتعبير آخر فإن دراسة الحكومة ينبغي أن تبدأ من البشر، لا من المؤسسات.

ويمكن تحديد العقيدة الكونفوشية، بأنها قائمة أولاً على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض لأن للأرض هي الأخرى إلهاً، ثم عبادة أرواح الأجداد، ثم عبادة الجبال والأنهار.

وعبادة هذه الأشياء الخمسة إنما كانت لأغراض نفعية خاصة بالإنسانية، فعبادة السماء أو رب الأرباب تؤدي إلى أن يقوم كل رب من الأرباب المنتشرة في السماء والأرض والبحر بمهمته المكلف بها، وعبادة الأرض من شأنها أن تحفز إله الأرض إلى

---

(1) المصدر السابق: 360، 362، 363.

إنماء النبات وإخراجه إلى حيز الوجود، وعبادة أرواح الموتى الأجداد في المعبد الخاص بذلك من شأنها أن تؤكد الصلة بين الأجداد والأحفاد، والآباء والأبناء، وتولد الشفقة والعطف بين أفراد الأسرة الواحدة، أما عبادة الجبال والأنهار فهي لتقديس الأرواح الإنسانية الأخرى غير أرواح الأقارب والأجداد، وكل عبادة من هذه العبادات الخمس لها طقوس وقرابين خاصة بها.[1]

وفي الكونفوشية تفسير يحاولون من خلاله تبرير إعتقادهم بقوى الطبيعة وكائناتها، هذا التفسير يبدأ من الماء والنار وما يتعلق بهما وينتهي مع الإنسان، وهو عندهم أرقى الكائنات، فالكونفوشية تضع في رأس القائمة الإنسان، حيث تتركز فيه الخصائص كلها الموزعة في سائر المخلوقات، وتنتقل بعدها إلى الثنائية التي تحكم نظام الأشياء، ومن ثم إلى العناصر الخمسة ومتعلقاتها، وهي أساس الحركة في السنن الكونية (التراب، الخشب، النار، المعدن، الماء).

إن هذه العناصر الخمسة تشكل محور المعتقد الكونفوشي، لذلك كانت عندهم ضمن عباداتهم المرتبطة بالعقيدة خمسة قرابين، الغرض منها تخليد أصل الحرف الإنسانية[2].

وهم يرون أن الإنسان ليس إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية، أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة[3].

وتتمثل المعتقدات الأساسية لديهم في الإله، أو إله السماء، ويتوجهون إليه بالعبادة، كما أن عبادته وتقديم القرابين إليه مخصوصة بالملك، أو بأمراء المقاطعات. ثم إله الأرض، وهو إله يعبده عامة الصينيين، ومن ثم إله الشمس والقمر والكواكب والجبال والأنهار، ولكل إله منها تقدم قرابين معينة، وهي مخصوصة فقط بالأمراء. وهم يقدسون الملائكة كذلك ويقدمون إليها القرابين، وأخيراً يقدسون أرواح الأجداد

---

(1) www.arabic.bayynat.org.lB.

(2) الشنتوية، الكونفوشية / د. أسعد السحمراني: 70-72.

(3) الموسوعة الميسرة: 2/ 754.

أو الأسلاف، ويعتقدون ببقاء الأرواح، والقرابين عبارة عن موائد يدخلون بها السرور على تلك الأرواح بأنواع الموسيقى، لذلك يوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات. ولا يعتقدون بالبعث، ولا بالجنة أو النار، فالجزاء والثواب إنما يكونان في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لذا فإن تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلازل والبراكين[1].

ولكن كونفوشيوس لعن تقديم القرابين (لأغراض نفعية) إذ عدها صفقة مبادلة بمقتضاها يكرس صاحبها للأسلاف والأرواح الأخرى قدراً من السلع برجاء تسلم قدر أكبر من النعم والبركات، وطالب بتقديم القرابين بنفس تلك الروح التي تقدم بها الهدايا إلى الأحياء إلى أن تقدم توقعاً لنيل جزاء أو درء بلاء[2].

ومما خرج به أيضاً عن الفكر الديني الشائع في وقته، موقفه من المسألة التي كان مسلماً بها عند الصينيين، وهي أن الملك إبن السماء، وأن الحكام الإقطاعيين يستمدون شريعة حكم الناس من قوة أجدادهم النبلاء الذين يعيشون في السماء ويرعون مصائر أحفادهم، فخرج كونفوشيوس على هذه الفكرة بأن بيّن أن من شروط الحكم توافر الخلق الصالح ورجاحة العقل في الحاكم دون النظر إلى منبته، وكان يشير إلى أحد مريديه من ذوي الأصل المتواضع بأنه -لرجاحة عقله- قد يلي العرش يوماً[3].

(1) أنظر المصدر السابق، والدكتور أسعد السحمراني: 72.

(2) حكمة الصين / محمد فؤاد شبل: 77.

(3) المصدر السابق: 78.

المبحث الخامس

آراء كونفوشيوس في الأخلاق

كان كونفوشيوس يرى في الإنسان الفرد جزءاً فاعلاً وأولياً في بناء النظام الاجتماعي الأخلاقي، فإن صلح الفرد وحسنت أخلاقه تنظمت الأسرة وتنظم من خلالها المجتمع، فالإنسان والإنسانية هما البداية والنهاية وهما الغاية، لأن كل أمر يجب أن يتوجه إلى سعادة الإنسان وإصلاح الأوضاع الأسرية والاجتماعية، لأنه بواسطة الإنسان الفاضل يتحقق السلام في المجتمع.

وعند النظر إلى الجانب الأخلاقي في فلسفة كونفوشيوس نجد أنه عمل على إيجاد المدينة الفاضلة من وجهة نظره الشخصية، وبناء على ما توصل إليه من خلال تجربته في الحياة.

ومن هنا فإن مدينة كونفوشيوس الفاضلة تتميز عن المدينة الفاضلة التي وضعها كل من أفلاطون وأرسطو والفارابي وغيرهم، ووجه الاختلاف يكمن في أن كونفوشيوس قد وضع نظاماً للتطبيق بناء على معرفته بالنفس الإنسانية، أما غيره فقد نظروا لهذه الفكرة بناء على نظريات مثالية لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع.

ولهذا بنى كونفوشيوس فلسفته الأخلاقية بناء على اعتقاده أن الأشخاص مخلوقات اجتماعية هامة، فإن المجتمع لا يعدو عن كونه تفاعل بين الأشخاص[1].

وبناء على ذلك أظهر كونفوشيوس دور الإنسانية في الوصول إلى الخير أو الشر، ويظهر ذلك جلياً من قوله: (كل الأفراد متقاربون من حيث الطبيعة، أما الاختلاف بينهم فيأتي نتيجة الممارسة)، وهذا ما يفسر -عنده- إختلاف سلوك وأخلاق المجتمع الواحد، بل وحتى أفراد الأسرة الواحدة، فإن ذلك يرجع إلى الجهد الذي يبذله كل منهم[2].

---

(1) فلاسفة إنسانيون / كارل ياسبر: 73.

(2) فلسفة الأخلاق والسياسة / د. هالة أبو الفتوح: 60.

وهنا أيضاً يتضح المنهج الإنساني في فلسفة كونفوشيوس، وذلك من خلال توصيفه للنفس الإنسانية بأنها متساوية تجاه الخير والشر، وأنها يمكنها من خلال بذل الجهد الوصول إلى الخير والفضيلة، وهو بذلك خرج على الفكرة السائدة في عصره، وهي فكرة سلطة السماء، واعتقاد أن الإرادة الإنسانية غير مؤثرة، ولذلك قال كونفوشيوس: قد نفسك تجاه الصواب[1].

إلى جانب ذلك فقد ابتدع كونفوشيوس ما يسمى بـ (عقيدة الوسط) أو (الوسط الذهبي)، والوسط عنده هو الطريق الذي يجب على الفرد الالتزام به لكي لا يبتعد عن الإفراط والتفريط في الحياة[2].

ويتضح من هذا النص أن كونفوشيوس قد سبق أرسطو في هذه المسألة، حيث أن أرسطو ربط الوسيلة بالفضيلة، فالفضيلة عند أرسطو: هي الوسط بين طرفين كلاهما رذيلة، أحدهما إفراط والآخر تفريط[3].

ومن الأمور التي دعا إليها كونفوشيوس في البناء الأخلاقي للمجتمع:

1- دعا إلى احترام الآباء والعناية بشدة في تماسك الأسرة[4].

2- دعا إلى القدوة والأسوة الحسنة، فهو يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أي بيان مهما تكن بلاغته، ومن غير أن يهتم بالرياء في دعوته، ولقد كان يدعو تلاميذه إلى السلوك الخلقي بأخلاقه، كما دعاهم بكلماته[5].

3- دعا إلى ما يسمى بـ (مبدأ التبادلية)، وهو ما يقول عنه: (عامل الآخر بمثل ما تحب أن يعاملك الآخرون)، فقبل القيام بأي سلوك تجاه الغير، على الفرد أن يعرف هل

---

(1) المصدر السابق: 60.

(2) المصدر السابق: 61.

(3) الفلسفة عند اليونان / أميرة حلمي مطر: 333.

(4) مقارنات الأديان / محمد أبو زهرة: 101.

(5) المصدر السابق: 103.

هذا السلوك المناسب أم لا؟ فيرجعه إلى نفسه، فكل ما يصح أن يعامل به فهو مناسب للآخرين والعكس صحيح[1].

والإختلاط بالناس لإصلاحهم، من أهم أركان مذهب كونفوشيوس الأخلاقي، وليس من مذهبه أن يعتزل الناس وينقطع عنهم، وقد أطلق على الإنسان الفاضل الصالح لقب (الرجل الأعلى) أو (الإنسان الماجد)، ويجمع كونفوشيوس صفات هذا الرجل في هذه العبارة: يضع الرجل الأعلى نصب عينيه تسعة أمور لا ينفك يقلبها في فكره، فأما من حيث عيناه، فهو يحرص على أن يرى بوضوح...وأما من حيث وجهه، فهو يحرص على أن يكون بشوشاً ظريفاً، وأما من حيث سلوكه، فهو يحرص على أن يكون وقوراً، وفي حديثه يحرص على أن يكون مخلصاً، وفي تصريف شؤون عمله يحرص على أن يبذل فيه عنايته، وأن يبعث الاحترام فيمن معه، وفي الأمور التي يشك فيها، يحرص على أن يسأل غيره من الناس، وإذا غضب فكر فيما يجره عليه غضبه من الصعاب، وإذا لاحت له المكاسب فكر في العدالة والإستقامة[2].

ويُعد الإقتناع بأن البشر موجودات مطلقة أهم معالم النزعة الإنسانية عند كونفوشيوس، وتصبح النزعة الإنسانية ممكنة حينما ينظر إلى الإنسانية، وليس إلى الطبيعة، على أنها مطلقة. وعندما يتم النظر إلى الإنسانية بهذه النظرة، لا يكون هناك شيء أسمى من البشر مصدراً للمبادئ الإنسانية، وهنا -كما يرى كونفوشيوس- لا يتطلع الناس إلى الطبيعة، بحثاً عن أعراف الحياة، وإنما يتطلعون إلى إنسانيتهم ليجدوا المبادئ التي تتيح الخير والسعادة. وهكذا فإن وصف الكونفوشية بأنها نزعة إنسانية هو إشارة إلى أنها فلسفة ترد على هذا السؤال: كيف يمكن تحقيق الخير والسعادة؟ بالإشارة إلى مبادئ الحياة، التي يتم العثور عليها في الإنسانية ذاتها، ومصدر هذه المبادئ هو ما يجعل من البشر مخلوقات إنسانية[3].

---

(1) الفلسفة عند اليونان / أميرة حلمي مطر: 333.

(2) قصة الحضارة / ول ديورانت: 4/ 57.

(3) الفكر الشرقي القديم / جون كولر: 349، 350 بتصرف.

المبحث السادس

أراء كونفوشيوس السياسية

دعا كونفوشيو إلى إقتران السياسة بالأخلاق، فهو يرى أن السياسة الحكيمة هي التي تقوم على الأخلاق القويمة، فليست بمنفصلة عن الأخلاق، ويرى أن من يفصل السياسة عن الأخلاق، فهو لم يفهم الغاية من السياسة، ولا الغاية من الأخلاق، إذ أن الغاية السامية من السياسة هي إصلاح الأخلاق. لذلك قام كونفوشيوس بوضع مبادئ للحكيم الصالح هي:

1- الإخلاص: وذلك بأن يكون الحاكم القدوة الحسنة، فهو يرى أن الملوك والقادة في السياسة يؤثرون بأخلاقهم أكثر مما يؤثرون بقوانينهم، ولذلك يجعل أساس إصلاح أخلاق الناس أن يكون حاكمهم ذو أخلاق، فهو يقول: إن الحاكم إذا شغف بالآداب الفاضلة لا يجترئ أحد من رعيته على إهانة غيره، وإذا شغف بالصدق لا يجترئ أحد على الكذب[1].

وهو لا يعتقد أن تحلي الحكام بالأخلاق الفاضلة أساس إصلاح العامة فقط، بل أساس طاعتهم أيضاً، فإن الناس لا يطيعون إلا من يرون فيه الاستقامة والمحافظة على الآداب العامة، فهو يقول: إن كان سلوك الرئيس مستقيماً أطاعه المرؤوسون من غير أن يأمرهم، وإن كان غير مستقيم لم يطيعوه ولو أمرهم هو[2].

2- إختيار الصالحين لشغل المناصب العامة، وبهذا ينصح كونفوشيوس الحاكم قائلاً: إستعمل الصالحين المستقيمين، وانبذ المعوجين، وبهذه الطريقة يستقيم المعوج،

(1) مقارنات الأديان / محمد أبو زهرة: 105.

(2) المصدر السابق: 105، 106.

ولكن إن لم يكن الحاكم صالحاً فلن يعمل بهذه النصيحة[1].

ولقد سأله أمير مقاطعته قائلاً: كيف تكتسب طاعة الرعية؟ فأجاب بقوله: إذا أعطي الصالحون وأبعد الطالحون أطاعت الرعية، وإذا أقصي الصالحون وأدني الطالحون عصت الرعية، وقال: لو تداولت أيدي الصالحين شؤون الدولة لمدة قرن واحد لتهذب الظالمون جميعاً، ولاستغنى الحاكم عن عقوبة الإعدام[2].

3- إحترام الناس للقيم الأخلاقية، فإذا حدث ذلك تحقق النظام، لأن النظام لا يمكن أن يتم عن طريق الخوف من عقوبات الحكام[3].

4- ثقة الناس بالحكام، واعتبره من أهم الشروط الواجب توافرها لبقاء الدولة، حتى أنه عندما سئل عن الأمور التي يجب أن تتحقق من قبل الحكومة، أجاب أنها ثلاثة أمور هي: العتاد الحربي، والطعام، وثقة الناس بحكامهم، ولما سئل أي الأمور يمكن أن يستغنى عنها من هذه الأمور، أجاب العتاد الحربي أولاً، ومن ثمَّ الطعام، ولكن لا يمكن أن يستغنى مطلقاً عن ثقة الناس بحكامهم[4].

5- تقيد الحكام بمبدأ الإستماع إلى الشعب، فقد إعتبر كونفوشيوس أن ما تراه السماء وتسمعه ليس شيئاً آخر غير ما يراه الشعب ويسمعه، وما يعتبره الشعب جديراً بالثواب والعقاب هو ما تعتبره السماء جديراً بالثواب والعقاب، فهناك إتصال وثيق مستمر بين السماء والشعب، وعلى من يديرون شؤون الشعب أن يرعوا ذلك ويتدبروه[5].

---

(1) قصة الحضارة / ول ديورانت 4/ 61.

(2) مقارنات الأديان / محمد أبو زهرة: 107، 108.

(3) الفلسفة والفكر السياسي في الصين / عمر عبد الحي: 182.

(4) قصة الحضارة / ول ديورانت: 4/ 60، 61.

(5) الفلسفة والفكر السياسي في الصين / عمر عبد الحي: 185.


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الرابع

الديانة الشنتوية

المبحث الأول: نشأة الشنتوية وأماكن انتشارها

المبحث الثاني: كتب الشنتوية المقدسة

المبحث الثالث: عقائد الشنتوية:

المطلب الأول: عقيدة الشنتوية في الألوهية

المطلب الثاني: قصة الخلق

المطلب الثالث: عقيدة الشنتوية في الحياة بعد الموت

المبحث الرابع: الطقوس والعبادات الشنتوية

المطلب الأول: الصلاة وطقوسها

المطلب الثاني: عبادة الزن

المبحث الخامس: المهرجانات والمناسبات السنوية

المبحث السادس: الهياكل عند الشنتو

المبحث السابع: المرأة والأسرة والزواج في الشنتوية

المطلب الأول: الزواج وطقوسه

المطلب الثاني: المرأة والأسرة

المبحث الثامن: الشنتوية المعاصرة



المبحث الأول

نشأة الشنتوية وأماكن انتشارها

الشنتو: هي ديانة أهل اليابان الأصلية، وهي عبارة عن مقطعين حسب تسمية أهل الصين (شن Shen) وتعني الروح أو الإله، و (تو Toa) وتعني طريق، أي طريق الإله أو الآلهة[1].

إذن فكلمة الشنتو ليست يابانية فهي مشتقة من كلمتين صينيتين (Shen - Toa) التي تعني طريق الآلهة، فالصينيون الأوائل كانوا يؤمنون بالأرواح الخيرة وتسمى عندهم (تشن)، وهكذا أصبحت كلمة (شن تاو) تعني (الطريق إلى الأرواح الخيرة)[2]، وهكذا صيغت كلمة (شنتو) في القرن السادس الميلادي لتعبر عن التراث الديني الأقدم عهداً، وهو طريق (الكامي)، ولذلك توصف هذه الديانة بأنها العقيدة الأصلية لأهل اليابان[3].

فعقيدة الشنتو مزيج من مقدسات ومعبودات شتى تتدرج من ما هو سماوي، إلى ما هو أرضي، إلى ما هو بشري، والكامي صاحب الفعل فيها كلها.

ومما يذكر أنه قلما نجد شعباً من شعوب الديانات الشرقية لا توجد إلهاً لكل قوة من قوى الطبيعة النافعة والضارة، يستنصرونه في الشدائد، ويلجأون إليه في الملمات، ويتضرعون إليه ليبارك في ذريتهم وأموالهم، ولم يصل هؤلاء إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل إنتهت بهم إلى عبادتها، والشنتوية إحدى هذه الأديان التي بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة، ثم تطورت من إحترام الأجداد والزعماء والأبطال، إلى عبادة الإمبراطور الذي يعد من نسل الآلهة.

واليابان وهي بلد الشنتو، كانت قديماً مغلقة قليلة الإنفتاح على العالم الخارجي والتفاعل معه، لذا كان اليابانيون يعتقدون منذ أكثر من ألفي سنة، أن العالم مكان صغير

(1) أنظر المعجم الموسوعي / سهيل زكار: 2: 529، والشنتوية / د. أسعد السحمراني: 11، وموسوعة الأديان الميسرة: 4: 316، ومعجم ديانات وأساطير العالم / إمام عبد الفتاح: 3: 249.
(2) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 256.
(3) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العربي: 3: 280.

جداً، وهم وحدهم أهل هذه الدنيا، وحتى السماء ظنوا أنها قريبة جداً منهم، إلى درجة أنهم يعتقدون أن سهماً طويلاً جداً سبق أن تمّ إطلاقه من الأرض في القدم، فنفذ السهم وصنع في السماء ثقباً أدى إلى هبوط آلاف الأشجار والنباتات وجميع الكائنات الحية إلى الأرض، وكانوا يعتقدون أن هناك جسراً (درجاً) بين السماء والأرض، وكان الناس يستطيعون الصعود إلى السماء لزيارتها، ولكن ذلك الجسر ومنذ وقت طويل إنكسر ذات يوم ولم يصلحه أحد بعد ذلك أبداً. أما تحت الأرض فهناك عالم آخر فيه حياة وناس كما هو الحال فوق الأرض، إلا أنها ليست لطيفة، وكان هناك باب يؤدي إلى العالم السفلي، وهذا الباب كان مفتوحاً، وكان الناس يستطيعون الوصول إليه وزيارته، ولكن في يوم من الأيام حدث زلزال هائل أغلق المدخل بحجر كبير[1].

وكانوا يخافون الموتى ويقدسونهم ظناً منهم أنهم قد ينزلون بالعالم شراً كبيراً إن غضبوا، لذا من أجل إسترضاء الموتى كانوا يضعون لأسلافهم هدايا ونفائس في القبور، ويقدمون الطعام الشهي الفاخر أمام صور هؤلاء الأسلاف في كل يوم[2].

ولأن البحر يحيط هذا البلد من جميع الجهات، كان اليابانيون يعطونه عظمة وقدسية هو أيضاً، فإنه باب رزقهم الأول والأعظم، ففي مواسم الأرز والمحاصيل كانوا يقيمون الاحتفالات بالزراعة، وكان يتبناها الشامان القدامى (ميكو)، ومن ثم تولى المنتمون إلى قبيلة (يماتو) ذلك نيابة عن القبائل الأخرى وتولى شيوخها هذه الواجبات[3]. هذه القبيلة التي أدعت أن لها أصول إلهية، بحيث أصبح (الميكادو) -زعيم هذه القبيلة- هو مركز دينهم وعبادتهم، لأن للميكادور صلة قربى بالشمس -التي لها مكانة خاصة عند اليابانيين-[4]. لذا فإن السلالة الإمبراطورية التي تحكم اليابان منذ آلاف السنين بدءاً بالميكادو ومؤسسها الأول، هي سلالة مقدسة، لأن الميكادو هو سليل الشمس المقدسة، وقد وصل للأرض عبر جسر قائم من السماء[5]،

(1) أنظر موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 255، وموسوعة الأديان في العالم: 62، 63.
(2) موسوعة الأديان في العالم: 64.
(3) موسوعة الأديان / سامي أبو شقرا: 2: 312، وموسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 256.
(4) موسوعة الأديان / سامي أبو شقرا: 2: 312، والمعجم الموسوعي / د. سهيل زكار: 2: 529، 530.

(5) موسوعة الأديان الميسرة: 316، والشنتوية / د. أسعد السحمراني: 13.

فهو بنظرهم ليس بشراً مثلهم، فهو أقرب شبهاً للشمس أو القمر أو جبل فوجي المقدس، وهو كائن إلهي يجب أن يعبد[1].

لذا كان عبادة الأسلاف أساساً من الأسس الرئيسية التي قامت عليها عبادة الشنتو، فقد عرفت للشنتوية صورتان: الأولى التي تتجه بالعبادة إلى الحاكمين الأسلاف -وهم الآلهة الذين أسسوا الدولة وأقاموا بنائها-، والثانية التي تقام في المنزل، وهي عبادة تتجه إلى أسلاف القبيلة.

وكما سبق ذكره، فإن عقيدة الشنتو تقوم على أن (الكامي) صاحب الفعل في كل المقدسات والمعبودات التي يقدسونها ويعبدونها، فما هو الكامي؟

الكامي: هذه الكلمة فيها شيء من الغموض، إذ لا يمكن تحديد معناها بالضبط، فقد عرفت بأنها: جميع الأشياء أياً كانت، والتي تستحق التبجيل، وتبعث على الرهبنة، لأنها فوق المألوف، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى أيضاً (كامي)[2]. ويعرفها الدكتور سهيل زكار: بأنها القوى الخفية للطبيعة المرتبطة في المقام الأول بالأرض، وتشمل الكهوف والجبال والينابيع والأشجار، وتوسعت لتشمل أيضاً الحيوانات (بشكل رئيسي الثعالب) وكلاب الراكون، والكلاب والقطط[3].

ويقال أن الكامي جاء أصله من شعب ال (أنو) -الذي لا يعرف أصله- وهو شعب من الجنس الأبيض دخل اليابان ما قبل التاريخ، فسيطر على الجزر اليابانية جميعاً، لكنه امتزج بالشعب الأصيل ثقافياً ودينياً، وقد كانوا يؤمنون بذوات عليا هي ال (كاموي)، وقد عبدوا الدب ودللوه، ثم يقومون بذبحه ويأكلون لحمه بوليمة كبرى تيمناً به[4].

إذن لا تنتسب الشنتوية في نشأتها إلى شخص معين، بل هي دين متطور مرَّ بأدوار تأثرت بالمعتقدات التي كانت سائدة حينئذ والتي كانت في أغلبها تقوم على الرهبة والخوف من الظواهر الطبيعية.

---

(1) موسوعة الأديان في العالم: 64.

(2) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 12.

(3) المعجم الموسوعي / د. سهيل زكار: 2: 530.

(4) موسوعة الأديان / سامي أبو شقرا: 2: 312.

المبحث الثاني

كتب الشنتوية المقدسة

هناك ثلاثة كتب مقدسة في الشنتوية، ولكن أعظمها وأهمها هو الكتاب الأول (كوجيكي)، وهذه الكتب:

1) **كوجيكي**: وهو أقدم نص مقدس يتعلق بماضي اليابان وشعبها وحكامها، وقد كان مخطوطات هذا الكتاب سرية حتى عام (1644م)، حتى طبعت ولم تعد سرية بعد ذلك[1].

والكوجيكي يعني (وقائع الأشياء القديمة)، وهو الكتاب المقدس الأول للديانة الشنتوية، وقد ترجم للغة العربية، وهو ذو نكهة أدبية متميزة، ولو إطلع أحد على نصوصه دون أن يعرف اسمه وموضوعه، ظنه قصص للأطفال، أو مجموعة ملاحم وأساطير خيالية، ومع ذلك فهو يشكل العمق الروحي والمنظومة القيمة المتوارثة لليابانيين.

ويزخر الكوجيكي بشعر منسوب إلى شعراء مجهولين، وتأتي أحياناً على لسان الآلهة مباشرة، ويعتبر الإمبراطور سليل آلهة الكوجيكي، وكذلك الجزر اليابانية، فهي آلهة ولدتها آلهة أخرى، وهذا جعل لفكرة الوطن عند الياباني معنىً مقدساً[2].

2) **نهيونجي**: وقد كتب بالأحرف الصينية، ومعنى هذا الكتاب (الأحداث التاريخية لليابان)، ويؤلف مع الكتاب الأول، أول سجل مكتوب لليابان، ففي الكتابين كشف عن عقيدة الشنتو في الآلهة والتكوين والفضائل والقيم السياسية، كما يوجد أهم الأساطير القديمة والحكايات الخرافية عن اليابان القديمة[3].

3) **إنجشيكي**: الذي دون عام 927م، ويتضمن طقوس الصلوات التي كانت تستخدمها طبقة الكهنة قديماً[4].

---

(1) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العربي 3: 280، وموسوعة الأديان / سامي أبو شقرا 2: 313.

(2) موقع على الإنترنت www.saislam.com141shanto.htmttup.

(3) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العربي 3: 283، والشنتوية / د. السحمراني: 16.

(4) المصدران السابقان.

المبحث الثالث

عقائد الشنتوية

المطلب الأول: عقيدة الشنتوية في الألوهية:

الشنتوية في معتقدها لم تذهب إلى الإقرار بإله واحد، فليس لعقيدة التوحيد مكان عند الشنتو، بل هم يؤمنون بتعدد الآلهة والمعبودات، التي يقيمون لها المعابد والهياكل والتماثيل والأصنام، ويقابلونها بالطقوس الخاصة يقدسونها، فالكامي يشكل المحور الرئيسي الذي تدور حوله العقيدة الشنتوية[1].

وقصة الخلق في كتاب كوجيكي تبين بوضوح معتقد الشنتوية في الألوهية، فالإله (إيزاناغي) خلق من عينه اليسرى إله الشمس (أماتيراسو)، والتي تعد أعظم الآلهة عند اليابانيين، ومن عينه اليمنى خلق إله القمر (تسوكي يومي)، ومن أنفه خرج إله العواصف (سوسانووو)، وهؤلاء الثلاثة يمثلون الثالوث الإلهي الأعظم عند الشنتويين[2].

إذن ليس لعقيدة التوحيد مكان في الشنتوية، بسبب تعدد المظاهر التي تتجلى فيها القوى الإلهية (الكامي)، فاليابانيون ربطوا بين كل ظاهرة بكامي خاص بها، فتعددت الآلهة عندهم وكثرت بحيث لا يمكن حصر عددهم، فالأرواح هي أساس العقيدة الشنتوية، وهي تسري في كل شيء، حتى أصبح الناس يعتقدون أن عدداً من الآلهة السماوية تحوم فوق الدار وساكنيها وترقص مع ضوء المصباح ووهجه إذا رقص، ويستطيع المرء الاتصال بالآلهة من خلال حرق قوقعة سلحفاة أو عظام غزال[3].

---

(1) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 16.

(2) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العريبي: 3: 283.

(3) أنظر موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 258، وموسوعة الأديان / سامي أبو شقرا: 2: 312، وموسوعة الأديان في العالم: 63.

المطلب الثاني: قصة الخلق:

تضمن كتاب كوجيكي عرضاً كاملاً لعقيدة الخلق عندهم، والتي تعتمد على قاعدة الإتصال بين السماء والأرض عبر جسر يصل بينهما، ومضمون هذه القصة يدل على مدى تعلق عقائد الشنتوية بالخرافات والأساطير، ومما جاء في هذه القصة:

أن الآلهة كانت تولد ذكراً أو أنثى، ثم تموت، حتى جاء زمن كان يعيش فيه الجيل السابع من الآلهة فأصدر فيه شيخ الآلهة الأمر إلى إلهين شابين أن يخلقا الأرض ويقيما عليها الحياة، وهما (إيزاناغي) للذكر، و (إيزانامي) للأنثى، فقام إيزاناغي بوضع رمحه الطويل المرصع بالجواهر في المحيط عله يجد شيئاً صلباً وسط هذا المحيط لكي يتخذ مقراً لهما ويقيما الحياة ويخلقا الخلق، وما أن رفع رمحه حتى إذا أخذت قطرات الماء المتساقطة من هذا الرمح بالتجمع، ومن ثم بالتكاثف والتصلب، وامتدت فوق صفحة المحيط على شكل يابسة هي نفسها جزيرة (أناغورو)، ومن ثم نزل الإلهان إلى سطح الأرض، وما أن تلامس أقدامهما الأرض، حتى بدا كأن كل منهما يرى الآخر لأول مرة، وحينها بدأ شعور غريب ينتابهما ألا وهو الحب، ومن ثم أقام (أيزاناغي) نصباً ضخماً على هذه الجزيرة، حتى يبدآن منه كلاهما دورتهما الاستكشافية لهذه الأرض الجديدة، ثم يعودان ليلتقيان عنده مرة أخرى.

وبدأ كل منهما دورته، وبينما كان كل واحد منهما يأخذ طريقه على طول الشاطئ، لاحظوا كيف الضفادع تتزاوج وتتناسل فيما بينها، فبدأت هذه الفكرة تملأ رأسيهما، فتساءلا لماذا لا يفعلان مثل الضفادع؟؟ وفعلاً تزوج الإلهان، وأنجبت (إيزانامي) أربعة آلاف ومائتين وأربعة عشرين إبناً، هم مجموع جزر اليابان، ومن ثم كل ما وجد على هذه الجزر من أشجار ونبات وحيوان، هي ما تساقطت من الثقب الذي حدث في السماء كما قالت الأساطير، ومن ثمَّ قررا أن يخلقا إبناً جديداً يكون سيداً لهذه الأرض، فولدت (إيزانامي) خمسة وثلاثين إلهاً كان آخرها إله النار (كاغوتسوشي)، الذي أحرق أمه عند ولادته، مما أغضب (إيزاناغي) فقام بركل إله

النار، فتكون منه المزيد من الآلهة[1].

ويروي كتابهم المقدس أن الآلهة الثلاثة صاروا يسمعون طنيناً مزعجاً يصدر من كل ما على الأرض من جبال وصخور وسهول وأشجار وهذا الطنين كان يؤرق آلهة السماء، فاجتمعوا لمناقشة الأمر والبحث عن حلول للقضاء على هذه المشكلة، وإرساء السلام والهدوء على الأرض، وعندما ارتفعت أصواتهم في النقاش، تقدمت (إماتيراسو) إله الشمس إليهم واقترحت عليهم أن ترسل حفيدها (نينجي) ليجعل الهدوء والسلام عليها، فوافق الجميع، فقامت فعلاً بإرسال حفيدها (نينجي) إلى الأرض بعد أن منحته البركات والنصائح والهدايا الثمينة، ومن بينها أحجار كريمة اقتطعت من سلم السماء، وكرات شفافة، وسيف خالد، ومرآة سماوية خالدة.

وهناك على الأرض استقبله رب الحقول الذي أخذه في رحلة حول الأرض التي سيحكمها نينجي ويهديها إلى السلام، وفي ذلك الوقت قرر نينجي أن يبني قصره في أحد الأماكن المقدسة، وهناك رأى حسناء قائمة إلى جانب حدائق الزهور، وعندما سألها من تكون قالت: أنا (كونوهانا) ابنه ملك الحيل المقدس، ومهمتي صنع الزهور التي تغطي الأرض، فأحبها نينجي وتوجه إلى والدها لطلب يدها، ولكنه رفض إلا أن يزوجه أختها الكبرى معها -بالرغم من دمامتها وقبحها وهي إله الصخور- فلم يجد يننجي بديلاً سوى الزواج بالأختين، ولكنه كان يحب الصغرى الحسناء أكثر، مما أغضب الكبرى وتوعدت بالانتقام[2].

وكان يننجي كثير الغيرة على زوجته الحسناء، مما أفقدها صوابها وجعلها تهرب إلى كوخ وتشعل في نفسها النار، ومن بين السنة اللهب خرج ثلاثة أولاد، كان من بينهم هوري، الذي تسلسلت منه سلسلة مقدسة متصلة الحلقات من الميكادو، وهم

(1) أنظر موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 261-265، وانظر موسوعة يان العالم: 65-69، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العريبي: 3: 285-286، وموسوعة الأديان / سامي أبو شقرا: 2: 313، 314، والشنتوية / د. أسعد السحمراني: 16-22.

(2) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 16-22.

الأباطرة الذي جلسوا على عرش اليابان، فكان الميكادو هو حفيد يننجي، الـذي يعد أول إمبراطور بشري عام 660 ق.م[1].

ويهذا إستطاعت عقيـدة الشـنتو أن تجعـل مـن الإمـبراطور كائنـاً مقدسـاً، بقولها أن الميكـادو حفيـد إلـه الشـمس، فصـار أتباعـها يؤمنـون بـأن واجبـهم الديــني هــو الــولاء لإمبراطورهم، وكذلك لجبال ووديان وأنهار اليابان، مما جعلهم يحسون في أعماقـهم بـالحب والعشق لجميع تضاريس اليابان، وبسبب هذا كان جبل فوجي جبلاً مقدساً عندهم.

المطلب الثالث: عقيدة الشنتوية في الحياة بعد الموت

تركز ديانة الشنتو على فعل الكامي في كل ما في الوجـود، وتقديـس الثلاثـة، وهـي: الشمس، والأسلاف، والعائلة الإمبراطورية، فـلا إهتمـام عندهـم للحيـاة مـا بعـد المـوت، لذلك نراهم لا يهتمون بهذا الأمر أو يتساءلون عن هذه الأمور، فليس للآخـرة مكـان عنـد الشنتو، بل هي دين أرضي التوجهات، لا يهتم أتباعه بما يعد الموت[2].

وعقيدتهم في اليوم الآخر تتلخص بما يلي: أن الموت هو نهاية الجسم المتوفى إلى منطقة ملوثة، أما روح الميت فقد أطلق سراحها من جميع قيودها المادية لتنطلق وتصبح مرة أخرى جزءاً من قوى تكوين الطبيعة، فكل ميت يتحول إلى (كامي)، كمـا يعتقـد الهندوس باتحاد الروح مع البراهما[3].

وهذا يعني أن ديانة الشنتو لم تبتعد كثيراً عن معتقدات أديـان الشـرق الأقصـى (الهندوسية والبوذية) في رجوع الروح إلى الأصل الـذي جـاءت منـه، ولكنـها كـانت الوحيدة بين هذه الأديان في عدم اعتقادها بتناسخ الأرواح.

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق: 24.

(3) موسوعة الأديان الميسرة: 317.

المبحث الرابع

الطقوس والعبادات الشنتوية

المطلب الأول: الصلاة وطقوسها[1]:

تبدأ طقوس الصلاة في الشنتوية بالذهاب إلى المعبد، ثم بغسل يديه وفمه من ماء نبع طبيعي داخل حرم المعبد، ثم يصفق بيديه وينحني أثناء تقديم توسلاته، ثم يتبع شروط العبادة الأربعة وهي:

1- **فعل التطهر (هاراي)**: وذلك بأن يلوح الكاهن بفرع عن شجرة السكاكي المقدسة، أو ورقة منها إلى رأس المتطهر.

2- **تقديم القربان (شينس)**: والذي يتكون من الحبوب أو الشراب، وقد أستعيض عن ذلك في الوقت الحاضر بالمال، أو قد يكون رمزياً في صورة غصن من شجرة السكاكي.

3- **طقوس الصلاة (نوريتو)**: وتقوم الصلاة على ترديد العابد للكلمة الإلهية المقدسة عندهم (كامي-حاركاري) أو (كانجا-كاري)، في أثناء تأدية رقصة خاصة -شبيهة برقصة حلقات الذكر عند الصوفيه- تدعى (الكاجورا)، تقوم بتأديتها فتيات (الميكو) -وهن كاهنات في المعابد الشنتوية تتمثل مهمتهن برقص الكاجورا ومساعدة الكاهن في حفلات الزواج، ويجب أن يكن عذارى، ويخدمن الهيكل من (5-10 سنوات).

4- **الوليمة الرمزية (نيوري)**: وهي إشارة إلى تناول الطعام مع الكامي، وتتبع هذه الطقوس عملية تناول شراب (ميكي) المقدس، وهو مصنوع من شراب الأرز المخمر.

---

(1) موسوعة الأديان الميسرة: 316، 317، والمعجم الموسوعي / د. سهيل زكار: 2: 530، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية، د. محمد العربي: 3: 286، 287.

ومن المتعبدين من يطلب أداء الرقصة المقدسة للمعبد (كايورا)، وهي على خمس وثلاثين طريقة مستمدة من أساطيرهم القديمة.

والصلاة عندهم تنحصر نصوصها غالباً بالمطالب البشرية، ومن هذه النصوص النص التالي:

أولاً وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإله المهيمن

ليت حبة الأرز الأخيرة التي سيحصدونها، ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد، بحبات العرق المتساقط من سواعدهم...ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك، وتنفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة، فتكون أولى الثمرات في الشراب وأعواد النبات.

المطلب الثاني: عبادة الزن[1]:

كلمة (زن) مشتقة من الكلمة الصينية (تشن) والمشتقة بدورها من الكلمة الهندية السنسكريتية (دهيانا) التي تعني التأمل أو التفكير، وقد ركزت مدرسة زن التي أسسها (ميون إيزي) على بلوغ مرحلة الاستنارة بطريقة مباشرة، عن طريق إيقاظ الوعي.

وقد انقسمت هذه الفرقة فيما بعد إلى خمس عشرة فرقة، ولها حالياً ستة آلاف معبد.

ولعقيدة الزن كتب عدة توضح الفكرة الأصلية التي قامت عليها هذه العبادة، ومضمون هذه القصة: أن أحد الفتيان طلب من معلم زن مشهور في القتال بالسيف أن يصبح تلميذه، وأقسم التلميذ أمام المعلم بأن يضحي بكل شيء طوال فترة التدريب ليصبح ساموري بأسرع وقت ممكن، فأجابه المعلم: بأن التدريب يحتاج إلى فترة عشر سنوات، أحبط التلميذ، لكنه عرض على المعلم بأنه سوف يتدرب ليلاً ونهاراً ليكسب المهارة في نصف المدة المطلوبة، فأجابه المعلم بأنه لو تدرب ليلاً ونهاراً سيصبح محتاجاً إلى ثلاثين سنة، فأقسم الشاب على وضع كل طاقته في هذا السبيل،

---

(1) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العربي: ج3: 289-293.

فرد عليه المعلم بأنه سيحتاج عندئذ إلى ستين سنة.....فـأراد الفتـى أن يثبـت وجـوده للمعلم ثلاث سنوات في وضعية الجلوس (زازن) يقوم بفـرط الأرز وغربلتـه دون أن يرى خلالها السيف مطلقاً، وذات يوم تسلل المعلم ومعه سيف مـن خشـب، ووقـف خلف الفتى، وصار المعلم يضرب الفتى بالسيف في كل مرة يلتفـت فيـها إلى الـوراء، واستمر على ذلك، حتى صارت حواس الفتى متنبهة ومتأهبة في كـل لحظـة، فـأصبح يتلقى الضربات المنهالة علـى جسـمه - بصـورة أوتوماتيكيـة- مـن وقـت إلى آخـر. وعندما تأكد المعلم بأن جسم الفتى وفكره أصبحا في حالة الإنتبـاه والتـأهب الدائـم، وبمعنى آخر، أنه وبصورة لا واعية دائم التأهب وغير مكترث بأفكاره ورغباته، عندئذ بدأ المعلم بتدريب الفتى على فن القتال بالسيف، وهكذا إكتشف الساموري أن تلقـي الضربات في القتال يجب أن يكون بصورة مباشرة وحدسية، لا تحتاج إلى تفكير، ولهذا السبب صارت الزن مدرسة فضائل عسكرية ذات قيمة عالية في الملكات العسكرية.

وقد قامت (للزن) معابد خاصة تؤدي هذه العبادة، والتي هي عبارة عن جلوس المبتدئين والقدامى في جلسة تأملية صامتة، يتم فيها إغماض العينين والمجاهدة لتحريـر العقل من الأفكار، بحيث يصبح العقل كله فارغاً، فينتقل الشخص من عالم الوعي إلى عالم اللاوعي، بحيث ينتقل إلى نقطة تركيز عالية جداً، فلا يلتفت لمـن حولـه، وخـلال التأمل يحدث أن جزءاً منك يعاني ويرغب في ترك التأمل، ولكــن هنـاك أيضـاً جـزءاً منك يريدك أن تتماسك، وعندما يتحول الجزأين إلى جزء واحد، تكون قـد أصبحـت على سجيتك الحقيقية.

وأثناء التأمل يدور راهب عبر الجالسين وتراه يتجه نحـو هـدف محـدد وفي يـده عصا رفيعة، وفجأة يأتي صوت العصا وهي ترفع علـى كتـف أحـد المتـأملين، فـيرن صداها عبر القاعة، وهذه العصي تسمى (كيسـاكو)، وتسـاعد المتـأملين علـى مغالبـة التعب، أو تعديل وضع جلوس خاطئ، وأحياناً يطلب أحد المتأملين بنفسه أن يضرب بالعصي وأحياناً تكون الضربة بغير إرادة المتأمل.

المبحث الخامس

المهرجانات والمناسبات السنوية

تصنف المهرجانات والعطلات اليابانية وغيرها من المناسبات الرسمية إلى صنفين: (ماتسوري) وتعني المهرجانات، و (نينتشوغيوجي) وتعني المناسبات السنوية.

المهرجانات: تعود المعاني الرمزية التي تحملها المهرجانات (الماتسوري) إلى أصول مقدسة، ترتبط بزراعة الأرز والسعادة الروحية، وهذه المعاني مشتقة بالنهاية من طقوس ديانة الشنتو لاستعطاف الآلهة واسترحام أرواح الموتى، ومن أجل تحقيق موسم زراعي ناجح، لذا فإن المهرجانات اليابانية تتزامن مع تغيرات المواسم، وتصنف طبقاً لمواسم السنة الأربعة.

فالماتسوري بالأساس هو نشاط رمزي، حيث يدخل المشارك فيه حالة الاتصال مع الإله (الكامي)، وتكون مترافقة بعشاء للمشتركين في فعاليات المهرجان، ويمكننا القول أن العناصر المرحة والمنافع التجارية في الماتسوري قد طمس المضمون الروحي لها إلى حد كبير.

المناسبات السنوية (نينتشوغيوجي): وهي طقوس دينية سنوية وموسمية مقتبسة في الواقع من الأصول الصينية والبوذية، وهذه الطقوس منظمة تنظيماً موسمياً ومرتبة على شكل تقويم سنوي يحتوي على جميع المناسبات يحضرها ويشاهدها عدد كبير من العائلات والجماهير الغفيرة التي تأتي من كافة أرجاء اليابان في آن واحد، وقد استعملت العبارة (نينتشوغيوجي) لأول مرة في عهد هيان، وكانت تشير إلى تقويم البلاط الإمبراطوري[1].

---

(1) اليابان دولة وشعب وحضارة: 113-117.

والكثير من المناسبات السنوية التي كانت سائدة في فترة هيان ذات الأصول الصينية تطورت إلى تقاليد شعبية لا تزال تشاهد إلى اليوم، ومن بين تلك المناسبات السنوية الرئيسية السيكو الخمس (مهرجانات موسمية)، ومن أمثلتها تانغونوسيكو (مهرجان التانغو)، وفي هذا اليوم اعتاد الناس تسخيره لطرد الأرواح الشريرة، وذلك من خلال التوسل بالآلهة لطردها.

وبعد فترة هيان، ظهرت مناسبات توضح قيم طبقة المحاربين، وبالتالي أدى ذلك إلى تعديل في عناصر طقوس (نينتشوغيوجي) المتنوعة، وتوسعت في التطبيق من خلال أبناء المدينة خلال فترة (إيدو) التي استمرت خلال الفترة (1600-1868)، والتي استمر تطبيقها إلى الوقت الحاضر، ومثال ذلك العادة المعروفة (شيتسي غوسان) التي استمدت من شعائر البلاط الإمبراطوري، حيث يتم فيها إصطحاب الأطفال الذكور من عمر (3-5) سنوات، والإناث من عمر (3-7) سنوات إلى المعابد للاحتفال ببلوغهم هذا السن، كما يعطى الأطفال صنفاً من الحلوى يسمى (شيتوس إليم)، يتألف من قطعة خشبية رقيقة تغطيها حلوى حمراء وصفراء موضوعة في كيس مرسوم عليه صورة لطائر (الكركي) والسلحفاة، ومما يذكر أن طائر الكركي والسلحفاة يرمزان إلى طول العمر في اليابان، في حين ترمز الحلوى إلى أمنية تمتع الأطفال بالصحة ونضجهم.

واليابانيون يحتفلون كذلك بمهجران (تانا باتا)، ويسمى أيضاً مهرجان (النجم)، ومراسم هذا المهرجان تجمع بين المعتقدات اليابانية والأساطير الصينية، التي تصور نجمين يقعان على جانبي مجرة درب التبانة، ويلتقيان مرة واحدة في اليوم السابع من شهر يوليو من كل عام، حيث يكتب الناس أمنياتهم على قصاصات من الورق تجمع بين خمسة ألوان، ويرفعونها بفروع الخيزران، وتوضع في مواقع واضحة، حتى يمكن تحقيق تلك الأمنيات[1].

(1) المرجع السابق.

المبحث السادس

الهياكل عند الشنتو

هيكل مدينة (آيس) الذي يقع على المحيط الهادي -على بعد 300كم جنوب غرب طوكيو-، أقامه أتباع الديانة الشنتوية لإله الشمس (أماتيراسو)، ولذلك يعد عندهم من أهم الهياكل الشنتوية التي يحج إليها الشنتويون ولو مرة واحدة في حياتهم، ويتكون هذا الهيكل من هيكل داخلي مخصص لعبادة إله الشمس، وللجد الأول للأسرة الإمبراطورية[1].

ويعد هيكل (تيشا) أقدم هيكل عند الشنتو، ويبعد خمسة أميال من الشمال الغربي عن أزمو، وهو هيكل عشيرة أزمو، وكانت مدينة أزمو في بداياتها سوقاً تجارياً هاماً للمنتجات الزراعية المحيطة بها، ولكن ترجع شهرتها إلى كونها مزار ديني هام للشنتويين، إذ تقول الأسطورة أنه في شهر تشرين الأول من كل عام يجتمع هناك الكامي من جميع أنحاء البلاد في لقاء عظيم، ويعقدون الزيجات، ولهذا يسمى هذا الشهر (أزموكامي -أني- زوكي) أي (شهر مع الكامي).

وتتجه الهياكل الشنتوية عادة نحو الجنوب، وأحياناً نحو الشرق، أما الشمال والغرب فهما مناطق غير محظوظة كما يعتقدون، وعندما يقترب المتعبد من الهيكل فإنه يمر ببوابة الهيكل التي تسمى عندهم (توري)، وفي بعض الأحيان يمر عبر مجموعة من البوابات. وبعد البوابة (توري) يمتد طريق إلى الهيكل وكله مملوء بالمصابيح التي يتبرع بها المتعبدون، والهيكل في كثير من الأحيان يحرسه كلبان كوريان، أو أسدان صينيان، باستثناء هياكل الأناري فيحرسها تمثال الثعلب، وذلك لاعتقادهم أن الثعلب هو

(1) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 26، 27، وموسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 268، وموسوعة الأديان الميسرة: 317، وموسوعة الأديان السماوية والوضعية: 3: 287.

(رسول الكامي)، وهو كذلك رمز الخصوبة التي كانت الهدف من إقامة هياكل كل الأناري[1].

ويوجد الآن في طوكيو معبد (ميجي) الجميل الضخم، والذي خصص لأول إمبراطور ياباني معاصر (موتسوهيتو)، وكذلك معبد (ياسوكوني) الموجود في طوكيو أيضاً الذي كرس لأرواح العسكريين الذي ماتوا دفاعاً عن الوطن[2].

ويمكن ممارسة طقوس العبادة في المنزل، إذ تجلس الأسرة أمام رف يدعى (رف كامي) أو (كامي دانا) يعني الإله على الرف، وهذا الرف يوضع في زاوية من زوايا المنزل، وتقدم في أثناء الصلاة أمام الرف القرابين كل صباح وكل مساء، وعادة يوضع على الرف رموز الشنتو المتوفرة، وأكثر هذه الرموز شيوعاً هي (المرآة)، ومن الرموز أيضاً السيف والجوهرة، وترمزان إلى الهدية التي قدمتها (إماتيراسو) لحفيدها، ويضم الرف تمثال (إماتيراسو) وتمثال (إيناري) إله الأرز[3].

فالهياكل إذن شكلت في ديانة الشنتو ولا تزال أهم ركيزة عندهم، فأصبحت من التقاليد الوطنية الأساسية، فاليابانيون من كل الأعمال والمستويات حتى الإمبراطور والحكام والأطفال يقصدون هذه الهياكل وفقاً لطقوسهم[4].

---

(1) المصدر السابق.

(2) موسو الأديان السماوية والوضعية: د. محمد العربي: 3ك 288.

(3) المصدر السابق: 3: 288.

(4) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 28، 29.

المبحث السابع

المرأة والأسرة والزواج في الشنتوية

المطلب ا لأول: الزواج وطقوسه

الحياة الزوجية في الشنتوية، يجب أن يتم من خلال إضفاء الهالة الدينية عليها، فالزواج في اليابان لابد أن يكون في الهياكل والمعابد الشنتوية، وليس بالدوائر المدنية الحكومية التي يأتي دورها لاحقاً لتوثيق بعض المعاملات، إذ يتم الزواج في معبد شنتوي، فيقف العروسان أمام الراهب ويركعان أمام نموذج المعبد، ومن ثم يتناول العروسان كأساً من الساكبة، وهو المشروب الوطني المصنوع من الأرز المخمر الذي يقدم قرباناً لآلهة الزواج، والذي يباركه الراهب بحضور عدد من أفراد الأسرتين، ويقوم كل من العروسين بارتشاف قليل من الساكبة ثلاث مرات، فالرقم ثلاثة في الديانة الشنتوية، يعني الحظ الطيب، لأنه رقم محبب للآلهة بسببه تستجاب الدعوات[1].

المطلب الثاني: المراة والأسرة

نظام الأسرة في اليابان يقوم على تراث شنتوي نما مع الزمن، وأسهم في الاستقرار الاجتماعي، حيث تتميز الأسرة اليابانية بتضامنها، ويتم تكريم الأبوين -المسنين- من قبل الأبناء وإسكانهم معهم في منزل واحد، أو المشاركة في إعطاء مساعدات مالية لهم إن كانا يعيشان منفصلين عن أبنائهما، مما أسهم في الاستقرار لحياة الأسرة، وقد شجعت الحكومة هذا الأمر، ونظمت الضرائب، وبنت الوحدات السكنية المصممة خصيصاً لسكن الآباء والأبناء معاً، وقد أسهم كل هذا في نهضة اليابان، بعد الذي أصابها في الحرب العالمية الثانية.

---

(1) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 49.

وللذكر دور وامتيازات أكثر من الأنثى في المجتمع الياباني حتى يومنا هذا، ومن أسباب ذلك ما في معتقداتهم الدينية التي تنص على أن تقديس الآباء والأجداد لا يمكن أن يقوم به إلا الأبناء والأحفاد الذكور، وبناء على ذلك يقدم الرجل على المرأة في اليابان.

والتاريخ الياباني يعطي أمثلة حول كيفية التغيير في وضع المرأة، بناء على التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية السائدة في الداخل والخارج، ففي بداية القرن السادس، ومع تزايد قبول المفاهيم الكنفوشية والبوذية، التي تدعم التقليل من شأن المرأة، إنعكس ذلك على أوضاع المرأة، وعزز التحول نحو تقوية النظام الأبوي في العائلة اليابانية. ولكن منذ الحرب العالمية الثانية إزدادت الفرص التعليمية، وفرص العمل للمرأة، بالإضافة إلى تحسن في وضعها القانوني، مما سمح للمرأة اليابانية مرة أخرى بالإستقلال الفكري والمالي عن الرجل، فالمرأة اليابانية الآن هي الركيزة الأساسية في الأسرة، وعلى عاتقها تقوم أمور الأسرة، حتى أنها تستلم راتب زوجها وتعطيه مصروفه الخاص، ولكن ذلك لا يمنعها من طاعة زوجها والإنحناء له وتنفيذ أوامره فهو السيد المطاع[(1)].

والمرأة اليابانية تميل للاستقالة من عملها بعد الزواج لتتفرغ لشؤون أسرتها، والرجل يقدس عمله ويقضي أوقاتاً إضافية فيه، حتى لو كان ذلك بدون مقابل مادي، وهذا الأمر يكون محل رضا المرأة ويعزز من تقديرها لزوجها، حتى إن الزوجة التي يعود زوجها مبكراً إلى المنزل، يصيبها الإحباط وخيبة الأمل، لأن عودة زوجها مبكرا تعني أمام جيرانها أنه ليس من العناصر المهمة في المؤسسة التي يعمل بها.

وعلى الرغم من إزدياد عدد النساء العاملات بعد الزواج، فإن الأدوار داخل العائلة لا تزال واضحة، فالزوج هو الذي يقود العائلة ويتحمل المسؤولية بالدعم المادي، ويركز بشكل رئيسي على عمله، ليدع الزوجة تأخذ على عاتقها مسؤولية البيت والأطفال، لذا فإن نسبة الطلاق قليلة في المجتمع الياباني. وشريعة الشنتو لا تعارض تعدد الزوجات، بل تقره، وإن كان غير معمول به عندهم، فالمرأة اليابانية تسلم بالمجتمع الذكوري، ومن ثمَّ بحق الرجل في تعدد الزوجات، بينما المرأة لزوجها فقط[(2)].

(1) الشنتوية / د. أسعد السحمراني: 44-25، واليابان دولة وشعب وحضارة: 91-93.

(2) المصدر السابق.

المبحث الثامن

الشنتوية المعاصرة

بالرغم من أن اليابان تعد الشنتوية فيها هي الديانة الأصلية الأولى، إلا أنها تأثرت بالعديد من الأفكار والعقائد البوذية، ففي القرن السادس كانت البوذية أول الديانات التي دخلت اليابان في وقت مبكر، مما أدى إلى زيادة تأثيرها الثقافي والاجتماعي والديني على اليابان، وإقبال الجماهير من الشعب الياباني على اعتناق البوذية، حتى أصبحت تمثل أساس وحدة الناس. في ذلك الوقت، بل إن أحد الأباطرة في اليابان أدخل الأخلاق البوذية في صلب القوانين القومية والمدنية، وتذكر الروايات أن أحد الأباطرة تنازل طوعاً عن العرش ليجعل من نفسه راهباً.

وعندما دخلت البوذية إلى اليابان، استطاعت أن تلبس معتقداتها حلة جديدة متميزة وغنية بالأساطير، وأدخلت بعض آلهتها في معابد الشنتوية، كما أخلت مكاناً في معابدها للشنتو بقصد الدمج بين بوذا و(أماتيرالسو)، وبذلك يدين اليابانيون بالشنتوية الممزوجة بالبوذية في الغالب، وتتوزع على أكثر من (100) مذهب ومدرسة دينية[1].

(1) موسوعة الأديان السماوية والوضعية / د. محمد العربي، وموسوعة عالم الأديان / د. مفرج، وموسوعة الأديان في العالم، والشنتوية / د. أسعد السحمراني.

الفصل الخامس

ديانة السيخ

المبحث الأول: نشأة السيخ
المبحث الثاني: السيخ بعد (ناناك)
المبحث الثالث: أماكن انتشار السيخ
المبحث الرابع: كتب السيخ المقدسة
المبحث الخامس: عقائد السيخ
أولاً : عقيدتهم في الإله
ثانياً: التناسخ والخلاص والاندماج عند السيخ
المبحث السادس: شعائر السيخ ومعابدهم
أولاً : الكافات الخمسة
ثانياً: الصلاة والمعابد
ثالثاً: تقديسهم لكتابهم (غرانت صاحب)
رابعاً: المأدبة الجماعية
خامساً: الحج
سادساً: طقوس الزواج
سابعاً: الولادة والموت
المبحث السابع: الأسرة والمرأة في المجتمع السيخي


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المبحث الأول

نشأة السيخ

ذكرت عدة تعاريف للسيخ منها:

1- أنها جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلادي، داعين إلى دين جديد، وقد زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمون)، وكلمة (سيخ) كلمة سنسكريتية تعني: (المريد أو التابع)[1].

2- وقيل أن المعنى الحرفي للفظ السيخ (Sikh) هو: المتعلم أو التلميذ، وأن مؤسس هذه الديانة هو (ناناك)، ولذلك كان يطلق على الجماعة التي اعتنقت أفكاره إسم (ناناك بانتيز) أي المتحدون مع ناناك، وذلك قبل أن يطلق عليها إسم السيخ[2].

3- وقال آخرون عن السيخية: بأنه من المذاهب الجديدة التي نشأت نتيجة إنتشار الإسلام في الهند وإقبال الكثير من أبنائه على دراسته، وتأثر بعض الرهبان من الهندوس بتعاليمه وعقائده[3].

نشأة السيخ ومؤسسها:

يعتبر (ناناك) الهندي المولد، الهندوسي في الإنتماء الديني، هو المؤسس الرئيس

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: 2: 766.

(2) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 174.

(3) موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة / د. سعدون الساموك: 1.

لهذه الديانة، فقد حاول إيجاد ديانة جديدة دمجت بين الإسلام والهندوسية، عرفت بمذهب (السك) أو (السيخ).

وقد ولد ناناك عام (1469) من أبوين هندوسيين في قرية (تلفاندي) التي تبعد أربعين ميلاً جنوب غرب (لاهور)، وتعرف الآن باسم (ننكانا صاحب)، حيث قضى طفولته وشبابه في هذه القرية[1].

وعندما أصبح في سن الشباب إهتم بدراسة الدين، ولكنه كان يكره أن يقوم بأي عمل، حتى إن أباه عجز عن أن يجعله يعمل من أجل أن يكسب القوت، مما حدا به إلى تزويجه لعله بذلك يتحمل مسؤولية زوجته وعائلته، لكن الفتى ظل كارهاً للعمل بالرغم من أن أباه وجد له عملاً كموظف حكومي، وبدلاً من أن يذهب إلى عمله كان ينطلق إلى الغابات يحلم أحلام يقظة، ويفكر في عقيدة شعبه، ويقرأ أشعار (راماناندا) و (كبير). بينما تذكر مراجع أخرى: أن زوجة (ناناك) وابنيه بقوا مع والديه، وذهب إلى بلدة (سلطانبور) لتسلم وظيفة حكومية، وهناك راح يؤدي واجباته، ويقضي الليل في الصلاة والترتيل الديني، وانضم إليه صديق مسلم من بلدته هو (ماردانا)، الذي كان له أثر مهم في عمل ناناك التبشيري، ومعاً أسسا فرقة للإنشاد الديني، وتعاونوا معاً في إقامة مطعم شعبي كان يقصده مسلمون وهندوس من مختلف الفئات، وكل ذلك أمن لـ (ناناك) أوسع إتصال مع الناس.

وفي الثلاثين من عمره إختفى عن الأنظار عدة أيام، ليظهر مدعياً أنه مكلف بدعوة من الإله، وأنه كان يستحم في نهر وسط غابة إذ حصلت له خبرة روحية بدأت بعدها الرسالة، وتقول الرواية: أنه إختفى بين الأشجار وانتقل إلى الحضرة الإلهية وأعطاه الله كوباً من شراب مقدس وخاطبه قائلاً: أنا معك، لقد جعلتك سعيداً، وسأمنح السعادة لكل من يتبعك، إذهب وبشر باسمي، ودع الآخرين يقلدونك، إياك أن تلوث نفسك بالعالم، بل مارس الصلاة وفعل الخير والتأمل، لقد قدمت إليك هذه الكأس علامة لعطفي عليك. ويقال إن ناناك تلفظ بصلاة أصبحت فيما بعد الدعاء

---

(1) أديان الهند الكبرى / د. أحمد شلبي: 99.

الصباحي للسيخ، وفيها: هناك إلـه واحـد، إسمـه الحـق والخـالق، وهـو أزلي، وغـير مولود، وموجود بذاته، وعظيم ورحيم، وسوف يبقى إلى الأبد[1].

وبناء لهذا النداء العلوي بات ناناك -كما زعـم- الرسـول المبعـوث للمسـلمين والهندوس، ولكل الطبقات الاجتماعية، وبعد ثلاثة أيام خرج من الغابة لينطق عبارته المشهورة (ليس هناك هندوسي ولا مسلم)، وكانت تلك بدايـة حملـة تبشـيرية للديـن الذي أراد مؤسسة أن يعم العالم، ولما عاد ناناك إلى بيته، أعلن أنـه أصبـح (الغـورو)، وسألته زوجته: ولكن ما هو الغورو؟ فقال: هو معلم العقيدة الجديدة، وهي أنه ليـس هناك هندوسية ولا إسلام[2].

وراح ناناك يجوب بلاد الهند وسيلان وكشمير جنوباً وشمـالاً، لكـن النجـاح لم يحالفه إلا في بلاد البنجاب، ويبدو أنه شهد الغزو المغولي بقيادة بابير، ممـا دفعـه لكـي يوقف رحلاته، وخلال ذلك تبرع أحد الأشخاص بقطعة أرض تقع على ضفاف نـهر (رافي)، فأقام عليها قريته المسماة (كارتربور)، حيث قضى معظم سنوات حياته المتبقية في هذه القرية إلى أن مات عـام 1539، بعـد أن عـين مكانـه خليفـة مـن تلاميـذه واسمـه (أنفادا) وجعله الغورو أو (المعلم الثاني)، ومن الجديـر بـالذكر أن هـذه القريـة أصبحـت مكاناً مقدساً عند السيخ فيما بعد، وذلك لأن السيخ أقاموا أول معبد فيها[3].

ولم يكن ناناك هو أول من قام بمحاولة التقريب بين المسـلمين والهنـدوس، بـل سبقه إلى ذلك كبير (1440-1518)، الذي تأثر بالحركة البهتكية، والتي ظهرت في الهند بالقرن التاسع الميلادي لمقاومة المد الإسلامي على يد (شنكارا)، وقد زاد ازدهار هـذه الحركة على يد زعيمها (رامانند) في القرن الرابع عشر، وهـو الـذي سمـح للطبقـات الدنيا من الهندوس، وكذلك المسلمين بالإنضمام تحت لوائها واعتناق مبادئها.

ويعزى إلى كبير وهو أحد تلامذة (رامانند) نشر الرسالة البهتكية، إلا أن أفكـار

---

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العريبي: 174.

(2) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 122.

(3) الديانات الوضعية / د. محمد العريبي: 174.

كبير إنحرفت عن الخط الأساسي للحركة البهتكية في مقاومة الإسلام، عندما إتجهت للمصالحة ومحاولة إيجاد ساحة مشتركة بينه وبين الهندوسية[1].

ومما يذكر أن حركة التصوف الإسلامي إحتكت بالجماهير الهندوسية كمبشرة بالإسلام، وقد أثرت هذه الحركة في الهندوس، مما دفع كثيراً منهم إلى إحترام شيوخ الصوفية وتقديسهم.

ورأى كثير من المتصوفة أن الهندوسي بإمكانه الأخذ بالتصوف الإسلامي وممارسة تعاليمه والإنخراط في طقوسه تشجيعاً له على اعتناق الإسلام، وعلى العموم فلكل من الطرق الصوفية الرئيسة في الهند (الشيشتية والقادرية والنقشبندية) موقف محدد من الهندوس، وقد بدأ هذا الموقف بالعداء، ثم مر بالتعايش، وانتهى أخيراً بالتسامح والتفاهم، وهكذا نجد أن الحركتين البهتكية والصوفية لعبتا دوراً مهماً في تقارب العقيدتين مما نتج عنهما ديانة السيخ[2].

إذن لم يكن ناناك أول من حاول إيجاد أرضية مشتركة بين الهندوسية والإسلام، بل سبقه أستاذه (كبير) إلى ذلك، الذي تتلمذ على يد رامانند.

وقد ولد كبير في عام 1440، ويحيط الغموض بمولده، كما أنه قد حيكت أساطير حول ولادته وموته، وتصفه المصادر بأنه ابن شرعي لأرملة من البراهمة ثم قام على تربيته أحد الغزالين المسلمين، لذا فإن المصادر الهندوسية والإسلامية تختلف في النظر إليه، فالهندوسية تعتبره منافساً للشيخ (تقي) أحد أعلام الطريقة الشيشتية في الصوفية، بينما المصادر الإسلامية تعتبره تلميذاً له.

كان كبير يدعو إلى الحب والخلاص من الخطايا، وقد أخذ ذلك عن العقيدة البهتكية التي اعتنقها، وكان مفهوم الوحدانية واضحاً عنده، وهذا يدل على تأثره بالإسلام، لذا إعتبر الإسلام ديناً كبيراً له وزنه. ومع ما أخذه من الإسلام فقد أخذ أكثر من الهندوسية، وكان موقفه واضحاً من العبادات، فهو يرفض الطقوس الموجودة في

---

(1) تاريخ السيخ الديني والسياسي / د. خليل عبد العال:

(2) المصدر السابق.

الإسلام والهندوسية، كالصلاة والحج في الإسلام، وتقديس الأصنام وغيرها من طقوس الهندوسية، ويعتقد أن الإبتعاد عن هذه الرسميات والطقوس هو الصواب، وأن دين الحب والخلاص المؤدي إلى الله تعالى، لا يكون إلا بالإبتعاد عن كل زيف وخداع[1].

ومما يذكر أن كبير لم يحاول تأسيس طائفة جديدة، أو عقيدة جديدة، إلا أنه ظهرت طائفة دينية جديدة أطلقت على نفسها اسم (كبير-بانثي) أسسها أحد أتباعه وهو (دهارداس)، و لها كتاب مقدس عبارة عن حوار بين كبير وتلميذه، حيث وُصف كبير في الكتاب بأنه أرفع من نبي الإسلام، وآمنوا بفكرة أن البشر سواسية، وبفكرة التناسخ، والبعد عن إيذاء أي كائن حي[2].

وتجدر الإشارة هنا أن كبير صاحب فكرة التقارب بين الهندوسية والإسلام، يختلف عن (أكبر) السلطان المغولي، وهو من أصحاب فكرة الانتقاء[3] والتوفيق[4]، وقد نتج عن فكرته عقيدة جديدة عرفت باسم (الدين الإلهي)، حاول الإمبراطور أكبر فيها انتقاء عناصر إسلامية وهندوسية ومجوسية ومسيحية وغيرها، وضمها جميعاً في إطار واحد وعقيدة واحدة. إضافة إلى أن ميلاد ووفاة (كبير) مختلفة عن ميلاد ووفاة (أكبر)، فالأول كان تاريخه ما بين (1440-1518)، بينما كان تاريخ الثاني ما بين (1556-1605)، أي بعد تأسيس السيخية وحتى وفاة صاحبها (ناناك)[5].

ومن خلال ما ذكر عن حياة (كبير) يمكننا القول بأن (ناناك) سار على نهجه في كثير من الأفكار والأصول، بل يمكننا أن نطلق على كبير مؤسس السيخ الأول.

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) فكرة الانتقاء: تعني إختيار عدد من الأفكار من كل عقيدة من العقائد السائدة، وضمها جميعاً في نسق واحد.

(4) فكرة التوفيق: تعني محاولة التوحيد بين الأفكار الدينية المتشابهة في العقائد والمتباينة كذلك، خاصة في الهندوسية والإسلام، وإيجاد أرضية مشتركة بين العقيدتين.

(5) المصدر السابق.

المبحث الثاني

السيخ بعد (ناناك)

تعاقب على السيخ بعد (ناناك) تسعة زعماء، وكل واحد منهم حمل لقب (الغورو)، وهم[1]:

1) الخليفة الأول لناناك، والثاني على زعامة السيخ، وهو (الجاد) (1504-1552)، وقد اختاره لهذه المهمة ناناك نفسه قبل وفاته، ولكنه ليس له أثر يذكر في السيخية.

2) الخليفة الثاني هو (عمار داس) (1479-1574)، وقد بدأ بعملية بلورة للشخصية السيخية، وذلك عن طريق تحديد الطقوس الخاصة بالزواج والموت وسائر وجوه الحياة، واعتماد الاغتسال أثناء طقوسهم في الأعياد، مع التركيز على زيارة الأنهار مثل الهندوس.

وقد أحدث هذا الخليفة تطوراً آخر حيث إنتقل بالسيخ إلى الريف لنشر دعوته بين الريفيين بعد أن كانت محصورة بأهل المدن، وأسس مدينة (أمريستار) التي أصبحت مدينة السيخ المقدسة والتي فيها أهم معابدهم على الإطلاق وهو (المعبد الذهبي).

3) الخليفة الثالث هو (رام داس) (1534-1581)، وهو زوج ابنة عمارداس، وقد ألف أناشيد أضيفت إلى التراث السيخي، وأدخل خمسة منها في نصوص كتاب السيخ المقدس (آدي غرانت)، وقد نضمت النصوص التي ألفها تأملات في الله تعالى الذي لا تدركه الأبصار، ولا شكل له.

4) الخليفة الرابع، أو الغورو الخامس (أرجان) (1563-1606)، وقد اختاره للمنصب والده (رام داس)، واستلم المسؤولية وهو لا يزال شاباً، ويعد بحق من مؤسسي السيخية الأساسيين، فاتخذ مدينة (أمريستار) مركزاً وعاصمة له، وبنى فيها معبد

---

(1) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 104-108.

السيخ الرئيسي (المعبد الذهبي)، والذي لا يـزال حتـى يومنـا هـذا الموقـع الأكـثر قداسة عند السيخ، كما أنه هو الذي وضع نصوص كتابهم المقدس المعتمد.

لذا يعد عهد (أرجان) محطة رئيسية في تاريخ السيخية، حيث تعزز وجودهم، مما أغضب المغول الذين كانوا يحكمون بلاد الهند، فقـام الإمـبراطور المغـولي (جـهانكيز) باعتقال أرجان وأودعه السجن حتى مات فيه سنة 1606م.

5) الخليفة الخامس (الغـورو هـارغوبند) (1595-1645)، وهـو إبـن (أرجـان)، وفي عهده مال السيخ إلى ممارسة السلطة في مناطقهم بوجهيـها السياسـي والعسـكري، وقد كان ذلك جديداً في مذهبهم، ولم يمنعهم ذلك من المحافظة علـى الأسـس الـتي وضعها ناناك.

6) الخليفة السادس (الغورو هارراي) (1630-1661)، وقد كان حفيد الغورو السابق (هارغوبند)، وآثر هذا الغورو المسالمة مع المغول والعودة عمـا سـنه سـلفه، وكـان عهده مرحلة سلام بالنسبة للسيخ.

7) الخليفة السابع (الغورو هاركريشان) (1656-1664)، وهو إبـن الغـورو السـابق، وقد تولى المسؤولية وهو طفل سنة (1661م)، ولكنه لم يعـش طويـلاً فقـد أصيـب بالجدري، وكان وفاته عام (1664م) أي عن عمر ثماني سنوات.

8) الخليفة الثامن (الغورو تاج بهادور) (1662-1676)، وهو ابــن الغـورو السـادس (هارغوبند)، وكان يميل إلى المسالمة وعدم إعتماد الحرب والمواجهة.

9) الخليفة التاسع وهــو الغـورو العاشـر (غوبنـد سـنغ) (1666-1708)، وهـو إبـن الغورو السابق، وهذا الغورو كان الأخير حسب دينهم، وبعده أصبـح الغـورو أو المعلم هو كتابهم المقدس (أدي غرانت صاحب).

وللغورو العاشر الذي إستلم مهمته عام (1676م)، وهــو إبـن عشـر سـنوات، أهمية خاصة، ليس لأنه الأخير في ترتيب معلميهم، وإنما لأنه وضع إضافات نوعية في نظام السيخ حيث حولهم إلى مؤسسة عسكرية، وكـان ذلـك عندمـا إشـتدت حـروب المغول عليهم، فما كان من هذا الغـورو إلا أن أعلـن تأسـيس (الخلسـا) أي الطـاهر، لكنها تعني عند السيخ (المخلصـون للسـيخية)، وهـو نظـام مـن الأخـوة تندمـج فيـه

الواجبات الدينية والعسكرية مع الواجبات الاجتماعية في نظام واحد، ومن أهم سماته الرئيسية وميزته عن غيره، ظهور عدد من المحرمات، خاصة تحريم التدخين، والإصرار على الالتزام بالكافات الخمس.

ولهذا قام الغورو العاشر بتعميد خمسة من السيخ، ونظمهم فيما سمي بـ (الخلسا) ولقبهم بـ (سنغ) أي الأسد، حتى صار هذا الإسم يطلق على الرجل من السيخ، أما المرأة فصارت تدعى (كير) أي اللبؤة، وقد ألزم من ينضم إلى هذا التنظيم بنظام زهد وتقشف، مع الإمتناع عن شرب الخمر والتدخين وأكل لحم الخنزير، وعرف عهده بصراعات مع المغول قتل فيها عدد كبير من أتباعه بينهم أولاده الأربعة، حتى أنه طرد من البنجاب.

وقد أعلن هذا الغورو انتهاء تعاقب الغورو في السيخ بعد، وأضاف إلى كتابهم المقدس أدبياته التي جمعها في كتاب سماه (داسام غرانت).

والطريقة العسكرية التي سادت عهد الغورو العاشر، سار عليها قائد السيخ بعده (بندا بهادر)، الذي وجه ضربات موجعة للمغول، واستطاع أن يؤسس مملكة للسيخ ضمت معظم إقليم البنجاب، واستمرت ثماني سنوات، عندما تمكن منها المغول، فاعتقل مع سبعمائة من أتباعه، وتمَّ إعدامهم في دلهي صيف (1716م).

وعندما احتلت بريطانيا الهند هاجمت السيخ في البنجاب، واستولت عليها عام 1849م، ولكن بعد هذا تحول العداء بين الطرفين إلى تحالف وثيق، فقد أعجب البريطانيين بشجاعتهم. وبعد تقسيم الهند عام (1947م) جزئت مقاطعة البنجاب بين الهند وباكستان، وصارت مدينة أمريستار تحت سيطرة الهندوس، مما جعل السيخ يحاربون الهندوس والمسلمين معاً، واشتدت نزعتهم الانفصالية، حتى صاروا ينظرون إلى أنفسهم كما لو كانوا عرقاً قائماً في ذاته[1].

(1) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 128.

المبحث الثالث

أماكن انتشار السيخ

حين يذكر السيخ يذكر البنجاب أيضاً، فالبنجاب موطنهم ومركز تجمعهم ونشاطهم، والمنطقة التي نمت وتطورت فيها عقيدتهم، وقد إستقلوا فيها خلال فترات -كما مرَّ بنا سابقاً-، ومن هنا جاءت أهمية التعرف على منطقة البنجاب وتاريخها بإيجاز.

تعني البنجاب: أرض الأنهار الخمسة، وكلها فروع لنهر السند، وتتصف البنجاب بوحدتها الجغرافية التي ميزتها عن المناطق الأخرى في الهند، كما تتصل البنجاب بالمناطق المجاورة بممرات أهمها ممر (خيبر) الشهير، ومن ثمَّ كانت البنجاب مقصد كل الهجرات، خاصة الآتية من الغرب في كل العصور، حتى أنها توصف بالبوابة الرئيسية للهند، ولذا قدر لها في أن تكون ميدان صراع، وأول موطن لكل الغزاة[1].

أما تعداد السيخ، فالمعلومات في هذا الشأن متضاربة حول العدد الحقيقي للسيخ في العالم، إلا أن المتفق عليه أن عددهم لا يقل عن (15 مليوناً)، ولا يزيد عن (20 مليون نسمة)، يسكن حوالي (80٪) منم في البنجاب، وهم يمثلون قرابة (3٪) من سكان الهند، والبقية موزعون في الهند، والبعض منهم هاجر إلى بلاد أخرى، وتتنعم جماعة السيخ بوضع اقتصادي مميز نسبياً، ويبلغون في التعليم درجة أعلى من المتوسط[2].

---

(1) موسوعة الأديان في العالم / والهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 109.

(2) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 109.

ومطالبة السيخ بإقامــة حكـم مسـتقل في البنجـاب، حـرّك الهنـدوس ليكيـدوا للسيخ، وبدأت الاضطرابات بين الحكومة الهندية والسيخ في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، وفي سنة (1984) أمرت أنديرا غاندي رئيسة وزراء الهند يومها بإخماد تمـرد السيخ، وتمّ تطويق المعبد الذهبي من قبل الجيـش الهنـدي، وأسـفر الحصـار ومـن ثـم الهجوم عن مقتل القائد السيخي (بندراويل) مع حوالي (1500) مـن السـيخ و (500) من الجيش الهندي، فما كان من السيخ إلا أن خططـوا لاغتيـال أنديـرا غـاندي، وقـد تمكنوا من ذلك في وقت ليس ببعيد، فكان اغتيالها من قبل رجلين من حراسها ينتمون إلى طائفة السيخ[1].

(1) المصدر السابق: 112.

المبحث الرابع

كتب السيخ المقدسة

لم يشهد التاريخ السيخي خلال حياة المؤسس الأول (ناناك) أنه كتب لهم أي كتاب كمرجع للديانة، فقد بدأت سلسلة الكتابات المقدسة عند السيخ بعد وفاة (ناناك) بـ (65) سنة، على يد المعلم (أرجان)، وهي مجموعة أقوال ووصايا ناناك مع مجموعة من أقوال لمعلمين آخرين، وقد قسمت الكتب المقدسة إلى مجموعتين هما:

1- المجموعة الأولى: ويطلق عليها اسم (آدي غرانت)، ولها وضع شرعي لا خلاف عليه عند السيخ، والمعنى الحرفي للكلمة هو (المجلد الأول)، وقد جمعت هذه المجموعة ما بين عامي 1603-1604.

ولآدي غرانت أهمية كبيرة في الحياة اليومية للسيخ المؤمنين، وهذه المجموعة مكتوبة بلغة سانت بهاشا التي تمتزج فيها اللغتين الهندوسية والبنجابية، وهي لغة استعملت على نطاق واسع في شمال البلاد في العصور الوسطى، لكنها اليوم لا تستعمل إلا في مقاطعة البنجاب.

وهذه المجموعة تتضمن بالإضافة لأقوال الغورو الأول (ناناك) إضافات للمعلمين الآخرين مثل (رام داس) و(عمار داس) و (تاج بهادورة) و (جونيد سنغ)، وبسبب الفراغ في قيادة السيخ بعد الغورو (جويند سنغ) إحتلت (آدي غرانت) منزلة مرموقة خصوصاً في القرن الثامن عشر الميلادي[1].

2- المجموعة الثانية: ويطلق عليها (داسام غرانت)، وهو المجلد الثاني الرديف للأول، وتمّ جمعه في القرن الثامن عشر، ويتضمن أعمالاً متنوعة تنسب إلى (غويندسنغ)، إضافة إلى مجموعة من الحكايات الهندوسية، وأخبار عن حيل النساء، ولا يمكن أن

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 175.

يكون مما كتبه هذا الغورو، غير أن أهمية (داسام غرانت) الخاصة تكمن في الشهادة التي قدمها عن المثل العليا عند السيخ في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما أنها مصدر ذو قيمة كبيرة لتاريخ السيخ في هذه الفترة[1].

والأمر المهم عند السيخ بعد كتابهم (آدي غرانت) هو ما يسمى بـ (الكافات الخمسة)، وهي تنسب إلى الغورو (غويندسنغ)، وقد ترافقت مع نظام (الخلسا) وهي من شعائر عقيدتهم[2].



(1) المصدر السابق: 175.

(2) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. أسعد السحمراني: 118.

المبحث الخامس

عقائد السيخ

أولاً: عقيدتهم في الإله: عقيدتهم تقوم على إجلال وتقديس الإله غير المشخص لتجنب أية حالة وثنية، وهو في الأصل خالق العالم، وعملية الخلق هذه تستند إلى قدرة الإله الذي حول العالم من اللاكيف على حالة لها كيفياتها، وهذا التنزيه للإله لم يمنع ناناك من القول بأنه داعية لوحدة عقيدة كل الناس، ولذلك فاعتقاد المسلمين بوحدانية الله، لا يختلف برأيه عن اعتقاد الهندوس بـ (فشنو) إله الخير[1].

وإذا كانوا قد أعطوا الغورو مكانة خاصة، حتى ذكر البعض أنها درجة دينية تأتي بعد درجة الرب، لكن ذلك لم يدفعهم إلى إعطائه صفة ألوهية، فتنزيه الخالق هو الأساس في عقيدتهم، فقد ورد في كتابهم المقدس (آدي غرانت): لا يوجد إلا إله واحد، وليس كمثله شيء، ويوجد الغورو، وهو معلم الكل الثواني والدقائق والساعات والأيام والفصول، كلها نتيجة من المصدر الوحيد، وهو المصدر نفسه الذي خلق الشمس، وكل ما هو مخلوق صادر عن الإله[2].

ولكن السيخ يعتبرون الغورو (صوت الله)، فهم عند حديثهم عن الضال الذي يندم، وأنه يحرم من صوت الله وهو (الغورو) ومما جاء عندهم: أما الضال الذي لا يندم على ضلالة محكوم عليه بالانفصال والبعد عن الله، وتعمى بصيرته عن إدراك تجليات الله في مخلوقاته، ويصعب عليه فهم توضيح (الغورو)، الذي يعتبر صوت الله لتجليات الله في المخلوقات[3].

---

(1) المصدر السابق: 114.

(2) المصدر السابق: 115.

(3) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 175.

ويعتقد أن ترديد أسماء الإله يطهر المرء من الذنوب ويقضي على مصادر الشر في النفوس، وإنشاد الأناشيد والتأمل بتوجيه من المعلم غورو، كل هذا يؤدي إلى الإتصال بالإله[1].

وعملية الخلق لها مفهوم خاص عند السيخ يدمج بين مفاهيم متعددة، ويخضع لمؤثرات متنوعة، فخلق العالم عندهم ضرورة لإظهار قدرة الله، وقد فسروا عملية الخلق على الوجه التالي: مضى زمن لم يكن فيه سماء ولا أرض ولا أنهار ولا ليل ولا شمس، والخالق كان في حالة تأمل عميق، ولم يكن من موجود سواه تعالى[2].

ثانياً: التناسخ والخلاص والإندماج عند السيخ:

أ- آمن السيخ بعقيدة التناسخ على طريقة الهندوس، إذ إعتبروا التناسخ نوعاً من العقاب، أو عذاب الموت بعد الموت، والتناسخ ضرورة لعقاب أولئك الذين تعلقوا بالعالم وعبدوا موجوداته، نتيجة ضلالهم وأوهامهم حتى استعبدتهم وسجنتهم داخل دورة تناسخ لا بداية لها ولا نهاية من الميلاد والموت.

فهم يؤمنون بولادة الإنسان وموته، ثم إعادة ولادته، بحيث تقرر حياة الإنسان المستقبلية على ضوء حياته السابقة، ويتوقف خلاصه على هذه المرحلة.

والعدو الأساسي للإنسان عند السيخ: اللاواقع، وهي ما تسمى عندهم (المايا)، وتعني اللاوجود، أو العدم، أو الوهم، وأراد ناناك منها لا واقعية القيم والمثل التي يمثلها البشر بالتعامل مع واقعهم، وهو كما يقول ناناك بعيد عن الحقيقة وهو مبني على الخيال، ومتى فهم الإنسان حقيقة القيم ومواطن الوهم والخداع فيها، يكون قد تقدم خطوته الأساسية على طريق الخلاص من (المايا)، ومن المتعلقات الفارغة والفاسدة بموجودات العالم التي تحتم عليه الدخول في عذابات الولادات والموت المتكرر، وبخروج الإنسان من ضلاله ومن عبوديته، يسلك العالم الطريق الصحيح إلى الفرح الأزلي بالرؤية السعيدة والقرب من الله.

---

(1) الموسوعة الميسرة في الأديان: 2: 768.

(2) المصدر السابق: 2/ 768.

فالسيخي (التلميذ) الذي يفهم كلام الغورو عن الحقيقة الإلهية ويستوعب النظام الإلهي للكون مادياً ونفسياً، يكون قد سلك طريق الخلاص في الإنسجام مع الله، وطريق الخلاص يُلزم بنظام للعبادة، يحتاج إلى المثابرة في تطبيقه، حتى يحصل الخلاص النهائي، وتطبيق نظام العبادة لا يحتاج إلى معابد وجوامع وصلاة وحج، فإن البيت الوحيد الذي يمكن قبوله للعبادة هو القلب البشري الذي ينطق فيها المعلم الروحي (الغورو) بالكلمة الإلهية[1].

ب- الخلاص: إتجه السيخ في سبيل الوصول إلى الخلاص من تكرار المولد (التناسخ) إلى ممارسة عبادة محددة، حتى يصل السيخي في نهاية مطافه بعد الموت، إلى الإتحاد مع الإله، وقد أطلقوا على هذه العبادة مصطلح (نام سمرام)، ومعناه الحرفي (تذكر الإسم الإلهي)، وهو تكرار آلي لكلمة معينة أو لمقطع من كلمة مقدسة[2]، وهذا التكرار يدفع بالروح إلى الإتحاد الصوفي بالله، وبذلك تتحرر الروح من أغلال التناسخ، ويؤدي بها إلى الإنعتاق الكامل، ويشعرها بفرح وسعادة الإندماج في الله[3].

---

(1) الديانات الوضعية الحية / د. محمد العربي: 177.

(2) المصدر السابق: 177.

(3) المصدر السابق: 177.

المبحث السادس

شعائر السيخ ومعابدهم

لم يكن ناناك يهتم بالشعائر والطقوس الدينية، بل كان يعيب على الهندوس والمسلمين إكثارهم من الطقوس والممارسات الدينية التي لا طائل منها سوى إلهاء الناس عن الوصول لله، ويلوم الهندوس على مبالغتهم في ممارسة الطقوس النسكية والحج وتعظيم الأصنام، مع أن الله لا يعبر عنه بصخر أو خشب[1].

فالسيخ ينصحون بعدم التركيز في العبادات والطقوس، فكلها حسب رأيهم مظاهر لا فائدة منها، والمطلوب الحقيقي هو أن يعيش الإنسان حالة تؤهله كي يستحضر الإله في قلبه.

وتعتبر الطقوس الثلاثة التالية تعبيراً منتظماً للعبادة عند السيخي المخلص وهي:

أولاً: التلاوة اليومية لفقرات معينة من كتاب (غرانت صاحب) خصوصاً (الجابجي) للغورو (ناناك)، الذي ينبغي تلاوته من الذاكرة بعد النهوض من النوم والإغتسال مباشرة.

ثانياً: الطقوس اليومية للأسرة، فتتجمع كثير من الأسر كل صباح، ومعهم نصوص المعلم (غرانت صاحب)، ويقرأ أفرادها فقرات يتم إختيارها عشوائياً.

ثالثاً: هناك لقاء مع الأسرة الكبرى، وهي أسرة الخالصة[2].

أولاً: الكافات الخمسة: وتعد عندهم من أهم الطقوس الدينية، والإلتزام بها واجب، ومن لم يلتزم بها ينعتونه بصفة (باتت) أي المرتد، وهي:

---

(1) موسوعة الأديان في العالم: 136.

(2) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 136.

1- الكيبسا: وتعني الشعر الواجب أن يحافظ عليه السيخي الذي إنتسب إلى الأخوة (الخالصة)، فعندهم أن شعر الرأس واللحية يجب أن يطلق ولا يقص منه شيء، وهذا الأمر من الأمور التي يميز السيخ عن غيرهم، وحرمة قص الشعر بدأ عندهم قبل الغورو العاشر، وهذا معمول به عند بعض الهندوس، خاصة فئة رهبان الهندوسية.

2- مشط (كانفا): والمشط يحمله كل واحد من السيخ، وهو لزوم شعر رأسه ولحيته الطويلة ليسرحه به ساعة الضرورة وساعة يشاء.

3- الكاشا: وهو سروال قصير لا يتجاوز الركبة، وهو أشبه بشورت عسكري.

4- كارا: وهو عبارة عن سوار من الفولاذ يضعه كل سيخي في معصم يده اليمنى، وهو عندهم أشبه ما يكون بتعويذة يظنون أنها تبعد الشر عنهم والأذى.

5- كيربان: خنجر من الفولاذ أو مدية، يتمطق بهذا الخنجر كل رجل من السيخ، ويبدو أن هذا الأمر يلازم شخصيتهم العسكرية القائمة على فلسفة القوة التي أصلها الغورو العاشر[1].

ثانياً: الصلاة والمعابد، ومفهوم السيخ في العبادات يتلخص بأن: الإنسان لا يمكنه الخلاص منفرداً، وهو بحاجة في ذلك إلى الغورو، والغورو اليوم هو كتابهم المقدس (آدى غرانت) المتوفر دوماً في معابدهم، وهو عبارة عن مقتطفات على شكل أغاني وأناشيد تناسب موسيقياً طقوسهم.

وقد بنى السيخ معابدهم لإقامة الصلوات فيها، ونمط هذه العبادة يعتمد أساساً على إنشاد فقرات نصوص من (آدي غرانت)، وعندما يدخل السيخي هذا البناء لأول مرة فإنه يتجه لحو الكتاب المقدس ويلمس الأرض بجبهته ويقدم قرباناً، وفي أوقات معينة يشترك جميع الحاضرين في تلاوة (الأرداس) أي صلاة السيخ، وهي شكل معين من الإبتهالات للنعمة الإلهية، وتذكر الآلام الماضية التي مرت بها الجماعة، وكذلك أمجادها، وقد نشأت هذه الصلاة إبان القرن الثامن عشر، وهي تختم

(1) الهندوسية، البوذية، السيخئة / د. أسعد السحمراني: 114.

بالإشارة إلى (غرانت صاحب) بوصفها التجلي الجسدي للمعلم، وبالإعلان الشهير (راج كاريفا خالصا) أي (الخالصة سوف تحكم)[1].

والمعبد الذهبي مع سائر معابدهم التي تسمى (غورودوارا)، ومعناه البوابة إلى الغورو، يمنعون فيها أية صور أو رسوم تشير إلى الإله، ومعابدهم تشبه المساجد في نظام بنائها، إلا أن السيخ ليس لها قبلة محددة، والسيخ يستحضرون العالم الخارجي في معابدهم، حيث تراهم يزينونها بأوراق الشجر والأزهار ورسوم العصافير، مع رسوم أخرى للغورو، ولوحات تنطق بأهم المحطات في تاريخ السيخ وترتفع فيها موسيقى تتميز بالرصانة[2].

ثالثاً: تقديسهم لكتابهم، وكتابهم (غرانت صاحب) يرفع كل صباح ويوضع تحت ستار من القماش، وبعدها يدخل السيخيون وينحنون أمامه ويقدمون القرابين طول النهار، وفي المساء يعاد (غرانت صاحب) إلى موضعه، وفي الأعياد يحمل (غرانت صاحب) ويطوفون به في الشوارع، وأشهر طقس في المعابد هو أن يجتمع عدد من السيخ يقرأون ترانيم هذا الكتاب من الغلاف إلى الغلاف دون أي توقف، وهذا خلال يومين بلياليهما[3].

رابعاً: المأدبة الجماعية، وهناك طقس جماعي يمارسونه في معابدهم هو المأدبة الجماعية التي يقدمونها في الأعياد والمناسبات الاحتفالية، وهذا الواجب التضامني الإنساني يتحقق من خلال وجبة طعام مشتركة تعد في المعبد من الطحين والسكر والسمن المصفى المذاب[4]. وهذه المؤاكلة العامة تعني عند السيخ أن كل البشر سواء أمام الإله، وقد أرادوا هذه الطقوس لدحض القاعدة الهندوسية التي تقوم على أن الناس متفاوتون حسب طبقاتهم، ويراعى ذلك حتى في تناول وجبات الطعام.

---

(1) المصدر السابق: 123.

(2) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 137.

(3) موسوعة الأديان في العالم.

(4) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 124.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا وجود لنظام كهنوتي عند السيخ، وإنما الراشدون من الجنسين هم الذين يقومون بإحياء الطقوس الدينية والشعائر بما في ذلك أداء الترانيم والأناشيد في صلاتهم وسائر مناسباتهم.

خامساً: الحج، وأما الحج، فإنهم يحجون إلى (أمريتسار) وإلى المعبد الذهبي، ويأتي عندهم في المرتبة الثانية بعده مدينة (نانكانا) مكان ولادة المؤسس الأول (ناناك)، وتقع في باكستان، وهناك مواقع في البنجاب أقل مكانة من الإثنين الأولين أبرزها: أناندبور -باتيلا-باتنا-نانداد، وهذه المواقع كلها ترتبط بالغورو العاشر والأخير (غوبندسنغ)[1].

سادساً: طقوس الزواج، والزواج عندهم زواج ديني بحت، ويتم في المعبد، ومراسمه تتم أمام كتابهم (غرانت صاحب)، ويرافق ذلك ترتيل أناشيد وترانيم مخصوصة، ويطلب من العروسين أن يقفا أثناء أداء الصلاة والموعظة ومراسم الزواج من قبل الشخص الذي يقود الإحتفال الزواجي، وبعدها يقوم العروسان اللذان يصليان بالإنحناء أمام الغورو (غرانت صاحب)، وذلك إشارة إلى أنهما قررا أن يتزوجا، واللحظة الهامة في الإحتفال الزواجي تكون عندما يقوم العروسان بأربع دورات حول (الغورو غرانت صاحب) ترافقها ترانيم العرس، وبذلك يختتم الاحتفال[2].

سابعاً: الولادة والموت، أما الولادة وإنجاب طفل، فلها كذلك بعض المستلزمات، وأولها إنشاد بعض المقاطع من نصوصهم الدينية إحتفالاً بالمولود الجديد، وبعد أيام قليلة يحضرون الطفل إلى (الغوردورارا) أي المعبد، ويفتح كتاب الآدي غرانت، ويعطى المولود إسماً استناداً إلى أحرف الكتاب ويكون عادة الحرف الأول من الكلمة الأولى على الصفحة اليسرى.

وعندما يصل الطفل إلى مرحلة الوعي، يبدأون بتعليمه بعض النصوص المقدسة من كتبهم، وعند البلوغ يعمدون أولادهم، ويكون ذلك باحتفال في المعبد، ويتم إسقاء

---

(1) المصدر السابق.

(2) موسوعة عالم الأديان / د. مفرج: 4: 138.

المعمّد شراباً يسمونه (الرحيق الإلهي)، وبعدها يعلنون إنضمامه إلى الأخوية المسماة (الخلسا).

وعند وفاة الإنسان، هناك مراسم خاصة بالجنائز مأخوذ من الهندوس، فالجنائز عند السيخ تعالج بشكل بسيط جداً، حيث يحملون الجثمان إلى مكان مخصوص لإحراق الموتى، وتحضر الجثة للحرق، ويتم حرق الجثمان وسط تواشيح وأناشيد معينة ترتل بشكل متواصل، وتتلى صلاة إبتهالية.

وبعد إحراق الجثة، يتبع السيخ عادة الهندوس، حيث يلقون رماد الجثمان في أحد الأنهار، ويفضلون إلقاءها في نهر (الغانج)، وهو النهر المقدس عند الهندوس[1].

وهناك اختلاف في التعامل مع الجنائز حسب سن المتوفى، فإذا كان شاباً يحصل الكثير من النحيب والندب من قبل العائلة، لأن حياة الشاب قد إنتهت في وقت مبكر، أما إذا كان المتوفى متقدماً في السن فإن لوناً من الغبطة يسود لأنهم يتوقعون الخلاص، وانتعاش النفس بهذا الشخص[2].

(1) موسوعة الأديان في العالم، والهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 125.

(2) الهندوسية، البوذية، السيخية / د. السحمراني: 126.

المبحث السابع

الأسرة والمرأة في المجتمع السيخي

أخذت المرأة في أشعار ناناك صورة قاتمة، إذ كان ناناك في بعض أشعاره يهاجم المرأة، وقد تمَّ تجاهل هذه الأشعار من قبل أتباعه.

ثم نجد ناناك فيما بعد يهتم بالمرأة ويمجدها حيث يقول عنها: إن المرأة ذلك المخلوق الذي يقابل بالإزدراء، هي التي حملت بنا، وأنجبتنا، والمرأة هي التي نعقد عليها ونتزوجها، وهي رفيقة دربنا طيلة العمر، ولها الفضل في إستمرار جنسنا البشري.

وقد عمل أصحاب الخلسا على قبول المرأة في الانضمام لهم، وأطلقوا عليها اسم (كور) وهي المرأة المعمدة، ولكنهم لا يلتفتون لكلام المرأة عند إتخاذ القرارات الهامة للطائفة السيخية، وذلك لاعتقادهم أنها نجسة[1].

أما الأسرة فنرى عناية السيخ وحرصهم على الأسر، فهم يحضون على أن يحترم كل واحد زوجات الآخرين كما يحترم أمه، وأن ينظر إلى بناتهم كأنهن بناته، وينبغي على الزوج أن يستمتع بعشرة زوجته، وعلى النساء أن يكن مخلصات لأزواجهن، ولا ينبغي إلزام النساء بارتداء الحجاب[2].

---

(1) الجنس في أديان العالم / جيفري نارندر: 165، وموسوعة أديان العالم.

(2) الجنس في أديان العالم / جيفري نارندر: 166.


www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

المصادر والمراجع

1- أبو زهرة، محمد / محاضرات في النصرانية - دار الفكر العربي، 1982م.

2- أبو زهرة، محمد / مقارنات الأديان - دار الفكر العربي، 2006م.

3- أبو الفتوح، د. هالة / فلسفة الأخلاق والسياسة - دار قباء، 2000م.

4- أبو عطا الله، د. فرج / اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام - دار الوفاء، المنصورة، ط أولى، 1991م.

5- إمام، عبد الفتاح / الفيلسوف والمسيحي والمرأة - مكتبة مدبولي، القاهرة، ط أولى، 1996م.

6- إبن منظور / لسان العرب -، بيروت.

7- أبو شقرا، سامي / موسوعة الأديان في العالم - دار الإختصاص للنشر، بيروت، ط أولى، 1989م.

8- البار، د. محمد علي / المدخل إلى دراسة التوراة - دار القلم، دمشق، ط أولى، 1990م.

9- براون، بربارا / نظرة عن قرب في المسيحية - شركة التوحيد للنشر، 1995م.

10- براناتيس، الأب / فضح التلمود - إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، ط ثانية، 1983م.

11- بوكاي، موريس / القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث - دار المعارف، القاهرة، 1982م.

12- بلا مؤلف / نزول المسيح في آخر الزمان، د.ت.

13- بلا مؤلف / اليابان دولة وشعب وحضارة - شركة كودانشا، اليابان، 2004م.

14- بلا مؤلف / موسوعة أديان العالم، 2000م.

15- التونسي، محمد خليفة / الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) - دار الكتاب العربي، بيروت، ط خامسة، 1980م.

16- تركي، د. إبراهيم محمد، علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام - دار الوفاء، الأسكندرية، 2002م.
17- جامعة القدس المفتوحة / مقارنة أديان، ط أولى، 1998م.
18- جنيبر، شارل / المسيحية نشأتها وتطورها - المكتبة العصرية، صيدا، ط أولى، 1978م.
19- الجندي، أنور / الإسلام والفلسفات القديمة - دار الاعتصام، القاهرة، 1977م.
20- الجوهري، علي / حقيقة النصرانية - دار الفضيلة، القاهرة، 1991م.
21- جيبون، إدوارد / اضمحلال الإمبراطورية الرومانية - القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
22- الحاج، د. محمد / النصرانية من التوحيد إلى التثليث - دار القلم، دمشق، ط أولى، 1992م.
23- الخزرجي، أبو عبيدة / بين الإسلام والمسيحية - تحقيق د. محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، 1979م.
24- ديورانت، ول / قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.
25-دروزة، محمد عزة / تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم - المكتبة العصرية، بيروت، 1969م.
26- ديب، سهيل / التوراة (تاريخها وغاياتها) - دار النفائس، بيروت، ط سابعة، 1992م.
27- راشد، د. سيد فرج / السامريون اليهود - دار المريخ، الرياض، 1406هـ.
28- رزق، د. أسعد / التلمود والصهيونية - بيروت.
29- رستم، د. أسد / الروم - دار المكشوف، بيروت، 1995.
30- روهلنج، أوغنست / الكنز المرصود في فضائح التلمود - شرح وتعيق د. محمد عبد الله الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي، القاهرة، 1990م.
31- خان، ظفر الإسلام / التلمود - تاريخه وتعاليمه - دار النفائس، بيروت، ط أولى، 1971م.
32- روهلنج، أوغنست / اليهودي على حسب التلمود.
33- زاهر، رفقي / قصة الأديان.
34- زكار، د. سهيل / المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق - دار الكتاب العربي، ط أولي، 1997م.

35- دراز، د. محمد عبد الله / الدين – مطبعة السعادة، مصر، 1969م.

36- الساموك، د. سعدون / موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة – دار المناهج، عمان، ط أولى، 2002م.

37- السحمراني، د. أسعد / البيان في مقارنة الأديان – دار النفائس، بيروت، ط أولى، 2001م.

38- السحمراني، د. أسعد / الشنتوية، الكونفوشية – دار النفائس، بيروت، ط أولى، 1999م.

39- السحمراني، د. أسعد / الهندوسية، البوذية، السيخية – دار النفائس، بيروت، ط أولى.

40- السقا، د. أحمد حجازي / أقانيم النصارى – دار الأنصار، القاهرة، ط أولى، 1977م.

41- سرور، د. محمد / نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية – دار الفكر العربي، القاهرة، 1978م.

42- السعدي، محمد / دراسة في الأناجيل الأربعة – دار الثقافة، قطر، الدوحة، 1985م.

43- سمعان، عوض / قضية الغفران في المسيحية.

44- سوسة، د. أحمد / العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر، دمشق، ط رابعة، 1975م.

45- السواح، فراس / لغز عشتار – دار علاء الدين، دمشق، ط أولى، 1995م.

46- الشرقاوي، د. محمد عبد الله / في مقارنة الأديان – دار الجيل، بيروت، ط ثانية، 1990م.

47- شعبان، د. فؤاد / من أجل صهيون – دار الفكر، دمشق، ط ثانية، 2003م.

48- شبل، محمد فؤاد / حكمة الصين – دار المعارف، مصر، 1967م.

49- شلبي، د. أحمد / أديان الهند الكبرى – مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ثانية، 1966م.

50- شلبي، د. أحمد / المسيحية – مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ثالثة، 1967م.

51- شلبي، د. أحمد / اليهودية – مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط سابعة، 1984م.

52- شلبي، د. رؤوف / أضواء على المسيحية – المكتبة العصرية، صيدا، 1975م.

53- شلبي، د. رؤوف / التفكير الديني في العالم – دار الثقافة، الدوحة، 1983م.

54- شنودة، زكي / تاريخ الأقباط - مطابع البلاغ، القاهرة، ط ثانية، 1968م.
55- شنودة، زكي / المجتمع اليهودي - مكتبة الخانجي، القاهرة.
56- صليبا، جميل / المعجم الفلسفي.
57- طعيمة، د. صابر / التراث الإسرائيلي في العهد القديم.
58- طعيمة، د. صابر / التاريخ اليهودي العام.
59- طنطاوي، د. محمد سيد / بنو إسرائيل في القرآن والسنة - القاهرة، ط أولى، 1968م.
60- الطهطاوي، محمد عزت / الميزان في مقارنة الأديان - دار القلم، دمشق، ط أولى، 1993م.
61- الطهطاوي، محمد عزت / النصرانية والإسلام - مكتبة النور، القاهرة، ط ثانية، 1987م.
62- ظاظا، د. حسن / الفكر الديني اليهودي - دار القلم، دمشق، ط ثالثة، 1995م.
63- عبد الوهاب، أحمد / المسيح في مصادر العقائد المسيحية - مكتبة وهبة القاهرة.
64- عبد الوهاب، أحمد / النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام - مكتبة وهبة، القاهرة، ط أولى، 1970م.
65- عبد الفتاح، إمام / معجم ديانات وأساطير العالم.
66- عبد الحي، عمر / الفلسفة والفكر السياسي في الصين.
67- عبد المنعم، د. فؤاد / أبحاث في الشرائع - مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1994م.
68- عبد العليم، د. مصطفى ورفيقه / اليهود في العالم القديم - دار القلم، دمشق، ط أولى، 1995م.
69- عبد الملك، بطرس ورفاقه / قاموس الكتاب المقدس - مجمع كنائس الشرق الأدنى، ط ثانية، 1971م.
70- عبد الدائم، د. عبد الله / إسرائيل وهويتها الممزقة - مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط أولى، 1996م.
71- عبود، د. عبد الغني / المسيح والمسيحية والإسلام - دار الفكر العربي، ط أولى، 1984م.

72- عطاء الرحيم، محمد / عيسى يبشر بالإسلام - ترجمة فهمي شما، ط أولى، عمان، 1986م.
73- عطار، أحمد عبد الغفور / الديانات والعقائد - مكة المكرمة، ط أولى، 1981م.
74- العقاد، عباس / عبقرية المسيح - كتاب الهلال، 1968م.
75- العقاد، عباس / الله - مكتبة الهلال.
76- الفاروقي، د. إسماعيل / الملل المعاصرة في الدين اليهودي - مكتبة وهبة، القاهرة، ط ثانية، 1988م.
77- فتاح، د. عرفان عبد الحميد / اليهودية (عرض تاريخي) - دار عمار، عمان، ط أولى، 1997م.
78- العربي، د. محمد / الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى - دار الفكر اللبناني، بيروت، 1996م.
79- العربي، د. محمد / موسوعة الأديان السماوية والوضعية - دار الفكر اللبناني، ط أولى، 1995م.
80- عبد العال، د. خليل / تاريخ السيخ الديني والسياسي.
81- الفرحان، د. راشد / الأديان المعاصرة - طرابلس، ليبيا، ط ثانية، 1985م.
82- كامل، عبد العزيز مصطفى / قبل الكارثة نذير ونفير - المنتدى الإسلامي، لندن، ط ثانية، 2001م.
83- الكتاب المقدس - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1991م.
84- كولر، جون / الفكر الشرقي القديم - ترجمة كايل يوسف حسين، عالم المعرفة، الكويت، 1984م.
85- مجمع اللغة العربية / المعجم الفلسفي - عالم الكتب، بيروت، 1979م.
86- مبروك، علي / النبوة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ.
87- مبيض، يُسر / اليوم الآخر في الأديان السماوية - دمشق.
88- المسكين، الأب متى / الرسالة إلى العبرانيين - مطبعة القديس أنبا مقار، ط أولى، 1993م.
89- المسكين، الأب متى / شرح رسالة بولس إلى أهل رومية - مطبعة القديس أنبا مقار، ط أولى، 1992م.

90- مرجان، محمد مجدي / الله واحد أم ثالوث - دار النهضة العربية، القاهرة.
91- المسيري، د. عبد الوهاب / موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية.
92- المسيري، د. عبد الوهاب / الأيدلوجية الصهيونية.
93- مظهر، سليمان / قصة الديانات - مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
94- د. مفرج / موسوعة عالم الأديان - بيروت، 2004م.
95- ملكاوي، د. محمد / مختصر كتاب إظهار الحق - وزارة الأوقاف السعودية، الرياض، 1416هـ.
96- ملكاوي، د. محمد / اليهودي شاؤول بولس الطرسوسي - دار الإسراء، ط أولى، 1992م.
97- منصور، محمد منير / الموت والمغامرة اليهودية.
98- الموحى، عبد الرزاق / العبادات في الأديان السماوية - الأوائل للنشر، دمشق، 2001م.
99- وافي، د. علي عبد الواحد / الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام - دار النهضة مصر، القاهرة، 1984م.
100- وافي، د. علي عبد الواحد / الأسفار الخفية - مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
101- مجموعة مؤلفين / موسوعة الأديان الميسرة - دار النفائس، ط أولى، 2001م.
102- ونيس، رمسيس / هل الله موجود - لجنة خلاص النفوس، القاهرة، ط ثانية.
103- الندوة العالمية للشباب الإسلامي / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب - الرياض.
104- النشار، د. علي ورفيقه / الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية.
105- نارندر، جيفري / الجنس في أديان العالم.
106- ياسبر، كارل / فلاسفة إنسانيون - ترجمة عادل عوا، مطبعة عويدات، 1980م.
107- يكن، محمد أمير / يهوذا الإسخريوطي - دار إقرأ، مالطا، ط أولى، 1990م.